تراثنا



تاليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء السادس

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحابته والمسلمين

الجزء السادس

من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية السلطان صلاح الدين على مصر

هو السلطان الملك الناصر أبو المظفّر صلاح الدين يوسف ٱبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى بن مروان، ويقال: إنّ مروان من أولاد خلفاء بنى أميّة، وقال ٱبن القادسى[1]: كان شادى مملوك بِهْرُوز الخادم. قال صاحب مرآة الزمان: «وهذا من غلطات[2] ٱبن القادسى، ما كان شادى مملوكا قطّ، ولا جرى على أحد من بنى أيّوب رِقّ، وإنّما شادى خدم بِهْرُوز الخادم، فٱستنابه بقلعة تِكْرِيت». ٱنتهى.

قلت: كان بداية أمر بنى أيّوب أنّ نجم الدين أيّوب والد صلاح الدين هذا، وأخاه أسد الدين شِيرِكُوه — ونجم الدين هو الأكبر — كان أصلهم من

(١) ورد هذا الاسم فى الأصل: «ابن الفارسى» بالفاء والراء. وقد ورد فى بعض كتب التاريخ كمرآة الزمان وابن خلكان وعقد الجمان تارة بالفاء والراء وأخرى بالقاف والدال. وقد رجحنا الرواية الثانية لكثرة ذكرها فى الكتب المتقدمة.

(٢) الذى فى مرآة الزمان: «وهذه من هنات ابن القادسى».

دُوِين : بلدةٍ صغيرة فى العجم ، وقيـل : هو من الأكراد الرَّوادِيّة ، وهو الأصحّ .
فقدِم نجم الدين أيّوب وأخوه أسـد الدين شِيرِكُوه إلى العراق وخدما مجاهد الدين بِهْرُوز الخادم شِحْنَةَ بغـداد ، فرأى بهروزُ من نجم الدين رأياً وعقلا ، فولّاه دُزْداراً بتَكْرِيت[1]، وكانت تكريت لِبِهْرُوز، أعطاها له السـلطان مسعود بن غِياث الدين محمد ابن مَلِكْشاه — المقدّم ذكره — السَّلجُوقىّ . وبِهْرُوز كان يلقّب مجاهدَ الدين.
وكان خادما روميّا أبيض ، ولّاه السلطان مسعود شِحْنَة العراق . وبِهْرُوز (بكسر الباء الموحدة وسكون الهـاء وضم الراء وسكون الواو وبعـدها زاى) ، وهو لفظ عجمىّ معناه : يوم جيّد . فأقام نجم الدين بتَكْرِيت ومعه أخوه أسد الدين إلى أن آنهزم الأَتَابَك زَنْكِى بن آق سُنْقُر من الخليفة المسترشِد فى سنة ستّ وعشرين وخمسمائة ، ووصل إلى تكريت وبه نجم الدين أيّوب، فأقام له المَعَابِرَ فعبرَ زَنْكِى بن آق سُنْقُر [دجلة][2] من هناك، وبالغ نجمُ الدين فى إكرامه، فرأى له زَنْكِى ذلك. وأقام نجمُ الدين بعد ذلك بتَكْرِيت إلى أن خرج منها بغير إذن بِهْرُوز. وسببه أنّ نجم الدين كان يَرْمِى يوما بالنشاب فوقعتْ نُشّابةٌ فى مملوكِ بِهْرُوز فقتلتْه من غير قصد، فٱسْتَحَى نجم الدين من بِهْرُوز فخرج هو وأخوه إلى المَوْصِل . وقيل غير ذلك : إنّ بِهْرُوز أخرجهما لمعنًى من المعانى، وقيل فى خروجهما غير ذلك أيضا .

ولمّا خرجا من تكريت قصدا الأَتَابَك زَنْكِى بن آق سُنْقُر — المقدّم ذكره — وهو والد الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِى المعروف بالشّهيد، فأحسن إليهما زَنْكِى وأقطعهما إقطاعات كثيرة، وصارا من جملة أجناده إلى أن فتح زَنْكِى مدينة

(١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ، وهى إلى بغداد أقرب ، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا ، ولها قلعة حصينة (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) التكملة عن الكامل لابن الأثير ووفيات الأعيان لابن خلكان .

بَعْلَبَكّ[(١)]، وولّى نجمَ الدين أيّوب دُزْدَارًا بقلعتها، والدُّزْدَار (بضمّ الدال المهملة وسكون الزاى وفتح الدال المهملة وبعدها ألف وراء مهملة) ومعناها بالعجمى : ماسك القلعة . ودام نجمُ الدين ببعلبكّ إلى أن قتِل زَنْكى على قلعة جَعْبَر[(٢)]. وتوجّه صاحبُ دِمشق [يومئذ مُجِير الدين[(٣)]] وحصَر نجمَ الدين المذكور فى بعلبكّ وضايقه، فكتب نجم الدين إلى نور الدين الشهيد بن زَنْكى وسيف الدين غازى يطلب منهما نَجْدة، فاشتغلا عنه بملك جديد[(٤)]؛ واشتدّ الحصار على بعلبكّ، فخاف نجم الدين من فتحها عنوةً وتسليم أهلها، فصالح مُجِيرَ الدّين صاحب دمشق على مال؛ وانتقل هو وأخوه أسد الدين شِيرِكُوه إلى دمشق وصارا من كِبار أمرائها . ولا زال بها أسدُ الدين شِيرِكوه حتّى اتّصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى [صاحب حلب[(٥)]] وصار من أكابر دولته . فرأى منه محمود نجابة وشجاعة فأعطاه حِمْص والرَّحْبة، وجعله مقدَّمَ عساكره . فلمّا صرَف نور الدين همّته لأخذ دمشق أمر أسد الدين أن يكاتب أخاه نجم الدين أيّوب على المساعدة على فتحها، فكتب أسدُ الدين إلى أخيه، وقال له : هذا يجب عليك؛ فإنّ مُجِير الدين قد أعطى الفِرِنْج بَانْيَاس[(٦)] وربما سلّم إليهم دمشق بعد ذلك؛ فأجابه نجم الدين، وطلبا من نور الدين إقطاعا وأملاكا فأعطاهما، وحلف لهما ووفّى بيمينه. وأمّا مُجير الدين المذكور صاحب دمشق، فكان

(١) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها فى الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٣) الزيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان وما سيأتى ذكره قريبا . (٤) عبارة ابن خلكان : « فأرسل نجم الدين أيوب إلى سيف الدين غازى بن زنكى صاحب الموصل ، وقد قام بالملك بعد والده ، لينهى إليه الحال ويطلب منه عسكرا ليرحل صاحب دمشق عنه ، وكان سيف الدين فى ذلك الوقت فى أول ملكه وهو مشغول بإصلاح ملوك الأطراف المجاورين فلم يتفرغ له » . (٥) زيادة عن وفيات الأعيان لابن خلكان . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٢١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

آسمه آبَق بن محمد بن بُورى بن الأَتَابَك ظَهِير الدين طُغتِكين . وطغتكين مولى تُتُش آبن أَلْب أَرْسلان أخى مَلِكْشاه السَّلْجُوقىّ .

ولمّا ملك نور الدين محمود دمشق وفّى لهما بما وعدهما ، وصارا من أكابر أمرائه خصوصا نجم الدين ؛ فإنّ جميع الأمراء كانوا إذا دخلوا على نور الدين لا يقعد أحد حتّى يأمره نور الدين بالقعود إلّا نجمَ الدين هـذا ، فإنّه كان إذا دخل قعد من غير إذن . وداما عند نور الدين فى أعلى المنازل إلى أن وقع من أمر شَاوَر وزير مصر ما وقع — وقد حكيناه فى ترجمة العاضد العُبيْدىّ — ودخول أسد الدين شِيرِكُوه إلى الديار المصريّة ثلاثَ مرّات ، ومعه آبن أخيه صلاح الدين يوسف هذا ، حتّى ملك أسدُ الدين الديارَ المصريّة فى الثالثة ، وقُتِل شاوَر ، ووَلِى أسدُ الدين وزارةَ مصر ، ولُقِّب بالمنصور ، ومات بعد شهرين ؛ فولّى العاضدُ الخليفةُ صلاحَ الدين هـذا الوزارةَ ، ولقّبـه الملكَ الناصر ؛ وذلك فى العشر الأخير من جُمَادى الآخرة سـنة أربع وستين وخمسمائة . وآستولى على الديار المصريّة ومهّد أمورها . وصار يُدْعَى للعاضد ، ثمّ من بعده للملك العادل نور الدين محمود ، ثمّ من بعدهما لصلاح الدين هـذا . ونذكر ولايتَه إن شاء الله بأوسع من هـذا من كلام آبن خلّكان ، بعد أن نذكر نبذة من أموره .

وآستقرّ صلاح الدين بمصر وأرسل يطلب أباه نجم الدين أيّوب من الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، فأرسله إليه معظّما مبجّلا ؛ وكان وصوله (أعنى نجم الدين) إلى القاهرة فى شهر رجب سنة خمس وستين وخمسمائة ؛ فلمّا قرب نجم الدين إلى الديار المصريّة خرج آبنـه السلطان صلاح الدين بجميع أمراء مصر إلى ملاقاته ، وترجّل صلاح الدين وجميع الأمراء ومَشَوْا فى ركابه ؛ ثمّ قال له آبنه صـلاح الدين : هذا الأمر لك (يعنى الوزارة) وهى السلطنة الآن ، وتدبير ملك مصر ، ونحن بين يديك ؛

فقال له نجم الدين : يا بنيّ، ما اختارك الله لهذا الأمر إلّا وأنت أهل له ، وأبَى نجمُ الدين عن قبول السلطنة ، غير أنّه حكّمه ابنه صلاح الدين في الخزائن ، فكان يُطلِق منها ما يختار من غير مراجعة صلاح الدين . وكانت الفرنج نزلت على دِمْياط في ثالث صفر من السنة المذكورة وجدّوا في قتالها ، وأقاموا عليها نحو الشهرين يحاصرونها بالمجانيق و يزحفون عليها ليلا ونهارا ، وصلاح الدين يوجّه إليها العساكر مع خاله شِهاب الدين وتَقِيّ الدين ، وطلب من العاضد مالًا فبعث إليه شيئا كثيرا ، حتّى قال صلاح الدين : ما رأيت أكرم من العاضد ! جهّز إليّ في حصار الفرنج لدِمْياط ألف ألف دينار سوى الثياب وغيرها .

ولمّا سمع نور الدين بما وقع لدِمْياط أخذ في غزو الفرنج بالغارات عليهم . ثم وقع فيهم الوباء والفناء فرحلوا عن دِمياط بعد أن مات منهم خلق كثير . كلّ ذلك في حياة العاضد في أوائل أمر صلاح الدين ، ثمّ أخذ السلطان صلاح الدين في إصلاح أحوال مصر وعمارة البلاد و بينا هو في ذلك ورد عليه كتاب الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكِي من دمشق ، فأمره فيه بقطع خطبة العاضد و إقامتها لبني العبّاس خلفاء بغداد ، فخاف صلاح الدين من أهل مصر ألّا يجيبوه إلى ذلك ، وربّما وقعت فتنة ؛ فعاد الجواب لنور الدين يخبره بذلك ، فلم يسمع له نور الدين ، وأرسل إليه وخشّن له في القول ، وألزمه بذلك إلزاما كلّيّا إلى أن وقع ذلك ، وقُطِعت خطبة العاضد في أوّل المحرّم سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان العاضد مريضا فأخفى عنه أهله ذلك حتّى مات يوم عاشوراء ، فندم صلاح الدين على قطع خطبته ، وقال : ليتني صبرت حتّى مات . وقد ذكرنا ذلك كلّه مفصّلا في ترجمة العاضد السابقة لهذه الترجمة . ومن هنا نذكر — إن شاء الله تعالى — أقوال المؤرّخين في أحوال السلطان صلاح الدين هذا وغزواته وأموره ، كلّ مؤرّخ على حدته . ومن يوم مات العاضد

عظُم أمر صلاح الدين وآستولى على خزائن مصر وآستبدّ بأمورها من غير منازع . غير أنّه كان من تحت أوامر الملك العادل نور الدين محمود بن زنْكى المعروف بالشهيد صاحب دمشق على ما سنبّينه فى هذا المحلّ . وكان يدعو له الخطيب بمصر وأعمالها بعد نور الدين المذكور و يدعو لنور الدين بعد الخليفة .

وكان مولد صلاح الدين بتِكْرِيت فى سنة آثنتين وثلاثين وخمسمائة، ونشأ فى حِجْر أبيه نجم الدين أيّوب فى الدولة النُّورِيّة، وترقّى فيها ؛ وكان ولّاه نور الدين قبل خروجه مع عمّه أسد الدين شِيركوه الثالثةَ إلى ديار مصر، شَحْنَجِيّة[1] دمشق، فخرج عنها غَضباً على ما سنذكره إن شاء الله .

قال العلّامة أبو المظفَّر شمس الدين يوسف بن قَزأُوغْلِى فى تاريخه مرآة الزمان: «كان السلطان صلاح الدين شجاعا شهما مجاهدا فى سبيل الله ، وكان مغرَمًا بالإنفاق فى سبيل الله ، وحُسِب ما أطلقه ووهَبه مدّةَ مُقامه على عكّا مرابطا للفرنج، من شهر رجب سنة خمس وثمانين، إلى يوم آنفصاله عنها فى شعبان سنة ثمان وثمانين، فكان آثنَى عشرَ ألفَ رأس من الخيل العِراب[2] والأكاديش الجياد للحاضرين معه للجهاد، غير ما أطلقه من الأموال . قال العماد الكاتب : لم يكن له فرس يَرْكب إلّا وهو موهوب ، ولا جاءه قود[3] إلّا وهو مطلوب ؛ وما كان يَلْبَس إلّا ما يحِلّ لبسه ، كالكَتّان والقطن والصوف؛ وكانت مجالسه منزَّهة عن الهُزْء والهزل؛ ومحافله حافلة بأهل العلم والفضل ؛ و يُؤْثِر سماع الحديث وكان مَنْ جالسه لا يعلم

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٢) الخيل العراب : خلاف البراذين . (٣) كذا فى الأصل . وعبارة العماد الكاتب فى الفيح القسى : « ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به ، وصاحبه ملازم فى طلبه ، وما حضر اللقاء إلا استعار فرسا فركبه وهجر جياده ، فاذا نزل جاء صاحبه فاستعاده » .

أنه جالس سلطانا لتواضعه . قال : ورأى معى يوما دواة محلاة بفضة فأنكر علىّ وقال : ما هذا! فلم أكتب بها عنده بعدها . وكان محافظا على الصلوات فى أوقاتها لا يصلّى إلّا فى جماعة، وكان لا يلتفت إلى قول منجّم، وإذا عزم على أمر توكّل على الله . انتهى كلام العماد باختصار .

وذكره القاضى ابن شدّاد فى السّيرة فقال : كان حسنَ العقيدة، كثيرَ الذكر لله تعالى، وإذا جاء وقتُ صلاة وهو راكب نزل فصلّى ، وما قطعها إلّا فى مرضه الذى مات فيه ثلاثةَ أيام اختلط ذهنُه فيها. وكان قد قرأ عقيدة القطب النّيسابورىّ[1] . وعلّمها أولادَه الصغار لترسخ فى أذهانهم، وكان يأخذها عليهم . وأمّا الزكاة فإنّه مات ولم تجب عليه قطّ . وأمّا صدقة النوافل فاستُنفدتْ أموالُه كلّها فيها. وكان يحبّ سماع القرآن، واجتاز يوما على صبىّ صغير بين يدىْ أبيه وهو يقرأ القرآن فاستحسن قراءته، فوقف عليه وعلى أبيه مَزْرعةً . وكان شديد الحياء خاشع الطَّرْف، رقيق القلب، سريع الدمعة ، شديد الرغبة فى سماع الحديث . وإذا بلغه عن شيخ روايةٌ عالية وكان ممّن يحضر عنده ، استحضره[2] وسمع عليه وأسمع أولاده ومماليكه ، ويأمرهم بالقعود عند سماع الحديث إجلالا له ، وإن لم يكن ممن يحضر عنده ، ولا يطرُق أبواب الملوك سعَى إليه . وكان مُبْغضا لكتب الفلاسفة وأرباب المنطق ومن يعاند الشريعة . ولمّا بلغه عن السُّهْرَوَرْدِىّ[3] ما بلغه أمَر ولدَه الملك

(١) هو أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود النيسابورى الفقيه الشافعى الملقب قطب الدين . جمع للسلطان صلاح الدين عقيدة تجمع جميع ما يحتاج اليه فى أمر دينه وحفظها أولاده الصغار حتى ترسخ فى أذهانهم من الصغر. توفى سنة ٥٧٨ هـ — وسيذكرها المؤلف — (عن ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٤ طبع بولاق) .

(٢) فى الأصل : « استحضر عليه » . وما أثبتناه عن سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية .

(٣) السهروردى هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم المقتول بحلب . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٧ هـ .

الظاهر بقتله . وكان محبّا للعدل يجلس فى كلّ يوم آثنين وخميس [فى][1] مجلس عام يحضُره القضاة والفقهاء، ويصل إليه الكبير والصغير والشيخ والعجوز، وما آستغاث إليه أحد إلّا أجابه وكشف ظُلامته؛ وآستغاث اليه آبن زُهَير الدِّمَشقىّ على تقىّ الدين عمر [ابن أخيه][2] وقال: مايحضُر معى مجلس الشرع، فأمر تقىّ الدين بالحضور معه . وآدّعى رجل على السلطان صلاح الدين المذكور بأنّ سُنْقُر الخِلَاطِىّ مملوكُه ومات على ملكه . قال آبن شدّاد: فأخبرته فأحضر الرجل، وقد خرج عن طَرّاحته وساواه فى الجلوس، فآدّعى الرجلُ؛ فرفع السلطانُ رأسه إلى جماعة الأمراء والشيوخ الأخيار، وهم وقوف على رأسه، فقال : أتعرفون سُنْقُرَ الخِلَاطِىّ؟ قالوا : نشهد أنّه مملوكك، وأنّه مات على ملكك. ولم يكن للرجل المدّعِى بيّنة، فأُسْقِط فى يده . فقلتُ: يا مولانا، رجل غريبٌ، وقد جاء من خِلَاط فى طمع ، ونفِدتْ نفقته ، وما يَحْسُن أن يرجع خائبا؛ فقال : يا قاضى، هذا إنّما يكون على غير هذا الوجه، ووهب له نفقة وخِلْعة و بغلة وأحسن إليه .

قال : وفتح آمِدَ ، ووهبها لآبن قَرَا أَرْسلان . وآجتمع عنده وفودٌ بالقدس ولم يكن عنده مال ، فباع ضَيْعة وفرّق ثمنها فيهم . قال آبن شدّاد : وسألت باليان بن بارِزان[3] يوم آنعقاد الصلح عن عدّة الفرنج الذين كانوا على عكّا ، وهو جالس بين يدى السلطان، فقال للتَّرْكمان : قل له كانوا من خمسمائة ألف إلى ستّمائة ألف ، قُتِل منهم أكثر من مائة ألف وغَرِق معظمهم . قال : وكان يوم المَصَاف يدور على الأطلاب ويقول : وهل أنا إلا واحد منكم ! وكان

(١) الزيادة عن السيرة .
(٢) الزيادة عن السيرة. وهو الملك المظفر أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب .
(٣) فى الأصل ومرآة الزمان : « وسألت ابن ميروان » . وما أثبتناه عن السيرة والروضتين .

في الشتاء يعطى العساكر دستورا وهو نازل على برج عكّا، ويقيم طول الشتاء في نفر يسير . وكان على الرملة[(١)] فجاءه كتاب بوفاة تقيّ الدين [ابن أخيه][(٢)]، فقال وقد خنقته العبرة : مات تقيّ الدين ! اكتموا خبره مخافة العدو . قال : ولقد واجهه الجناح[(٣)] على يافا بذلك الكلام القبيح[(٤)]، فما قال له كلمة، واستدعاه فأيقن بالهلاك؛ وارتقب الناس أن يضرب رقبته فأطعمه فاكهة قدمت من دمشق وسقاه ماء وثلجا . قال: وكان للسلمين لصوص يدخلون خيام الفرنج بالليل ويسرقونهم، فسرقوا ليلة صبيا رضيعا فباتت أمه تبكي طول الليل، فقال لها الفرنج : إن سلطانهم رحيم القلب فاذهبي إليه، فجاءته وهو على تل الخروبة[(٥)] راكب، فعفرت وجهها وبكت، فسأل عنها فأخبر بقصتها، فرق لها ودمعت عيناه، وتقدم إلى مقدّم اللصوص بإحضار الطفل، ولم يزل واقفا حتى أحضروه؛ فلما رأته بكت وشهقت وأخذته وأرضعته ساعة وضمته إليها، وأشارت إلى ناحية الفرنج؛ فأمر أن تحمل على فرس وتلحق بالفرنج ففعلوا . قال ابن شداد : وكان حسن العشرة طيب الخلق حافظا لأنساب العرب، عارفا بخيولهم، طاهر اللسان والقلم، فما شتم أحدا قط ولا كتب بيده ما فيه أذى مسلم . وما حضر بين يديه يتيم إلا وترحم على من خلفه، وجبر قلبه وأعطاه ما يكفيه؛ فإن كان له كافل [سلمه إليه][(٦)] وإلا كفله . وسرق[(٧)] يوما من خزانته ألفا دينار وجعل في الكيس فلوس فما قال شيئا . انتهى كلام ابن شداد باختصار .

---

(١) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين . (٢) زيادة عن السيرة .

(٣) هو الجناح بن على بن أحمد الهكارى أخو المشطوب بن على وكلاهما كان من أمراء صلاح الدين . (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٥٥) . (٤) عبارة ابن الأثير : « فقال له : يا صلاح الدين قل لمماليكك الذين أخذوا أمس الغنيمة وضربوا الناس بالجماعات يتقدمون فيقاتلون ؛ إذا كان القتال فنحن، وإذا كانت الغنيمة فلهم ! » . (٥) الخروبة : حصن بساحل الشام مشرف على عكا (عن معجم البلدان لياقوت) . (٦) التكملة عن السيرة . (٧) عبارة السيرة : «ولقد أبدل في خزانته كيسان من الذهب المصرى بكيسين من الفلوس، فما عمل بالنواب شيئا سوى أن صرفهم من عملهم لا غير» .

قال أبو المظفّر : وحكى لى المُبارز[1] سُنْقُر الحلبىّ — رحمه الله تعالى — قال : كان الحُجّاب يزدحمون على طرّاحته لجاء سُنْقُر الخِلَاطىّ ومعه قِصَص فقدّم إليه قِصّة، وكان السلطان مدّ يدَه اليمنى على الأرض ليستريح، فداسها سُنْقُر الخلاطىّ ولم يَعْلَم، وقال له : علِّم عليها، فلم يُجبه، فكرّر عليه القولَ؛ فقال له : ياطَوَاشى، أعلّم بيدى أم برجلى ! فنظر سنقر فرأى يد السلطان تحت رجله فخجل، وتعجّب الحاضرون من هذا الحلم؛ ثم قال السلطان : هات القصّة فعلّم عليها» .

وقال القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان — رحمه الله — فى تاريخه : «وصلاح الدين كان واسطة العِقْد، وشهرته أكبر من أن يحتاج إلى التنبيه عليــه . اتّفق أهل التاريخ على أنّ أباه وأهــله من دُوِين (بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها و بعــدها نون) ، وهى بلدة فى آخر عمل أَذْرَبِيجان من جهة أرّان و بلاد الكَرَج، وأنهم أكرادٌ رَوَادِيّةٌ (بفتح الراء والواو و بعــد الألف دال مهمــلة [مكسورة][2] ثم ياء مثنّاة من تحتها مشدّدة ثم هاء) . والرَّوَادِيّةُ : بطن من الهَــذَانِيّة[3] (بفتح الهــاء والذال المعجمة و بعــد الألف نون مكسورة ثم ياء مثنّاة مشدّدة من تحتها و بعــدها هاء) وهى قبيلة كبيرة من الأكراد . وقال لى رجل عارف بمــا يقول، وهو من أهل دُوِين : إنّ على باب دُوِين قريةً يقال لها : أَجْدَانَقان (بفتح الهمزة وسكون الجيم وفتح الدال المهملة و بعد الألف نون مفتوحة ثم قاف و بعــد الألف الثانية نون أخرى) وجميعُ أهلهــا أكرادٌ رَوَادِيّة ؛ ومولد أيّوبَ والدِ صلاح الدين بها، وَشادِى أَخَذ ولديه، [منها][2]: أســدَ الدين شِيرِكُوه،

(١) فى مرآة الزمان : « المــارز » (٢) زيادة عن ابن خلكان .

(٣) فى الأصل : «الهذبانية» وقد ضبطها المؤلف بفتح الهاء والذال المعجمة والبــاء الموحدة ... الخ وفى عقد الجمان : «الهديانية» بالدال المهملة والياء . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

ونجمَ الدين أيوب، وخرج بهما إلى بغداد، ومن هناك إلى تكريت. ومات شادى بها، وعلى قبره قبةٌ داخلَ البلد . ولقد تتبّعتُ نسبهم كثيرا فلم أجد أحدا [ذكر][1] بعد شادى أبا آخر، حتى إنى وقفتُ على كتب كثيرة بأوقاف وأملاك بآسم شيركوه وأيوب فلم أَرَ فيها سوى شيركوه بن شادى [وأيوب][1] بن شادى لا غير . وقال لى بعض أعوانهم : هو شادى بن مروان ، وقد ذكرته فى ترجمة أيوب وشيركوه . قال : ورأيت مدرجا رتّبه الحسن بن غريب بن عمران[2] الحرَمى يتضمّن أن أيوبَ آبنُ شادى بن مروان بن [أبى][1] على بن عنترة[3] بن الحسن بن علىّ بن أحمد ابن علىّ[4] بن عبد العزيز بن هُدبة بن الحُصَين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة بن عَوف بن أسامة بن بيهس[5] بن الحارث صاحب الحَمَالة آبن عَوف بن أبى حارثة بن مُرّة بن نُشبة[6] بن غَيظ بن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض ابن ريث بن غطَفان [بن سعد][7] بن قيس بن عَيلان بن الياس بن مُضر بن نزار[8] ابن معدّ بن عدنان، ثم رفع هذا النسبَ إلى أن آنتهى إلى آدم عليه السلام. ثم ذكر بعد ذلك أن علىّ بن أحمد بن أبى علىّ فقال: هو ممدوح المتنبىّ، ويعرف بالخُراسانىّ.

وفيه يقول من جملة قصيدة :

شَرِق الجوُّ بالغُبار إذا سا * ر علىُّ بنُ أحمدَ القَمْقَامُ

(١) التكملة عن ابن خلكان . (٢) فى الأصل : «الحسن بن عمرو بن عمران» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٣) كذا فى ابن خلكان المطبوع . وفى بعض نسخه المخطوطة : «عنيزة» . وفى الأصل : «عتورة» . (٤) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : «ابن أبى على» .
(٥) فى الأصل : «ابن مهين» . وفى ابن خلكان : «ابن نهس» . وما أثبتناه عن عقد الجمان .
(٦) فى الأصل : «شبة» . وما أثبتناه عن ابن خلكان المطبوع والمخطوط .
(٧) التكملة عن ابن خلكان وعقد الجمان .
(٨) فى الأصل : «نزار بن سعد» . وما أثبتناه عن عقد الجمان وابن خلكان .

وأمّا الحارث بن عَوْف بن أبى حارثة صاحبُ الحَمَالة فهو الذى حمـل الدماء بين عَبْس وذُبْيان ، وشاركه فى الحَمَالة خارجةُ بن سِـنان أخو هَرِم بن سِـنان . وفيهما قال زُهَير بن أبى سُلْمَى المُزَنِىّ قصائدكثيرة، منها قوله :

وهـل يُنبِت الخَطِّىَّ إلّا وَشِيجُه * وتُغْرَس إلّا فى مَنابتها النخلُ

هـذا آخر ما ذكره فى المدرّج وكان قد قدّمه إلى الملك المعظّم شرف الدين عيسى بن الملك العـادل صاحب دمشق ، وسمعه عليـه هو وولده الملك النـاصر صلاح الدين أبو المفاخر داود بن الملك المعظّم ، وكتب لهما بسماعهما عليـه فى آخر رجب سنة تسعَ عشرةَ وستّمائة . والله أعلم . انتهى ما ذكرته من المدرّج . ثم قال :

« وأقول ذكر المؤرّخون أنّ أسـد الدين شِيرِكُوه لـمّا مات آستقرّت الأمور بعده لصلاح الدين يوسف بن أيّوب وتمهّدت القواعد، ومشى الحال على أحسن الأوضاع ، وبَذَل الأموالَ وملك قلوب الرجال ، وشكر نعمة الله تعالى عليه ، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو ، وتقمّص بقميص الجِدّ والآجتهاد ، ولا زال على قدم الخير وما يقرّبه إلى الله تعالى إلى أن مات» . قال : «وقال شيخنا آبن شدّاد ـــ رحمه الله ـــ : [سمعته][1] يقول قال صلاح الدين ـــ رحمه الله ـــ : لـمّا يسّر الله تعالى بملك الديار المصرية علمت أنّ الله أراد فتح الساحل لأنه أوقع ذلك فى نفسى . قال : ومن حين آستقام له الأمر مازال صلاح الدين يَشُنّ الغارات على الفرنج إلى أن ملك الكَرَك[2] والشَّوبَك[3] وغيرهما[4] من البلاد ، وغشى النـاس من سحائب الإفضال والإنعام [مالم يؤرّخ غير تلك الأيام . و][1] هـذا كلّه وهو وزير متابع للقوم ، ولكنّه يقول

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدّا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الشوبك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان قرب الكرك (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : «و بلادهما» .

بمذهب أهل السُّنة، [مارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوّف والدين، والناس يهرَعون إليه من كلّ صَوْب ويَفِدون عليه من كل جانب وهو لا يُخيّب قاصدا، ولا يعدم وافدا] (١) إلى سنة خمس وستين وخمسمائة . فلمّا عرف نور الدين آستقرار (٢) أمر صلاح الدين بمصر أَخَذ حِمْص من نوّاب أسد الدين شِيرِكُوه، وذلك في رجب سنة أربع وستين . ولمّا علم الفرنجُ ما جرى من (٣) المسلمين وعساكرهم، وما تمّ للسلطان من آستقامة الأمر له بالبلاد المصرية علموا أنه يملك بلادهم ، ويخرّب ديارهم ، ويقطع آثارهم؛ فآجتمع الفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصريّة ، ونزلوا دِمْياط ومعهم آلات الحصار وما يُحتاج إليه » .

قلت : وهذه الواقعة التي ذكرناها في أول هذه الترجمة . غير أنّنا نذكرها أيضا من قول آبن خلّكان لزيادات تأتي فيها .

قال : «ولمّا سمع فرنج الشام ذلك آشتدّ أمرُهم، فسرقوا حصنَ عَكّا من المسلمين وأَسروا صاحبها ، وكان مملوكا لنور الدين محمود، يقال له : « خَطْلُخ العلم دار » . وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين . ولمّا رأى نور الدين ظهور الفرنج ونزولهم على دِمْياط قصد شَغْل قلوبهم، فنزل على الكَرَك فحاصرها في شعبان من السنة المذكورة، فقصده فرنج الساحل فرحل عنها، وقصد لقاءهم فلم يقووا له . ثم بلغه وفاةُ مجد الدين بن الدّاية، وكانت وفاته بحَلَب في [شهر] (٤) رمضان سنة خمس وستين، فآشتغل قلبه، فإنّه كان صاحبَ أمره. وعاد يطلب الشام فبلغه أمر الزلازل بحلب التي أخربت البلاد، وكانت في ثاني عشر شوّال فسار يطلب حلب، فبلغه موت أخيه

(١) زيادة عن ابن خلكان. (٢) في الأصل : «استقلال» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٣) في الأصل : « ما جرى للسلمين وعساكره » . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٤) الزيادة عن ابن خلكان .

قطب الدين مودود بالموصل، و بلغه خبر موته وهو بتّل باشر[1]، فسار من ليلته طالباً لبلاد الموصل . ودام صلاح الدين فى قتال الفرنج بدِمْياط إلى ان رحلوا عنها خائبين » .

قال ابن خلّكان : «والذى ذكره شيخنا عزّ الدين بن الأثير: [أمّا][2] كيفيّة ولاية صلاح الدين فإنّ جماعة من الأمراء النُّورِيّة الذين كانوا بمصر طلبوا التقدّم على العساكر و [ولاية][3] الوزارة (يعنى بعد موت أسد الدين شِيرِكُوه) : منهم الأمير عين الدولة اليَارُوق، وقُطْب الدين خُسْرُو بن تلـيل[4] ، وهو ابن أخى أبى الهَيْجاء الهَذَبانىّ[5] الذى كان صاحب إرْبِل . قلت : [وهو[6]] صاحب المدرسة القُطْبيّة[7] بالقاهرة، ومنهم سيف الدين علىّ بن أحمد الهَكّارِىّ، وجدّه كان صاحب القِلاع الهكاريّة[8] . قلت : هو المعروف بالمَشْطوب — ولوالده أحمد ترجمة فى تاريخنا «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى» — ومنهم شهاب الدين محمود الحارِمىّ، وهو خال صلاح الدين ، وكلّ واحد من هؤلاء قد خَطَبها[9] لنفسه ، فأرسل العاضد صاحب مصر إلى صلاح الدين يأمره بالحضور إلى قصره ليخلع عليه خِلْعة الوزارة

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٠١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الزيادة عن تاريخ الدولة الأتابكية ملوك الموصل ص ٢٥٥ (نسخة طبع أورباموجودة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٠٧ تاريخ) والكامل، وكلاهما لابن الأثير. (٣) الزيادة عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية والكامل . (٤) كذا فى ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . وفى الأصل والمقريزى فى الكلام على المدرسة القطبية ص ٣٦٥ ج ٢ : « ابن بلبل » .

(٥) فى الأصل وابن خلكان « الهذيانى » بالذال المعجمة والياء . وما أثبتناه عن تاريخ الدولة الأتابكية والمقريزى . (٦) زيادة عن ابن خلكان . (٧) المدرسة القطبية هى كما فى خطط المقريزى فى الجزء الثانى ص ٣٦٥ تقع فى خط سويقة الصاحب بداخل درب الحريرى وقد كانت هى والمدرسة السيفية (جامع الحطاب اليوم) من حقوق دار الديباج ، وأنشأ هذه المدرسة الأمير قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهذبانى فى سنة ٥٧٠ ﻫ وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعية وهذه المدرسة درست. وبالبحث تبين أن محلها اليوم الدار وقف التلاوى رقم ١٠ بحارة المطلى (درب الحريرى سابقا) المتفرعة من سكة البودية بالجزاوى . (٨) الهكارية، قرية قريبة من الموصل ويسكنها أكراد .

(٩) فى الأصل : « قد خطها » . وما أثبتناه عن تاريخ الدولة الاتابكية .

ويولّيه الأمرَ بعد عمّه . وكان الذى حمل العاضدَ على تولية صلاح الدين ضعفُ صلاح الدين، فإنّه ظنّ أنّه إذا ولّى صلاحَ الدين، وليس له عسكر ولا رجال، كان فى ولايته مستضعَفا، يحكُم عليه ولا يقدر على المخالفة، وأنّه يضع على العسكر الشامىّ من يَستميلهم ، فإذا صار معه البعضُ أخرج الباقين، وتعود البلاد إليه؛ وعنده من العساكر الكُتَامِيّة[1] مَن يحميها من الفرنج ونور الدين . والقصّة مشهورة "أردتُ عَمْرا وأراد الله خارِجة" . فامتنع صلاحُ الدين وضعُفت نفسه عن هذا المُقَام[2] ، فألزمه العاضد وأخذ كارها؛ إنّ الله لَيَعجب من قوم يُقادون إلى الجنّة بالسلاسل .
فلمّا حضر فى القصر خلع عليه خِلْعة الوزارة : الجُبّة والعِمامةَ وغيرهما، ولقّب بالملك الناصر، وعاد إلى دار عمّه أسد الدين شِيرِكُوه وأقام بها، ولم يلتفت إليه أحد من أولئك الأمراء الذين يريدون الأمر لأنفسهم ولا خَدموه . وكان الفقيه ضِيَاء الدين عيسى الهَكّارىّ معه، فسعى مع سيف الدين علىّ بن أحمد حتّى أماله إليه، وقال له : إنّ هذا الأمر لا يصل إليك مع وجود عين الدولة والحارمىّ وآبن تليل ، فمال إلى صلاح الدين . ثم قصد شهابَ الدين الحارِمىّ، وقال له : إنّ هذا صلاحُ الدين هو آبن أختك ومُلْكه[3] لك ، وقد آستقام له الأمر فلا تكن أوّل من يسعى فى إخراجه عنه [ولا يصل إليك][4]، ولم يزل به حتى أحضره أيضا عنده وحلّفه له .
ثم عدل إلى قطب الدين وقال له : إنّ صلاح الدين قد أطاعه الناس ولم يبق غيرك وغيرُ اليَارُوقىّ ، وعلى كلّ حال فيَجْمع بينك وبين صلاح الدين أنّ أصله من الأكراد، ووعده وزاد فى إقطاعه[5] فأطاع صلاحَ الدين . ثم عدل إلى عين الدولة

(١) فى تاريخ الدولة الأتابكية لابن الأثير «الشامية» . (٢) فى الأصل : «عن القيام» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . (٣) فى الأصل : «وملكه له» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . (٤) الزيادة عن ابن خلكان .
(٥) فى الأصل : «وزاد فى إعطائه» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية .

اليَارُوقىّ ، وكان أكبرَ الجماعة وأكثرهم جمعًا، فآجتمع به فلم ينفع فيه رُقَاه ولا نَفذ فيه سحرُه، وقال : "أنا لا أخدُم يوسف أبدا! وعاد إلى نور الدين محمود ومعه غيره. فأنكر عليهم نور الدين فراقه[1]، وقد فات الأمر ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا . وثبتتْ قدمُ صلاح الدين ورَسَخ ملكه ، وهو نائب عن الملك العادل نور الدين، والخطبة لنور الدين فى البلاد كلِّها ، ولا يتصرّفون إلّا عن أمره . وكان نور الدين يكاتب صلاح الدين بالأمير الإسْفَهْسَالار[2] ، ويكتب علامته فى الكتب تعظيما أن يكتُب آسمَه ، وكان لا يُفْرده بمكاتبة، بل يكتب الأمير الإسفهسالار صلاح الدين ، وكافّةُ الأمراء بالديار المصريّة يفعلون كذا وكذا . وآستمال صلاحُ الدين قلوبَ الناس وبَذَل الأموال ممّا كان أسد الدين قد جمعه، فمال الناس إليه وأحبُّوه، وقوِيتْ نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه؛ وضعُف أمر العاضد، وكان العاضد كالباحث عن حتفه بظِلْفه » .

قال آبن الأثير فى تاريخه الكبير : قد آعتبرتُ التواريخ فرأيت كثيرا من التواريخ الإسلاميّة، ورأيت كثيرا ممّن يبتدئ الملك تنتقل الدولة عن صلبه إلى بعض أهله وأقاربه : منهم فى أوّل الإسلام معاويةُ بن أبى سُفْيان، أوّل من ملك من أهل بيته، تنقّل الملكُ عن أعقابه إلى بنى مَرْوان من بنى عمّه. ثم من بعده السفّاح أوّل من ملك من ملوك بنى العبّاس، آنتقل الملك عن أعقابه إلى أخيه أبى جعفر المنصور. ثم السامانيّة أوّل مَن ملك منهم نصر بن أحمد فآنتقل الملك عنه إلى أخيه إسماعيل بن أحمد وأعقابه . ثم يعقوب الصفّار أوّل مَن ملك من أهل بيته فآنتقل الملك عنه إلى أخيه عمرو وأعقابه . ثم عِماد الدولة بن بُوَيه أوّل مَن ملك

(١) كذا فى ابن خلكان وتاريخ الدولة الأتابكية . وفى الأصل « ... فراقه لصلاح الدين » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

من أهل بيتــه ثم آنتقل الملك عنــه إلى أخويه : ركن الدولة ومعزّ الدولة . ثم السَّلْجوقيّة أوّلُ مَن ملك منهم طُغْرُلْبَك . ثم آنتقل الملك إلى أولاد أخيه داود . ثم هذا شيرِكُوه كما ذكرنا آنتقل الملك عنــه إلى ولد أخيه نَجْم الدين أيّوب . ولولا خوف الإطالة لذكرنا أكثر من هذا . والذى أظنّه السببَ فى ذلك أن الذى يكوِّن أوّل دولة يُكثِر القتــل، فيأخذ المُلْكَ وقلوبُ من كان فيه متعلِّقة به ؛ فلهــذا يحرم الله تعالى أعقابه و يفعل ذلك لأجلهم عقوبةً [له][1] . إنتهى .

قلت : وما ذكره آبن الأثير من آنتقال المُلْك من عَقِب مَن يلى المُلكَ أوّلا إلى أقاربه ، هو بعكس ما وقع لخلفاء مصر بنى عُبَيــد ، فإنّه لم يَلِ الخلافةَ منهــم أحدُ بعــد أخيه من أوّلهم المُعِزّ إلى آخرهم العاضــد . قلت : ونادرة أخرى وقعت لخليفة زماننا هــذا ، فإنّه خامسُ أخ وَلِى الخلافةَ بعد إخوته ، وهو أمير المؤمنين المستنجد بالله يوسف[2]، وهم خمسة إخوة من أولاد المتوكّل[3]، كلّ منهم وَلِى الخلافة : وأوّلهم المستعين[4] بالله العباسى ، الذى تسلطن بعد خلع الملك الناصر فرج بن برقوق ، فى سنة خمس عشرة [وثمانمائة] ؛ ثم من بعده المعتضد[5] داود ؛ ثمّ من بعده المستكفى[6] سليمان ؛ ثم من بعده القائم حمزة[7] ؛ ثم يوسف هذا خليفة زماننا .

(١) الزيادة عن ابن خلكان . (٢) هو أمير المؤمنين المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ابن المتوكل على بن سـليمان الهاشمى العباسى . توفى فى المحرم سـنة ٨٨٥ هـ (عن شذرات الذهب) .
(٣) هو أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد ابن الخليفة المعتصم بالله أبى بكر ابن الخليفة المستكفى بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله أحمد الهاشمى العباسى المصرى . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٠٨ هـ .
(٤) هو أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباسى ابن المتوكل . وسيذكر المؤلف وفاته بالطاعون سنة ٨٣٣ هـ . (٥) هو أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٤٥ هـ . (٦) هو الخليفة أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٥ هـ .
(٧) هو الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل على الله . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٦٢ هـ .

وأكثرُ مَن ولى من بنى أميّة أربعةٌ من أولاد عبد الملك بن مَرْوان : وهم الوليد وسليمان ويَزيد وهِشام؛ قيل : إنّ عبد الملك رأى فى نومه أنّه بال فى محراب النبيّ صلّى الله عليــه وسلّم أربع بولات ، فأوّلَه المعبِّرون بأنّه يلى الخلافة من ولده لصلْبه أربعة، فكان كذلك . وأمّا ثلاثة الإخوة : فالأمين محمد والمأمون عبد الله والمعتصم محمد أولاد الرشيد هارون . ثم وقع ذلك أيضا لبنى العبّاس فى أولاد المتوكّل جعفر، ولى من أولاده ثلاثة : المنتصر والمعتزّ والمعتمد . ثمّ وقع ذلك أيضا للمعتضد ولى من أولاده ثلاثة : وهم المكتفى[1] علىّ والمقتدر جعفر والقاهر محمد . ثم وقع ذلك للمقتدر جعفر ولى من أولاده ثلاثة : الراضى والمتّقى والمطيع . ونادرة أخرى ، قيل : إنّ المستنجد بن المقتفى رأى فى حياة والده فى منامه كأنّ مَلَكا نزل من السماء فكتب فى كفه أربع خاءات معجمات ، فعبَّروه أنّه يلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك . وقد خرجنا عن المقصود، ونعود إلى ذكر صلاح الدين .

ثم ذكر ٱبن الأثير شيئا عن أحوال صلاح الدين إلى أن قال : وتُوفّى العاضد وجلس صلاح الدين للعزاء ، وٱستولى على قصره وجميع ما فيه؛ فكان قد رتّب فيه قبل وفاة العاضد بهاء الدين قَرَاقُوش، وهو خَصِىّ يحفظه، فحفظ مافيه حتّى تسلّمه صلاح الدين، ونقل صلاح الدين أهله إلى مكان منفرد، ووكّل بهم مَن يحفظهم، وجعل أولاده وعُمومته وأبناءه فى إيوان بالقصر، وأخرج مَن كان فيــه من العَبِيد والإماء ، فأعتق البعضَ ووهب البعض وأخلى القصر من سكّانه وأهله . فسبحان من لا يزول ملكه ! قال : ولمّــا ٱستولى صلاح الدين على القصر وأمواله وذخائره ٱختار منه ما أراد ، ووهب أهــلَه وأمراءَه، وباع منه كثيرا ، وكان فيه من

(١) فى الأصــل : «المقتفى» . والتصويب عما تقدم ذكره للمؤلف فى الكلام على خلافة المكتفى سنة ٢٨٩ هـ فى الجزء الثالث من هذه الطبعة ص ١٢٧

الجواهر النفيسة ما لم يكن عنـد ملك من الملوك . قال ابن الأثير[1] : ولما وصل الخبر إلى الإمام المستضىء بأمر الله أبى محمد الحسن بن الإمام المستنجد، وهو والد الإمام الناصر لدين الله، بما تجدد من أمر مصر، وعود الخطبة والسكة بها باسمه بعد انقطاعها بمصر هذه المدة الطويلة عمل أبو الفتح محمد سبط [ابن][2] التعاويذى قصيدة[3] طنانة مدح بها المستضىء، وذكر هذا الفتوح المتجدد له، وفتوح بلاد اليمن، وهلاك الخارجى[4] بها الذى سمى نفسه المهدى . نذكر فى آخر ترجمته أمر القصيدة التى نظمها ابن التعاويذى من كلام ابن خلكان وغيرها إن شاء الله تعالى . وكان صلاح الدين قد أرسل له من ذخائر مصر وأسلاب المصريين شيئا كثيرا .

ثم ذكر ابنُ الأثير فصلًا فى سنة سبع وستين وخمسمائة يتضمن حصول الوحشة بين نور الدين الشهيد وبين صلاح الدين باطنا، فقال : « فى هذه السنة جرت أمور أوجبت تأثر نور الدين من صلاح الدين، ولم يظهر ذلك . وكان سببه أن صلاح الدين سار [عن مصر][5] فى صفر منها إلى بلاد الفرنج، ونازل حصن الشوبك، وبينه وبين الكرك يوم، وحصره وضيق على من به من الفرنج، وأدام القتال، فطلبوا

(١) ليس هـذا من كلام ابن الأثير إذ لم نجده فى تاريخه الكبير ولا فى تاريخ الدولة الأتابكية ؛ وإنما نقله المؤلف عن ابن خلكان . (٢) الزيادة عن ابن خلكان . وهو أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب المعروف بابن التعاويذى الشاعر المشهور، كان أبوه مولى لابن المظفر واسمه نشتكين فسماه والده المذكور عبيد الله وهو سبط أبى محمد المبارك بن المبارك بن على بن نصر السراج الجوهرى الزاهد المعروف بابن التعاويذى . توفى ثانى شوال سنة أربع ، وقيل ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد (عن ابن خلكان) . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٨٣ هـ . (٣) هى قصيدة طويلة ذكر منها ابن خلكان نحو أربعين بيتا، ومطلعها :

قل للسحاب إذا حدته * ـه يد الجنائب فارجحن

(٤) هو على بن مهدى أبو الحسن المعروف بعبد النبى صاحب زبيد . كان قطع الخطبة العباسية، وكان ظالما فاتكا، فاستأذن صلاح الدين نور الدين الشهيد فى أن يسير إليـه فأذن له، فسير إليه أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب؛ فأسره وملك زبيد وأقام فيها الخطبة العباسية . وسيذكر المؤلف هذه الحادثة سنة ٥٦٩ هـ . (٥) الزيادة عن ابن الأثير .

الأمان وآستمهلوه عشرةَ أيّام ، فأجابهـم إلى ذلك . فلمّـا سمع نور الدين ما فعله
صلاح الدين سار من دِمَشْق قاصدًا بلاد الفرنج ليدخل إليها من جهة أخرى ، فقيل
لصلاح الدين : إنْ دخل نور الدين إلى بلاد الفرنج وهم على هـذه الحال — أنت
من جانب ونور الدين من جانب — ملَكها ، ومتى زال ملك الفرنج عن الطريق
٥ لم يبقَ لك بديار مصر مُقام مع نور الدين ؛ ومتى جاء نور الدين إليـك وأنت هاهنا
فلا بدّ لك من الآجتماع به ؛ وحينئـذ يكون هو المتحكّم فيك(١) ، إن شاء تركك
وإن شاء عزلك ، ولا تقدر على الآمتناع عليه ؛ وحينئذ المصلحة الرجوع إلى مصر .
فرحَل عن الشُّوبَك عائدًا إلى مصر [ولم يأخذه من الفرنج](٢) . وكتب إلى نور الدين
يعتذر بآختلال الديار المصريّة لأمور بلغتْه عن بعض شِيعة العلويّين ، وأنّهم عازمون
١٠ على الوثوب بها ، وأنّه يخاف عليها من البعد عنها أن يقوم أهلها على من تخلّف بها .
فلم يقبـل نور الدين هـذا الآعتذار منه وتغيّر عليـه ، وعزم على الدخول إلى مصر
وإخراجه عنها . وظهر ذلك لصلاح الدين فجمع أهلَه وفيهم أبوه نجم الدين أيّوب ،
وخالُه شهابُ الدين الحارِميّ وسائرُ الأمراء ، وأعلمهم بمـا بلغه من عزم نور الدين
وحركته إليـه ، فآستشارهم فلم يُجِبه أحد منهم بكلمة ؛ فقام تقيّ الدين عمر آبن أخيه
١٥ وقال : إذا جاء قاتلناه ومنعناه عن البلاد ، ووافقه غيره من أهله ؛ فشتَمهم نجم الدين
أيّوب وأنكر ذلك وآستعظمه ، وقال لصلاح الدين : أنا أبوك وهذا شهاب الدين
خالك ، ونحن أكثر محبّةً لك من جميع مَن ترى ، والله لو رأيتُ أنا وخالُك نورَ الدين
لم يمكنّا إلّا أن نقبّل الأرضَ بين يديه ، ولو أمَرَنا أن نضرب عنقَك لفعلنا ، فإذا كنّا
نحن هكذا فمـا ظنّك بغيرنا ! وكلّ مَن ترى من الأمراء لو رأى نورَ الدين وحدَه لم
٢٠ يتجاسروا من الثبات على سُروجهم . ثم قال : وهذه البلاد له ، ونحن مماليكه ونوّابه فيها ،

(١) فى الأصل : «فيه» . وما أثبتناه عن آبن الأثير . (٢) الزيادة عن ابن الأثير .

فإن اراد غيرَ ذلك سمِعْنا وأطعنا، والرأى أن تكتب إليــه وتقول : بلغنى أنّك تريد الحركة لأجل البلاد، فأىّ حاجة إلى هذا! يُرْسِل المولى نَجّابا يضعُ فى رقبتى مِنْدِيلا و يأخذنى إليك، فما هاهنا من يمتنع عليـك ؛ وقام الأمراءُ وتفرّقوا . فلمّـا خلا نجم الدين أيّوب بآبنــه صــلاح الدين قال له : يا بنىّ ، بأىّ عقل قلتَ هـذا ! أَمَا علمت أنّ نورالدين متى سمع عزمَنا على منعه ومحاربته جَعلَنا أهمَّ الوجوه عنده؛ وحينئذٍ لانَقْوَى به؛ و إذا بلغه طاعتُنا له تَرَكَنا واشتغل بغيرنا ، والأقدارُ تَعْمل عملها ؛ واللهِ لو أراد نورُ الدين قصبةً من قصب السُّكَّر لقاتلتُه أنا عليها حتى أمنعه أو أقتل. ففعل صلاح الدين ما أشار به والدُه عليه ؛ فترك نورُ الدين قصدَه وآشتغل بغيره ؛ فكان الأمر كما ظنّه أيُّوب. وتُوُفِّى نورالدين ولم يقصِدْه. وملك صلاحُ الدين البلاد، وكان هذا من أصوب الآراءِ وأحسنها» . انتهى كلام آبن الأثير بآختصار .

قال آبن شدّاد : «ولم يزل صلاح الدين فى نَشْر الإحسان و إفاضة النعم على الناس إلى سنة ثمان وستّين وخمسمائة، فعند ذلك خرج بالعسكر يريد بلاد الكَرَك والشُّوبَك، و إنّما بدأ بهـا لأنّها كانت أقرب إليه ، وكانت على الطريق تمنع من يَقْصِــد الديار المصريّة، وكان لا يمكن أن تَعْبُر قافلةٌ حتّى يخرج هو بنفســه يُعْبِرها، فأراد توسيع الطريق وتسهيلها ، فحاصرها فى هذه السنة ، وجرى بينه و بين الفرنج وَقَعات ، وعاد إلى مصر ولم يَظْفَر منها بشىء . ولمّـا عاد بلغه خبرُ وفاة والده نجم الدين قبل وصوله إليه . قال : ولمّـا كانت ســنةُ تسع وستين رأى قوّة عسكره وكثرةَ عَدَده ، وكان بلغه أنّ باليمن إنسانا آستولى عليها وملك حصونَها ، وكان يسمّى عبــد النبىّ [1] ابن مهدىّ ، فأرسل أخاه تُوران شاه فقتــله وأخذ البلاد منــه . ثم مات الملك العــادل نور الدين محمــود صاحبُ دِمشق فى ســنة تسع وســتين وخمسمائة . على

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢١ من هذا الجزء .

ما سيأتى ذكره فى الوَفَيات . ثم بلغ صلاحَ الدين أنّ إنسانا جمع بأسوانَ خَلْقا كثيرًا
من السودان، وزعم أنّه يعيد الدولةَ العُبَيْدِيّة المصريّة . وكان أهـل مصر يُؤْثِرون
عَوْدَهم وآنضافوا إليه، فسيّر صلاحُ الدين إليه جيشا كثيفا وجعل مقدّمه أخاه الملك
العادل، فساروا وآلتقَوْا به، وكسروه فى السابع من صفر سـنة سبعين وخمسمائة .

٥ ثم بعد ذلك آسـتقرّتْ له قواعدُ الملك . وكان نور الدين محمود قد خلّف ولده
الملكَ الصالح إسمـاعيل، وكان بدمشق عند وفاة أبيــه . وكان بحلب شمسُ الدين
علىّ بن الدّاية، وكان آبن الداية حدّث نفسَه بأمور، فسار الملك الصالح من دمشق
إلى حلب، فوصـل إلى ظاهرها فى المحرّم سنةَ سبعين ومعـه سابق الدين(١)، فخرج
بدر الدين حسن(٢) بن الدّاية فقبَض على سابق الدين . ولمّـا دخل الملك الصالح قلعة

١٠ حلب قبض على شمس الدين علىّ بن الداية، وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور،
وأودع الثلاثةَ السجن . وفى ذلك اليوم قُتِل أبو الفضل بن الخَشّاب(٣) لفتنة جرتْ
[بحلب](٤)، وقيل : بل قُتِل قبل القبض على أولاد الدّاية .

ثم إنّ صلاح الدين بعد وفاة نور الدين علم أنّ ولدَه الملك الصالح صبىّ لا يستقلّ
بالأمر، ولا يَنْهَض بأعباء الملك، وآختلفت الأحوالُ بالشام . وكاتب شمسُ الدين

١٥ [محمد بن عبد الملك](٥) بن المقدَّم صلاحَ الدين، فتجهّز صلاحُ الدين من مصر فى جيش
كثيف ، وترك بالقـاهرة مَن يحفظها، وقصـد دمشق مظهِرًا أنّه يتولى مصالح
الملك الصالح ، فدخلها بالتسليم فى يوم الثـلاثاء سَلْخَ شهر ربيع الآخر ســنة سبعين
وخمسمائة، وتسلّم قلعتَها وآجتمع الناسُ إليــه وفرحوا به، وأنفق فى ذلك اليوم مالًا

(١) هو سابق الدين عثمان بن الداية صاحب قلعة جعبر وتل باشر . (عن الروضتين) .

٢٠ (٢) هو صاحب حارم وعين تاب واعزاز (عن الروضتين) . (٣) كان رئيس قلعـة حلب
(عن ابن الأثير) . (٤) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٥) زيادة عن الروضتين وآبن
الأثير . وهو الأمير الذى تولى تربية الملك الصالح إسماعيل بعد وفاة والده نور الدين .

جزيلا ، وأظهر السرورَ بالدِّمَشْقِيِّين وصعِد القلعةَ، ثم سار إلى حَلَب ونازل حِمْص وأخذ مدينتَها فى أوّل جمادى الأولى، ولم يشتغل بقلعتها وتوجّه إلى حلب، ونازلها فى يوم الجمعة سَلْخَ جمادَى الأولى من السنة، وهى الوقعة الأولى .

ثم إنّ سيف الدين غازِى بن قطب الدين مَوْدود بن زَنْكِى صاحب الموصل لمّا أحسّ بما جرى علم أنّ الرجل قد آستفحل أمرُه وعظُم شأنه، نخاف إن غَفَل عنه آستحْوَذ على البلاد وآستقرّت قَدَمُه فى المُلْك وتعدّى الأمر إليه، فأرسل عسكرا وافرا ، وجيشا عظيما، وقدّم عليه أخاه عزّ الدين مسعود بن قُطْب الدين مودود، وساروا يريدون لقاءَ صلاح الدين نَجْدةً لآبن عمّه الملك الصالح آبن نور الدين، ليردّوا صلاحَ الدين عن البلاد. فلمّا علم صلاح الدين ذلك رحَل من حلب فى مستهلّ رجب من السنة عائدًا إلى حَمَاة، ثم رجع إلى حِمْص وأخذ قلعتَها . و وصل عزُّ الدين مسعود إلى حلب وأخذ معه عسكر آبن عمّه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود، وهو صاحب حلب يومئذ، وخرجوا فى جمع عظيم؛ وما علم صلاح الدين بخروجهم حتّى وافاهم على قُرونِ حماة، فراسلهم وراسلوه، وآجتهد صلاح الدين على أن يصالحوه فلم يصالحوه؛ ورأى أن ضرب المَصَافّ معهم ربّما نالوا به غرضهم، والقضاءُ يَجْرى إلى أموره وهم لا يشعرون، فتلاقَوْا فقضى الله تعالى أنهم آنكسروا بين يديه، وأَسَر جماعةً منهم فَمَنّ عليهم وأطلقهم ، وذلك فى تاسع عشر شهر رمضان من السنة عند قُرون حَمَاة. ثم سار صلاحُ الدين عَقِيبَ آنكسارهم[1] ونزل على حلب، وهى الدفعة الثانية فصالحوه على المَعَرّة وكَفَرْطَاب و بَارِين[2] . ولمّا جرتْ هذه الواقعةُ كان سيف الدين غازى محاصرا أخاه عِماد الدين زَنْكِى صاحب سِنْجار، وعزم على أخذها

(١) فى الأصل : «عقيب عسكرهم» . وما أثبتناه عن السيرة وآبن خلكان .

(٢) بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب (عن معجم البلدان لياقوت) .

منه، لأنّه كان قد آنتمى إلى صلاح الدين، وكان قد قارب أخذَها، فلمّـا بلغه خبرُ هـذه الواقعة، وأنّ عسكره آنكسر من صلاح الدين على قُرون حَمَاة خاف أن يبلغ أخاه عمادَ الدين الخبرُ فيشتدَّ أمرُه ويَقْوَى جأشُه، فراسله وصالحه . ثم سار غازى من وقته إلى نَصيبِين وآهتمّ بجمع العساكر والإنفاق فيها، وسار إلى الفُرات وعبَرَ البِيرة(١) وخيّم على الجانب الشامىّ، وراسل آبن عمّه الملك الصالح آبن الملك العادل نورالدين صاحب حلب حتّى تستقرّ له قاعدة يصل إليها. ثم إنّه وصل إلى حلب وخرج آبنُ عمّه الملك الصالح صاحب حلب إلى لقائه، وأقام غازى على حلب مدّة، وصـعِد قلعتَها جريدةً، ثم نزل وسار إلى تلّ السلطان، وهى منزلة بين حلب وحَمَاة ومعه جمع كبير. وأرسل صلاحُ الدين إلى مصر وطلبَ عسكرَها، فوصل إليه منها جمع كبير، فسار بهم صلاحُ الدين حتّى نزل قُرون حَمَاة ثانيا، وتَصَافُّوا بُكْرَةَ يوم الخميس العاشر من شوّال سـنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وجرى قتالٌ عظيم، وآنكسرتْ مَيْسَرة صلاح الدين من مظفَّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إِرْبِل، فإنّه كان على مَيْمنة سيف الدين غازى، فحمـل صلاحُ الدينِ بنفسه على عسكر سيف الدين غازى حَمْلةً شديدة فآنكسر القوم، وأَسَر منهم جماعةً من كبار الأمراء، فمَنّ عليهم صلاح الدين وأطلقهم. وعاد سيف الدّين غازى إلى حلب فأخذ منها خزائنه وسار حتّى عبَرَ الفراتَ، وترك آبنَ عمّه الملكَ الصالح صاحبَ حلب بها وعاد إلى بلاده . ومنع صلاحُ الدين من تتبّع القوم، ونزل فى بقيّـة اليوم فى خيامهم، فإنّهـم تركوا أثقالهم وآنهزموا، وفرّق صـلاحُ الدين الأطلابَ ووهَب الخزائنَ وأعطى خَيْمة سيف الدين غازى لآبن أخيـه عزّ الدين فرخشاه بن شاهنْشاه بن أيّوب أخى تقىّ الدين عمر صاحب

(١) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة ولها رستاق واسع (عن معجم البلدان لياقوت) .

حَمَاة ، وكان فرخشاه صاحب بَعْلَبَكّ . ثم سار صلاحُ الدين إلى مَنْبِج[1] فتسلّمها ، ثم سار إلى قلعة عَزاز[2] وحاصرها فى رابع ذى القعدة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . و بينما صلاحُ الدين بها وثب عليه جماعةٌ من الإسماعيليّة (أعنى الفِداوية) فنجّاه الله منهم وظَفِر بهم . وأقام عليها حتّى أخذها فى رابع عشر ذى الحجّة من السنة . ثم سار فنزل على حلب فى سادس عشر ذى الحجّة وأقام عليها مدّة . ثم رحل عنها بعد أن أخرجوا له آبنةً صغيرةً لنور الدين محمود فسألته عَزازَ فوهبها لها . ثم عاد صلاحُ الدين إلى مصر ليتفقّد أحوالها ، وكان مسيره إليها فى شهر ربيع الأوّل سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة ، وكان أخوه شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب قد وصل إليه من اليمن فاستخلفه بِدمَشق . ثم بعد ذلك تأهّب صلاح الدين للغَزَاة وخرج يطلب الساحل حتى وافى الفرنجَ على الرَّمْلة ، وذلك فى أوائل جمادَى الأولى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وكانت الكسرة على المسلمين فى ذلك الوقت ، ولمّا آنهزموا لم يكن لهم حصن قريب يأْوُون إليه ، فطلبوا جهةَ الديار المصريّة وضَلّوا فى الطريق وتبدّدوا ، وأُسِر منهم جماعة : منهم الفقيه عيسى الهَكّارِىّ ، وكان ذلك وهْنا عظيما ، جبره الله تعالى بوقعة حِطّين المشهورة .

ووصل صلاح الدين إلى مصر ولمّ شَعَثه وشعثَ أصحابه من أثر[3] كَسْرة الرَّمْلة ثم بلغه تخبُّط الشام فعاد إليه وآهتم بالغَزَاة ، فوصله رسولُ صاحب الروم يلتمس الصلح و يتضرّر من الأرمن ، يقصد بلاد آبن لاون[4] (يعنى بلاد سِيس الفاصلة بين حلب والروم من جهة الساحل) ؛ فتوجّه صلاحُ الدين إليه ، وآستدعى عسكر

---

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) عزاز (و ربما قيلت بالألف فى أوّلها) : بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب ، بينهما يوم (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) صححنا هذه الجملة عن ابن خلكان . وهى محرّفة فى الأصل .

(٤) فى الأصل : « ابن لاوى » والتصحيح عن ابن خلكان والسيرة .

حَلَب، لأنّه كان فى الصلح متى آستدعاه حضر إليه؛ (يعنى صلح صلاح الدين مع الملك الصالح صاحب حلب) . ثم دخل صـلاحُ الدين بلادَ آبن لاون وأخذ فى طريقه حصنا وأخربه، ورغبوا إليه فى الصلح فصالحهم ورجع عنهم . ثم سأله قليج أرْسلان [صاحب الروم] (١) فى صلح الشرقيّين بأسرهم (يعنى سيفَ الدين غازى وإخوتَه) فأجاب ذلك صلاح الدين وحلف فى عاشر جمادَى الأولى سـنة ستّ وسبعين وخمسمائة، ودخل فى الصلح قليج أرْسـلان والمَوَاصِلةُ . ثم عاد صلاح الدين بعد تمـام الصلح إلى دِمشق؛ ثم منها إلى مصر. فورد عليه الخبرُ بموت الملك الصالح آبن الملك العادل نور الدين محمود الشهيد بعد أن آستحلف أمراءَ حَلَب وأجنادَها قبل موته لآبن عمّه عزّ الدين مسعود صاحب المَوْصـل، وهو آبن عم قطب الدين مودود . ولمـّا بلغ عزّ الدين مسعودا خبرُ موت آبن عمّه الملك الصالح المذكور، وأنّه أوصى له بحلب بادر إلى التوجّه إليها خوفًا أن يسبقه صلاحُ الدين إليها فأخذها . وكان أوّل قادم إليها مظفّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إرْبِل، وكان إذ ذاك صاحب حَرّان، وهو مضاف إلى الموصل، ووصلها مظفّر الدين المذكور فى ثالث شعبان من سنة سبع وسبعين . وفى العشرين منه وصلها عزّ الدين مسعود وطلع إلى القلعة وآستولى على ما فيها من الحواصل، وتزوّج بأم الملك الصالح فى الخـامس من شوّال من السـنة . قال : وحاصل الأمر أنّ عزّ الدين مسعودًا قايض عِماد الدين زَنْكى صاحب سِنْجار عن حلب بِسِنْجار، وخرج عزّ الدين من حلب ودخلها عِمـاد الدين زَنْكى، فلمـّا بلغ صلاحَ الدين ذلك توجّه إليه وحاصره فلم يقدر عماد الدين على حفظ حلب، وكان نزول صلاح الدين على حلب فى السادس والعشرين من المحرّم سنة سبع وسبعين وخمسمائة . فتحدّث عماد الدين زَنْكى مع الأمير حُسام الدين طُمَان بن غازِى فى السرّ

(١) الزيادة عن ابن خلكان .

بما يفعله ، فأشار عليه أن يطلب من صلاح الدين بلادا و ينزل له عن حلب ، بشرط أن يكون له جميع ما فى القلعة من الأموال ؛ فقال له عماد الدين : وهذا كان فى نفسى . ثم اجتمع حسام الدين طمان بن غازى مع صلاح الدين فى السرّ على تقرير القاعدة لذلك ، فأجابه صلاح الدين إلى ماطلب ووقّع له بسنجار وخابور ونصيبين وسروج ، ووقع لطُمَان[1] المذكور بالرّقة لسفارته بينهما ، وحلف صلاح الدين على ذلك فى سابع صفر[2] من السنة ؛ وكان صلاح الدين قد نزل قبل تاريخه على سنجار وأخذها فى ثانى شهر رمضان من سنة ثمان وسبعين وأعطاها لابن أخيه تقىّ الدين عمر ؛ فلمّا جرى الصلح على هذا أخذها من عمر وأعطاها لعماد الدين المذكور . وتسلّم صلاحُ الدين قلعة حلب وصعد إليها فى يوم الآثنين السابع والعشرين من صفر [سنة[3] تسع وسبعين وخمسمائة] ، وأقام بها حتّى رتّب أمورها ثم رحل عنها فى الثانى والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة ، وجعل فيها ولده الملك الظاهر وكان صبيّا ، وولّى القلعة لسيف الدين يازكوج[4] الأسدىّ وجعله يرتّب مصالح ولده .

ثم سار صلاح الدين إلى دمشق وتوجّه من دمشق لقصد محاصرة الكَرَك فى الثالث من رجب من السنة ، وسيّر إلى أخيه الملك العادل وهو بمصر ، يستدعيه ليجتمع به على الكَرَك ، فسار إليه الملك العادل أبو بكر بجمع عظيم وجيش كبير ، واجتمع به على الكَرَك فى رابع شعبان . فلمّا بلغ الفرنجَ نزولُه على الكَرَك حشدوا خلقا عظيما وجاءوا إلى الكَرَك ليكونوا من خارج قُبَالَةَ عسكر المسلمين ، فخاف صلاح الدين على الديار المصريّة ، فسيّر إليها ابن أخيه تقىّ الدين عمر ، ثم تزحزح[5]

(١) فى ابن خلكان : «فى سابع عشر صفر من السنة» . (٢) فى ابن خلكان «فى ثامن» .
(٣) الزيادة عن ابن خلكان والروضتين . (٤) كذا فى الأصل وابن خلكان والروضتين . وفى السيرة : « يازكج » . (٥) فى الأصل : « ثم رحل » . وما أثبتناه عن السيرة .

صلاح الدين عن الكَرَك فى سادس عشر شعبان من السنة (وآستصحب أخاه الملك العادل معه ودخل دمشق فى الرابع والعشرين من شعبان من السنة ، وأعطى أخاه العادل حلب ، فتوجّه إليها العادل ودخلها يوم الجمعة الثـانى والعشرين من شهر رمضان من السـنة . وخرج الملك الظاهر ويازكوج من حلب ودخلا دمشـق يوم الأثنين الثامن والعشرين من شوّال من السـنة . وكان الملك الظـاهر أحب أولاد أبيـه إليه لمـا فيـه من الخلال الحميـدة ، ولم يأخذ منـه حلب إلّا لمصلحة رآها أبوه صلاح الدين فى ذلك الوقت. وقيل : إنّ الملك العادل أعطاه على أخذ حلب ثلثمائة ألف دينار يستعين بها على الجهاد . ثم إنّ صلاح الدين رأى أنّ عَوْد الملك العادل إلى مصر، وعود الملك الظاهر إلى حلب أصلح . قيل : إنّ علم الدين سليمان بن جَنْدَر[1] كان هو السبب لذلك، فإنّه قال لصلاح الدين ، وكانت بينهما مؤانسة قبل أن يتملّك البلاد ، وقد سايره يوما ، وكان من أمراء حلب ، والملك العادل لا يُنصفه ، وقدّم عليه غيره، وكان صلاح الدين قد مرض على حصار الموصل! و حُمِل الى حَرّان وأشْفَى على الهلاك ، ولـمّا عُوفِىَ ورجع إلى الشام وآجتمعا فى المسير، قال له : وكان صلاح الدين قـد أوْصى لكلّ واحد من أولاده بشىء من البـلاد — : بأىّ رأيٍ كنتَ تظنّ أنّ وصيّتك تنفذ ! كأنّك كنت خارجا إلى الصيد ثم تعود فلا يخالفونك! أما تَستَحِى [أن][2] يكون الطائر أهْدى منك إلى المصلحة! قال صلاح الدين : وكيف ذلك؟ وهو يضحك؛ قال : إذا أراد الطائر أن يعمل عُشّا لفراخه قصدَ أعالىَ الشجر ليَحْمِى فراخَه، وأنت سلّمت الحصون إلى أهلك وجعلت أولادك على الأرض؛ هـذه حلب — وهى أمّ البلاد — بيـد أخيك ،

(١) فى الأصل : «ابن حيدر» . وما أثبتناه عن ابن الأثير والروضتين والفتح القسى وعقد الجمان .
(٢) التكملة عن ابن خلكان .

وحَماة بيد ٱبن أخيك[1]، وحِمْص بيد ٱبن عمك أَسَد الدين ؛ وٱبنك الأَفْضل مع تقِيّ الدين بمصر يُخرجه متى شاء، وٱبنك الآخر مع أخيك فى خيمة يفعل به ما أراد؛ فقال له صلاح الدين : صدقتَ، فٱكتُم هذا الأمر؛ ثم أخذ حلب من أخيه العادل وأعادها إلى ٱبنه الملك الظاهر، وأعطى العادل بعد ذلك حَرّان والرُّها ومَيّافارفين ليخرجه من الشام. وفرق الشام على أولاده ، فكان ما كان . وزوّج السلطان صلاحُ الدين ولدَه الملك الظاهر بغازِية خاتون ٱبنة أخيه الملك العادل المذكور .

ثم كانت وقعة حِطّين المباركة على المسلمين ، وكانت فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فى وسط نهار الجمعة. وكان صلاح الدين كثيرا ما يقصِد لقاء العدوّ فى يوم الجمعة عند الصلاة تبرّكا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر، فسار فى ذلك الوقت وٱجتمع له من العساكر الإسلاميّة عدد يفوت الحَصر، وكان قد بلغه أنّ العدوّ ٱجتمع فى عِدّة كثيرة بمَرج صَفُّورِيَة[2] بأرض عكّا عند ما بلغهم ٱجتماعُ العساكر الإسلامية ، فسار صلاح الدين ونزل على طَبَرِيّة[3] على سطح الجبل ينظر قَصْد الفرنج؛ فلمّا بلغهم نزولُه فى الموضع المذكور لم يتحرّكوا ولا خرجوا من منزلتهم ، وكان نزولهم فى الموضع المذكور يومَ الأربعاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الآخر؛ فلمّا رآهم لا يتحرّكون ترك جَرِيدةً على طَبَرِيّة، وترك الأطلاب على حالها قُبالة العدوّ، ونزل طبريّة وهجمها وأخذها فى ساعة واحدة ، وٱنتهب الناس ما فيها، وأخذوا فى القتل والسّبْى والحريق؛ وبقيت القلعة ممتنعة

(١) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « بيد ابن أخيك تقى الدين عمر » . ومعروف مما تقدم أن تقى الدين كان بمصر مع ولده الأفضل . (٢) فى الأصل : « بمرج صفر » . وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة وابن الأثير . (٣) طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وهى فى طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وكذلك بينها وبين بيت المقدس ، وبينها وبين عكا يومان (عن معجم البلدان لياقوت) .

بمن فيها . ولمّـا بلغ العدوّ ماجرى فى طبريّة قلقوا لذلك ورحلوا نحوها ، فبلغ السلطانَ صلاحَ الدين ذلك فترك على طبريّة من يحاصرها ولحق بالعسكر ، وآلتقى بالعدوّ على سطح جبل طبريّة الغربىّ منها ، وذلك فى يوم الخميس الثـانى والعشرين من شهر ربيع الآخر ، فحال الليـل بين العسكرين (١) ، فناما على المَصَـافّ إلى بُكْرة يوم الجمعة الثالث والعشرين منـه ، فركب العسكران وتصادما وآلتحم القتالُ وآشتدّ الأمر ؛ ودام القتال حتّى لم يبق إلّا الظَّفَر ، فحال الليل بينهم ، وناما على المَصَافّ ، وتحقق المسلمون أنّ من ورائهم الأُرْدُنّ ، ومن بين أيديهم بلاد العدوّ ، وأنّهـم لا يُنجيهم إلّا القتال والجهاد ، وأصبحوا من الغد فحمَلت أطلابُ المسلمين من جميع الجوانب ، وحمَل القلبُ وصاحوا صيحةَ رجل واحد : [آلله أكبر] (٢) وألقى الله الرُّعْبَ فى قلوب الكافرين ، وكان حقًّا عليه نصرُ المؤمنين .

ولمـا أحسّ الملك القُومِص بالخذلان هرب فى أوائل الأمر ، فتبِعه جماعة من المسلمين ، فنجا منهم ، وأحاط المسلمون بالكافرين من كلّ جانب ، وأطلقوا عليهم السهام ، وحَملوا عليهم بالسيوف ، وسَقَوْهم كأسَ الحِمام ، وآنهزمتْ طائفة منهم فتبِعهم المسلمون يقتلونهم ؛ وآعتصمت طائفة منهم بتَلّ يقال [له] (٣) : تلّ حِطِّين ، وهى قرية عندها قبر النبىّ شعيب عليه السلام ، فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران ، وآشتدّ بهم العَطَش فآستسلموا [للأَسْر خوفًا من] (٤) القتل ، فأسِر مقدّمتُهم ، وقُتِل الباقون ، وكان ممّن أُسِر من مقدميهم الملك جُفْرِى وأخوه الملك ، [وآلبِرِنْس أرناط] (٥) صاحب الكرك والشوبك ، وآبن الهُنْفَرِى وآبن صاحب طبريّة .

(١) فى الأصل : « فحال الليل بين العساكر » . وما أثبتناه عن آبن خلكان .

(٢) التكملة عن ابن خلكان » . (٣) زيادة عن ابن خلكان . (٤) التكملة والتصحيح عن ابن خلكان والسيرة والروضتين . (٥) التكملة عن السيرة وابن خلكان والفتح القسّى .

قال آبن شدّاد : لقد حكى لى مَن أثِق به أنّه رأى بحَوْران(١) شخصًا واحدًا ومعه نيّف وثلاثون أسيرًا ربطهم بطُنُب خَيْمة، لِما وقع عليهم من الخِذلان؛ ثم إنّ الملك القُومِص الذى هرب فى أوّل الوقعة وصل إلى طَرَابُلُس، وأصابه ذات الجَنْب فهلك . وأمّا مقدّم الأسْبِتار(٢) والدَّيْوِيّة(٣) فإنّه قتلهما السلطان صلاح الدين، وقَتَل مَن بقى من أصحابهما حيًّا، وأمّا آلبِرِنْس أرناط فإنّ السلطان كان نَذَر أنّه إن ظَفِر به قتله، وذلك أنّه كان عَبَر إليه بالشَّوْبَك قوم من الديار المصريّة فى حال الصلح فغَدَر بهم وقتلهم، فناشدوه الصلح الذى بينه وبين السلطان، فقال: ما يتضمّن الاستخفافَ بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ وبلغ ذلك السلطانَ، فحملته حَميّة دينه على أن أهدر دمه .

ولمّا فتح الله عليه بالنصر جلس بالدِّهْليز (يعنى الخَيْمة) فإنّها لم تكن نُصِبت بعدُ لشغل السلطان بالجهاد، وعُرِضتْ عليه الأُسَارَى، وصار الناس يتقرّبون إليه بما فى أيديهم منهم، وهو فرِحٌ بما فتح الله عليه، وآستحضر(٤) الملكَ جُفْرِى وأخاه، وآلبِرِنْس أرناط، وناول السلطانُ الملكَ جُفْرِى شَرْبةً من جُلّاب وثَلْج فشرب منها، وكان على أشدّ حال من العطش ثم ناولها للبِرِنْس، ثم قال السلطان للتَّرْجُمان : قل للملك أنت الذى سقيتَه وإلّا أنا فما سقيتُه، فإنّه كان من جميل عادة العرب

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الأسبتار : طائفة من رجال الدين . كان مبدأ أمرهم فى القرن التاسع الميلادى فى إيطاليا بعنوان : (Notre-Dame de la Scala) ثم زاد عددهم فى الحروب الصليبية لمساعدة الصليبيين من جهة، والدعاية لنشر الدين من جهة أخرى، وهم فرق كثيرة مختلفة (ملخص عن دائرة المعارف الفرنسية ج ٢٠ ص ٢٩١) . (٣) الديوية ويقال الداوية : قوم من الافرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح وغيره، ولهم أموال وسلاح ويتعاونون القوّة ويعالجون السلاح ولا طاعة عليهم لأحد . ينسبون الى حصن حصين بنواحى الشام (راجع معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) .

(٤) كذا فى وفيات الأعيان والسيرة والروضتين . وفى الأصل : «وأشخص» .

وكريم أخلاقهم أنّ الأسـير إذا أكل أو شرب من مال مَن أسره أَمِن ؛ فلذا قال السلطان للتَّرْجُمان : أنت الذى سقَيْتَه . ثمّ أمر السلطانُ بمسيرهم إلى موضع عيّنه لهم فأكلوا شـيئًا ، ثم عادوا بهـم ولم يبق عند السلطان سـوى بعض الخَـدَم ؛ فآستحضرهم وأقعد الملكَ فى دِهليز الخيمة ، فطلب ٱلبِرِنْس أرناط وأوقفه بين يديه ، وقال [له][(١)] : هانا أنتصر لمحمد منك ، ثم عَرَض عليـه الإسلام فلم يفعل ، فسلّ النِّيمْجَاه[(٢)] فضربه بها فحَلّ كتفَه ، وتمّم قتلَه مَن حضر ، وأُخرِجت جثّته ورُميت على باب الخيمة ؛ فلما رآها الملك جُفْرِى لم يشكّ أنه يُلحقه به ، فآستحضره السلطان وطيّب قلبه ، وقال له : لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك إلّا أنّ هذا تجاوَزَ الحدَّ وتجرّأ على الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم أمره بالآنصراف . وبات النـاسُ تلك الليلةَ على أتمّ سرور . وفى هذه الواقعة يقول العِماد الكاتب قصيدةً طنّانة منهـا :

حططتَ[(٣)] على حِطِّين قَدْرَ ملوكهم * ولم تُبقِ من أجناس كفرهمُ جِنْسَا

بطون ذئاب الأرض صارت قُبورَهم * ولم تَرْضَ أرضٌ أن تكون لهم رَمْسَا

وقـــد طاب رَيّانا على طَـــبَرِيّة * فياطيبَهـا ريّا و ياحُسْنَهـا مَرْسى

وقال آبن السّاعاتى[(٤)] قصيدةً أخرى عظيمةً فى هذا الفتح ، أوّلهـا :

جلتْ[(٥)] عزماتك الفتح المبينا * فقـــد قرّت عيون المؤمنينا

---

(١) زيادة عن السيرة وابن خلكان . (٢) النيمجاه : الخنجر أو السيف الصغير أو السكين المنحنية (فارسى معرب) عن القاموس الفارسى والإنجليزى . (٣) هذه الأبيات ضمن قصيدة طويلة أوردها صاحب كتاب الروضتين (ج ٢ ص ٨٣) ومطلعها :

يا يوم حطين والأبطال عابســـة * وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا

(٤) هو أبو الحسن على بن محمد بن رستم المعروف بابن الساعاتى الشاعر الملقب بهاء الدين ، المتوفى بالقاهرة فى يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٠٤هـ. (عن ابن خلكان وشذرات الذهب).

(٥) هذا البيت مطلع قصيدة طويلة فى فتح طبرية كما فى كتاب الروضتين (ج ٢ ص ٨٤) .

ثمّ رحل السلطان بعد أن تسلم طَبَرِيّة ونزل على عَكّا فى يوم الأربعاء سَلْخ شهر ربيع الآخر، وقاتلها بُكْرَةَ يوم الخميس مستَهَلَّ جمادَى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ؛ وأخذها وآستنقذ مَن كان فيها من أُسَارى المسلمين ، وكانوا أكثر من أربعة آلاف أسير ، وآستولى على ما كان فيها من الأموال والذخائر والبضائع ، لأنّها كانت مظنّة التجّار ، وتفرّقت العساكرُ فى بلاد الساحل يأخذون الحصون والقِلاع . ثم سار السلطان من عكّا ونزل على تِبْنِين[1] يوم الأحد حادى عشر جمادى الأولى ، وهى قلعة مَنِيعة ، فحاصرها حتّى أخذها فى يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى المذكور عَنْوةً . ثمّ رحل عنها إلى صَيْدا فنزل عليها وتسلّمها فى غد يوم نزوله عليها . ثم رحل عنها وأتى بَيْرُوت فنازلها يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى ، حتى أخذها فى يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الأولى . ولمّا فرغ باله من هذا رأى قَصْد عَسْقَلان ، ولم يَرَ الآشتغالَ بصُور بعد أن نزل عليها ؛ ثم رأى أنّ العسكر قد تفرّق فى الساحل وكانوا قد ضرسوا من القتال ؛ وكان قد آجتمع بصور مَن بقى من الفرنج فرأى أنّ قصده عَسْقلان أولى ، لأنّها أيسرُ من صُور ؛ فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة . وأقام عليها إلى أن تسلّم أصحابُه مدينة غَزّة وبيتَ جبريل[2] والنّاطِرُون[3] من غير قتال ، وكان بين فتح عسقلان وأخذ الفرنج لها ثانيا من المسلمين خمسٌ وثلاثون سنة ؛ فإنّ أخذها كان فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة . ولمّا تسلّم السلطان عسقلان والبلاد المحيطة

---

(١) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) بيت جبريل (بيت جبرين) : بليد بين بيت المقدس وغزة ، بينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك ، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى الأصل وابن خلكان «البطرون» . وفى السيرة والروضتين « النطرون » . والتصويب عن شرح القاموس ومعجم البلدان لياقوت ، وهو موضع بالشام قرب دمشق .

بالقُدْس شمّر عن ساق الجدّ والاجتهاد فى قصد القدس المبارك ، واجتمع عليه العساكر التى كانت متفرّقة فى الساحل، فسار بهم نحو القدس معتمدًا على الله تعالى مفوّضا أمره إليه منتهزا الفُرْصة فى فتح باب الخير الذى حُثّ على انتهازه بقوله صلّى الله عليه وسلّم : "مَن فُتِح له بابُ خير فلينتهزْه فإنّه لا يعلم متى يُغلق دونه" .

٥ وكان نزول السلطان على القدس فى يوم الأحد الخامس عشر من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ونزل بالجانب الغربىّ، وكان مشحونًا بالمُقاتِلة من الخيّالة والرَّجّالة حتّى إنّه حَزَر أهلُ الخِبْرة، ممّن كان مع السلطان، مَن كان[1] فيه من المُقاتلة فكانوا يزيدون على ستين ألفا خارجا عن النساء والصّبيان؛ ثم انتقل السلطان لمصلحة رآها إلى الجانب الشمالى فى يوم الجمعة العشرين من رجب ونَصَب عليها المجانيق ١٠ وضايق البلدَ بالزَّحْف والقتال حتّى أخذ النَّقْب فى السور ممّا يلى وادى جهنّم[2]؛ ولمّا رأى العدوّ ما نزل بهم من الأمر الذى لا مَدْفع لهم عنه ، وظهرت لهم أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتدّ رَوْعُهم لِمَا جرى على أبطالهم ما جرى[3] ، فاستكانوا إلى طلب الأمان، وسلّموا المدينة فى يوم الجمعة السابع والعشرين[4] من رجب ، وليلته كانت ليلة المِعْراج المنصوص عليها فى القرآن الكريم . فانظر ١٥ إلى هذا الاتفاق العظيم ، كيف يسر الله تعالى عَوْده إلى المسلمين فى مثل زمان الإسراء بنبيّهم صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) عبارة الأصل : « حتى إنه حزر أهل الخبرة من كان مع السلطان من القلعة من المسلمين كانوا ... » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ، وهو معنى عبارة السيرة والروضتين .

(٢) وادى جهنّم : بظاهر المقدس (عن معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٧٦٢) .

(٣) عبارة وفيات ٢٠ الأعيان : « وكان قد اشتدّ روعهم لما جرى على أبطالهم وحماتهم من القتل والأسر، وعلى حصونهم من التخريب والهدم، وتحققوا أنهم صائرون إلى ما صار أولئك إليه فاستكانوا وأخذوا فى طلب الأمان » .

(٤) فى الأصل : « السادس والعشرين » . وما أثبتنا عن السيرة وابن خلكان والروضتين ، وهو المناسب لما تقدّم .

قال : وكان فتحًا عظيما شهده من العلماء خَلْق ، ومن أرباب الحرب والزُّهْد[1] عالَمٌ كثير ، وآرتفعت الأصوات بالضَّجيج بالدعاء والتهليل والتكبير ، وصُلِّيت فيه الجمعة يوم فتحه ، ونُكِّس الصليب الذى كان على قُبّة الصخرة ، وكان الصليب شكلًا عظيما ، ونصر الله الإسلام . وكان الفرنج قد آستَوْلَوْا على القُدْس — بعد فتحه الأوّل فى زمن عمر — فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان سنة آثنتين وتسعين وأربعمائة ؛ وقيل : فى ثانى شعبان وقيل يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة (أعنى سنة آثنتين وتسعين)، وذلك كان فى خلافة المُسْتَعْلِي أبى القاسم أحدِ خلفاء مصر من بنى عُبَيْد، وكان فى وزارة بَدْر الجَمَالِيّ بديار مصر . وقد حَكَيْنا طَرَفًا من ذلك فى ترجمة المستعلى فى هذا الكتاب . قلت : وعلى هذا الحساب يكون القدس أقام بيد الفرنج نيّفا وتسعين سنة من يومَ أخذوه فى خلافة المستعلِي إلى أن فتحه السلطان صلاح الدين فى هذه المرّة ثانيا . ولله الحمد . قال آبن شَدّاد : «وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كلّ رجل عشرين دينارا[2]، وعن كلّ آمرأة خمسةَ دنانير صُوريّة ، وعن كلّ صغير ذكر أو أنثى دينارا واحدا ، فمن أحْضر قطيعتَه نجا بنفسه وإلّا أخذ أسيرًا ، وأُفْرِج عمّن كان بالقدس من أسارَى المسلمين، وكانوا خَلْقا عظيما، وأقام السلطان بالقدس يجمع الأموال ويفرّقها على الأمراء والرجال ، ثم رسم بإيصال[3] من قام بقطيعته من الفرنج إلى مأْمَنه، وهى مدينة صُور، فلم يرحَل السلطان من القدس ومعه من المال الذى جبى شىء، وكان يقارب مائتى ألف دينار [وعشرين[4] ألف دينار] .

(١) فى ابن خلكان : « ومن أرباب الحذق » . (٢) فى السيرة : « عن كل رجل عشرة دنانير » . (٣) فى آبن خلكان : «وتقدّم بإيصال» . (٤) زيادة عن آبن خلكان والسيرة .

ولمـا فَتَح القدسَ حسنُ عنده فتحُ صُور، وعلم أنّه متى أخّره عسُر عليه فتحُه، فسار نحوها حتى أتى عَكّا فنزل عليها ونظر فى أمورها ؛ ثم رحل عنهـا متوجِّها إلى صُور فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان من سـنة ثلاث وثمانين المذكورة، فنزل قريبا منها، وأرسل لإحضار آلات القتال حتّى تكاملت عنده، نزل عليها فى ثانى عشر (١) الشهر المذكور، وقاتل أهلها قتالا شديدا وضايقها، وآستدعى أسطولَ مصر، وكان السلطان يضايقها فى البّر والبحر؛ وخرج أسطول صُور فى الليل فكبس أسـطول المسلمين فى البحر، وأخذوا المقدّم والرئيس وخمس قِطَع للسلمين، وقتلوا خَلْقا كثيرا من الرجال، وذلك فى السابع والعشرين من شهر شوّال (٢)؛ وعظُم ذلك على السلطان وضاق صدره؛ وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وآمتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار، فجمع السلطان الأمراء وآستشارهم فيما يفعل، فأشاروا عليـه بالرحيل لنستريح الرجال، فرحل عنها فى يوم الأحد ثانى ذى القعدة وتفرقت العساكر، وأعطى كلّ طائفة منها دسـتورا؛ فسار كُلّ قوم إلى بلادهم، وأقام هو فى جماعة من خواصّه بمدينة عَكّا إلى أن دخلت سنة أربع وثمـانين وخمسمائة. فرحل ونزل على كَوْكَب (٣) فى أوّل المحرّم، ولم يبق معه من العسكر إلّا القليل؛ وكان كوكب حصنا حصينا فيه الرجال [والأقوات] (٤)، فعلم السلطان أنّه لا يؤخذ إلّا بقتال شديد. فرحل إلى دمشق فدخلها فى سادس (٥) عشرين شهر ربيع الأوّل من السنة؛ وأقام بدمشق خمسة أيّام. وبلغه أنّ الفرنج قصـدوا جَبَلَة (٦) وآغتالوها، فخرج مسرعًا وقد سيّر يستدعى العساكرَ

(١) فى السيرة: «فى الثامن والعشرين». (٢) فى الأصل: «من الشهر المذكور». والتصويب عن السـيرة. (٣) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية، حصينة رصينة تشرف على الأردن. افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد. (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) زيادة عن ابن خلكان. (٥) فى ابن خلكان: «فى سادس عشر». وفى السيرة والفتح القسى والروضتين: «فى سادس شهر ربيع الأوّل». (٦) كذا فى الأصل والفتح القسى. وفى ابن خلكان والروضتين والسيرة: «جبيل» وكلاهما موضع بالشام.

من جميع البلاد ، وسار يطلب جَبَلَة ؛ فلمّا علِم الفرنجُ بخروجه كفّوا عن ذلك .
وكان السلطان بلَغه وصولُ عِماد الدين صاحب سِنْجار ومظفَّر الدين [بن] زَيْن الدين
صاحب إرْبِل وعسكر المَوْصل إلى حلب قاصدين خدمتَه والغَزاة معه ؛ فسار السلطانُ
نحو حِصْن الأكراد(١) حتى آجتمع بالمذكورين [و] تقوّى بهم للغاية » . انتهى كلام
ابن شدّاد . ٥

وقال القاضي شمس الدين بن خلّكان : « وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى
دخل السلطان (يعنى صلاحَ الدين) بلادَ العدوّ على تَعْبئة حسنةٍ ورتّب الأَطْلاب ،
وسارت المَيْمَنةُ أوّلاً ومقدّمُها عِمادُ الدين زَنْكي ، والقلبُ في الوسط ، والمَيْسَرة
في الأخير ومقدّمُ المَيْسَرة مظفَّر الدين بن زَيْن الدين صاحب إرْبِل ، فوصل إلى
أَنْطَرْطُوس(٢) يومَ الأحد سادسَ جُمادَى الأولى ، فوقف قُبالَتها ينظرُ إليها فإنّ قصدَه ١٠
جَبَلةُ ، فآستهان أمرَها وعزم على قتالها فسيَّر مَن ردّ المَيْمنة ، وأمرها بالنزول إلى
جانب البحر ، والمَيْسَرة على الجانب الآخر ، ونزل هو موضعَه والعساكر مُحْدِقة بها
من البحر إلى البحر ، وهي مدينة راكبة على البحر ولها بُرْجان ، فركِبوا وقاربوا
البلد وزحفوا عليها ، وآشتدّ القتال فما آستتمّ نَصْبُ الخِيام حتّى صعِد المسلمون
سورَها وأخذوها بالسيف ، وغنِم المسلمون جميعَ مافيها ، وأحرق البلدَ وأقام عليها إلى ١٥
رابع عشر جمادَى الأولى ، وسلَّم أحد البُرْجين إلى مظفَّر الدين ، فما زال يحارِبه حتّى
أخربه . وحضر إلى السلطان ولَدُه الملك الظاهر بعساكر حلب ، لإنّه كان طلبه
لِغَزاةٍ بعساكرَ عظيمة . ثم سار السلطان يريد جَبَلة فوصلها في ثاني عشر جمادَى الأولى ،

(١) حصن الأكراد ، هو حصن منيع حصين على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب (عن
معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٢٧٦) . (٢) في الأصل وابن خلكان والسيرة : «أنطرسوس» . ٢٠
والتصويب عن الروضتين وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء
الخامس من هذه الطبعة .

وما آستتمّ نزولُ العسكر عليها حتّى أخذت البلد؛ وكان فيه مسلمون مقيمون وقاضٍ يحكم بينهم ، وقُوتلت القلعةُ قتالا شديدًا ثم سُلِّمت بالأمان . ثم سار السلطان عنها إلى اللّاذقيّة فنزل عليها يومَ الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى، ولها قلعتان (يعنى اللّاذقيّة) متّصلتان على تلٍّ مُشرِف على البلد ، وآشتدّ القتالُ إلى آخر النهار ، فأخذ البلد دون القلعتين، وغَنِم المسلمون منه غنيمةً عظيمةً لأنّه كان بلد التجّار؛ ثم جدّوا فى أمر القلعتين بالنُّقُوب حتّى بلغ طول النَّقْب ستين ذراعا وعرضُه أربعَ أذرع . فلمّا رأى أهلُ القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان ، وذلك فى عشيّة يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر، وآلتمسوا الصلح على سلامة أنفسهم وذَرَارِيهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغِلالَ والذخائرَ والسلاح وآلاتِ الحرب ، فأجاب السلطانُ إلى ذلك ، ورُفِع العلم الإسلامىّ عليها فى يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من الشهر . ثم رحل عنها ونزل صِهيَوْن[1] وقاتلهم أشدّ قتال حتّى أخذ البلدَ يومَ الجمعة ثانى عشر جمادى الآخرة؛ ثم تقدّموا إلى القلعة وصَدَقُوا القتال ، فلمّا عاينوا الهلاك طلبوا الأمانَ فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرةُ دنانير، ومن المرأة خمسةُ دنانير، ومن كل صغير ديناران، الذكر والأنثى سواء. وأقام السلطان صلاح الدين بهذه الجهات حتّى أخذ عِدّة قِلَاع منها بَلَاطُنُس[2] وغيرُها من الحصون المتعلّقة بصِهْيَوْن . ثم رحل عنها وأتى بَكَاس ، وهى قلعة حصينة على العاصى[3] ولها نهر يخرج من تحتها ، وكان النزول عليها فى يوم الثلاثاء

(١) صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر، وهى قلعة حصينة مكينة فى طرف جبل ، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور إلا من جهة واحدة ... كانت بيد الفرنج منذ دهر حتى استرجعها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من يد الفرنج سنة ٥٨٤ هـ (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) بلاطنس : حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

سادس جمادى الآخرة[1]، وقاتلوها قتالا شديدًا إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ففتحها عنوةً، فقُتِل أكثرُ مَن بها وأُسِر الباقون، وغَنِم المسلمون جميعَ ما كان فيها، ولها قلعة تسمّى الشُّغْر[2]، وهى فى غاية المَنَعَة يُعبر إليها بجسر وليس عليها طريق، فسلّطت المجانيق عليها من جميع الجوانب، فرأَوا أن لاناصر لهم فطلبوا الأمان فى يوم الثلاثاء ثالثَ عشرَ الشهر. ثم سار السلطان الى بُرْزَيه[3]، وهى أيضا من الحصون المنيعة فى غاية القوّة يُضرب بها المثل، ويحيط بها أودية من جميع جوانبها، وعلوّها خَمْسُمائة ونَيِّف وسبعون ذراعا، وكان نزوله عليها يومَ السبت الرابع والعشرين من الشهر، فقاتلوها حتّى أخذوها عنوة فى يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه. ثم سار السلطان إلى دَرْبَساك[4] فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب، وهى قلعة منيعة فقاتلها قتالا شديدا حتى أخذها وترقّى العلمُ الإسلامىّ عليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب، وأعطاها للأمير عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر، وسار عنها بُكْرَةَ يوم السبت الثالث والعشرين من رجب ونزل على بَغْرَاس، وهى قلعة حَصينة بالقرب من أنطاكِيَة، وقاتلها قتالا شديدا حتّى صعِد العلم الإسلامى عليها فى ثانى شعبان؛ وراسله أهلُ أنطاكية فى طلب الصلح فصالحهم لشدّة ضَجَر العسكر؛ فكان الصلح بينهم على أن يُطْلِقوا كلَّ أسير عندهم لا غير، والصلح إلى سبعة أشهر؛ فإن جاءهم مَن ينصرهم وإلّا سلّموا البلد.

(١) فى الأصل: «سادس عشر جمادى الآخرة». وما أثبتناه عن ابن خلكان والفتح القسى والسيرة.

(٢) الشغر: قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين، بينهما واد كالخندق لهما، كل واحدة تناوح الأخرى، وهما قرب أنطاكية (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) برزيه: قلعة صغيرة مستطيلة منيعة فى ذيل الجبل المعروف بالخيط من شرقيه مطلة على بحيرات فامية (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل). قال ياقوت: وهى لغة عامية تصحيحها «برزويه». (٤) فى الأصل: «درسال». وما أثبتناه عن الفتح القسى والروضتين والسيرة وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل، وقد ضبطها بالعبارة فقال: (بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف).

ثم رَحَل السلطان فسأله ولدُه الملك الظاهر صاحبُ حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك، فوصل إلى حلب فى حادى عشر شعبان، وأقام بالقلعة ثلاثة أيام، وولدُه يقوم بالضِّيافة حقّ القيام. ثم سار من حَلَب فآعترضه تقىُّ الدين عمر آبن أخيه، وأصعده إلى قلعة حَماة، وصنع له طعاما وأحضرله سَماعًا من جنس مايَعْمَل الصُّوفيّة، وبات فيها ليلة واحدة، وأعطاه السلطان جَبَلة واللّاذقيّة. ثم سار السلطان على طريق بَعْلَبَكّ، ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيّام يسيرة. ثم سار فى أوائل شهر رمضان يريد صَفَد[1]، فنزل عليها ولم يزل القتال عمّالا فى كلّ يوم حتّى تسلّمها بالأمان فى رابع عشر شوّال؛ وفى شهر رمضان المذكور سُلِّمت الكَرَك، سلّمها نوّاب صاحبها وخلّصوا صاحبَها بذلك، فإنّه كان فى الأَسْر من نَوْبة حِطِّين. ثم نزل السلطان بالغَوْر[2]، وأقام بقيّة الشهر، فأعطى الجماعةَ دستورًا. وسار السلطان مع أخيه العادل يريد زيارة القُدْس ووَدَاعَ أخيه العادل المذكور، لأنّ العادل المذكور كان متوجِّها إلى مصر، فدخل السلطانُ القدسَ فى ثامن ذى الحِجّة وصلّى به العيدَ. وتوجّه فى حادى عشر ذى الحِجّة إلى عَسْقَلان لينظر فى أمورها، فتوجّه إليها وأخذها من أخيه، وعوّضه عنها الكَرَك. ثم مرّ على بلاد الساحل يتفقّد أحوالها. ثم سار فدخل عَكّا وأقام بها معظمَ المحرَّم من سنة خمس وثمانين وخمسمائة يصلح أحوالها، ورتّب فيها الأمير بهاء الدين قَراقُوش، وأمره بعمارتها وعمارة سورها. ودخل السلطانُ دِمَشق فى مستهلّ صفر من السنة، وأقام بها إلى شهر ربيع الأوّل من السنة. ثم خرج إلى شَقِيف أَرْنُون[3]، وهو موضع حصين، فخيّم فى مَرْج عُيُون

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان.

(٢) فى الأصل: «بالثغور». وما أثبتناه عن الفتح القسى وابن خلكان والسيرة. والمراد به غور الأردن بالشام بين البيت المقدّس ودمشق (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) شقيف أرنون: قلعة حصينة جدا فى كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل (عن معجم البلدان لياقوت).

بالقرب من الشَّقيف في سابع عشر[1] شهر ربيع الأوّل فأقام أيّاما على قتاله ، والعسكر تتواصل إليه ؛ فلمّا تحقّق صاحبُ الشَّقيف أنّه لا طاقة له به نزل إليه بنفسه ، فلم يشعر به إلّا وهو قائم على باب خَيْمته ، فأذِن له في الدخول وأكرمه السلطان وآحترمه ، وكان من أكبر الفرنج قَدْرًا ، وكان يَعرِف بالعربية ، وعنده آطّلاع على بعض التواريخ والأحاديث ، وكان حسنَ التأتّي ؛ لمّا حضر بين يدى السلطان وأكل معه الطعام ، ثم خلا به وذكر أنّه مملوكه وتحت طاعته ، وأنّه يُسلّم إليه المكان من غير تعب ، وآشترط عليه أن يُعْطَى موضعًا يسكنه بدمشق ، فإنّه بعد ذلك لا يقدر على مُساكنة الفرنج ، وإقطاعًا بدمشق يقوم به وبأهله ، وشروطا غير ذلك ، فأجابه إلى ذلك . وفى أثناء شهر ربيع الأوّل وصل إلى السلطان [الخبرُ[2]] بتسليم الشَّوبَك ، وكان قد أقام عليه جَمْعًا يحاصرونه مدّة سنة كاملة إلى أن نَفِدَ زاد مَن كان فيه فسلّموه بالأمان . ثم ظهر للسلطان بعد ذلك أنّ جميع ما قاله صاحب شَقيف كان خديعةً ، فرسم عليه . ثم بلغه أنّ الفرنج قصدوا عكّا ونزلوا عليها فى ثالث عشر شهر رجب من سنة خمس وثمانين المذكورة . وفى ذلك اليوم سيّر السلطانُ صاحبَ الشَّقيف إلى دمشق بعد الإهانة الشديدة . ثم سار السلطان وأتى عكّا ودخلها بَغْتةً ليقوّى قلوبَ مَن بها ، وآستدعى العساكر من كلّ ناحية ؛ وكان العدوّ مقدار ألفى فارس وثلاثين ألف راجل ، وتكاثر الفرنجُ وآستفحل أمرُهم ، وأحاطوا بعكّا ومنعوا مَن يدخل إليها ويخرج ، وذلك فى يوم الخميس سَلْخ رجب ، فضاق صدرُ السلطان لذلك ، ثم آجتهد فى فتح الطريق إليها لتستمرّ السابلة بالمِيرَة والنَّجْدة ، وشاور الأمراءَ فآتّفقوا على مضايقة العدوّ لفتح الطريق ،

(١) فى الأصل : « سابع عشرين » . وما أثبتناه عن آبن خلكان والسيرة والفتح القسى .

(٢) زيادة عن آبن خلكان والسيرة .

ففعلوا ذلك وأنفتح الطريق وسلكه المسلمون؛ ودخل السـلطان عكّا فأشرف على أمورها؛ ثم جرى بين الفريقين مناوشاتٌ فى عِدّة أيام، وتأخر النـاس إلى تلّ العِياضيّة وهو مُشرِف على عكّا . وفى هذه المنزلة تُوُفِّى الأمير حُسام الدين طُمان المقدّم ذكره، وذلك فى نصف شعبان من سـنة خمس وثمانين وخمسمائة، وكان من الشُّجعان » .

قال آبن خلّكان : «قال شيخنا آبن شدّاد : وسمعت السلطان يُنْشِد — وقد قيل له : إنّ الوَخَم قد عظُم بعكّا، و إنّ الموت قد فشا بين الطائفتين — :

اُقتـلانى ومالكـا[(1)] * وآقتلا مالكـا معى

— قلت : وهذا الشعرله سبب ذكرناه فى ترجمة الأَشْتر النَّخَعِىّ، آسمه مالك، فى أوائل هذا الكتاب فإنه مَلَك مصر، وكان الأشتر من أصحاب علىّ بن أبى طالب — رضى الله عنه — والحكاية مطوّلة تُنظر فى ترجمة مالك (أعنى الأشتر النَّخَعِىّ من هـذا الكتاب — .

قال آبن شـدّاد : ثم إنّ الفرنج جاءهم الإمداد من البحر، وآسـتظهروا على الجمـاعة الإسلاميّة بعكّا، وكان فيهـم الأمير سيف الدين علىّ بن أحمد الهكّارِىّ المعروف بالمشطوب، والأمير بهاء الدين قَرَاقُوش الخادم الصّـلاحىّ، وضايقُوهم أشدّ مضايقة إلى أن غُلِبوا عن حفظ البـلد . فلمّا كان يومُ الجمعة سابعَ عشرَ جُمادَى الآخرة [سنة سبع وثمانين وخمسمائة][(2)] خرج من عكّا رجل عوّام فى البحر، ومعه كتبٌ إلى السلطان من المسـلمين يذكرون حالهم وما هم فيـه، وأنّهم تيقّنوا

(1) كذا فى الأصـل هنا وما تقدّم فى الجزء الأوّل من هـذه الطبعة ص ١٠٥ وابن خلكان . وفى مجمع الأمثال وفرائد اللآل : * اقتلونى ومالكا * بواو الجماعة .
(2) زيادة عن ابن خلكان .

الهلاك، ومتى أخذوا البلد عنوةً ضُربت رِقابهم، وأنهم صالحوا على أن يسلّموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والأسلحة والمراكب، ومائتى ألف دينار وخمسمائة[(١)] أسير مجاهيلَ ومائةِ أسيرٍ معيَّنين من جماعتهم، وصليب الصلبوت، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصَّة بهم وذَراريهم ونسائهم، وضمنوا[(٢)] للمَركيس — لأنه كان الواسطةَ فى هذا الأمر — أربعةَ آلاف دينار. فلمّا وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكاراً عظيما، وعظُم عليه هذا الأمر، وجمع[(٣)] أهلَ الرأى من أكابر دولته، وشاورهم فيما يصنع، واضطربتْ آراؤه، وتقسّم فكره وتشوّش حاله، وعزم أن تُكتب فى تلك الليلة كتبٌ مع الرجل العوّام الذى قدِم عليه بهذا الخبر يُنكِر المصالحة على هذا الوجه، و بينما هو يتردّد فى هذا فلم يشعر إلّا وقد ارتفعتْ أعلام العدو وصُلبانُه[(٤)] ونارُه على سور البلد؛ وذلك فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وصاح الفرنجُ صيحةً واحدة، وعظُمت المصيبةُ على المسلمين، واشتدّ حزنُهم، ووقع من الصياح والعويل والبكاء مالا يُذكر.

ثم خرجت الفرنج بعد أن ملكوا عكّا قاصدين عَسْقَلان ليأخذوها أيضا من المسلمين، وساروا على الساحل والسلطانُ وعساكرُه قُبالتهم إلى أن وصلوا إلى أرْسُوف[(٥)]، فكان بينهما قتال عظيم، ونال المسلمين وَهْنٌ شديد. ثم ساروا على تلك الهيئة تَتِمّةَ عشر منازلَ من سيرهم من عكّا، فأتى السلطانُ الرّملةَ، فأتاه مَن أخبر بأنّ القوم على عَزْم عِمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات، فأحضر السلطانُ أرباب

(١) فى السيرة والروضتين والفتح القسى: «وألف وخمسمائة فارس أسير مجاهيل».
(٢) فى السيرة والروضتين والفتح القسى: «وضمنوا للركيس عشرة آلاف دينار، لأنه كان واسطة، ولأصحابه أربعة آلاف دينار». (٣) فى الأصل: «ورجع». وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة والروضتين. (٤) فى الأصل: «وفرسانه». وما أثبتناه عن السيرة وابن خلكان والروضتين.
(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

مشورته ، وشاورهم فى أمر عسقلان ، وهل الصواب خرابها أو بقاؤها ؟ فآتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل فى قُبالة العدوّ، ويتوجّه السلطان بنفسه ويُخْرِبها خوفًا من أن يصل العدوّ إليها ويستولىَ عليها وهى عامرة ويأخذ بها القدس، وينقطع بها طريق مصر، وآمتنع العسكر من الدخول[1] وخافوا ممّا جرى على المسلمين بعكّا . فلا قوّة إلّا بالله . ورأَوْا أنّ حفظ القدس أولى ، فتعينّ خرابُها من عدّة جهات؛ وكان هذا الآجتماع يومَ الثلاثاء سابع عشر شـعبان من سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فسار إليها السلطان فى سَحَر يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان المذكور. قال آبن شَدّاد : وتحدّث معى فى معنى خرابها (يعنى عَسْقلان) بعد أن تحدّث مع ولده الملك الأفضل أيضا فى أمرها، ثم قال السلطان : لأَنْ أَفْقِـد ولدى جميعَهم أحبُّ إلىّ من أهدِم منها حَجَرا واحدا، ولكن إذا قضى اللهُ تعالى ذلك، وكان فيه مصلحة للسلمين، فما الحيلة فى ذلك ! فلمّـا آتّفق الرأىُ على خرابها أَوْقع الله ذلك فى نفسه، وأنّ المصلحة فيـه لعجز المسلمين عن حفظها . وشَرَع فى إخرابها فى سَحَر يوم الخميس التـاسع عشر من شعبان من السـنة المذكورة، وقسّم السور على الناس وجعل لكلّ أمير وطائفة من العسكر بدنةً معلومة وبُرْجا معلوما يخربه، ودخل الناسُ البلدَ ووقع فيهم الضَّجيج والبكاء لفُرْقة بلدهم وأوطانهم، وكان بلدًا خفيفا على القلب مُحْكَمَ الأسوار عظيم البناء مرغوبًا فى سكنه، فلحق النـاسَ على خرابه حُزْنٌ عظيم . وشرع أهل البـلد فى بيع مالا يقدرون على حمله ، فباعوا ما يساوى عشرةَ دراهم بدرهم واحد، حتّى باعوا آثنَىْ عشرَ طيرَ دَجَاج بدرهم ، وآختبط أهلُ البلد وخرجوا بأولادهم وأهليهـم إلى الخِيَم وتشتّتوا، فذهب منهم قوم إلى مصر وقوم إلى الشام، وجرت عليهم أمور عظيمة، وآجتهد السلطان وأولاده فى خراب البلد كى لا يَسْمَع العدوُّ فيسرعَ إليها؛

(١) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « وامتنع العسكر من العدوّ وخافوا » .

فلا يمكن إخرابه، وكانت النـاس على أصعب حال، واشتدّ تعب الناس مما قاسَوه في خرابها .

وفي تلك الليـلة وصل للملك العـادل من حَلَب من أخبره أنّ الفرنج تحـدّثوا معه في الصلح ، وطلبوا جميع البلاد الساحليّة ، فرأى السلطانُ أنّ ذلك مصلحةٌ لِمَا علم من نفوس النـاس والعساكر من الضَّجَر من القتال وكثرة ما عليه من الديون ؛ فكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل يأذَن له في ذلك ، وفوّض الأمر إلى رأيه ، وأصبح السلطان يومَ الجمعة وهو مصرٌّ على الخراب ، ويستعجل الناسَ عليه ويَحُثُّهم على العَجَلة فيه ، وأباحهم ما في الهُرْى[1] الذى كان مدخرًا للميرة خوفًا من أن يهجُمَ العدوّ والعجزِ عن نقله . ثمّ أمر السـلطانُ بإحراق البلد فأُضرمتِ النيرانُ في بيوته ، ولم يزل الخراب يعمل في البلد الى سَلْخ شعبان المذكور، ثم أصبح السلطان يومَ الاثنين مستهلّ شهر رمضان ، أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر خراب البلد بنفسه وخواصّه .

قال ابن شدّاد ، ولقـد رأيته يحمل الخشب بنفسه (يعنى الملك الأفضـل) .

وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى السلطانُ الرَّمْلَة وأشرف عليها ، وأمر أيضا بإحراقها و إخراب قلعتها (يعنى الرملة) فأُحرقت وأُخربت قلعتها خوفا أيضا من الفرنج . وفي يوم السبت ثالث عشر رمضان تأخر السلطانُ والعسكرُ إلى جهة الجبل ليتمكّن الناس من تسيير دوابّهم لإحضار مايحتاجون إليه . ثم شرع السلطان أيضا في خراب قلعة المَـاطِرُون[2] ، وكانت قلعةً منيعةً فشرع الناسُ في ذلك . ثم ذكر ابن شَـدّاد فصلا طويلًا يتضمّن الصلح بين الأَنْكلْتير[3] ملك الفرنج وبين السلطان صلاح الدين المذكور إلى أن قال : وحاصـل الأمر أنه تمّ الصلحُ بينهم ، وكانت الأيمـان يوم

(١) الهرى : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان . (٢) راجع الحاشـية رقم ٣ ص ٣٥ من هذا الجزء . (٣) في الأصل : «الأنكيار» . وفي السيرة : «الأنكار» . وفي ابن خلكان : «الأنكيار» . والتصويب عن الفتح القسى والروضتين .

الأربعاء الثانى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ؛ ونادى المنادى بانتظام الصلح ، وأنّ البلاد الإسلامية والنصرانيةَ واحدة فى الأمن والمسالمة[1] ، فمن شاء من كلّ طائفة أن يتردّد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور[2] . وكان يوماً مشهودا نال الطائفتين فيه من السرور ما لا يعلمه إلّا الله تعالى ؛ وقد عَلِمَ الله تعالى أنّ الصلح لم يكن عن مَرْضاة السلطان، لكنّه رأى المصلحة فى الصلح لسآمة العسكر من القتال ، ومظاهرتهم للمخالفة . وكان مصلحة فى علم الله تعالى، فإنه ٱتفقت وفاته بعد الصلح، فلو ٱتفق ذلك فى أثناء وَقَعاته كان الإسلام على خَطَر .

ثم إنّ السلطان أعطى العساكر الوافدةَ عليه من البلاد البعيدة برسم الغَزَاة والنَّجْدة دُسْتورًا[3] ، فساروا عنه . وعزم السلطان على الحجّ لمّا فَرغ باله من هذه الجهة ، وأمِنَ النـاس وتردّد المسلمون إلى بلاد الفرنج ، وجاءوا هم أيضا إلى بلاد المسلمين ، وحُمِلت البضائع والمتاجر إلى البلاد، وتوجّه السلطان إلى القُدْس ليتفقّد أحوالَه ، وتوجّه أخوه الملك العادل إلى الكَرَك ، وٱبنُه الملك الظاهر إلى حلب ، وٱبنُه الملك الأفضل إلى دِمَشق . ثم تأهّب السلطان إلى المسير إلى الديار المصريّة، ولم يزل كذلك إلى أن صحّ عنده سير مَرْكَب الأَنْكَلْتير ملك الفرنج إلى بلاده فى مستهلّ شوّال، فعند ذلك قوِى عزمُه على أن يُدْخِل الساحلَ جَرِيدةً يتفقّد أحواله وأحوال القِلاع البَحْريّة إلى بَانْيَاس . ثم يدخل دمشق فيقيم بها قليلا ، ثم يعود إلى القدس ومنه إلى الديار المصريّة .

(١) فى الأصل : « فى الأمن والسابلة » . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٢) عبارة ابن خلكان والسيرة والروضتين : «فمن شاء أن يدخل من بلادهم الى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا أن يدخل الى بلادهم فليفعل» . (٣) أى سار كل عسكر الى بلده وكان أول من سار عسكر إربل فانه سار فى مستهل شهر رمضان ، ثم سار بعده عسكر الموصل وسنجار والحصن (انظر سيرة ابن شدّاد فى الكلام على عود العساكر الاسلامية الى أوطانهم) .

قال ٱبن شَدّاد : وأمرنى بالمُقام بالقُدْس إلى حين عَوْده إليه لعمارة بِيمَارِسْتَانٍ أنشأه به ، وتكميل المدرسة التى أنشأها به ، وسار ضَحْوَةَ[(١)] نهار الخميس السادس من شوّال سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة . فلمّا فرغ السلطان من ٱفتقاد أحوال القِلاع و إزاحة خَلَلها دخل دمشقَ بُكْرة يوم الأربعاء سادس عشرين[(٢)] شوّال ، وفيها أولاده : الملك الأفضل، والملك الظاهر، والملك الظافر مظفّر الدّين الخضر المعروف بالمشمّر[(٣)] وأولاده الصغار ؛ وكان السلطان يحبّ البلد (يعنى دمشق) و يُؤْثر الإقامة به على سائر البلاد ، وجلس للناس فى بُكْرة يوم الخميس السابع والعشرين منه ، وحضروا عنده وبَلُّوا أشواقهم منه ، وأنشده الشعراءُ ، ولم يتخلّف عنه أحد من الخاصّ والعامّ ، وأقام ينشُرُ جَناح عدله بدمشق إلى أن كان يومُ الاثنين[(٤)] مستهلّ ذى القعدة ، عمل الملك الأفضلُ دعوةً للملك الظاهر أخيه لأنّه لمّا وصل إلى دمشق و بلغه حركة السلطان أقام بها [حتّى يتملّى بالنظر إليه ثانيا][(٥)] ، ولمّا عمل الأفضل الدعوة أظهر فيها من الهِمَم العالية ما يليق بهمّته ، وكان أراد بذلك مجازاته لما خدمه [به][(٥)] حين وصوله إلى بلده ، وحضر الدعوةَ المذكورة أربابُ الدنيا والآخرة ، وسأل الأفضلُ والده السلطان فى الحضور فحضر ، وكان يوما مشهودا على ما بلغنى . قال : ولمّا أصلح الملك العادل الكَرَكَ سار قاصدًا الديار الفُراتيّة[(٦)] ، وأحبّ أن يدخل دمشق ،

(١) فى الأصل وابن خلكان : « وسار ضاحى نهار الخميس » . وما أثبتناه عن السيرة .
(٢) فى الأصل : « سادس عشر شوّال » وهو خطأ . والتصويب عن السيرة والروضتين .
(٣) فى الأصل : «المستمر» . والتصويب عن ابن خلكان وقد ذكر سببا لتلقيبه بذلك فراجعه فيه .
(٤) فى الأصل : « يوم الخميس » وهو خطأ . والتصويب عن ابن خلكان والسيرة والروضتين .
(٥) زيادة عن السيرة وابن خلكان والروضتين .
(٦) فى الأصل : « الديار المصرية » . والتصويب عن السيرة وابن خلكان والروضتين .

فوصل إليهـا وخرج السلطان إلى لقائه، وأقام يتصـيّد[١] حول غَبَاغِب إلى الكُسْوَة حتّى لَقِيَ أخاه الملك العادل وسارا جميعا يتصيّدان[٢]، ثم عادا إلى دمشق؛ فكان دخولها دمشق آخر نهار يوم الأحد حادى عشرين[٣] ذى القعدة سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة . وأقام السلطان بدمشق يتصيّد هو وأخوه الملك العـادل وأولاده و يتفرّجون في أراضي دمشق، وكأنه وَجَد راحةً ممّـا كان فيه من ملازمة التعب والنَّصَب وسَهَر الليل، فكان ذلك كالوَدَاع لأولاده ، ونَسِيَ عزمَه إلى مصر، وعَرَضت له أمور أُخَر وعَزَماتٌ غيرُ ما تقدّم .

قال ابن شَدّاد : ووصلني كتابُه إلى القُدْس يسـتدعيني لخدمته ، فخرجت من القدس فى يوم الجمعة الثـالث والعشرين من المحرّم سـنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان الوصول إلى دمشق يومَ الثلاثاء ثانى عشر صفر من السنة . وركب السلطان ليتلقّ الحاجّ فى يوم الجمعة خامس عشر صفر، وكان ذلك آخر ركوبه . ولـمّـا كانت ليـلة السبت وجد كَسَلًا عظيما وما انتصف الليلُ حتّى غشِيَتْه حُمَّى صَـفراوية ، وكانت فى باطنه أكثرَ ممّا فى ظاهره، وأصبح يومَ السبت متكسِّلًا، عليه أثر الحُمّى، ولم يُظهِر ذلك للنـاس ، لكن حضرت عنده أنا والقاضى الفاضل ، فدخل ولدُه الملك الأفضل وطال جلوسُنا عنـده وأخذ يشكو قَلَقَه بالليل ، وطاب له الحديث إلى وقت الظهر، ثم انصرفنا وقلوبنا عنده، فتقدّم إلينا بالحضور على الطعام فى خدمة

---

(١) عبارة الأصـل : « وتصـيد حول الكسوة » . وما أثبتناه عن الروضتين وابن خلكان . وغباغب : قرية فى أول عمل حوران من نواحى دمشق بينهما سـتة فراسخ . والكسوة : قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) فى الأصل : « وسارا جميعا حتى يتصيدان » . وما أثبتناه عن الروضتين وابن خلكان .

(٣) فى الأصـل : « حادى عشر ذى القعدة » . وفى ابن خلكان : « حادى عشر ذى الحجة » وكلاهما خطأ . والتصويب عن السيرة والروضتين .

ولده الأفضل، ولم يكن للقاضى الفاضل فى ذلك عادةٌ فآنصرف، ودخلتُ إلى الإيوان القبلىّ وقد مُدّ السِّماط ، وآبنه الملك الأفضل قد جلس موضعَه ، فآنصرفتُ وما كانت لى قوة لجلوس آستيحاشًا له ، وبكى فى ذلك اليوم جماعة تفاؤلًا بجلوس ولده الأفضل موضعَه . ثمّ أخذ المرضُ يتزايد به من حينئذ ، ونحن نلازم التردّد له طَرَفَى النهار ، وكان مرضه فى رأسه . وكان من أَمارات آنتهاء العُمُر غَيْبَةُ طبيبه الذى كان قد عرف مزاجَه سَفَرًا وحَضَرًا ، ورأى الأطباء فَصْدَه ففصدوه فى الرابع، فآشتدّ مرضُه وحلّت[1] رطوبات بدنه ، وكان يغلب على مزاجه اليُبْس ، فلم يزل المرض يتزايد به حتّى آنتهى إلى غاية الضعف، وآشتدّ مرضُه فى السادس والسابع والثامن ، ولم يزل يتزايد ويغيب ذهنُه ؛ ولمّا كان التاسع حدثت له غَشْيَةٌ وآمتنع من تناول المشروب، وآشتدّ الخوف فى البلد ؛ وخاف الناس ونقلوا أقمشتَهم من الأسواق ، وعلا الناسَ من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته . ولمّا كان اليوم العاشر من مرضه أَيِسَ منه الأطبّاء . ثم شرع ولده الملك الأفضل فى تحليف الناس له . ثم إنّه تُوُفِّى — إلى رحمة الله تعالى — بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وكان يوم موته يومًا لم يُصَب الإسلام والمسلمون بمثله بعد فقد الخلفاء الراشدين — رضى الله عنهم — وغشِىَ القلعةَ والمُلْك والدنيا وحشةٌ لا يعلمها إلّا الله تعالى . وبالله لقد كنت أسمع من الناس أنّهم يتمنّون فداء من يعزّ عليهم بنفوسهم ، وكنت أتوهّم أنّ هذا على ضَرْب من التجوّز والترخّص إلى ذلك اليوم، فإنّى علمت من نفسى ومن غيرى أنّه لو قُبِل الفِداء لفدى

(١) فى الروضتين وآبن خلكان والسيرة : « وقلّت » .

بالأنفس . ثم جلس ولدُه الملك الأفضـل للعَزاء وغسّله أبو القاسم ضياء الدّين عبـد الملك بن زيد الدّوْلَعِيّ(١) خطيب دمشـق ، وأُخرج تابوت السلطان — رحمه الله تعالى — بعد صلاة الظهر مسجًّى بثوب فُوَط ، فآرتفعت الأصواتُ عنـد مشاهدته ، وعظم الضّجيج وأخذ الناسُ فى البكاء والعويل ، وصلّوا عليـه أرْسَالًا ، ثم أعِيـد إلى داره التى فى البستان ، وهى التى كان متمرّضا بهـا ، ودُفِن فى الصّفّة الغربيّة منهـا . وكان نزوله فى حُفْرته قريبًا من صلاة العصر . ثم أطال آبن شَدّاد القول فى هذا المعنى إلى أن أنشد فى آخر السيرة بيتَ أبى تمّام الطائىّ ، وهو قوله :

ثم آنقضتْ تلك السُّنُون وأهلُها * فكأنّهـا وكأنّهم أحـلامُ

ولقد كان — رحمه الله تعالى — من محاسن الدنيا وغرائبها .

ثم ذكر آبن شَدّاد أنّه مات ولم يخلّف فى خزائنه من الذهب والفضّة إلا سبعة وأربعين درهمـا ناصريّة وديناراً(٢) واحدا ذهبا صُوريًّا ، ولم يخلّف مِلْكا ولا داراً ولا عقارا ولا بُستاناً ولا قرية ولا مَزْرَعةً . وفى ساعة موته كتب القاضى الفاضل إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب بطاقةً مضمونها :

« لقـد كان لكم فى رسول الله أُسْوةٌ حسنةٌ . إنّ زَلْزَلَةَ السـاعة شىء عظيم . كتبتُ إلى مولانا السلطان الملك الظاهر ، أحسن الله عَزاءه وجَبَرَ مُصابَه ، وجعل

(١) الدولعى ، نسبة إلى الدولعية : قرية كبيرة بينها وبين الموصل يوم واحد على سير القوافل فى طريق نصيبين . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٨ هـ . (٢) فى الأصل هكذا : « وحرما واحدا » . وفى السيرة هكذا : « وجرم واحد » . وما أثبتناه عن الروضتين .

فيه الخَلَف لمماليك المرحوم وأصحابه [1]، وقد زُلزِل المسلمون زِلزالًا شديدا ؛ [وقد حفَرت الدموعُ المحاجر [2]، وبلغت القلوبُ الحناجر، وقد ودّعتُ أباك ومخدومى وَداعًا لا تلاقىَ بعده] ؛ وقد قبّلت وجهَه عنّى وعنك ، وأسلمتُه إلى الله تعالى مغلوبَ الحِيلة، ضعيفَ القوّة ، راضياً عن الله ، ولا حولَ ولا قوّة إلّا بالله ؛ وبالباب من الجنود المجنَّدة ، والأسلحة المُغْمَدة ؛ ما لا يدفع البلاء ، ولا يردّ القضاء [3] ؛ وتدمَعُ العين ويخشَع القلب، ولا نقول إلّا ما يُرضى الربّ؛ وإنّا عليك يا يوسفُ لمحزونون. وأمّا الوصايا فما يُحتاج إليها، والآراء فقد شغلنى المُصاب عنها ؛ وأمّا لائح الأمر فإنّه إن وقع آتّفاق فما عدمتم إلا شخصَه الكريم ، وإن كان غير ذلك فالمصائبُ المستقبلة أهونها موتُه، وهو الهول العظيم والسلام » . اِنتهى كلام القاضى الفاضل بما كتبه للملك الظاهر .

قال آبن خلّكان : « وآستمرّ السلطان صلاح الدين مدفونًا بقلعة دمشق إلى أن بُنِيت له قُبّة شمالىّ الكَلّاسَة [4] التى هى شمالىّ جامع دمشق، ولها بابان ، أحدهما إلى الكَلّاسَة والآخر فى زُقاق غير نافذ ؛ وهو مجاور المدرسة العزيزيّة . ثم نُقِل من مدفنه بالقلعة إلى هذه القُبّة فى يوم عاشوراء فى يوم الخميس من سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة . ثم إنّ ولده الملك العزيز عثمان لمّا ملك دمشق من أخيه الملك الأفضل بنى إلى جانب هذه القُبّة المدرسة العزيزيّة » . قلت : فى أيّامه بَنَى الخصىّ

---

(١) كذا فى عقد الجمان ومرآة الزمان . وفى الأصل وابن خلكان : «وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة» . وانظر هذا الكتاب فى هذين الكتابين ففيه اختلاف وزيادة عما فى الأصل .

(٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) فى الأصل : « ولا ملك يرد القضاء » .

(٤) فى الأصل : «الكناسة» . وما أثبتناه عن ابن خلكان والسيرة وشرح القاموس .

بهـاء الدين قَـرَاقُوش قَلْعَـة الجبل[1] ثم قلعة المَقْس[2] ثم سُورَ القاهرة، وذَرْعُ السور المذكور[3] سبعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع .

قال ابن خلّكان : «وكان السلطان صـلاح لمّـا ملك الديار المصرية لم يكن بهـا شيء من المدارس ، فإنّ الدولة المصريّة كان مذهبها مذهب الإماميـة[4] ، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء[5]، فعمّر السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة

(١) قلعة الجبل : هذه القلعة لا تزال موجودة إلى اليـوم قائمة بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة منفصلة من جبل المقطم شرق القاهرة تشرف على ميدان صلاح الدين بل على القاهرة كلها ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٢ هـ . وكان يقيم بها بعض الأيام . وسكنها ابنه الملك العزيز عثمان فى أيام أبيه مدّة ثم انتقل منها إلى دار الوزارة . ولمـا تولى الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سلطنة مصر أتم بناء القلعة فى سـنة ٦٠٤ هـ ، وأنشأ بها الدور السلطانية . وقد استمرت من ذاك الوقت دار مملكة مصر حيث كان بها الدورَ السلطانية ودور دواوين الحكومة الى زمن الأسرة المحمدية العلوية . وفى عهـد الخديوى إسماعيل نقل من القلعة ما كان باقيا بها من تلك الدور والدواوين إلى دور أخرى بالمدينة . وقد أنشأ محمد على باشا الكبير والى مصر فى هذه القلعة أبنية كثيرة فى مقدّمتها جامعه الفخم الذى يشرف على المدينة وضواحيها ، ثم سراى الجوهرة وأبنية الدواوين القـديمة وثكنات العسكر وغيرها من المبانى التى لها علاقة بالأعمال الحربية . ولا تزال القلعة الى اليوم يسكنها العسكر وبها من الآثار بئر يوسف التى أنشأها الملك الناصر يوسف صلاح الدين ومسجد قديم أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٨ هـ ، ولا يزال قائما بجوار جامع محمد على باشا . ويوجد فى الزاوية البحرية الشرقية من القلعة جامع قـديم يعرف باسم سيدى سارية أنشأه فخر الدين أبو منصور قسطة الأرمنى فى سنة ٥٣٥ هـ . ثم جدده سليمان باشا الخادم والى مصر سنة ٩٣٥ هـ أثناء ولايته الأولى على مصر (راجع ص ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ من الجزء الثانى من الخطط المقريزية عند الكلام على القلعة وما كان عليه موضعها) .

(٢) قلعة المقس : راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) الذى تقدم فى الجزء الرابع ص ٤٠ من هذه الطبعة أن طول السور تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعان .

(٤) الإمامية هم القائلون بإمامة على بن أبى طالب بعد النبى عليه الصلاة والسلام . (عن الملل والنحل للشهرستانى) . (٥) نص الجبرتى بصريح اللفظ فى الجزء الثانى من كتابه عجائب الآثار فى ترجمة الأمير عبـد الرحمن كتخدا القازدغلى : أن الأمير المذكور عمّر المسجد المجاور لضريح الإمام الشافعى فى مكان المدرسة الصلاحية التى أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ . ومن هذا يعلم أن مدرسة صلاح الدين التى تعرف بالمدرسة الصلاحية بجوار قبة الامام الشافعى — وكانت تاج المدارس بل أعظمها قدرا لشرفها بجوار الامام الشافعى — محلها اليوم جامع الإمام الشافعى — رضى الله عنه — . ويؤيد الجبرتى فى ذلك ما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على المدرسـة الناصرية بالقرافة ، ومما ذكره السخاوى فى كتاب التبر المسبوك ، ومـا ذكره جلال الدين السيوطى فى الجزء الثانى من كتاب حسن المحاضرة فى كلامه على المدرسة الصلاحية .

المجاورة للإمام الشافعيّ — رضى الله عنه — وبنى مدرسة[1] مجاورة للشهد المنسوب للحسين ابن علىّ — رضى الله عنهما — بالقاهرة . وجعل دار سعيد السّعداء خادم الخلفاء المصريّين خانقاه[2]، ووقف عليها وقفا هائلا، وكذلك وقف على كلّ مدرسة عمّرها وقفا جيّدا، وجعل دار عبّاس الوزير العُبَيْدى مدرسة للحنفيّة[3]، وأوقف عليها وقفا جيّدا أيضا وهى بالقاهرة، وبنى المدرسة التى بمصر المعروفة [بابن][4] زين التجّار للشافعيّة، ووقف عليها وقفا جيّدا ، وبنى بالقصر داخل القاهرة بِمَارِسْتَانًا[5] ، وأوقف له وقفا جيدا، وله بالقُدْس مدرسة وخانقاه .

قال ابن خلّكان : « ولقد فكّرت فى نفسى فى أمور هذا الرجل، وقلت : إنه سعيد فى الدنيا والآخرة ، فإنّه فعل فى الدنيا هذه الأفعال المشهورة من الفتوحات الكثيرة وغيرها، ورتّب هذه الأوقاف العظيمة، وليس شىء منسوبا إليه فى الظاهر،

(١) بعد أن تكلم المقريزى فى الجزء الأول ص ٤٢٧ من خططه على الخزائن التى كانت بالقصر الكبير تكلم أيضا على المشهد الحسينى، ويستفاد مما ذكره أن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ملك مصر جعل بالمشهد الحسينى حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقيه البهاء الدمشقى ، وكان يجلس للتدريس فيها عند المحراب الذى من خلفه الضريح. ولما آل أمر المشهد الى الوزير معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ ابن حمويه بنى به إيوان التدريس. ومن هذا يتضح أن مدرسة صلاح الدين التى كانت بجوار المشهد الحسينى بالقاهرة أصبحت اليوم ضمن المسجد الحسينى الشهير باسم جامع سيدنا الحسين ، ومحلها فى الإيوان الشرقى عند المحراب الحالى للجامع . (٢) خانقاه سعيد السعداء : هذه الخانقاه سبق الكلام عليها بصفحة ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٠ ، والسطر الثالث ص ٣١٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) زيادة عن المقريزى . وهذه المدرسة هى بذاتها المدرسة الشريفية التى سبق الكلام عليها بصفحة ٣٨٥ بالجزء الخامس من هذه الطبعة باسم مدرسة للشافعية. ويستفاد مما ذكره المقريزى بالجزء الثانى ص ٣٦٣ من خططه عند الكلام على المدرسة الناصرية التى بجوار الجامع العتيق بمصر أن هذه المدرسة عرفت أولا بالمدرسة الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار نسبة الى أبى العباس أحمد بن المظفر ابن الحسين الدمشقى المعروف بابن زين التجار أحد علماء الشافعية ، ودرس بهذه المدرسة مدّة طويلة فعرفت بأسمه . ومات رحمه الله فى ذى القعدة سنة ٥٩١ هـ، ثم عرفت بعد ذلك بالمدرسة الشريفية وقد سبق الكلام عليها فى الحاشية رقم ١ ص ٣٨٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٥) هذا البيمارستان سبق الكلام عليه بالحاشية رقم ٣ صفحة ١٠١ بالجزء الرابع من هذه الطبعة باسم البيمارستان العتيق .

فإنّ المدرسة التى بالقرافة ما يسمّونها الناس إلّا بالشافعىّ، والمجاورة المشهد لا يقولون إلّا المشهد، والخانقاه لا يقولون إلّا سعيد السعداء، والمدرسة الحنفيّة لا يقولون إلا السيوفيّة، والتى بمصر لا يقولون إلّا مدرسة زَيْن التجّار، والتى بمصر أيضا مدرسة المالكيّة، وهذه صدقة السِّرّ على الحقيقة. والعجب أنّ له بدمشق فى جانب البِيمارِسْتان

٥ النُّورِىّ مدرسة أيضا، ويقال لها : الصلاحيّة، وهى منسوبة إليه وليس لها وقف.

قال : وكان مع هذه المملكة المتّسعة والسلطنة العظيمة كثير التواضع واللّطف قريبا من الناس رحيمَ القلب كثير الاحتمال والمداراة، وكان يحبّ العلماء وأهل الخير ويقرّبهم ويُحسن إليهم؛ وكان يميل إلى الفضائل، ويستحسن الأشعار الجيّدة ويردّدها فى مجالسه، حتّى قيل : إنّه كان كثيرًا ما يُنشد قول أبى المنصور محمد بن الحسين بن

١٠ أحمد بن الحسين بن إسحاق الحِمْيَرىّ، وهو قوله :

وزارنى طَيْفُ مَنْ أهوى على حَذَرٍ * من الوُشاة وداعِى الصبح قد هتفا

فكدتُ أوقظ مَنْ حولى به فَرَحًا * وكاد يَهْتِك سِتْرَ الحبِّ بى شَغَفا

ثم آنتبهتُ وآمالى تخيّل لى * نَيْلَ المنى فآستحالت غِبْطَتِى أَسَفا

وقيل : إنّه كان يُعجبه قول نَشْو المُلْك أبى الحسن علىّ بن مفرّج المعروف

١٥ بآبن المنجّم المغربىّ(١) الأصل المصرىّ الدار والوفاة، وهو فى خِضاب الشَّيْب وأجاد :

وما خضبَ الناسُ البياضَ لقُبْحِهِ * وأقبحُ منه حين يظهر ناصِلُهُ

ولكنّه مات الشبابُ فَسُوِّدت * على الرسم من حُزْنٍ عليه منازله

قالوا : فكان [إذا قال(٢) : مات الشباب] يُمسك كريمته وينظر إليها ويقول : إى والله مات الشباب! . وذكر العِماد الكاتب الأصبهانىّ فى كتابه الخريدة أنّ

٢٠ السلطان صلاح الدين فى أوّل ملكه كتب إلى بعض أصحابه بدمشق :

(١) فى ابن خلكان : « المعرى » . (٢) زيادة عن آبن خلكان .

أيها الغائبونَ عنّا و إن كنـ * ـتم لقلبى بذكركم جيرانَا

إنّنى مـذ فقدتكم لأراكم * بعيون الضمير عنـدى عِيَانا

قال ٱبن خلّكان : وأمّا القصيدتان اللتان ذكرتُ أنّ سِبْط بن التّعَاوِيذِىّ أنفذهما إليه من بغداد، وأنّ إحداهما وازَنَ بها قصيدة صَرّدرّ الشاعر[1]، وقد ذكرت منها أبياتا فى ترجمة الكُنْدُرِىّ[2] وأولها :

أكذا يُجازى ودّ كُلّ قرينِ * أم هـذه شِيمُ الظّباءِ العِينِ

ثم ذكر قصيدة سبط [بن] التّعَاوِيذِىّ . وهى على هذا الوزن أضربتُ عن ذكرها لطولها . ثم قال ٱبن خلّكان : وأمّا القصيدة الثانيـة (يعنى التى كتبها إليه الخليفة فى أوائل أمر صلاح الدين) قال : فمنها قوله :

حتّامَ أرْضَى فى هواكَ وتغضبُ * وإلى متى تَجْنِى علىّ وتَعْتِبُ

ما كانَ لى لولا مَلَالُك زلّةٌ * لمّـا مَلِلتَ زعمتُ أنّى مذنبُ

خذ فى أفانين الصدود فإنّ لى * قلباً على العِـلّات لا يتقلّب

أتظنُّنى أضمرتُ بعـدك سَلْوَةً * هيهات عطفُك من سلوّى أقربُ

لى فيك نار جوانح ما تنطـفى * حزنا وماء مدامع ما يَنْضُبُ

أنسيتَ أيّاما لنـا ولياليـاً * للّهـو فيها والبَطالَةِ مَلْعَبُ

أيامَ لا الواشى يعُـدّ ضلالةً * وَلَهِى عليك ولا العـذولُ يُؤنِّبُ

قد كنتَ تُنْصِفُنِى المودّةَ راكبا * فى الحبّ من أخطاره ما أركبُ

(١) هو الرئيس أبو منصور على بن الحسن بن الفضل الكاتب المشهور بصرّدرّ. وقد ذكر المؤلف وفاته سنة ٤٦٥ ﻫ (ج ٥ ص ٩٤) من هذه الطبعة . (٢) هو أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندرى ، كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة . استوزره السلطان طغرلبك السلجوقى . وقد ذكر المؤلف وفاته سنة ٤٥٧ ﻫ (ج ٥ ص ٧٦) من هذه الطبعة . وفى الأصل هنا : «الكندى» وهو خطأ . وما أثبتناه عن ابن خلكان وديوان سبط بن التعاويذى .

والیوم أقنع أن یمرّ بمضجعی * فی النوم طَیْفُ خیالكَ المتأوِّبُ
ما خلتُ[(١)] أنّ جدید أیّام الصّبا * یَبْلَی ولا ثوبَ الشّبیبة یُسْلَبُ
حتّی ٱنجلی لیلُ الغَوایة وٱهتدی * ساری الدجی وٱنجاب[(٢)] ذاك الغَیْهَبُ
وتنافر البِیضُ الحِسان فأعرضتْ * عنّی سُـــعاد وأنكرتْنِی زینبُ
قالت وریعتْ من بیاض مَفارِقی * ونحولِ جسمی بان منك الأطیب
إن تُنْكِری سُقْمِی فخصرُكِ ناحلٌ * أو تُنْكِری شیبِی فثغرُكِ أشنبُ
یا طالبًا بعـــد المشیب غَضارةً * من عیشه ذَهَب الزمانُ المُذْهَبُ
أتروم بعـــد الأربعین تَعُدُّها * وصلَ الدُّمَی هیهات عزّ المطلبُ

والقصـــیدة طویلة ذكرها ٱبن خلّكان، وقد نقلتها من خط عَسر. ثم قال
١٠ ٱبن خلّكان : وقـــد مدحه جمیع شعراء عصره، فمنهم العَلَم الشّاتَانِیّ[(٣)] وٱسمه الحسن — رحمه الله — مدحه بقصیدة أوّلها :

أَرَی النصر مقرونًا برایتك الصُّفْرَا * فسِرْ وٱمْلِكِ الدنیا فأنت بها أحری

ومدحه المهذَّب أبو حفص عمر بن محمد بن علیّ بن أبی نصر المعروف بٱبن الشِّحْنَة الموصلیّ الشاعر المشهور بقصیدته التی أوّلها :

١٥ سـلام مَشُوقٍ قد بَرَاه التشوُّقُ * علی جِیرة الحیّ الذین تفرّقـوا

وعدد أبیاتها مائة وثلاثةَ عشَرَ بیتا، وفیها البیتان السائران أحدهما :

وإنّی ٱمرُؤٌ أحببتُكم لمكارمٍ * سمعت بها والأُذْنُ كالعین تَعْشَقُ

(١) روایة هذا البیت فی الدیوان :
ما خلت أوراق الصبا تذوی نضا * رتها ولا ثوب الشـــبیبة یسلب
٢٠ (٢) فی الأصل : « وٱنساب » وهو تحریف . وما أثبتناه عن ابن خلكان والدیوان .
(٣) الشاتانی، نسبة إلی شاتان : قلعة بدیار بكر، وهو الحسن بن علی بن سـعید بن عبد الله أبو الحسن علم الدین . كان أدیبا شاعرا فاضلا . وكانت وفاته سنة ٥٧٩ ه كما فی یاقوت أو سنة ٥٩٩ ه كما فی ابن خلكان . وفی الأصل : « السامانی » وهو تحریف .

وقد أخذ هذا المعنى من قول بَشَّار بن بُرْد، وهو :

يا قوم أُذْنِي لبعض الحي عاشقةٌ * والأُذْنُ تَعْشَقُ قبل العَيْنِ أحيانا

والبيت الثاني من قول ابن الشِّحْنَة المذكور .

وقالت لى الآمال إن كنتَ لاحقًا * بأبناء أيُّوب فأنت الموفَّقُ

قال : ومدحه ابن قَلَاقِس[1] وابن الذِّرْوِىّ[2] وابن المنجّم[3] وابن سناء الملك[4] وابن الساعاتى[5] والإِرْبِلِىّ[6] ومحمد بن إسماعيل بن حمدان . انتهى ما أوردته من كلام ابن خلّكان ومن كلام ابن شدّاد وابن الأثير وابن الجوزِىّ وغيرهم باختصار .

وقال العلّامة أبو المظفّر في تاريخه مرآة الزمان : « ولمّا كان في سادس عشر صفر وجد السلطان كَسَلًا وحمّ حُمّى صفراوية، ثم ذكر نحوًا ممّا ذكره ابن شدّاد إلى أن قال : وأحضر الأفضلُ (يعنى ولده) الأمراءَ : سعد الدين مسعودا أخا بدر الدين مودود شِحْنة دِمَشق، وناصر الدّين صاحب صِهْيَوْن، وسابق الدين عثمان صاحب شَيْزَر ابن الداية، وميمونا القَصْرِىّ[7]، والبكى الفارسى، وأَيْبَك فُطَيْس، وحُسام الدين

(١) هو أبو الفتوح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف بن على بن عبد القوى بن قلاقس القاضى الأعز الشاعر المشهور الاسكندرى الأزهرى، كان شاعرا مجيدا، وفاضلا نبيلا. توفى ثالث شوال سنة ٥٦٧ ﻫ (عن ابن خلكان).

(٢) الذّروىّ : نسبة الى ذروة، بلد باليمن، وهو وجيه الدين على بن الحسين ابن الذّروىّ أبو الحسن من مشاهير الشعراء بمصر.

(٣) هو نشو الملك أبو الحسن على بن مفرج المعروف بابن المنجم (عن ابن خلكان) وكما تقدم للؤلف ص ٥٦ من هذا الجزء.

(٤) هو أبو القاسم القاضى السعيد ابن سناء الملك هبة الله ابن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك الشاعر المشهور المصرى صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء — وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٠٨ ﻫ. (عن شذرات الذهب وابن خلكان).

(٥) هو بهاء الدين على بن محمد بن رستم بن هردوز المعروف بابن الساعاتى المصرى، شاعر مبرز فى حلبة المتأخرين، له ديوان شعر أجاد فيه كل الإجادة، وديوان آخر لطيف، سماه مقطعات النيل. توفى سنة ٦٠٤ ﻫ (عن ابن خلكان وشذرات الذهب).

(٦) هو محمد بن يوسف بن محمد الملقب موفق الدين الإربلىّ الشاعر المشهور كان إماما مقدما فى علم العربية، ومن أعلم الناس بالعروض وأحذقهم بنقد الشعر، وأعرفهم بجيده من رديئه، واشتغل بعلوم الأوائل. أقام بشهرزور مدة ثم رحل الى دمشق ومدح السلطان صلاح الدين. توفى سنة ٥٨٥ ﻫ (عن عقد الجمان).

(٧) فى الأصل : «وعون الدين القصرى». وما أثبتناه عن مرآة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان.

بِشارة، وأسامة الحلبيّ[1] وغيرهم، فاستحلفهم لنفسه . وكان عند السلطان أبو جعفر إمامُ الكَلّاسَة يقرأ القرآن، فلمّا آنتهى إلى قوله تعالى : ﴿هُوَ آللَّهُ آلَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ، وكان قد غاب ذهنه فتح عينيه ، وقال : صحيح . ثم قال أبوالمظفَّر: وغسّله آبنُ الدَّوْلَعِىّ ، وصلّى عليه القاضى محيى الدّين بن الزَّكِىّ . وبعث القـاضى الفاضل له الأكفان والحنوط من أجلّ الجهات . ثم قال : « وقال العماد الكاتب : دخلنا عليه ليلة الأحد للعيادة، ومرضه فى زيادة؛ وفى كلّ يوم تضعف القلوب، وتتضاعف الكروب؛ ثم آنتقل من دار الفناء، إلى دار البقاء، سَحَر يوم الأربعاء؛ ومات بموته رجاء الرجال، وأظلم[2] بغروب شمسه فضاء الإفضال . ورثاه الشعراء؛ فمن ذلك قول بعضهم[3] :

شَمْلُ[4] الهُـدَى والملكِ عمّ شتاتُه * والدهرُ ساء وأقلعتْ حسـناتُهُ
بالله أين النـاصر الملك الذى * لله خالصــةً صـفتْ نيّـاتُهُ
أين الذى [مذ][5] لم يزل مخشيّــةً * مرجــوّةً رَهَبـاتُه وهِبَـاتُهُ
أيـن الذى كانت له طاعاتُنـا * مبــذولةً ولربّه طـاعاتُهُ
أين الذى ما زال سـلطاناً لنـا * يُرْجَى نداهُ وتُتّــقَى سَـطَواتُهُ
أين الذى شَرُفَ الزمان بفضــله * وسَمَتْ على الفضــلاء تشريفاتُهُ

---

(١) فى الأصل : « أسامة الجبلى » . (٢) كذا فى الفتح القسى ومرآة الزمان . وفى الأصل : « أغرب » . (٣) هو العماد الكاتب الأصبهانى ختم بهـا مؤلفه « البرق الشامى » كما فى حسن المحاضرة للسيوطى والروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان . (٤) رواية هذا البيت فى الأصل :

شمل الهوى والملك عمّ شتاته * والدهر سـاء وقلت حسناته

والتصويب عن مرآة الزمان وحسن المحاضرة للسيوطى والروضتين وعقد الجمان .

(٥) رواية البيت فى الأصل هكذا :

أين الذى لم تزل مخشـوّة * مرجوة هبـاته وهبـاته

والتصويب عن الروضتين .

لا تحسبوه مات شخصا واحدا * قد عَمّ[(١)] كلَّ العالمين مماتُهُ

ملِكٌ عن الإسلام كان محاميًا * أبدًا لماذا أسلمته حُماتُهُ

قد أظلمتْ مذ غاب عنّا دُورُه * لمّا خلتْ من بدْرِه داراتُهُ

دُفِن السماحُ فليس تُنْشَرُ بعدما * أودَى إلى يوم النشور رُفاتُهُ

الدين بعد أبي المظفّر يوسفٍ * أقْوتْ[(٢)] قُراه وأقفرتْ ساحاتُهُ

بحرٌ خلا من وارديه ولم تزل * محفوفةً بوروده حافاتُهُ

مَن لليتامى والأرامل راحمٌ * متعطّفٌ مفضوضةٌ صدقاتُهُ

لو كان في عصر النبيّ لأُنْزِلت * في ذِكْره من ذكْره آياتُهُ

بكت الصوارم والصواهل إذخلتْ * من سَلِّها[(٣)] وركوبها عَزَماتُهُ

يا وحشةَ الإسلام حين تمكّنت * من كلّ قلب مؤمن روعاتُهُ

يا راعيًا للدين حين تمكنت * منه الذئاب وأسلمتهُ رُعاتُهُ

ما كان ضرّك لو أقمتَ مراعيًا * دينا تولّى مذ رحلتَ وُلاتُهُ

فارقتَ مُلكًا غيرَ باقٍ متعِبًا * ووصلتَ مُلْكا باقيا راحاتُهُ

فعلى صلاح الدينِ يوسفَ دائمًا * رِضْوانُ ربِّ العرشِ بل صلواتُهُ[(٤)]

---

(١) رواية مرآة الزمان: « لا بل عم كل ... الخ » . ورواية الروضتين وعقد الجمان :

* فبات كل العالمين مماته *

(٢) في الأصل : « أقوت قواه » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٣) رواية الأصل : * من سبلها وركو بها عزماته * ورواية الروضتين :

* من سبلها وركو بها غزواته * وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان .

(٤) وهي قصيدة طويلة ، قال صاحب مرآة الزمان : « إن عدد أبياتها مائتان وعشرون بيتا » . وقال صاحب الروضتين : « إنها مائتان واثنان وثلاثون بيتا » . وفي حسن المحاضرة للسيوطي وعقد الجمان : « إنها مائتان وثلاثون بيتا » .

ذكر أولاد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب — رحمه الله —

كانوا ستة[1] عشر ذكرا وآبنــة واحدة ، أكبرُهم الأفضل علىّ ، وُلِد بمصر سـنة خمس وستين يوم عيد الفطر . وأخوه لأبيه وأمّه الملك الظافر خضر، ولِد بمصر سنة ثمان وستين . وأخوهما أيضا لأبيهما وأمّهما قطب الدين موسى، ولِد بمصر سـنة ثلاث وسبعين . فهؤلاء الثلاثة أشـقّاء . ثم الملك العزيز عثمان الذى ملك مصر بعد أبيه ، ولِد بها سنة سبع[2] وستين . وأخوه لأبيه وأمّه الأعز يعقوب، ولِد بمصر سنة آثنتين وسبعين . والملك الظاهر غازى صاحب حلب ، ولِد بمصر سنة ثمـان وستين . وأخوه لأبيـه وأمّه الملك الزاهر داود ، ولِد بمصر سـنة ثلاث وسبعين . والملك المعز إسحاق، ولِد سنة سبعين . والملك المؤيّد مسعود، ولِد بدمشق سـنة إحدى وسبعين . والملك الأشرف محمد ، ولِد بالشام سـنة خمس وسبعين . وأخوه أيضا لأبيـه وأمّه الملك المحسن أحمد ، ولِد بمصر سـنة سـبع وسبعين . وأخوه أيضا لأبيه وأمّه الملك الغالب ملكشاه، ولِد بالشام سنة ثمان وسبعين . وأخوهم أيضا لأبيهم وأمّهم أبو بكر النصر[3]، ولد بحَرّان بعد وفاة أبيه سـنة تسع وثمـانين . والبنت مؤنسة خاتون تزوّجها آبن عمّها الملك الكامل — الآتى ذكره — ابن الملك العادل وماتت عنده .

وملك بعـد السلطان صلاح الدين مصرَ آبنُـه الملك العزيزُ عثمان الآتى ذكره إن شاء الله تعالى وملك دمشقَ بعده آبنُه الملك الأفضـل علىّ، وملك حلبَ آبنـه

---

(١) كذا فى الأصـل ومرآة الزمان . وفى الروضتين والسـيرة والفتح القسى وعقـد الجمان : « سبعة عشر » . لم يذكر المؤلف منهم الا ثلاثة عشر . وبقيتهم كما فى الروضتين : الجواد أبو سعيد أيوب ركن الدين . والأشرف المعظم أبو منصور توران شاه فخر الدين . وعماد الدين شادى . ونصرة الدين مروان .

(٢) فى الأصل : « سنة تسع وستين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان ومرآة الزمان والروضتين .

(٣) فى مرآة الزمان : «وأبو بكر ويلقب بالبصرة» بالباء الموحدة . وفى الروضتين : «المنصور أبو بكر» .

الظاهر غازى كما كانوا أيام أبيهم . ثم وقع بين الملك العزيز والأفضل أمور نذكرها فيما يأتى إن شاء الله تعالى . انتهت ترجمة السلطان صلاح الدين — رحمه الله — . ونذكر الآن ما وقع فى أيامه من الحوادث، ومن تُوُفِّى من الأعيان فى زمانه على سبيل الاختصار على عادة هذا الكتاب . وبالله المستعان .

٥

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وستين وخمسمائة . (أعنى سلطنته بعد موت العاضد العُبَيْدىّ آخر خلفاء الفاطميّين بمصر) . وأمّا وزارته فكانت قبل ذلك بمدّة من يوم مات عمّه الملك المنصور أسد الدين شِيرِكُوه بن أيّوب فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة . وقد ذكرنا حوادث وزارته فيما مضى ، ونذكر الآن من يوم سلطنته بعد الخليفة العاضد (أعنى حوادث سنة سبع وستين وخمسمائة) . ١٠

فيها خطَب لبنى العباس بمصر وأبطل الخطبة لبنى عُبَيْد حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة العاضد ، وفى ترجمة صلاح الدين أيضا ؛ ولمّا وقع ذلك كتب العِماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين لنور الدين الشهيد يُخبِره بذلك : ١٥

قد خَطَبْنا للمستضىء بمصر * نائبِ المصطفى إمامِ العصرِ
ولدينا تضاعفتْ نعمُ اللّـ * ـه وجلّت عن كلّ عدٍّ وحَصْرِ
واستنارت عزائمُ الملك العا * دِل نورِ الدين الهُمَامِ الأغرّ

وفيها بعث الملك العادل نور الدين محمود المذكور بالبشارة للخليفة المستضىء على يد الشيخ شهاب الدين المطهّر بن شرف الدين بن أبى عَصْرُون، فلمّا وصل ٢٠

شهاب الدين المذكور للخليفة قال فى المعنى آبن الحَرَسْتَانِىّ[1] الشاعر المشهور قصيدة أوّلها :

جاء البشير فَسُرّ النـاس وآبتهجوا * فما على ذى سرورٍ بعـدها حَرَجُ

وخلَع الخليفةُ على شهاب الدين المذكور . ثم بعث جواب الملك العـادل على يد الخادم صَنْدَل[2] وعلى يديه الِخلعُ والتقاليدُ له ، وفى الِخلعة الطَّوْقُ وفيـه ألف دينار والفرجيّة والعِمامة ، ثم أرسـل مع الخادم المذكور لصـلاح الدين صاحب الترجمة خِلعًا دون خِلَـع[3] نور الدين . وبعث أيضا لنور الدين سيفا قلّده للشام ، ثم سيفا آخر قلّده بمصر ، ويكون صلاح الدين نائبه بمصر . وزُيِّنت بغداد وضُرِبت القِبابُ لذلك .

وفيها وقعت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين . هذا لأمر ذكرناه فى أوائل ترجمة صلاح الدين ، ثم سكن ذلك .

وفيها تُوُفّى حَسّان بن نُمَيْر الكلبىّ أبو النـدَى الشاعر المشهور المعروف بعَرْقَلَة الدمشقىّ ، ويقال له عرقلة من حاضرة دمشق ، كان شـيخا خليعا أعورَ مطبوعا لطيفا ظريفا ، كان آختصّ بالسلطان صلاح الدين وله فيه مدائح ، وله شـعر رائق كثير . من ذلك قصيدته المشهورة :

كتَم الهوى فوَشَتْ عليـه دموعُهُ * من حَرّ نارٍ تَحْتَويه ضـلُوعُهُ

صبّ تشاغَل بالربيـع وزهره * زمنا[4] وفى وجه الحبيب ربيعُـهُ

---

(١) الحرستانى : نسبة الى حرستا ، قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق على طريق حمص (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) هو عماد الدين صـندل ، كان من أكابر الخدم المقتفوىّ (عن عقد الجمان والروضتين) . (٣) عبارة تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين (نسخة فى مجلدين مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩ تاريخ) ، وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات : «وجمع له بين تقلد السيفين إشعارا بتقليده الإقليمين : الشام والديار المصرية» . (٤) كذا فى فوات الوفيات : وفى الأصل «قوم» . ورواية البيت فى عقد الجمان :

صب تشاغل بالحبيب وزهره * قـوم ... ... الخ»

يا لائمي فيمَن تمنَّع وصلُهُ * عن صَبِّه(١) أحلى الهوى ممنوعُهُ
كيف التخلُّص إن تَجنَّى أو جَنَى * والحسنُ شيءٌ ما يُرَدُّ شفيعُهُ
شمسٌ ولكن في فؤادي حرُّها * بدرٌ ولكن في القَباء(٢) طلوعُهُ
قال العواذل ما الذي آستحسنتَهُ * منه وما يَسْبِيك قلتُ جميعُهُ

وفيها تُوفّى عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد العلّامة أبو محمد المعروف بآبن الخشّاب النحويّ اللغويّ حُجّة العرب ، بَرَع في فنون العلوم وآنفرد بعلم النحو والعربيّة حتّى فاق أهلَ عصره .

وفيها تُوفّى عبد الله بن أحمد بن الحسين [بن أحمد(٣) بن الحسين] بن إسحاق أبو محمد الحِمْيَرِيّ(٤) ويعرف بآبن النَّقَّار(٥) الكاتب . وُلِد بطرابُلُس سنة تسع وسبعين وأربعمائة . ولمّا آستولى الفرنج على طرابلس آنتقل منها إلى دِمشق ، وكان شاعرًا ماهرًا . ومن شعره — رحمه الله — القصيدة المشهورة التي أوّلها :

بادِر إلى اللَّذاتِ في أزمانها * وآركُضْ خيولَ اللَّهو في مَيْدانِها
وآستقبِلِ الدنيا بصدرٍ واسعٍ * ما أوسعتْ لك من رحيبِ مكانها

وله :

اللهُ يعلم أنّني ما خِلْتُهُ * يَصبو إلى الهِجْران حين وصلْتُهُ
مَنْ مُنصِفي من ظالمٍ مُتَعَنِّتٍ(٦) * يزداد ظلمًا كلّما حكّمتُهُ

(١) في الأصل وعقد الجمان : « عن بغيّي » . وما أثبتناه عن فوات الوفيات .
(٢) رواية عقد الجمان : * بدر ولكن في القلوب طلوعه *
(٣) التكلة عن تهذيب تاريخ ابن عساكر .
(٤) كذا في الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفي تهذيب تاريخ ابن عساكر : « الحبدى » .
(٥) في الأصل : « ابن النيار » وفي عقد الجمان : « ابن البقار » . والتصويب عن مرآة الزمان وتهذيب تاريخ ابن عساكر والخريدة للعماد الكاتب .
(٦) في الأصل : « متعَتَّب » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

ملكتُـه رُوحى ليحفــظ مِلْكَهُ * فأضاعنى وأضـاع ما ملكتُهُ
لا ذنبَ لى إلّا هـــواه لأنّه (١) * لمّـا دعانى للسّـــقام أجبتُـهُ

وفيها توفّى العاضد خليفةُ مصر، حسب ما ذكرناه فى ترجمته .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو علىّ أحمد بن محمد ابن علىّ الرَّحْبِىّ الحرمىّ (٢) فى صـفر . وأبو محمد عبد الله بن منصور بن المَوْصِـلىّ . وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد [بن أحمد] (٣) بن الخشّاب النحوىّ . والعاضـد عبدالله بن يوسف بن الحافظ العُبَيْدِىّ فى المحرّم، وآنقضت دولة الرَّفْض عن مصر . وأبو الحسن علىّ بن عبـد الله بن خَلَف بن النِّعْمَــة الأندلُسىّ بِسَبْتَة (٤) فى رمضان . وأبو المطهّر القاسم بن الفضل بن عبد الواحد الصَّيْدَلانِىّ بأصبهان فى جمادى الأولى، وقد نيّف على التسعين . وأبو المظفّر محمد بن أسعد [بن محمد بن نصر] (٥) بن حكيم العراقىّ الواعظ شيخ الحنفيّة بدمشق . وأبو المكارم المبـارَك بن محمد بن المُعَمَّر البَادَرَايِىّ (٦) . وأبو العلاء وجيه بن عبد الله السَّقَطِىّ . وأبو بكر يحيى بن سَعْدُون القُرْطُبِىّ الأَزْدِىّ (٧) ونزيل الموصل يوم الفطر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشرون إصبعا .

(١) رواية الخريدة : «لأنى» .
(٢) فى المختصر المحتاج إليـه من تاريخ بغداد (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٤ تاريخ اختصار الذهبى و بخطه) وشذرات الذهب «الحريمى» .
(٣) الزيادة عما تقدّم ذكره للؤلف فى وفيات السنة .
(٤) فى شذرات الذهب : «الأندلسى البلنسى» .
(٥) التكملة : عن «الجواهر المضية فى طبقات الحنفية» . (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ م تاريخ) .
(٦) البادرايى : نسبة الى بادرايا، بليدة بنواحى واسطا (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٧) فى الأصل : «النمرى» . وما أثبتناه عن غاية النهاية فى القراءات وشذرات الذهب ومعجم البلدان لياقوت .

*
* *

السنة الثانية من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وستين وخمسمائة .

فيها سار الملك العادل نور الدين محمود صاحب دمشق إلى الموصل ، وصلّى بالجامع الذى بناه وسط المَوْصِل وتصدّق بمال عظيم . ولمّا علِم صلاح الدين صاحب الترجمة بتوجّهه إلى الموصل خرج بعساكره من مصر إلى الشام ، وحصر الكَرَك والشُّوبَك ونَهب أعمالَها؛ ثم عاد لمّا بلغه عَوْد نور الدين إلى الشام . وهذه أوّل غزوات صلاح الدين .

وفيها تُوُفّى الأمير نجم الدين أيّوب بن شادِى بن مَرْوان والد صلاح الدين المذكور . كان أميرًا عاقلًا حازما شجاعا جَوادا عاطفا على الفقراء والمساكين مُحبّا للصالحين ، قليل الكلام جدّا لا يتكلّم إلّا لضرورة . ولمّا قدِم مصرَ سأله ولدُه السلطان صلاحُ الدين صاحبُ الترجمة أن يكون هو السلطان، فقال : أنت أولى . وكان سبب موته أنّه ركب يوما وخرج من باب النّصر يريد الميدان[(1)]، فشبّ به فرسه فوقع على رأسه ، فأقام ثمانية أيام ومات فى ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحِجّة ، ودُفِن إلى جانب أخيه أسد الدين شِيرِكُوه بن أيوب فى الدار

---

(١) يستفاد مما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى (ص ٤٦٤) من خططه عند الكلام على المقابر التى خارج باب النصر: أن الميدان المذكور هو الذى كان يطلق عليه ميدان العيد حيث كان يوجد مصلى العيد خارج باب النصر . وكان هذا الميدان واقعا فى الجزء البحرى من ميدان القبق والميدان الأسود . ومحله اليوم المنطقة الواقعة بين باب النصر و باب الحسينية المشغولة بمقابر جبانة باب النصر التى يخترقها اليوم من الجنوب الى الشمال الشارع الذى فتحته مصلحة التنظيم باسم شارع نجم الدين صاحب الترجمة ، حيث سقط عن جواده فى تلك الجهة سنة ٥٦٨ هـ، وكان له بها مسجد ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه (ص ٤١٢) عند الكلام على المساجد .

السلطانية[١] ثم نقلا بعد سنتين[٢] إلى مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم . وكان آبنه السلطان، صلاح الدين قد عاد من الكَرَك فبلغه خبرُ موته فى الطريق ، فوجَد عليـه وتأسّف حيث لم يحضُره . وخلّف من الذكور ستة : السلطان صـلاح الدين يوسـف، وأبابكر العادل الآتى ذكره فى ملوك مصر، وشمس الدولة تُوران شاه وهو أكبر الجميع، ٥ وشاهِنْشَاه، وسيف الإسلام طُغْتِكين، وتاج الملوك بُورِى وهو الأصغر .

وفيها تُوفّى الحسن بن أبى الحسن صافى ملك النحاة مولى الحسين بن الأُرْمَوِىّ التاجر البغـدادىّ، قرأ النحو وأصـول الدين والفقـه والخلاف والحـديث وبَرَع فى النحو وفاق أهلَ زمانه، وسافر البـلاد وصنّف الكتب فى فنون العـلوم، من ذلك «المقامات» التى من جنس «مقامات الحَرِيرىّ» ؛ وكان يقول : مقاماتى جِدٌّ ١٠ وصـدق، ومقامات الحَرِيرىّ هَزْل وكَذِب . قلت : ولكن بين ذلك أهوال . ومن مصنّفاته كتاب أربعمائة كراسة، سمّاها «التذكرة السفرية»[٣] .

وفيها توفى سعد الدين بن علىّ بن القاسم بن علىّ أبو المعالى الكُتْبِىّ الحَظِيرِىّ الحنفىّ، كان شاعرا فاضلا . والحَظِيرة : قرية فوق بغداد وهى (بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء) وإلى هذه القرية ١٥ يُنسب كثير من العلماء . ومن شعر الحَظِيرىّ — رحمه الله تعالى وعفا عنه — :

صُـبحُ مَشِيبِى بدا وفارقنى * ليلُ شبابى فصِحْتُ وَا قَلَقِى
وصِرتُ أبكى دمًا عليـه ولا * بُدّ لصُبْح المَشِيب من شَفَقِ

(١) الدار السلطانية، هذه كانت ضمن القصر الكبير الشرقى الذى نزل به صلاح الدين عند توليته سلطنة مصر بعد موت الخليفة العاضد ، وكان دفن أسد الدين شيركوه وأخوه نجم الدين أيوب فى التربة التى كانت ٢٠ بقرب المشهد الحسينى . (٢) كذا فى تاريخ الواصلين . وفى الأصل : « سنين » .

(٣) كذا فى الأصل وتهذيب ابن عساكر . وفى بغية الوعاة : « التذكرة السنجرية » . ولم نعثر عليها فى كشف الظنون .

الدين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى نجم الدين أيّوب بن شادى والد الملوك . وملِك النحاة أبو نِزار الحسن بن صافى البغدادىّ بدمشق . وأبو جعفر محمد بن الحسن الصَّيْدَلانِىّ بأصبهان، وله خمس وتسعون سنة . وصالح ابن إسماعيل أبو طالب آبن بنت مُعَافَى المالكىّ مفتى الإسكندريّة — رحمه الله — .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثالثة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وستّين وخمسمائة .

فيها كتب صلاح الدين صاحب الترجمة لنور الدين يستأذنه فى إنفاذ جيش إلى اليمن فأذن له، فبعث صلاح الدين أخاه شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب، فسار إليها، وكان فيها عبد النبىّ بن مَهْدِىّ من أصحاب المصريّين[(١)]، وكان ظالمًا فاتكا، فحصَرَه شمس الدولة تُوران شاه فى قصره بزَبِيد[(٢)] مدّة، حتّى طلَب الأمان فأمّنه؛ فلمّا نزل إليه قيّده ووكّل به، وفتح صَنْعَاء وحصون اليمن والمدائن، يقال: إنّه فتح ثمانين حصنا ومدينة وآستولى على أموالها وذخائرها، وقَتَل عبد النبىّ المذكور . ووَلّى على زَبِيد سيف الدولة مبارك بن مُنْقِذ[(٣)]، وعزّ الدّين عثمان بن الزَّنْجِيلىّ[(٤)] على[(٥)] باقى البلاد .

(١) يريد بهم العبيديين . (٢) زبيد: مدينة مشهورة باليمن، أحدثت فى أيام المأمون وبإزائها ساحل غلافقة وساحل المندب . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى الأصل: «سنقر» . والتصويب عن تاريخ الواصلين والروضتين وتاريخ الأسلام للذهبى وابن الأثير ومرآة الزمان وعقد الجمان . (٤) فى إحدى روايتى آبن الأثير: «الزنجبيلىّ» . (٥) فى الروضتين وابن الأثير وتاريخ الواصلين وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان: «على عدن» .

وفيها قَبَض صلاحُ الدين على جماعة من أعيان الدولة العُبَيْديّة : مثل داعى الدُّعاة[(١)]، وعُمَارة اليَمَنِيّ وغيرِهما، بلغه أنّهـم يجتمعون على إثارة الفِتَن، وآتّفقوا مع السُّودَان وكاتبوا الفرنج، فقتل داعى الدعاة ، وصلب عُمَارة اليمنىّ . قال القـاضى شمس الدين آبن خلّكان : هو أبو محمد عُمَـارة بن أبى الحسن على بن زَيْدَان[(٢)] ابن أحمد بن محمد الحَكَمِيّ آليَمَنِيّ[(٣)]، الملقب نجم الدين الشاعر؛ وهو من جبال اليمن من مدينة مَرْطان[(٤)]، بينها و بين مكّة من جهة الجنوب أحد عشر يوما . وكان فقيها فصيحا، أقام بزَبِيد مدّة يُقرأ عليه مذهب الشـافعىّ ، وله فى الفرائض مصنّف مشهور باليمن، ومدح خلفاءَ مصر، فقرّبوه وأعطَوْه الأموال ، فكان عندهم بمنزلة الوزير، وكان أيضا معظَّما قبل ذلك فى اليمن؛ ثم ظهرت أمور آقتضت خروجه منها، فقدِم إلى مصر فى سنة خمسين وخمسمائة . وقيل : إنّ سبب قتله أنّه مدح تُوران شاه، وحرّضه على أخذ اليمن بقصيدة أوّلهـا :

العِـلْمُ مذ كان محتاجٌ إلى العَـلَمِ * وشَـفْرةُ السيف تَسْتَغْنِى عن القَلَمِ

إلى أن قال :

هذا آبنُ تُومَرْتَ قد كانت بدايتُهُ * كما يقول الوَرَى لَحْمًا على وَضَمِ

وكان أوّلُ هذا الدِّين من رجل * سعى إلى أن دَعَوْه سيِّدَ الأُمَمِ

قال العِماد الكاتب : اِتّفقت لعُمَارة آتّفاقات : منها أنّه نُسِب إليه قولُ هذا البيت فكان أحدَ أسباب قتله ؛ وأفتى قضاةُ مصر بقتله ،وقيل : إنّه لمـّا أمر صلاحُ الدين

---

(١) هو داعى الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى ، كما فى كتاب النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنىّ . (٢) فى الأصـل : « هو أبو محمـد عمارة بن أبى الحسن على بن زيد بن بدران بن أحـد بن محمـد الحلبى اليمنى » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقـد الجمان وشذرات الذهب . (٣) فى ابن خلكان وعقد الجمان : «أن وطنه من تهامة باليمن» .

(٤) هكذا ضبطت بالقلم فى النكت العصرية وعقد الجمان فى أكثر من موضع .

بصلبه ، مرُّوا به على دار القاضى الفاضل ، فَرَمَى بنفسه على بابه وطلب الدخول إليه ليستجيرَ به فلم يُؤذَن له ، فقال :

عبدُ الرحيم قد آحتجبْ * إنّ الخلاص من العجب

فصُلِب وهو صائم فى شهر رمضان .

٥ وفيها تُوفِّى السلطان الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر صاحب الشام ومصر المعروف بنور الدين الشهيد . قال آبن عساكر : « وُلِد سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وكان معتدل القامة أسمر اللّون واسع الجَبْهَة حسن الصورة ، لحيتُه شَعَرَاتٌ خفيفة فى حَنَكِه ، ونشأ على الخير والصلاح . وكان زَنْكِى يقدّمه على أولاده ، ويرى فيه مخايلَ النَّجَابة . وفتح فى أيام سلطنته نيِّفًا وخمسين حِصْنًا » .

١٠ قلت : ومصر أيضا من جملة فتوحاته ، وأيضا ما فتحه صلاح الدين من البلاد والحصون هو شريكه فى الأجر والثواب ، ولولاه إيش كان صلاح الدين ! حتّى ملك مصر من أيدى تلك الرافضة من بنى عُبَيْد خلفاء مصر وقوّة بأسهم ! . قلت : وترجمة الملك العادل طويلة ، يضيق هذا المحلّ عن ذكرها ، وأحواله أشهر من أن تُذكر . غير أنّنا نذكر مرض موته ووفاته . وكان آبتداء مرضه أنّه خَتَنَ ولده ١٥ الملك الصالح إسماعيل يوم عيد الفطر ، فهُنِّئ بالعيد والطهور ، فقال العماد الكاتب — رحمه الله — :

عِيدَانِ فِطْرٌ وطُهْرُ * فتحٌ قريب ونصرُ

كلاهما لك فيه * حقًّا هَنَاءٌ وأَجْرُ

ثم مرض بعد عَوْده من صلاة العيد بالخوانيق ، وما كان يرى الطبّ ؛ على قاعدة ٢٠ الأتراك ، فأُشير عليه بالفَصْد فى أوّل مرضه فآمتنع ؛ وكان مَهيبًا فما رُوجِع ؛ فمات يوم الأربعاء حادى عشر شوّال ، ودُفِن بالقلعة ، ثم نقل إلى مدرسته التى أنشأها مجاورة

الخواصين بدمشق . وعاش ثمانيا وخمسين سـنة . وكانت سلطنته ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر . ورثاه العماد الكاتب بعدّة مراثٍ؛ من ذلك قوله :

يا ملكًا أيّامُهُ لم تَزَلْ * لفضله فاضـلةً فاخرهْ

ملكتَ دنيـاك وخلّفتها * وسرتَ حتّى تملكَ الآخرهْ

قال أبو اليسر[(1)] شاكر بن عبـد الله [التّنوخيّ المعرّيّ][(2)] : تعـدّى بعض أمراء صلاح الدين بن أيّوب [على رجل][(3)] وأخذ ماله ، فجاء إلى صلاح الدين فلم يأخذ له بيده؛ فجاء إلى قبر نور الدين وشقّ ثيابه ، وحثا الترابَ على رأسه ، وجعل يستغيث : يا نور الدين أين أيّامك ! ويبكى . فبلغ صـلاحَ الدين فآستدعاه وأعطاه ماله ، فآزداد بكاؤه؛ فقال له صلاح الدين : مايُبكيك وقد أنصفناك ؟ فقال : إنّما أبكى على مَلِك أُنصِفتُ ببركاته وبعد موته ، كيف يأكله التراب ويفقده المسلمون ! . وتسلطن بعده ولده الملك الصالح إسماعيل ولم يبلغ الحُلُم . وقد مرّ من أخباره نبذةٌ كبيرة فى ترجمة صلاح الدين .

الذى ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى النقيب أبو عبد الله أحمد [بن علىّ][(4)] بن المعمّر العَلَوِىّ ببغداد فى جُمادى الأولى . والحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهَمَذانِىّ العطّار المقرئ فى جُمادى الأولى ، وله إحدى وثمانون سنة. ودَهْبَل بن علىّ [بن منصور بن إبراهيم بن عبدالله المعروف بآ][(5)] بن كَارَةَ الحنبلىّ . وناصح الدين سعيد بن المبارك بن الدهّان النحوىّ ببغداد ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو تميم سَلْمان بن علىّ الرَّحَبِىّ الخبّاز بدمشق . وعبد النبى بن المَهْدِىّ صاحب اليمن ،

(1) فى الأصل : « أبو القاسم » والتصويب عن مرآة الزمان والروضتين . (2) الزيادة عن تاريخ ابن عساكر والروضتين ومرآة الزمان . (3) فى الأصل : « فى أخذ ماله » . والتكلة والتصحيح عن مرآة الزمان . (4) التكلة عن ابن الأثير وشذرات الذهب والمنتظم وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وعقد الجمان . (5) الزيادة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

وكان باطنيا آستأصله أخو صلاح الدين . وأبو الحسن علىّ بن أحمد الكتّانىّ القُرْطُبىّ بفاس، وله ثلاث وتسعون سنة . والفقيه عُمَارة بن علىّ بن زَيْدان اليمنىّ الشاعر؛ شُنِق فى جماعة سَعَوْا فى إعادة الدولة العُبَيْدِيّة . والسلطان نور الدين محمود بن زَنْكِى الأَتَابَكىّ بن آق سُنْقُر التركىّ المَلِكْشاهِىّ فى شوّال ، وله ثمان وخمسون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وستّ عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

*
* *

السنة الرابعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبعين وخمسمائة .

فيها ملك السلطان صلاح الدين دِمَشْق من الملك الصالح آبن الملك العادل نور الدين محمود، حسب ماذكرناه فى ترجمته . وكان أخذه لدمشق بمكاتبة القاضى كمال الدين الشَّهْرُزُورِىّ و [صدّيق] (١) بن الجاولىّ والأعيان ، وكان بالقلعة رَيْحان الخادم، فعزم على قتاله ، فجهّز إليه عسكر دمشق، و ركب صلاح الدين من الجسور، فآلتقاه أهل دمشق بأسرهم وأحدقوا به ، فنثَر عليهم الدراهم والدنانير، ودخل دمشق فلم يُغلق فى وجهه باب ولا منعه مانع، فملكها عِنايةً لا عَنْوَةً .

وفيها آستخدم صلاحُ الدين العِمادَ الكاتب الأصبهانىّ، وسببه أنه آلتقى بالقاضى الفاضل ومدحه بأبيات منها :

عاينتُ طَوْدَ سكينةٍ ورأيتُ شمـ * ـسَ فضيلةٍ ووردتُ بَحْرَ فَواضِلِ (٢)
ورأيتُ سَحْبَان البلاغة ساحبًا * ببيانه ذيلَ الفخار لوائلِ

(١) التكملة عن عقد الجمان . ويستفاد مما ذكره صاحب العقد أن صديق بن الجاولى هذا كان من جملة رسل شمس الدين صاحب بصرى إلى صلاح الدين ليدعوه لفتح دمشق .
(٢) فى الأصل : « بحر فضائل » . وما أثبتناه عن الروضتين وعقد الجمان .

حِلْفُ [الحَصَافةِ] (١) والفصاحة والسما * حة والحماسة والتُّقى والنَّائِلِ
بحرٌ من الفضل الغزيرِ خِضَمُّهُ (٢) * طامِي العُبابِ وماله من ساحِلِ
فى كفِّه قلمٌ يعجِّل جريه * ما كان من أجلٍ ورزقٍ آجلِ
أبصرتُ قُسًّا فى الفصاحة معجزًا * فعرفتُ أنِّى فى فَهَاهة باقِلِ

فدخل القاضى الفاضل على السلطان صلاح الدين وقال : غدًا تأتيك تراجمُ الأعاجم، وما يحلّها مثل العماد الكاتب . فقال : [مالى] (٣) عنك مندوحة، أنت كاتبى ووزيرى ، وقد رأيتُ على وجهك البَرَكة ، فإذا آستكتبتُ غيرَك تحدّث الناس ؛ فقال الفاضل : هذا يحلُّ التراجم ، وربّما أُغيبُ (٤) أنا ولا أقدر على ملازمتك ، فإذا غِبْتُ قام العمادُ الكاتب مُقامى ، وقد عرفت فضل العماد، وخدمته للدولة النورية، فآستكتبه .

وفيها تُوفِّى السلطان أرسلان (٥) شاه بن طُغْرِل [بن محمد] (٦) بن مَلِكشاه بن أَلْب أَرْسلان آبن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقَاق السَّلْجُوقى . وقام بعده فى الملك آبنه طُغْرِل شاه ، وكان صغير السِّن ، فتولّى تدبير ملكه محمد بن إيلدكز الأتابك وكان يلقّب بالبَهْلَوان .

وفيها تُوُفِّى يحيى بن جعفر أبو الفضل زعيم الدِّين ، صاحب مخزن الخلفاء: المقتفى والمستنجد والمستضىء ، وناب فى الوزارة ، وتقلّب فى الأعمال نيفًا

(١) التكملة عن الروضتين وعقد الجمان .
(٢) فى الأصل :
* بحر من البحر الخضم خضمه *
وما أثبتناه عن الروضتين وعقد الجمان .
(٣) فى الأصل : « فقال : منك مندوحة » . والتكملة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٤) فى الأصل : «أعيبت» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٥) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وعقد الجمان . وفى شذرات الذهب : أن وفاته كانت سنة ٥٧٣ هـ .
(٦) التكملة عن شذرات الذهب وآبن الأثير .

وعشرين سنة ، وكان حافظا للقرآن فاضلًا عارفا منصفا ، محبًّا للعلماء والصالحين ؛ ومات فى شهر ربيع الأوّل، وكانت جنازته مشهودةً . قال العماد الكاتب : جلس يومًا فى ديوان الوزارة فقام شهاب الدين بن الصَّيْفى[1] فأنشده :

لكلّ زمانٍ من أماثل أهلِهِ * برامِكةٌ يمتارهم كلُّ مُعْسِر[2]

أبو الفضل يحيي مثل يحيي بنِ خالدٍ * يداً[3] وأبوه جعفر مثل جعفرِ

ثم قام ثابت[4] الواعظ — رحمه الله — فأنشد بديهًا :

وفى الجانب الشرقىّ يحيي بنُ جعفر * وفى الجانب الغربىّ موسى بن جعفرِ

فذاك[5] إلى الله الكريم شفيعُنا * وهذا إلى المولى الإمامِ المطَهَّرِ

(يعنى ساكن الجانب الشرقىّ صاحب الترجمة، وبالجانب الغربىّ موسى بن جعفر الصادق) .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّى قاضى القضاة أبو طالب رَوْح بن أحمد الحَدِيثِىّ[6] ، وله ثمانٍ وستّون سنة . وفَخْرُ النساء خديجةُ بنت أحمد النَّهْرَوَانيّة فى شهر رمضان . وعبد الله [بن عبد الصمد][7] بن عبد الرّزاق السُّلَمِىّ العَطّار . وأبو بكر محمد بن علىّ بن محمد الطُّوسىّ . وأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل القَيْسِىّ مسند المغرب .

(١) فى الأصل : «جمال الدين بن الصيفى» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفى التميمى شهاب الدين المعروف بالحيص بيص . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٤ هـ. (٢) رواية شذرات الذهب : « ... كل معشر » . (٣) فى شذرات الذهب : « ندى ... الخ » . (٤) فى شذرات الذهب . «ناشب الواعظ» . (٥) كذا فى الأصل والمصادر التى تحت أيدينا ، وإن كان السياق يقتضى أن تكون الرواية :

فهذا إلى الله الكريم شفيعنا * وذاك ... ... الخ

(٦) الحديثى : نسبة الى حديثة الفرات ، وتعرف بحديثة النورة . (عن معجم البلدان لياقوت). وراجع الحاشية رقم ٤ ص ٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٧) التكملة عن المنتظم والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وعقد الجمان .

§ أمر النيـــل فى هذه السنة — المـاء القديم سبع أذرع و إحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .



السنة الخامسة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

فيها عزل الخليفةُ المستضىءُ بالله الحسنُ صندلَ الخادم[1] عن الأستادارية ، وضيّق على ولده الأمير أبى العبّاس أحمد ، لأمر بلغه عنهما ، وولّى [ابن[2]] الصاحب الأستادارية عوضا عن صندل المذكور .

وفيها وثبت الإسماعيليّة على السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب وهو على اعزاز ، جاءه ثلاثة فى زىّ الأجناد ، فضربه واحد بسكّين فى رأسه فلم يجرحه وخدشت السكّين خدّه وقُتِل الثلاثة ، فرحل صلاح الدين إلى حلب ، فلمّا نزل عليها بعث إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين محمود أخته بنت نور الدين فى الّليـل ، فدخلت عليه فقام قائمـا وقبّل الأرض لها وبكى على نور الدين ، فسألته أن يَرُدّ عليهم اعزاز ، فأعطاها إيّاها ، وقدّم لهـا من الجواهر والتُّحَف شـيئا كثيرا ، واتّفق مع الملك الصـالح أنّ من حَمَـاة وما فتحه إلى مصر له ، وباقى البلاد الحلبيّة للصالح .

وفيهـا قدم شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب أخو صلاح الدين من اليمن إلى دمشق فى سَلْخ ذى الحجّة .

وفيها فوّض سيفُ الدولة غازى أمرَ الموصل إلى مجاهد الدين قَيْماز الخادم .

(١) كذا فى الأصل ومرآة الزمان والمنتظم . وفى ابن الأثير : « سنجر المقتفوى » .
(٢) التكلمة عن المنتظم وابن الأثير . وهو أبو الفضل هبـة الله بن على بن هبة الله بن الصاحب .

وفيها تُوُفِّى علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الحافظ أبو القاسم الدمشقى المعروف بآبن عساكر، مولده فى أوّل المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. كان أحد أئمة الحديث المشهورين، والعلماء المذكورين، سمع الكثير وسافر، وصنّف تاريخا لدمشق، وصنّف كتبًا كثيرة، وكان إمامًا فى الفنون، فقيها محدّثا حافظا مؤرّخا. قال العماد الكاتب: أنشدنى لنفسه بالمِزّة[1]:

أيا نفسُ ويحَكِ جاء المشيبُ * فماذا التَّصَابِى وماذَا الغَزَلْ
تولّى شبابى كأنْ لَمْ يكنْ * وجاء مَشِيبِى كأنْ لم يَزَلْ
[كأنّى بنفسى على غِرّةٍ * وخَطْبُ المنونِ بها قد نَزَلْ][2]
فياليت شِعْرِىَ مِمّن أكون * وما قدّر الله لى فى الأزل

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى الحافظ ثِقَةُ الدِّين أبو القاسم علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر فى رجب، وله ثلاث وسبعون سنة إلا أشهرا. ومَجْدُ الدين أبو منصور محمد بن أسعد بن [محمد المعروف بـ] حَفَدَة[3] الطُّوسِىّ العَطَّارِىّ الشافعىّ الواعظ. وأبو حنيفة محمد بن عُبَيْد[4] الله الأصبهانىّ الخَطِيبىّ فى صفر. وأبو جعفر هبة الله بن يحيى بن البُوقِىّ[5] الشافعىّ.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وعشر أصابع.

(١) المزة: قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) الزيادة عن ابن خلكان وابن كثير وعقد الجمان.
(٣) فى الأصل: «محمد بن سعد بن جفدة». والزيادة والتصحيح عن المنتظم وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد. (٤) فى الأصل: «عبد الله». وما أثبتناه عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد. (٥) فى الأصل: «ابن البونى». وما أثبتناه عن طبقات الشافعية والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغدد. والبوقى: نسبة الى بوقة من قرى أنطاكية (عن معجم البلدان لياقوت).

* * *

السنة السادسة من ولاية السـلطان صـلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة آثنتين وسبعين وخمسمائة .

فيهـا تزوّج السلطان صلاح الدين يوسف بالخاتون عِصْمة الدّين بنت الأمير مُعين الدين أُنُر[1] زوجة الملك العادل نور الدين محمود، وكانت بقلعة دمشق .

وفيهـا كانت فتنة مقدّم السُّودان من صَعِيد مصر، سار من الصعيد إلى مصر فى مائة ألف أسْوَد، ليُعِيد الدولة المصريّة الفاطميّة، فخرج إليه أخو صلاح الدين الملك العـادل أبو بكر، وأبو الهيجاء الهَكَّارِىّ، وعزّ الدين مُوسَك بمَنْ معهم من عساكر مصر، وآلتقَوْا مع السُّودان، فكانت بينهم وقعة هائلة ، قُتِل كبير السودان المذكور ومَن معـه . قال الشيخ شمس الدين يوسف فى مرآة الزمان : « يقال إنهم قتلوا منهم ثمانين ألفا وعادوا إلى القاهرة » .

وفيها خرج السلطان صلاح من دمشق إلى مصر ، وآستناب أخاه شمس الدولة تُوران شاه على الشام . وجاءت الفرنج إلى داريّا[2] ، فأحرقوا ونهبوا وعادوا .

وفيها أمر السلطان صلاح الدين قَرَاقُوش الخادم بعمارة سور القاهرة ومصر ، وضيّع فيه أموالا كثيرة ولم ينتفع به أحد :

وفيها أبطل صلاح الدين المُكوسَ التى كانت تُؤخذ من الحاج بجُدَّة، ممّا يُحمل فى البحر، وعوّضَ صاحب مكّة عنها فى كلّ سـنة ثمانية آلاف إردبٍّ قمحًا تُحمل إليه فى البحر، [ويُحمل مثلُها][3] فتفرّق فى أهل الحرمين .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) داريا : قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة ، والنسبة اليها دارانى على غير قياس (عن معجم البلدان لياقوت).
(٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيها عمّر صلاح الدين مدرسة الشافعيّ[(١)] بالقرافة، وتولّى الشيخ نجم الدين الخُبُوشانيّ عمارتها . وعمّر البيمارستان[(٢)] في القصر، ووقف عليه الأوقاف .

وفيها حجّ بالناس من الشام قَيْماز النَّجْميّ .

وفيها تُوفّى علىّ بن منصور أبو الحسن السَّرُوجيّ الأديب، مؤدّب أولاد الأتابك زَنْكى بن آق سُنْقُر ، كان يأخذ الماء بفيه ويكتب به على الحائط كتابةً ٥ حسنة كأنّها كُتبت بقلم الطومار، وينقط ما يكتب ويشكله . ومن شعره في فصل الربيع وفضل دمشق، ومدح نور الدين قصيدة طنّانة أوّلها :

فصلُ الربيع زمانُ نَوْرُه نُورُ * أنفاسُ[(٣)] أشجاره مِسْكٌ وكافورُ

وفيها تُوفّى محمد بن مسعود أبو المعالى ، خرج إلى الحجّ في هذه السنة فتُوُفّى بفَنْد[(٤)]، كان أديبا فاضلا . ومن شعره هجْوٌ في قاض ولِىَ القضاء : ١٠

ولمّا [أنْ][(٥)] تولّيتَ القضايا * وفاض الجَوْرُ من كَفّيك فيضا

ذُبحتُ بغير سِكّينٍ وإنّى * لأرجو الذبح بالسّكّين أيضا

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل كمال الدين الشَّهْرُزُورىّ قاضى دمشق . مولده في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، كان إماما فاضلا فقيها مُفْتَنًّا ، كان إليه في أيّام نور الدين الشهيد مع القضاء أمرُ المساجد والمدارس ١٥ والأوقاف والحِسْبَة، والأمور الدينيّة والشرعيّة . وكان صاحب القلم والسيف، وكانت شِحْنَجِيَة دمشق إليه ، ولّى فيها بعض غلمانه ، ثم ولّاها نورُ الدين بعد ذلك

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٣) رواية عقد الجمان : * ونشر أزهاره ... الخ *

(٤) فند : اسم جبل بعينه بين مكة والمدينة قرب البحر (عن معجم البلدان لياقوت) . ٢٠

(٥) في الأصل : «ولما توليت القضاء» . والتكملة والتصحيح عن شذرات الذهب ومرآة الزمان وعقد الجمان .

لصلاح الدين يوسف بن أيّوب قبـل قدومه إلى مصر . وكان مع فضـله ودينه له الشعر الجيّد، وكان بينه و بين صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب الترجمة فى أيام نور الدين مضاغنة . ومن شعره :

وجاءوا عِشاءً يُهْرَعُون وقــد بدا * بجسمىَ من داء الصبابة ألوانُ
فقالوا وكلٌّ مُعْظِمٌ بعضَ ما رأى * أصابتك عينٌ قلت عَيْنٌ وأجفان

قلت : وهذا شبه قول القائل ولم أدرِ مَن السابق :

ولمّـا رَأَوْنِى العاذلون متــيّماً * كئيباً بمن أهوى وعقلىَ ذاهبُ
رَثَوْا لى وقالوا كنتَ بالأمس عاقلاً * أصابتْك عين قلت عينٌ وحاجبُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو [محمد](١) صالح ابن المبارك بن الرِّخْلة القزّاز . والمحدّث أبو [محمد](٢) عبد الله بن عبد الرحمن الأُمَوِىّ الدِّيباجىّ الأصبهانىّ العثمانىّ الإسكندرانىّ . وأبو الحسن علىّ بن عساكر(٣). وأبو بكر محمد بن أحمد بن ماه(٤) شاده الأصبهانىّ المقرئ، آخر من روى عن سليمان الحافظ . وقاضى الشام كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفَّر الشَّهْرُزُورِىّ فى المحرّم . والقاضى أبو الفتح نصر بن سَيّار بن صاعد الكِنَانِىّ الهَرَوِىّ الحنفىّ مُسْنِد خُراسان يوم عاشوراء، وله سبع وتسعون سنة .

§ أمر النيـــل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و إحدى وعشرون إصبعا .

---

(١) التكملة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وشذرات الذهب وعقد الجمان .

(٢) التكملة عن حسن المحاضرة للسيوطى وشذرات الذهب وعقد الجمان. (٣) بقية نسبه كما فى غاية النهاية وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وعقد الجمان : «أبو الحسن على بن عساكر بن المرحب ابن العوّام البطائحى الضرير المقرئ الحنبلى» . (٤) كذا فى الأصل . وفى شذرات الذهب : «ابن ماساده» . وفى هامشه نقلا عن زيادات السخاوى على نزهة الألباب لابن حجر العسقلانى : «ماشاذه» .

السنة السابعة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة .

فيها توفّى صَـدَقة بن الحسين بن الحسن أبو الفرج[1] الناسخ الحنبلىّ، كان يُعرف بابن الحَدّد ، كان فقيها مُفْتِنًا مناظرا . قال أبو المظفَّر: لكنّه قرأ «الشفاء»[2] وكتب الفلاسفة، فتغيّر آعتقاده، وكان يبدو من فلتات لسانه ما يدلّ على ذلك. ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

لا تَوطَّنها فليست بُمقـامْ * وآجتنبْها فهى دار الإنتقامْ
أتُراها صـــنعةً من صانعٍ * أم تُراها رميةً من غير رامْ

وفيها توفّى كُمُشْتِكين خادم السلطان نور الدين الشهيد . كان من أكابر خدّامه (أعنى مماليكه)، وكان ولّاه المَوْصِلَ نيابةً عنه . فلمّا مات نور الدين هَرب إلى حلب، وخدم شمس الدين آبن الداية ، ثم جاء إلى الملك الصالح آبن نور الدين الشهيد فأعطاه حارِم ، ثم غضِب عليه لأمر وطلب منه قلعة حارم بعـد أن قبض عليه، فامتنعوا أصحابه من تسليمها ، فعلّقه الملك الصالح مُنَكَّسا، ودخّن تحت أنفه حتّى مات .

وفيها توفّى محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفَّر، الوزير أبو الفرج آبن رئيس الرؤساء، ولقبُه عضد الدولة . وكان أبوه أستادار المقتفى وأقرّه المستنجد. فلمّا ولى المستضىء آستوزره، فشرع ظهير الدين [بن العطّار][3] أبو بكر صاحب المخزن فى عداوته،

(١) فى الأصل : «أبو الفتح» . والتصويب عن شذرات الذهب والمنتظم وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليه والبداية والنهاية لابن كثير . (٢) يريد كتاب الشفاء والحكمة للرئيس أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا الذى تقدّمت وفاته سنة ٤٢٨ هـ .

(٣) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . وسيذكر المؤلف ترجمته ووفاته سنة ٥٧٥ هـ .

حتّى غيّر قلبَ الخليفة عليــه ، فطلب الحجّ فأذِن له ، فتجهّز جَهَازا عظيما وآشترى سِتّمائة جمل لحَمْل المنقطعين وزادِهم ، وحَمَل معه جماعة من العلماء والزّهّاد ، وأخذ معه بِيمَارِسْتَانًا فيــه جميع ما يحتاج إليه ، وسافر بتجمّل زائد . فلمّا وصل إلى باب قَطُفْتَا[1] خرج إليه رجل صوفيّ بيــده قِصّة ، فقال : مظلوم ! فقال الغِلمان : هاتِ قِصّتك . فقال : ما أسلّمها إلّا للوزير . فلمّا دنا منه ضربه بسكّين فى خاصرته ، فصاح : قتلتنى ، وسقط من دابّته ، وبقِى على قارعة الطريق مُلْقًى ، وتفرّق من كان معه إلّا حاجبَ الباب ، فإنّه رمَى بنفســه عليه ، فضربه الباطنيّ بسكّين بجرحه ، وظهر للباطنيّ رفيقان فقتِلوا وأُحْرِقوا . ثم حُمِــل الوزير إلى داره فمات بها . وكان مشكورَ السِّيرة مُحَبّبا إلى الرعيّة ، غير أنّ القاضى الفاضل لمـّا بلغه خبرُ قتله ، أنشد :

وأحسنُ من نيل الوزارة للفتى * حيـاةٌ تُرِيه مَصْـــرَعَ الوزراءِ

وما ربّك بظلّام للعبيد . كان — عفا الله عنه — قد قتــل وَلَدَى الوزير آبن هُبَيْرة وخلقا كثيرا .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه الســنة ، قال : وفيها توفّى الوزير أبو الفرج محمد بن عبد الله آبن رئيس الرؤساء ، وثَبَتْ عليه الإسماعليّة فى ذى القعدة . وهارون ابن العبّاس أبو محمــد بن المأمونيّ صاحب التاريخ . وأبو شاكر يحيى بن يوسف السَّقْلَاطُونِيّ[2] .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المـاء القــديم خمس أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

---

(١) قطفتا : محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربى من بغداد مجاورة لمقبرة الدير (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) السقلاطونى : نسبة الى سقلاطون ، بلد بالروم تصنع فيــه الملابس الملوّنة بالألوان القرمزية . وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٨٠ من الجزء الرابع من هــذه الطبعة .

*
* *

السنة الثامنة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيوب على مصر، وهى سنة أربع وسبعين وخمسمائة .

فيها جرى بحث فى مجلس ظهير الدين بن العطّار [صاحب المخزن] (١)، فى قتال (٢) عائشة لعلىّ . فقال ابن البغدادىّ الحنفىّ : كانت عائشة باغيةً على علىّ، فصاح عليه ابن العطّار وأقامه من مكانه وأخبر الخليفة ، فجمع الفقهاء وسأل : ما يجب عليه؟ فقالوا : يُعزَّر . فقال ابن الجَوْزىّ : لا يجب عليه التعزير، لأنّه رجل ليس له علم بالنَّقْل ، وقد سمع أنّه جرى قتال ولم يعلم أنّ السفهاء أثاروه بغير رضا الفريقين ، وتأديبه (١) العفو عنه ، فأطلق .

وفيها توفّى سعد بن محمد بن سعد أبو الفوارس شهاب الدين [بن] (٣) الصَّيْفىّ التَّميمىّ، المعروف بالحَيْص بَيْص، كان شاعرا فاضلا، مدح الخلفاء والوزراء والأكابر، وله ديوان شعر ، وكانت وفاته ببغداد فى شعبان . وسبب تسميته بالحيص بيص أنّه رأى الناس فى يوم حركة فقال : ماللناس فى حيص بيص ! فغلب عليه هذا اللقب . ومعنى هاتين الكلمتين : الشدّة والاختلاط . تقول العرب : وقع الناس فى حيص بيص [أى (٤) فى شدّة واختلاط] . ومن شعر الحيص بيص — رحمه الله وعفا عنه — :

لم ألقَ مُستكبِرًا إلّا تحوّل لى * عند اللقاء له الكِبرُ الذى فيه
ولا حَلَا لِى من الدنيا ولذّتها * إلّا مقابلتى للتِّيه بالتِّيه

---

(١) زيادة عن مرآة الزمان والمنتظم وعقد الجمان وما تقدم ذكره للؤلف .

(٢) يريد وقعة الجمل . وقد تقدّم الكلام عليها سنة ست وثلاثين هـ (ج ١ ص ١٠١) من هذه الطبعة .

(٣) التكملة عن ابن خلكان والمنتظم وشذرات الذهب وعقد الجمان وما سيذكره المؤلف فى هذه السنة نقلا عن وفيات الذهبى . (٤) الزيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان .

وكان الحَيْص بَيْص[1] يلبَس زِىّ العرب ، ويتقلّد سيفا ، فعمل فيه أبو القاسم ابن الفضل :

كم تُنَادى[2] وكم تطــوّل طُرْطُو * رَك ما فيــك شعرةٌ من تميم
فكُلِ الضَّبَّ واَقرُضِ الحَنْظَل [اليا[3] * بس] واَشرب ما شئتَ بول الظليم
ليس ذا وجهَ من يُضيف ولا * يَقْــرِى ولا يدفعُ الأذى عن حريم

٥

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى أبو أحمد أسعد بن بلدرك[4] الجبْرِيلِىّ البوّاب . والحَيْص بَيْص الشاعر شهاب الدين أبو الفوارس سعد ابن محمد بن سعد بن صَيْفِىّ التَّيمِىّ فى شوّال . وفخر النسـاء شُهْدة بنت أحمد ابن الفرج الإبَرِىّ فى المحرّم، وقد جاوزت التسعين . وأبو رشيد عبدالله بن عمر الأصبهانىّ فى شهر ربيع الآخر . وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسُفىّ . وأبو الخطّاب عمر بن محمد التاجر بدمشق . وأبو عبد الله محمد بن نَسِيم العَيْشُونِىّ .

١٠

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وتسعَ عشرةَ إصبعا .

***

السنة التاسعة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

١٥

(١) هو أبو القاسم هبة الله بن الفضل بن القطان عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن على بن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان الشاعر المشهور البغدادى . توفى سنة ٥٥٨ هـ (عن ابن خلكان) . (٢) فى ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى : « كم تبارى ... الخ » .
(٣) التكلة عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان .

٢٠

(٤) كذا فى الأصل وعقد الجمان وشذرات الذهب والبداية والنهاية لابن كثير . وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ : « يلدرك» بالياء التحتية .

فيها ختن السلطان صلاح الدين ولده الملك العزيز عثمان .

وفيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتفي محمد العباسيّ الهاشميّ البغداديّ . كان أحسنَ الخلفاء سيرة، كان إماما عادلا شريفَ النفس حسنَ السيرة ليس للمال عنده قدر، حليما شفيقا على الرعيّة، أسقط المكوسَ والضرائبَ فى أيّام خلافته ، وكانت وفاته ببغداد فى ثانى ذى القعدة عن ستّ وثلاثين سنة[1]، وكانت خلافته تسع سنين . وهو الذى عادت الخطبةُ بآسمه فى الديار المصريّة والبلاد الشاميّة والثغور، وآجتمعت الأمّة على خليفة واحد، وآنقطع فى أيّامه دولةُ بنى عُبَيْد الفاطميّين الرافضة من مصر وأعمالها. ولله الحمد . وأمّه أمّ ولد مولّدة .

وفيها توفّيت الزاهدة العابدة علم بنت عبد الله بن المبارك . كانت تضاهى رابعة العدويّة فى زمانها ، مرض ولدها أحمد بن الزَّبيديّ فآحتُضر، وجاء وقت الصلاة ، فقالت : يا بُنَىّ، أُدخل فى الصلاة، فدخل وكبر ومات، فخرجت إلى النساء وقالت : هَنِّئْنَنِى! قلن ماذا؟ قالت : ولدى مات فى الصلاة. فتعجّب الناسُ من ذلك . وكانت وفاتها ببغداد، وعمرها مائة سنة وستّ سنين، ولم يتغيّر لها شىء من حواسّها .

وفيها توفّى منصور بن نصر بن الحسين الرئيس ظهير الدين صاحب المخزن للخلفاء، ونائب الوزارة . نال من الوجاهة والرياسة مالم ينله غيرُه من أطباقه، إلى أن قبض عليه الخليفة الناصر لدين الله، وعلى أصحابه وحواشيه، وصادره وأجرى عليه العقوبة إلى أن مات .

---

(١) ذكر ابن الأثير وفاته فى هذه السنة (٥٧٥ هـ) ثم قال : « وكانت ولادته سنة ست وثلاثين وخمسمائة » فيكون عمره حين وفاته تسعا وثلاثين سنة و يؤيده ما فى تاريخ أبى الفدا إسماعيل وتاريخ ابن الوردى . وفى ابن كثير : « توفى وله من العمر تسع وثلاثون سنة » .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة قال : وفيها توفّى أبو الفتح أحمد بن أبى الوفاء الحنبلىّ بحرّان . والمستضىء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد يوسف ابن المقتفى فى شوّال . وأبو الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق اليوسفىّ فى جمادى الأولى . وأبو الفضل عبد المحسن بن تُرَيْك[1] الأزجىّ . وأبو الحسن علىّ بن أحمد الزَّيْدىّ المحدِّث الزاهد. وأبو المعالى علىّ بن هبة الله [بن علىّ][2] بن خَلْدُون . والقاضى أبو المحاسن عمر بن علىّ القُرَشى عمّ كَرِيمة . وأبو هاشم عيسى بن أحمد الهاشمىّ الدُّوشَابِىّ[3] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وسبع أصابع .

✢

السنة العاشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستّ وسبعين وخمسمائة .

فيها قدمت آمرأة إلى القاهرة عديمةَ اليدين، وكانت تكتب برجليها كتابةً حسنة، فحصل لها القبول التام، ونالها مال جزيل .

وفيها حجّ من العراق الأمير طاشتِكين[4]، ومن الشام الأمير سيف الدين علىّ بن المشطوب .

---

(١) فى الأصل : « ابن يزيد » وهو تحريف . وفى شذرات الذهب : « ابن تزيك » وهو تصحيف . والتصويب عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . (٢) التكملة عن المختصر المحتاج إليه (٣) فى الأصل : « الدستانى » . والتصويب عن شذرات الذهب واللباب . والدوشابىّ : نسبة الى دوشاب وهو الدبس بالعربية وبيعه أو عمله . (٤) فى الأصل : « تكين » . والتصويب عن عقد الجمان ومرآة الزمان وما سيأتى ذكره للؤلف فى بعض السنين القادمة .

وفيها توفّى أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أبو طاهر السِّلَفِىّ[١] الأصبهانىّ، وُلد سنةَ سبعين وأربعمائة، وكان طاف الدنيا ولقِيَ المشايخ، وكان يمشى حافيا لطلب العلم والحديث، وقدم دمشقَ وغيرَها، وسمِع بعدّة بلاد، ثم دخل مصرَ وسمع بها، وآستوطن الإسكندريّة حتى مات بها فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر، ودفِن داخل الإسكندرية وقد جاوز المائة بخمس سنين. ومن شعره فى معنى كِبَر سنّه :

أنَا إنْ بان شبابى ومضى * فلربِّى الحمدُ ذهنى حاضرُ
ولئن خَفَّتْ وجَفَّتْ أعظمى * كِبَراً غصنُ علومى ناضرُ

وفيها توفّى الملك المعظّم فخر الدين شمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب أخو السلطان صلاح الدين صاحب الترجمة لأبيه. كان أكبرَ من صلاح الدين فى السنّ، وكان يرى فى نفسه أنّه أحقّ بالملك من صلاح الدين يوسف المذكور، وكان تبدو منه كلمات فى سكره فى حقّ صلاح الدين، ويبلغ صلاحَ الدين، فأبعده وبعثه إلى اليمن، فسفَك الدماء وقتل الأماثل وأخذ الأموال. ولم يَطِبْ له اليمن فعاد إلى الشام على مضض من صلاح الدين، فأعطاه بَعْلَبَكّ فبلغه عنه أشياءُ فأبعده إلى الإسكندريّة، فتوجّه إليها وأقام بها معتكفا على اللهو، ولم يحضُر حروب أخيه صلاح الدين ولا غَزَواتِه، ومات بالإسكندريّة، فأرسلت أختُه شقيقتُه ستُّ الشام، فحملتْه فى تابوت إلى دمشق فدفنتْه فى تُرْبتها التى أنشأتْها بدمشق. وكان تُوران شاه المذكور جوادا ممدَّحا حسن الأخلاق، إلّا أنّه كان أسوأ بنى أيّوبَ سيرةً وأقبحهم طريقة.

(١) السلفى: نسبة الى جدّه إبراهيم سلفة (عن ابن خلكان).

وفيهــا توفّى الملك غازِى بن مودود بن زَنْكِى بن آق سُنْقُر التركىّ سيف الدين صاحب الموصــل وابن أخى السلطان الملك العادل نور الدين محمود الشهيد . كان غازى من أحسن الناس صــورةً ، وكان وَقورا عاقلا غيورا ، ما يدع خادما بالغا يدخل دارَه على حُرَمه ، وكان طاهر اللّسان عفيفا عن أموال الناس ، قليل السفك للدماء ، مع شُحّ كان فيه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفِىّ فى شهر ربيع الآخر ، وقد جاوز المــائة بيقين . وشمس الدولة تُوران شاه بن أيّوب بن شادِى صاحب اليمن بالإسكندرية فى صفر . وأبو المعالى عبد الله بن عبد الرحمن [بن أحمد بن علىّ] (١) بن صابر السلمىّ فى رجب . وأبو المَفَاخِر سعيد بن الحسين المأمونىّ . وأبو الفَهْم عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الأَزْدىّ آبن أبى العجائز فى جمــادى الآخرة . وأبو الحســن (٢) علىّ بن عبــد الرحيم بن العَصَّار السُّلَمِىّ البَغْدادىّ اللغوىّ فى المحرّم . وصاحب الموصــل سيف الدين غازى بن مودود آبن اتابَك فى صفر ، وله ثلاثون سنة .

§ أمر النيل فى هــذه السنة ــ المــاء القديم ثلاث أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وستّ عشرةَ إصبعا .

٭٭٭

السنة الحادية عشرة من ولاية السلطان صــلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

---

(١) التكلة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

(٢) فى الأصل : «أبو الحسين» . وما أثبتناه عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه .

فيها عاد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب صاحب الترجمة من دمشق إلى القاهرة، وآستناب على الشام [آبن][1] أخيه عزّ الدين فرخشاه .

وفيها أمر السلطانُ صلاح الدين أخاه سيفَ الإسلام طُغتِكين بالمسير إلى اليمن، فأخذ يتجهّز للسير .

وفيها بعث السلطانُ صلاحُ الدين الخادمَ بهاءَ الدين قَرَاقُوش إلى اليمن[2]، فتوجّه وقبض على سيف الدولة مبارك بن كامل بن مُنْقِذ، وطلب منه المال؛ وكان نائب أخيه تُوران شاه .

وفيها بُنِيت[3] قلعة الجبل بالقاهرة .

وفيها توفّى الملك الصالح إسماعيل آبن الملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى آبن آق سُنْقُر صاحب حلب بمرض القُولَنْج ، وكان لمّا آشتدّ به مرض القولنج وصف له الحكماءُ قليلَ خمر[4]، فقال : لا أفعل حتّى أسأل الفقهاء . فسأل الشافعيّة فأفتوه بالجواز فلم يقبل، وقال : إن الله تعالى قرّب أجلى ، أيؤخّره شرب الخمر ! قالوا : لا . قال : فوالله لا لَقِيتُ اللهَ وقد فعلتُ ما حرّم علىّ، فمات ولم يشربه . ولمّا أشرف على الموت أحضر الأمراءَ وآستحلفهم لآبن عمّه عزّ الدين [مسعود آبن مودود][5] صاحب الموصل ؛ فقيل له : لو أوصيت لآبن عمك عِماد الدين صاحب سِنْجار! فإنّه صُعْلوك ليس له غيرُ سِنْجار، وهو تربية أبيك وزوج أختك،

(١) التكملة عن آبن خلكان ومرآة الزمان وابن الأثير وعقد الجمان . (٢) كذا فى الأصل . ولم نقف على إرسال بهاء الدين قراقوش الى اليمن فى المصادر التى تحت أيدينا . وقد وجدنا فى عقد الجمان فى حوادث هذه السنة أن بهاء الدين قراقوش توجه الى المغرب لمحاربة عبد المؤمن، ثم عاد إلى مصر .
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء . (٤) كذا فى الأصل . وفى ابن الأثير والروضتين : «وكان عنده علاء الدين الكاشانى الفقيه الحنفى ... فآستفتاه فأفتاه بجواز شربها» . وفى شذرات الذهب ومرآة الزمان : «فسأل الشافعية فأفتوه بالجواز، وسأل العلاء الكاشانى الحنفى فأفتاه بالجواز أيضا» . (٥) زيادة عن ابن الأثير وشذرات الذهب وعقد الجمان .

وشجاع كريم، وعزّ الدين له من الفرات إلى هَمَذان ؛ فقال : هذا لم يَخْفَ عنيّ، ولكن قد علمتم آستيلاء صلاح الدين على الشام، [سوى[1] ما بيدى]، ومصر واليمن، وعمادُ الدين لايثبت له إذا أراد أخذ البـلاد؛ وعزّ الدين له العساكر والأموال فهو أقدر على حفظ حَلَب وأثبتُ من عماد الدين، ومتى ذهبتْ حلبُ ذهب الجميـع ؛ فآستحسنوا قولَه .

قلت : ولم يخطُر ببـال أحد أخذ صـلاح الدين بن أيّوب الشام من الملك الصالح هـذا قبل تاريخه، فإنّه كان غَرْسَ نعمة أبيـه الملك العادل ، فلم يلتفت صلاح الدين للأيادى السالفة، وآنتهز الفرصةَ حيث أمكنتْه، وقاتل الملك الصالح هذا حتّى أخذ منه دمشق، فلهذا صار عند الصالح كَمِينٌ من صلاح الدين .

وفيها توفّى عبد الرحمن بن محمـد[2] [بن عُبيد الله[3]] بن أبى سَـعيد أبو البركات الأَنْبارِىّ النحوىّ ، مصنّف كتاب « الأسرار فى علم العربيّـة[4] » وكتاب « هداية الذاهب فى معرفة المذاهب » . كان إماما فى فنون كثيرة مع الزهد والورع والعبادة، وكانت وفاته فى شعبان .

وفيها توفّى عمر[5] بن حَمّويه عِماد الدين والد شيخ الشيوخ صدر الدين وتاج الدين، وهو من ولد حَمّويه بن علىّ الحاكم على خراسان إمام السامانيّة .

(١) زيادة عن ابن الأثير والروضتين . (٢) فى الأصـل هنا : « عبد الرحيم » . والتصويب عن ابن خلكان وابن الأثير ومرآة الزمان وبغية الوعاة وشذرات الذهب وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه وما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبي . (٣) فى الأصل : « محمد بن أبى السعادات » . والتصويب والزيادة عن ابن خلكان وابن الأثير وبغية الوعاة للسيوطى وعقد الجمان والمختصر المحتاج إليه . (٤) فى الأصل : « كتاب الأنوار » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب ومرآة الزمان وكشف الظنون . (٥) فى الأصل : « عمرو » . وما أثبتناه عما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبي وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . وهو شيخ الشيوخ أبو الفتح عمر بن على بن الزاهد محمد بن على بن حمويه الجوينى الصوفى، كما فى شذرات الذهب .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة فى كتاب الإشارة[1]، قال : وفيها توفّى الملك الصالح إسماعيل آبن السلطان نور الدين بحلب فى رجب، وله ثمانى عشرة سنة. والكمال أبو البَرَكات عبد الرحمن بن محمد الأنبارىّ النحوىّ العبد الصالح . وشيخ الشيوخ أبو الفتوح[2] عمر بن علىّ الجُوَينِىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمسُ أذرع وعشرُ أصابع . مبلغ الزيادة ثمـانى عشرةَ ذراعا وخمس أصابع .

***

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة .

فيها سار سيف الإسلام طُغْتكين أخو صلاح الدين من مصر إلى اليمن إلى أن نزل زَبِيد، وبها حِطّان [بن مُنْقِذ الكِنانىّ][3]، فأمره أن يسير إلى الشـام، فجمع أمواله وذخائره ونزل بظاهر زَبِيد فقبض عليه سيف الإسلام، وأخذ جميع ما كان معـه ، وقيمته ألف ألف دينار، ثم قتله بعد ذلك . وكان عثمان الزنجبيلىّ بعَدَن، فلمّـا بلغه ذلك سافر إلى الشام بعد أن أثّر باليمن آثارا كبيرة ووقف الأوقاف ؛ وله مدرسة أيضا بمكّة، ورباط بالمدينة وغيرها .

وفيها فى خامس المحرّم خرج صلاح الدين من مصر فنزل البِركة[4] قاصدا الشام، وخرج أعيـان الدولة لوَداعه، وأنشـده الشعراءُ أبياتا فى الوداع ، فسمـع قائلا يقول فى ظاهر المخيّم :

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٢) فى شذرات الذهب : « أبو الفتح » . (٣) الزيادة عن ابن الأثير .
(٤) يريد بركة الحجاج . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

تمتع من شميم عرارِ نجـدٍ * فما بعـد العشيّة من عَرَار

فطلب القائل فلم يجده . فوجَم الناس وتطيّر الحاضرون، فكان كما قال .

قلت: وقول من قال، فكان كما قال، ليس بشيء، فإنّ صلاح الدين عاش بعد ذلك نحو العشر سنين، غير أنّه ما دخل مصر بعـدها فيما أظنّ، فإنّه آشتغل بفتح الساحل وقتال الفرنج، كما تقدّم ذكره فى ترجمته .

وفيها توفّى أحمد بن علىّ بن أحمد الشيخ أبو العبّاس المعروف بآبن الرِّفاعىّ، إمام وقته فى الزهد والصلاح والعلم والعبادة . كان من الأفراد الذين أجمع الناس على علمه وفضله وصلاحه . كان يسكن أمّ عَبِيدة بالعراق، وكان شيخ البطائحة[1]، وكان له كرامات ومقامات، وأصحابه يركبون السِّباع و يلعبون بالحيّات، و يتعلّق أحدهم فى أطول النخل ثم يُلقِى نفسه إلى الأرض ولا يتألّم، وكان يجتمع عنده كلّ سنة فى المواسم خلقٌ عظيم . قال الشيخ شمس الدين يوسف فى تاريخه مرآة الزمان : «حَكَى لى بعض أشياخنا قال : حضرتُ عنده ليلة نصف شعبان، وعنده نحو من مائة ألف إنسان قال : فقلت له : هـذا جمع عظيم ، فقـال لى : حُشِرتُ مَحْشَرَ هامان إن خطر ببالى أنّى مقدّم هذا الجمع . قال : وكان متواضعا سليم الصدر مجرّدا من الدنيا ما آدّخر شيئا قطّ» . إنتهى .

قلت : وعلم الشيخ أحمد بن الرفاعىّ وفضله وورعه أشهر من أن يذكر ، وهو أكثر الفقراء أتباعا شرقا وغربا، والأعاجم يسمّونه: سيّدى أحمد الكبير، وقيل :

(١) البطائحة — سكان البطائح — : وهى عدّة قرى مجتمعة فى وسط الماء بين واسط والبصرة ، ولها شهرة بالعراق (عن ابن خلكان) .

إنّ سبب مرضه الذى مات منه، أنّ عبد الغنىّ بن محمد بن نُقْطَة الزاهد مضى إلى زيارته، فأنشد[(١)] أبياتا منها :

إذا جَنّ ليلى هام قلبى بذكركم * أنوح كما ناح الحَمَام المُطوَّقُ
وفوقى سحاب يُمطر الهمّ والأسى * وتحتى بِحارٌ بالأسى تتدفّق
سلوا أمّ عمرو كيف بات أسيرها * تُفكّ الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتولٌ ففى القتل راحةٌ * ولا هو ممنونٌ عليه فيعتَقُ[(٢)]

وكانت وفاة الشيخ أحمد فى يوم الخميس ثانى عشر[(٣)] جمادى الأولى، وقد جاوز سبعين سنة[(٤)] .

وفيها توفّى الأمير فرخشاه بن شاهنشاه بن أيّوب أبو سعد عزّ الدين . كان من الأماثل الأفاضل، كان متواضعا سخيّا جوادا شجاعا مِقْداما ، وكان عمّه صلاح الدين قد آستنابه بالشام ، وكان فصيحا شاعرا . مات بدمشق فى جُمادَى الأولى . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

أقرَضُونى زمنًا قربهمْ * وآستعادوا بالنَّوَى ما أقرضوا
أنا راضٍ بالذى يرضيهمُ * ليت شعرى بالتلاقى هل رَضُوا؟

وفيها توفّى الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علىّ أبو يعقوب صاحب المغرب، أمير الموحّدين . كان حسن السيرة عادلا ديّنا ملازما للصلوات الخمس ، لابسا للصوف، مجاهدا فى سبيل الله تعالى .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى ابن خلكان : وكان للشيخ أحمد مع ما كان عليه من الاشتغال بعبادته شعر، فنه على ما قيل : * إذا جنّ ليلى ... الخ *
وقال صاحب شذرات الذهب نقلا عن ابن الجوزى — بعد أن ذكر وفاته كما ذكرها المؤلف — : « مفهوم كلام ابن الجوزى أن الأبيات لغيره مع أن ابن خلكان ذكر أنها من نظمه » .
(٢) رواية ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان : « فيطلق » .
(٣) فى ابن خلكان : « توفى يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الأولى» .
(٤) فى مرآة الزمان وعقد الجمان : «وقد جاوز تسعين سنة» .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى الشيخ الكبير أبو العبّاس أحمد بن علىّ بن أحمد الرفاعىّ بالبطائح . وأبو طالب الخضر بن هبة الله بن أحمد بن طاوس فى شوّال . والحافظ أبو القاسم خَلَف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ابن بَشْكُوَال الأنصارىّ القُرْطُبىّ فى شهر رمضان، وله أربع وثمانون سنة . وأبو طالب أحمد بن المسلم بن رَجَاء اللَّخْمِىّ التَّنُوخىّ فى شهر رمضان بالإسكندريّة . وخطيبُ الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمـد الطُّوسِىّ فى شهر رمضان عن آثنتين وتسعين سـنة . وعزّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيّوب نائب دمشـق فى جُمادى الأولى . والقطب النَّيسابُورىّ أبو المعالى مسعود بن محمد بن مسعود شيخ الشافعيّـة فى آخر شهر رمضان . وأبو محمد هبـة الله بن محمد بن هبة الله الشِّيرَازىّ بدمشق فى شهر ربيع الأوّل .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم سِتُّ أذرع وإحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وإصبعان .

*
* *

السنة الثـالثة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

فيها فى يوم الأحد عاشر المحرّم تسـلّم السلطانُ صلاحُ الدين آمِد من ديار بكر، ودخل إليها وجلس فى دار الإمارة، ثم سلّمها وأعمالَهـا إلى نور الدين محمـد[(1)] بن قرا أرسلان صاحب حِصن كَيْفَا، وكان قـد وعده بها لمّـا جاء إلى خدمته . ثم عاد

(١) فى الأصل: «نور الدين محمود» وهو خطأ . والتصويب عن السيرة ومرآة الزمان وابن الأثير والروضتين وعقد الجمان .

إلى حلب وحاصرها حتى أخذها من عماد الدين زنكى ابن أخى نور الدين الشهيد، وبذل له عوضها سنجار، وعمل الناس فى ذلك أشعارا كثيرة، منها :

وبعت بسنجار خير القلاع * ثكلتك من بائع مشترى

وكان فى أيام حصار حلب أصاب تاج الملوك بورى بن أيوب سهم فى عينه فمات بعد أيام، فحزن أخوه السلطان صلاح الدين عليه حزنا شديدا، وكان يبكى و يقول: ما وفت حلب بشعرة من أخى تاج الملوك بورى . وخرج عماد الدين من حلب وسار إلى سنجار . ولما طلع صلاح الدين إلى قلعة حلب فى سلخ صفر [أنشدنا][1] القاضى [محيى الدين بن][2] زكى الدين محمد بن على القرشى قاضى دمشق أبياتا منها:

وفتحه[3] حلبًا بالسيف فى صفر * مبشّر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قال، لكن بعد سنين؛ وهو الذى [خطب][1] بالقدس لما فتحه صلاح الدين فى رجب .

وفيها توفى محمد بن بختيار الأديب ، أبو عبد الله المولد[4] المعروف بالأبله البغدادى الشاعر المشهور، كان شاعرا ماهرا جمع فى شعره بين الصناعة والرقة . ومن شعره :

زار من أحيا بزورته * والدجى فى لون طرته

قمر يثنى معاطفه * بانة فى ثنى بردته

---

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وابن خلكان . (٢) التكلة عن السيرة وابن خلكان وتاريخ ابن الوردى . وفى عقد الجمان : « فخر الدين بن الزكى » . (٣) رواية ابن خلكان .

* وفتحك القلعة الشهباء فى صفر *

ورواية عقد الجمان :

وفتحكم حلب الشهباء فى صفر * قضى لكم بافتتاح القدس فى رجب

(٤) فى الأصل : « الموله » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان ومرآة الزمان .

بتُّ أستجلى المُدام علَى * غــرّة الواشى وغُرّته
يالها من زَوْرةٍ قصُرت * فأماتت طـولَ جَفْوَته
يالَهُ فى الحسن من صنمٍ * كلُّنـا فى جاهليّتــه

وله قصيدة طنّانة أولها :

٥ دعني أُكابد لَوْعَــتِي وأعانِي * أين الطَّلِيقُ من الأســير العانِي

وفيها توفّى الملك تاج الملوك بُورِى بن أيّوب بن شادِى أبو سعيد أخو السلطان صـلاح الدين من سهم أصابه فى حصـار حَلَب كما تقدّم ذكره . كان مولد تاج الملوك فى ذى الحِجّة سنة ستّ وخمسين وخمسمائة ، وكان قد جُمِـع فيه محاسن الأخلاق : من مكارمَ وشيمٍ ولُطف طباع ، مع شجـاعة(١) وفضل وفصاحة، وكان
١٠ شاعرا بليغا . ومن شعره :

رمضان بل مرضان إلّا أنّهم * غَلِطوا إذًا فى قولهم وأساءوا
مرضـانِ فيـــه تخـالفا * فنهاره سلّ وأما ليله آستسقاء

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هــذه السنة ، قال : وفيها توفّى إسماعيل بن قاسم الزّيات بمصر . وتقيّــة بنت [غيث(٢) بن] علىّ الأَرْمنَازِيّة(٣) الشاعرة . وأبو الفتــح
١٥ عبد الله بن أحمد الأصبهانىّ الخِرَقِىّ فى رجب، وله تسع وثمانون سنة . ومحمــد بن بَخْتِيَار البغدادىّ الشاعر المعروف بالأَبْلَه . وأبو العَلَاء محمد بن جعفر بن عقيل، وله ثلاث وتسعون ســنة . وأبو طالب محمــد بن علىّ الكَتَّانِىّ المُحْتَسِب . والعــلّامة رضىّ الدين يونس بن محمد بن مَنَعَة فقيه الموصل .

(١) فى الأصل : «مع مكارم وشجاعة» . (٢) التكلة عن شذرات الذهب وابن خلكان .
٢٠ (٣) فى الأصل : « الأرمناويه » . والتصويب عن ابن خلكان وشذرات الذهب . والأرمنازية : نسبة الى أرمناز : بليدة قديمة من نواحى حلب، بينها نحو خمسة فراسخ (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع و إحدى وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة الرابعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمانين وخمسمائة .

فيها حجّ بالناس من العراق طاشتكين .

وفيها توفّى إيلغازى بن ألْبى بن تمرتاش بن إيلغازى بن أُرْتُق قطب الدين صاحب ماردين ، كانت وفاته فى جمادى الآخرة . وخلّف ولدين صغيرين . وكان ملكا شجاعا عادلا مُنْصِفا عاقلا .

وفيها توفّى عبد الرحيم (١) بن إسماعيل بن أبى سعد (٢) شيخُ الشيوخ صدر الدين وآبن شيخ الشيوخ النَّيْسابورىّ (٣) . وُلد سنة ثمانٍ وخمسمائة، وكان فاضلا رسولا بين الخليفة وصلاح الدين ، وكان يَلْبَس الثياب الفاخرة ، ويتخصّص بالأطعمة الطّيبة ، فكان أهل بغداد يَعِيبون عليه حيثُ لم يسلُك طريق المشايخ فى التعفّف عن الدنيا ، ولمّا مات رثاه آبن المنجِّم (٤) المصرىّ :

يا أخلّائِى وحقِّكمُ * ما بَقِى من بعدِكمْ فَرَحُ
أىُّ صدرٍ فى الزمان لنا * بعدَ صدر الدين ينشرِح

(١) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج إليه وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وآبن الوردى وما سيذكره المؤلف نقلا عن الذهبى . وفى آبن الأثير وعقد الجمان : « عبد الرحمن بن إسماعيل » .

(٢) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج إليه . وفى آبن الأثير وتاريخ آبن الوردى وعقد الجمان : « ابن أبى سعيد » .

(٣) فى الأصل : « مترسلا » . وما أثبتناه عن ابن الأثير .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥٩ من هذا الجزء .

وتولّى مشيخةَ الرِّباط بعده الشيخ صفيّ الدين إسماعيل .

وفيها توفّى محمد بن قرا أَرْسلان نور الدين صاحب حِصن كَيْفَا، الذى كان أعطاه السلطان صلاح الدين آمِد . وترك آبنَه ظهيرَ الدين سُكْمان صغيرا ، عمره عشرُ سنين .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبى سعد شيخ الشيوخ فى رجب بالرَّحْبة راجعا فى الرسلية[1] . وأبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبى الصَّقْر القرشىّ . وأبو الوفا محمود بن أبى القاسم [عمر][2] الأَصْبَهانىّ فى شهر ربيع الآخر ، وله إحدى وسبعون سنة . أجاز له طَرّاد [الزَّيْنبى النَّقيب][2] وسمع من أبى الفتح [أحمد بن محمد][2] البيودرحانىّ[3] . وصاحب المغرب أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[4] شهيدًا على حصار شَنْتَرِين[5] بالأندلس فى رجب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا .

+ + +

السنة الخامسة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة .

---

(١) كذا بالأصل . (٢) الزيادة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .
(٣) كذا فى الأصل والمختصر المحتاج اليه . ولم نجد هذه النسبة فى الكتب التى تحت يدنا . والموجود فى كتب الأنساب ومعجم البلدان لياقوت : « البوزجانى » . ولعل ما ورد فى الأصل والمختصر محرف عنها . وبوزجان : بلد بين هراة ونيسابور . (٤) قد قدّم المؤلف وفاته سنة ٥٧٨ هـ .
(٥) شنترين كلمتان، إحداهما من « شنت » والأخرى من « رين » : مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة فى غرب الأندلس (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها قطع السلطان صلاح الدين الفرات ونزل على الموصل وآفتتح عدّة بلاد .

وفيها توفّى عبد السلام بن يوسف بن محمد الأديب أبو الفتوح[1] الجُماهِرى[2] . كان فاضلا شاعرا . ومن شعره من قصيدة :

على ساكِنى بطن العقيق سَلَامُ * وإنْ أسهرونِى بالفِراق وناموا
حرمتمْ علَىّ[3] النـومَ وهو محلَّلٌ * وحلّلتُمُ التعذيبَ وهو حـرام
أَلَا يا حمـاماتِ الأَراك إليكُمُ * فمالِىَ فى تغـريدكُنّ مَـرَامُ
فَوَجْدِى وشوقى مُسْعِدُومؤانِسٌ * ونَوْحِى ودَمْعِى مُطْرِبٌ ومُدَام

وفيهـا توفّيت عصمة الدين خاتون بنت مُعين الدين أُنُر زوجةُ السلطان صلاح الدين صاحبِ الترجمة ، تزوّجها بعد زوجها الملكِ العادل نورِ الدين الشهيد . كانت من أعفّ النـاس وأكرمهنّ ، كان لهـا صـدقات كثيرة وبِرّ عظيم ؛ بَنَتْ بدمشق مدرسة للحنفيّة فى حَجْر الذهب[4] ، ورِبَاطًا للصوفيّة ، وبَنَتْ تربة بقَاسيُون على نهر بَرَدَى[5] ، وبها دُفنت ؛ وأوقفت على هـذه الأماكن أوقافا كثيرة . وماتت فى رجب ، فبلغ صلاحَ الدين موتُها وهو مريض بحَرّان فتزايد مرضه لموتها والحزنه عليها . ثم مات بعدها أخوها سعد الدين مسعود بن أُنُر فى هذه السنة ، وكان من أكابر الأمراء ، زوّجه صلاحُ الدين أختَه ربيعةَ خاتون . فلمّا توفّى تزوّجها بعده الأمير مظفَّرُ الدين بن زَيْن الدين .

وفيها توفّى محمـد آبن الملك المنصور أسـد الدين شِيركُوه بن شادى الأمـير ناصر الدين آبن عمّ السلطان صلاح الدين . كان السلطان صلاح الدين يخافه لأنّه

(١) فى الأصل : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .
(٢) فى الأصل : « الجماهور » . والتصويب عن شرح القاموس والمختصر المحتاج اليه .
(٣) فى المختصر المحتاج اليه : « حظرتم » (٤) حجر الذهب : محلة بدمشق .
(٥) بردى : نهر بدمشق .

كان يَدّعى أنّه أحقّ بالملك منه . وكان السلطان صـلاح الدين يبلغه عنه هـذا ، وكان زوجَ أخت السلطان صلاح الدين ستّ الشام بنت أيّوب . ومات بحمص فى يوم عَرَفة، وتناثر لحمه حتّى قيل إنّه سُمّ، وقيل : مات بَخْأة، فنقلتْه زوجتُه ستّ الشام إلى تربتها، ودفنتْه عند أخيها الملك المعظّم تُوران شاه بن أيّوب المقدّم ذكره . ولمّا بلغ صلاح الدين موته أبقى على ولده أسد الدين شِيرِكُوه بن محمد المذكور ما كان بيد والده : حِمْص وتَدْمُر والرَّحْبَة وسَلَمْيَة، وخلَع عليه وكتب منشورا بذلك .

وفيها توفّى محمد بن أحمد بن فتح الدين البَغْدادىّ الحنفىّ، كان فقيها شاعرا أديبا . ومن شعره فى مليح عليه قَبَاءُ كُمّه مطرز :

ضَمَمْتُ مُعـــذّبى لمّا أتانِى * ورَقْمُ طِـرازِه قد راق عيـنِى
فياطَرْزَيه هـل يُدنى زمانى * ليـالىَ وصلِنـا بالرَّقْمَتَيْنِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو الطاهر إسماعيل ابن مكّىّ [بن إسماعيل بن عيسى] (١) بن عَوْف الزُّهْرِىّ شيخ المـالكيّة بالثغر فى شعبان . وصاحب أَذْرَبِيجان البَهْلَوان [محمـد] (٢) بن إيلدكز . والشيخ حياة بن قَيْس الحَرّانِىّ العابد فى جُمـادى الأولى . وأبو اليسر شاكر بن عبد الله بن محمـد التَّنُوخِىّ كاتب نور الدين . والمهـذّب عبد الله بن أسـعد [بن علىّ] (٣) بن الدهّان الموصلىّ الشافعىّ النحوىّ الشاعر فى شعبان بحمْص . والحافظ أبو محمد عبد الحقّ بن عبد الرحمن الأَزْدِىّ الإشْبِيلِىّ فى شهر ربيع الآخر بِبجَايَة (٤)، وله سبعون سنة . والحافظ أبو زيد (٥) عبد الرحمن

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب . (٢) فى الأصل : «بهلوان بن الركن» . والزيادة والتصويب عن ابن الأثير وتاريخ أبى الفداء وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان .
(٣) التكملة عن تاريخ الاسلام وعقد الجمان وطبقات الشافعية وشذرات الذهب .
(٤) بجاية : مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٥) فى تاريخ الاسلام وعقد الجمان وشذرات : «أبو القاسم وأبو زيد» .

آبن عبدالله السُّهَيْلِيّ المالَقِيّ[1] الأديب فى شعبان . وعبد الرازق بن نصر بن المسلم النجّار الدمشقيّ . وأبو الفتح [عُبيد الله بن][2] عبد الله [بن محمد بن نجا][2] بن شاتيل[3] الدبّاس فى رجب، وله تسعون سنة . وأبو الجيوش عساكر بن علىّ المُقْرِئ بمصر . وأبو حفص عمر بن عبدالمجيد المَيَانِشيّ[4] بمكّة . وأبو المجد الفضل بن الحسين البانْيَاسِيّ فى شوّال . وصاحب حِمْص ناصر الدين محمد بن أسد الدين شِيرِكُوه . والحافظ أبو سعد[5] محمد بن عبد الواحد الصائغ بأصبهان فى ذى القعدة . والحافظ العلّامة أبو موسى محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى المَدِينيّ فى جمادى الأولى، وله ثمانون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وتسع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبع واحدة .

＋
＋ ＋

السنة السادسة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة آثنتين وثمانين وخمسمائة .

فيها حكَم المنجِّمون فى الآفاق بخراب العالم فى جُمادى الآخرة، وقالوا : تَقْتَرِن الكواكب السيّارةُ : الشمسُ والقمر وزُحل والمرِّيخ [والزُّهَرَة][6] وعُطَارِد والمُشْتَرِى فى برج المِيزان أو السَّرطان ، فتُؤثِّر تأثيرا يضمَحِلّ به العالم ، وتَهُبّ سموم مُحْرِقة تحمل

(١) المالقى : نسبة الى مالقة ، مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية ، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) التكملة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد . (٣) فى الأصل : «شابيل» . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشرح القاموس وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . (٤) الميانشى : نسبة الى ميانش ، قرية من قرى المهدية بافريقية (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) فى الأصل : « أبو سعيد » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .
(٦) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

رملا أحمر ، فآستعدّ الناسُ وحفَروا السراديب وجمعوا فيها الزاد . وآنقضت المدّة المعيّنة ، وظهر كذِب المنجِّمين . فقال [أبو الغنائم محمد](١) بن المعلِّم فى أبى الفضل(٢) المنجِّم قصيدة طنّانة :

قُلْ لأبِى الفضل قولَ مُعْتَرِف * مضَى جُمادى وجاءنا رَجَبُ

٥ وما جَرَت(٣) زَعْزَعٌ كما حكَموا * ولا بَدَا كَوْكَبٌ له ذَنَبُ

ومنهـا :

مُـدَبِّر الأمرِ واحدٌ ليس للسبْـ * ـعَـة فى كلّ حادثٍ سَبَبُ

لا المُشْـتَرِى سالمٌ ولا زُحلٌ * باقٍ ولا زُهْرَةٌ ولا قُطُبُ

ومنهـا :

١٠ فليُبْطِلِ المدّعون ما وضَـعُوا * فى كُتْبِهـم ولْتُحْرَقِ الكُتُبُ

قلت : وهذا الكذِب متداوَل بين القوم إلى زماننا هـذا ، حتّى إنّه لا يمضى شهر إلّا وقد أوعدوا الناسَ بشىء لا حقيقةَ له . والعجب أنّ الشخص من العامّة إذا كذَب مرّة على رجل يَسْتَحِى ولا يعود إلى مثلها ، وهؤلاء القوم لا عِرْض لهم ولا دينَ ولا مُرُوءةَ . ولله درّ القائل ولم أدرِ لمن هو :

١٥ دعِ النجومَ لصوفِىٍّ يعيشُ بهـا * وبالعزائم فانهَض أيُّهـا الملِكُ

إنّ النبىّ وأصحـابَ النبى نَهَوْا * عن النجوم وقد أبصرتَ ما مَلَكوا

(١) التكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان وآبن خلكان . وهو أبو الغنائم محمد بن على بن فارس بن على ابن عبد الله بن الحسين بن القاسم المعروف بابن المعلم الواسطى الهرثى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور . كان شاعرا رقيق الشعر وشعره يذوب من رقته . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٢ هـ .

٢٠ (٢) هو أبو الفضل الخازمى المنجم نزيل بغداد ، كان منجما ببغداد يتكلم فى الأحكام النجومية و يقلده الناس فيما يقول و يدعى أكثر مما يعلم (راجع ترجمته فى تاريخ الحكماء ص ٤٢٦) .

(٣) فى الأصل : « وما جرى » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان والروضتين وعقد الجمان وتاريخ الحكماء لآبن القفطىّ .

وفيها عاد السلطان صلاح الدين إلى الشام وتلقاه شيركوه بن محمد بن شيركوه وأخته سفرى خاتون أولاد ابن عمه محمد بن أسد الدين شيركوه وزوجته ست الشام، وهى أخت السلطان صلاح الدين؛ فقال السلطان لأخيه العادل أبى بكر بن أيوب : اقسم التركة بينهم على فرائض الله تعالى . وكان محمد قد خلف أموالا عظيمة ، فكان مبلغ التركة ألف ألف دينار .

وفيها دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين إلى مكة ، ومنع من الأذان فى الحرم بـ « حىّ على خير العمل » .

وفيها قسم السلطان صلاح الدين يوسف البلادَ بين أهله وولده برأى القاضى الفاضل، فأعطى مصر لولده العزيز عثمان؛ والشامَ لولده الأفضل؛ وحلبَ لولده الظاهر؛ وأعطى أخاه العادل أبا بكر إقطاعات كثيرة بمصر، وجعله أتابكَ العزيز؛ وأعطى لابن أخيه تقىّ الدين حَماة والمَعَرّة ومَنْبِج وأضاف إليه ميّافارقين .

وفيها توفّى الحسن بن علىّ بن بَرَكة أبو محمد المُقرِئ النحوىّ، كان إماما فاضلا انتفع بعلمه خلائقُ كثيرة، وكان أديبا بارعا ومات فى شوّال . ومن شعره :

وما شَنَآنُ الشَّيبِ من أجل لونه * ولكنّه حادٍ[1] إلى الموت مُسرِعُ
إذا ما بدَتْ منه الطَّليعةُ آذنتْ * بأنّ المنايا بعدها تتطلّع

وفيها توفّى عبد الله [بن برّى][2] بن عبد الجبّار المعروف بابن برّى النحوىّ بمصر، كان إماما أديبا فاضلا بارعا فى علم النحو والعربيّة، وانتفع به خلق كثير ، ومات بمصر فى شوّال . وكان حجّة ثقة . ومن شعره — رحمه الله — :

---

(١) كذا فى الأصل وتاريخ الإسلام للذهبى . ورواية مرآة الزمان وعقد الجمان : «ولكنه داع» .

(٢) التكملة عن ابن خلكان وبغية الوعاة وشذرات الذهب وعقد الجمان وابن الأثير وتاريخ الإسلام للذهبى .

خَدٌّ وثغرٌ بخَــلّ ربٌّ * بمُبْدع الحسن قد تفرّدْ
فذا عن الواقِدِىّ يُرْوَى * وذاك يَروِى عن المبرّد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو محمـد عبد الله آبن بَرِّى النحوىّ بمصر فى شوّال ، وله ثلاث وثمانون سنة . وأبو محمد عبد الله بن محمد بن جَرير القرشىّ الناسخ ببغداد . وأبو محمد الحسن بن علىّ [بن بَرَكة][1] بن عَبِيدة الكوفىّ النحوىّ المقرئ فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا و إصبع واحدة .

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث وثمـانين وخمسمائة .

فيها فتح السلطان صلاحُ الدين بيت المقدس وعَكّا وحصونا كثيرة بالساحل، بعد أمور وحروب ذكرناها فى ترجمته .

وفيها توفّى علىّ بن أحمد بن علىّ بن محمد قاضى القضاة أبو الحسن بن الدامَغانىّ الحنفىّ قاضى قضاة بغداد . قال أبو المظفَّر : قاضى آبن قاضى آبن قاضى آبن قاضى آبن قاضى آبن قاضى . وُلِد سـنة ثلاث عشرة وخمسمائة[2]، وولّاه الخليفـة المقتفى القضاءَ بمدينة السلام وسائر البلاد مشرقا ومغربا ، وأقرّه المستنجد ثم عزله ؛ ثم أعاده

(١) التكلة عما تقدّم ذكره للؤلف .

(٢) فى الأصل : « سـنة عشر وخمسمائة » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والجواهر المضية فى طبقات الحنفيـة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥ م تاريخ) للشيخ عبد القادر بن أبى الوفاء القرشى .

المستضيء سنة سبعين وخمسمائة؛ ثم أقرّه الناصر لدين الله تعالى إلى أن توفى ببغداد في ذى القعدة ودفن بالشُّونيزيّة عنـد جدّه لأمّه أبى الفتح الشاوى[(١)]. وكان إماما فقيها عالمـا نزِها عفيفا معدودا من كبار فقهاء السادة الحنفية — رحمه الله تعالى — .

وفيها توفّى محمد بن عبـد الملك[(٢)] بن المقـدّم الأمير شمس الدين، كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين، ثم صـلاح الدين يوسف بن أيّوب . وله المواقف المشهودة، وحضر جميعَ فتوحات السلطان صلاح الدين، ثم إنّه آستأذن صلاح الدين في الحجّ فأذن له على كُرْه من مفارقته؛ فلمّـا وصل إلى عرفات أراد أنْ يرفع علَمَ صلاح الدين و يضربَ الطّبل، فمنعه طاشتِكين وقال: لا يُرْفَع هنا سوى علم الخليفة. فقال آبنُ المقدّم هذا : والسلطانُ مَمْلُوك الخليفة . فمنعه طاشتِكين، فأمر آبن المقدّم غلمانَه فرَفَـع العلم فنكسوه، فركب آبن المقدّم ومن معه، وركب طاشـتِكين له؛ وآقتتلوا فقتل من الفريقين ، ورَمَى مملوكُ طاشتكين آبنَ المقدّم بسهم فوقع في عينه فخرّ صريعا، وجاء طاشتِكين وحمله إلى خَيْمته فتوفّى في يوم الخميس يوم النحر ودفن بالمَعْلَى . ثم أرسل الخليفةُ يعتذر لصـلاح الدين أنّ آبن المقدّم كان الباغى، فلم يقبل صلاح الدين، وقال : أنا الجواب عن الكتاب . ولولا آشـتغاله بالجهاد لكان له وللخليفة شأن .

وفيها توفّى محمد بن عُبيدالله الأديب أبو الفتح البغـدادىّ، المعروف بسِـبْط [آبن] التعَاوِيذىّ، الشاعر المشهور. وله ديوان شعر كبير، الموجود غالبه في المديح. ومن شعره — رحمه الله — في غير المديح، في الزهد :

(١) كذا في الأصل . وفي كتاب الجواهر المضـية في طبقات الحنفية : «أبى الفتح الساوى» بالسين المهملة .

(٢) في الأصـل : «محمد بن عبد الله» . والتصويب عن ابن الأثير وشـذرات الذهب وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان والروضتين وتاريخ الإسلام .

اِجعلْ همومَــك واحدًا * وتخـلّ عن كلّ الهمـــوم
فعساكَ أنْ تحظَى بمـا * يُغنيـــك عن كلّ الهموم

وله :

فكمْ ليـلةٍ قد بِتُّ أرشُف رِيقَه * وجُزْتُ على ذاك الشَّنِيب المُنَضَّدِ
وبات كما شاء الغـرامُ مُعَانِقِي * وبِتُّ وإيّاه كحـرفٍ مشـدَّد

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفّى شيخ الفَتْوَى عبد الجبّار بن يوسف ببغداد . والمحدِّث أبو العزّ[1] عبـد المُغيث بن زُهير الحَرْبِيّ . وقاضى القضاة أبو الحسن علىّ بن أحمد آبن قاضى القضاة علىّ بن محمد بن الدامغانىّ الحنفىّ . وأبو الفتح محمـد بن يحيى بن محمـد بن مواهب البَرَدَانِىّ[2] . والأمير الكبير شمس الدين محمد [بن عبد الملك][3] بن المقدّم النُّورىّ ، قُتِل بعرفات . وأبو السعادات نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد [يعرف][4] بابن زُرَيْق القزّاز فى شهر ربيع الآخر ، وله آثنتان وتسعون سنة . وشيخ الحنابلة ناصح الدين[5] أبو الفتح نصر بن فِتْيَان [بن مطرف المعروف بآ][6] بن المَنِّى فى رمضان عن إحدى وثمـانين سنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم ستّ أذرع وثمـانى أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

* * *

السنة الثامنة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر ، وهى سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

---

(١) فى شـذرات الذهب : «أبو العزيز» . (٢) البردانى : نسبة الى بردان ، قرية ببغداد . (٣) التكملة عما تقدّم للؤلف . (٤) الزيادة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى . (٥) فى المشتبه وشذرات الذهب : « ناصح الإسلام » . (٦) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وابن الأثير والمختصر المحتاج إليه .

فيها توفّى الأمير أسامة بن مُرْشِد بن علىّ بن المقلّد بن نصر بن مُنْقِذ الأمير أبو الحارث[1] مؤيّد الدولة مجد الدين الكِنانِىّ . مولده بشَيْزَر فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكانت له اليد الطُّولى فى الأدب والكتابة والشعر، وكان فارسا شجاعا عاقلا مدبِّرا، كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب الجاهليّة، وطاف البلاد ثم آستوطن حَماة[2] فتوفّى فيها فى شهر رمضان، وقد بلغ ستًا وتسعين سنة . ٥
وله ديوان شعر مشهور، وكان السلطان صلاح الدين مُغْرًى بشعره . ومن شعره فى قلع الضِّرْس :

وصاحبٍ لا أَمَلُّ[3] الدهرَ صُحْبَتَه * يَشْقَى لنَفْعِى ويسعَى سعىَ مُجْتَهِدِ
لم أَلْقَه مُذْ تصاحبْنا فمُذْ[4] وقعتْ * عينى عليه آفترقنا فُرْقَةَ الأبدِ

وقال فى أيّام الملك العادل نور الدين الشهيد : ١٠

سلطاننا زاهدٌ والناس قد زهدوا * له فكلٌّ على الخيرات مُنْكَمِشُ
أيّامه مثلُ شهرِ الصَّوْمِ طاهرةٌ * من المعاصى وفيها الجوع والعطشُ

وفيها توفّى مجاهد الدين خالص بن عبد الله الناصرىّ خادم الخليفة الناصر لدين الله، كان قريبا من الخليفة سلّم إليه مماليكه الخواص، وكان سليم الباطن دينًا، صلى به إمامُه صلاة الفجر فقرأ الإمام فيها : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ ١٥
فلمّا سمع خالصٌ ذلك رفَع صوته وهو فى الصلاة وقال : صلّى الله عليك يارسولَ الله .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الإسلام للذهبى : « أبو المظفر » . وفى ابن كثير : «أبو الحارث وأبو المظفر» . (٢) فى ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير : « وتوفى بدمشق » . (٣) فى الأصل : «لم أمل» . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير . (٤) فى الأصل : « فذ نظرت » . وما أثبتناه عن ٢٠ شذرات الذهب . ورواية ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير * ...لحين بدا * لناظرى افترقنا ... *

فضحك القوم وقطعوا الصلاة. فقال لهم خالص المذكور : مجانينُ أنتم! يقول الله : ﴿ صلُّوا عليه وسلّموا تسليما ﴾ وأسكت أنا !

وفيها تُوفّى محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفّر بن علىّ ؛ أبو حامد محيي الدين[1] الشَّهرُزُورِىّ الإمام الفقيه، ولى القضاء بالمَوْصل، وقدم بغداد رسولا من صاحب الموصل، فأكرمه الخليفة وخلَع عليه . ثم عاد فمات فى جمادَى الأولى .

ومن شعره :

ولمّا شاب رأسُ الدهر غَيْظًا * لِما قاساه من فَقْـــد الكرامِ
أقام[2] يُميط عنــه الشيبَ عَمْدًا * وينشُر ما أماط على الأنام

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الأمير مؤيّد الدولة أبو المظفر أسامَة بن مُرْشِـد بن علىّ بن مُقَـلّد بن نصر بن مُنْقِذ الكِنانِىّ فى شهر رمضان عن سبع وتسعين[3] سـنة . وظاعن بن محمد الزُّبَيْرِىّ الخيّاط . وأبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله[4] [بن يوسف بن أبى عيسى القاضى[5]] بن حُبَيْش الأنصارىّ بمُرْسِية[6]، وكان خطيبها وقاضيها ومحدِّثها ومسندَها ، توفّى فى صــفر . وأبو القبائل[7] ابن علىّ عن مائة سنة وزيادة . والعلّامة شمس الأئمة عِماد الدين عمر بن شمس الأئمة بكر بن محمد الزَّرَنْجَرِىّ[8] البخارىّ شيخ الحنفيّة فى شوّال ، وله خمس وستون سـنة .

---

(١) فى الأصل وتاريخ الاسـلام : « كمال الدين » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير وابن كثير، وقد أجمعت كل هذه المصادر على أنه توفى سنة ٥٨٦ هـ ووافقهم الذهبي وطبقات الشافعية فى ذلك . (٢) رواية ابن خلكان : * أقام يميط هذا الشيب عنه *
(٣) تقدّم فيمن ذكر المؤلف وفاتهم أنه بلغ ستا وتسعين سنة . (٤) فى تاريخ الإسلام : «ابن عبيد الله» . (٥) التكملة عن بغية الوعاة للسيوطى وتاريخ الإسلام للذهبى .
(٦) مرسية : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (عن معجم البلدان لياقوت) . (٧) هو عشير بن على بن أحمد بن الفتح أبو القبائل كما فى تاريخ الإسلام للذهبى .
(٨) الزرنجرى : نسبة الى زرنجرى : بلدة ببخارى (عن معجم البلدان لياقوت) .

وأبو عبدالله محمد بن على بن محمد بن الحسن بن صَدَقَة الحَرّانى التاجر، وله سبع وتسعون سنة . والحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازِمىّ الهَمَذانى فى جُمادى الأولى شابًّا، وله خمس وثلاثون سنة . وأبو الفرج يحيى بن محمود الثَّقَفِىّ الصُّوفِىّ فى نواحى هَمَذان غريبا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وآثنتا عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وثلاثَ عشرة إصبعا .

*
* *

السنة التاسعة عشرة من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

فيها ولّى السلطان صلاحُ الدين على عَكّة حُسامَ الدين بِشَارة، وولّى على عِمارة سورها الخادم بهاءَ الدين قراقوش .

وفيها توفّى الأمير طُمان بن عبد الله النُّورِىّ صاحب الرَّقّة ، كان شجاعا جوادا محبّا للخير كثير الصدقات يُحِبّ الفقهاء والعلماء ، بنى مدرسة بحلب للحنفيّة . وكانت وفاته فى ليلة نصف شعبان ؛ وحزِن السلطان صلاح الدين عليه والمسلمون لحرصه على الجهاد ولمواقفه المشهودة .

وفيها توفّى عبد الله بن محمد بن هبة الله بن المطهّر[1] بن علىّ أبو سعد بن أبى السَّرِىّ التَّمِيمِىّ الموصلىّ القاضى شرف الدين بن أبى عَصْرُون . كان إماما فاضلا مصنِّفا ، وكان خَصِيصا بالملك العادل نور الدين ، ثم آقتضى[2] به السلطان صلاح الدين ، وولِى القضاء بِعدّة بلاد وضُرّ قبل وفاته بعشر سنين . ومن شعره قوله :

(١) فى الأصل : « ابن علىّ بن المطهر » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى وعقد الجمان . (٢) يريد أنه آستقضاه أى ولاه القضاء .

كلُّ جمعٍ إلى الشـــتاتِ يصيرُ * أىُّ صَـــفْوٍ ما شانَهَ التكديرُ
أنت فى اللّهو والأمانى مقـيمٌ * والمنـايا فى كلّ وقت تسـير

وفيهـا توفّى الفقيه عيسى الهَكّارىّ[1] ضياءُ الدين، حضر فتح مصر مع أسدالدين شِيرِكُوه، وهو الذى مشّى بين الأمراء و بين السلطان صلاح الدين لمّـا ولِى وزارة العاضد بعد موت عمّه أسد الدين شِيرِكُوه، حسب ما تقدّم ذكره حتّى تمّ أمره. ثمّ حضر مع السلطان صلاح الدين فتحَ القُدْس والغزوات، وكان صلاح الدين يَميل إليه و يستشيره، وكأنّ الله قـد أقامه لقضاء حوائج الناس والتفريج عن المكرو بين مع الوَرَع والعِفّة والدين — رحمه الله —.

وفيهـا تُوفّى الأمير مُوسَك بن جَكُو [ابن][2] خال صـلاح الدين. كان حافظا للقرآن سامعا للحديث، وكان محسنا إلى الناس ملازما للسلطان فى غزواته، وكان ديّنا صالحا جَوَادًا، مرِض بمَرْج عكّا فأمره السلطان أن يمضى إلى دمشق ليتطبّب بها، فتوجّه إلى دِمشق ومات بها — رحمه الله —.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبوالعبّاس التُّرْك أحمد بن أحمد بن محمـد بن ينّال شيخ الصوفيّة بأصبهان ومُسْنِدُها فى شعبان. وأبو الحسين[3] أحمد بن حمزة المَوَازِينِىّ فى المحرّم. وقاضى القضاة شرف الدين أبو سـعد عبد الله ابن محمد بن أبى عَصْرُون التّميمىّ المَوْصِلِىّ فى رمضان. وأبو الفضل عبد المجيد بن [الحُصَيْنِىّ بن يوسف بن الحسن بن أحمد بن][4] دَلِيل الإسكندرانىّ المعدّل. وشيخ

(١) هوأبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف بن القاسم بن عيسى بن محمـد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب — رضى الله عنه — (راجع ترجمته فى ابن خلكان). (٢) التكلة عن الروضتين وعقد الجمان وتاريخ الإسلام. (٣) فى الأصل: «أبو الحسن». والتصويب عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى.
(٤) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبى.

الشافعيّة أبو طالب المبَارك بن المبارك [بن المبارك] [(١)] الكَرْخِيّ [(٢)] صاحب ابن الخلّ .
وأبو المعالى [وأبو النجاح] [(٣)] مُنْجِب بن عبد الله المُرْشِدِيّ الخادم فى المحرّم . والحافظ
يوسف بن أحمد الشِّيرازيّ ثم البغداديّ الصوفىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا .

* *
*

السنة العشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على
مصر، وهى سنة ستّ وثمانين وخمسمائة .

فيها ملَك سيف الإسلام أخو السلطان صلاح الدين صنعاء من بلاد اليمن .
وفيها حجّ بالناس من العراق طاشتِكِين المذكور فى السنة الماضية .
وفيها توفّى مسعود [بن علىّ] [(٤)] بن عُبَيْد الله أبو الفضل بن النادر الصفّار الأديب
الشاعر، كان بارعا فى الأدب، وكتب خطّا حسنا نحوا من مائة ربعة . ومن
شعره قوله :

تولّوا فأولوا الجسمَ من بعدهمْ ضَنًا * وحرًّا شديدا فى الحَشا يتزايدُ
وزاد بلائى بالذين أُحِبّهمْ * وللناس فيما يَذْهَبُون مقاصد

وفيها توفّى يوسف بن علىّ بن بُكْتِكِين الأمير زين الدين صاحب إرْبِل .
كان قدِم إلى السلطان صلاح الدين نَجْدَةً فمرِض ومات، وفرِح بموته أخوه مُظَفَّر

(١) التكلة عن تاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان والمختصر المحتاج اليه وطبقات الشافعية .
(٢) فى عقد الجمان : « الكرجى » بالجيم .
(٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي .
(٤) فى الأصل : « مسعود بن عبد الله » . والزيادة والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام .

الدين، وتولّى إرْبِل مكانَه من قِبَل السلطان صلاح الدين . وكان زين الدين أميرا كبيرا شجاعا مقداما مدبِّرًا .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الحافظ أبو المواهب الحسن[1] بن هِبة الله بن محفوظ بن صصرى التَّغْلَبيّ الدمشقيّ، وله تسع وأربعون سنة . وأبو الطيّب عبد المنعم بن يحيى [بن خُلُف[2] بن نفيس] بن الخُلُوف الغِرْناطِيّ المقرئ . وأبو عبد الله محمد بن سعيد [بن أحمد[3] بن عبد العزيز بن عبد البرّ بن مجاهد المعروف بـ]ابن زَرْقُون الإشْبِيلِيّ المالكيّ المسنِد . وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الفَرَح بن الجَدّ الفِهْرِيّ الحافظ بإشْبِيلِيَة . وقاضى القضاة محيى الدين[4] أبو حامد محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين بن الشَّهْرُزُورِيّ، وله اثنتان وستون سنة . ولى حلب ثم المَوْصِل .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السنة الحادية والعشرون من ولاية السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فيها كان استيلاء الفرنج على عكّا، كما تقدّم فى ترجمة السلطان صلاح الدين من هذا الكتاب .

---

(١) فى الأصل : «أبو المواهب الحسين» . والتصويب عن شذرات الذهب وطبقات الحفاظ للسيوطى والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبىّ . (٢) التكملة عن غاية النهاية فى أسماء رجال القراءات وتاريخ الإسلام للذهبى والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار .
(٣) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبى . (٤) قد قدم المؤلف وفاته سنة ٥٨٤ هـ .

وفيها توفى الموفق أسعد بن [إلياس بن جرجس][(1)] المَطْرَان الطبيب. كان نصرانيًا فأسلم على يد السلطان، وكان غزير المُرُوءة حسنَ الأخلاق كريمَ العِشرة . وكان يصْحَبُه صبيّ حسن الصورة آسمه عمر . وكان الموفق يحبّ أهل البيت ويبغض آبن عُنَين[(2)] الشاعر لخبث لسانه، وكان يحرض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له : أليس هذا هو القائل :

سُلْطانُنا أعرجُ وكاتبـهُ * أَعْمَشُ والوزير منحدبُ

فهجاه آبن عُنَين بقوله :

قالوا الموفّق شيعِىٌّ فقلت لهم * هذا خلاف الذى للناس منه ظَهَرْ
فكيف يجْعَل دينَ الرَّفْض مَذْهبَه * وما دعاه إلى الإسلام غيرُ عمرْ

وفيها توفى سليمان بن جَنْدَر . كان من أكابر أمراء حلب، ومشايخ الدولتين : النُّورِيّة والصلاحيّة، شَهِد مع السلطان صلاح الدين حروبه كلّها، وهو الذى أشار بخراب عَسْقَلَان مصلحة للسلمين . ومات فى أواخر ذى الحِجّة .

وفيها توفى عمر بن شاهنشاه بن أيّوب الملك المظفر تقىّ الدين . قد ذكرنا من أمره : أنّ عمّه السلطان صلاح الدين كان أعطاه حَمَاة، وعدّة بلاد من حماة إلى ديار بكر ، فطمع فى مملكة الشرق فنفرت عنه وعن عمّه صلاح الدين القلوبُ لِعظَم طمعهما . ووقع لتقىّ الدين هذا مع بكتمر [بن عبد الله[(3)] مملوك شاه أرمن] صاحب خِلاط وقائع وحروب ، فمات تقىّ الدين بتلك البلاد، فكتم محمد ولدُه موته، وحمله

(1) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة .

(2) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الملقب شرف الدين الكوفى الأصل الدمشقى المولد، الشاعر المشهور . توفى سنة ٦٣٠ هـ (عن ابن خلكان) .

(3) التكملة عما سيأتى للؤلف فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ .

إلى ميّافارقين، فدُفِن بها . وكانت وفاته يوم الجمعة عاشر شهر رمضان ، ثم بنيت له مدرسة بظاهر حَمَاة، فنُقِل إليها . وكان السلطان صلاح الدين يكره آبنه محمدا فأخذ منه بلاد أبيه ، وأبقى معه حماة لا غير . ولقّب محمد هذا بالملك المنصور . وهو أبو ملوك حَمَـاة من بنى أيّوب الآتى ذكرهم . وكان تقىّ الدين شجاعا مِقداما شاعرا فاضلا ، عاشَر العلماء والأدباء وتخلّق بأخلاقهم ، وله ديوان شعر . ومن شعره :

يا ناظِـــرَيْهِ تَرَفّقَـا * ما فى الوَرَى لكما مُبارِزْ
هَبْكُمْ تَجَبَّـــتُمْ أنْ أرا * هُ فهل لقلب الصّب حاجِزْ

وفيها توفّى يحيي السُّهْرَوَرْدِىّ[1] المقتول بحَلَب، كان يعانِى علوم الأوائل والمنطق والسـيمياء وأبواب النّيرَنْجيّات[2] ، فآستمال بذلك خلقا كثيرا وتبِعوه ، وله تصانيف فى هذه العلوم . وآجتمع بالملك الظاهر آبن السلطان صلاح الدين صاحب حلب، فاعجب الظاهرَ كلامُه ومال إليه . فكتب أهل حلب إلى السلطان صلاح الدين : أدرِكْ ولدكَ و إلّا نتلف عقيدتُه، فكتب إليه أبوه صلاح الدين بإبعاده فلم يُبْعِده، فكتب بمناظرته ، فناظره العلماء فظهَر عليهم بعبارته ، فقالوا : إنّك قلت فى بعض تصانيفك : إنّ الله قادر على أن يخْلُق نبيا، وهذا مستحيل . فقال : ماوجه آستحالته؟ فإنّ الله القادر هو الذى لا يمتنِـع عليه شئ. فتعصّبوا عليه، فحبسه الظاهر و جرت بسببه خُطُوب وشنَاعات . وكان السُّهْرَوَرْدِىّ ردىء الهيئة، زَرِىّ الخِلقة ، دَنِس الثياب ، وسِخ البَدَن ، لا يَغسل له ثوبا ولا جسما ، ولا يقصّ ظفرا ولا شـعرا ، فكان القمل يتناثر على وجهه ، وكان مَن رآه يهرُب منه لسوء منظره ، وقبح زِيّه.

---

(١) فى الأصل : « محمد » . والتصويب عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . وهو أبو الفتوح يحيي بن حبش بن أميرك الملقب شهاب الدين السهروردى الحكيم .

(٢) النيرنجيات، جمع نيرنج، وهو أخذ تشبه السحر وليست بحقيقته .

وطال أمره إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل في يوم الجمعة منسلخ ذي الحجة من هذه السنة، أخرج من الحبس ميتا. ومما ينسب إليه من الشعر القصيدة التي أولها[1]:

أبدا تحن إليكم الأرواح * ووصالكم ريحانها والراح

وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم * وإلى كمال جمالكم ترتاح

وقال السيف الآمدي[2]: اجتمعت بالسهروردي بحلب، فقال لي: لا بد أن أملك الأرض. فقلت: من أين لك هذا؟ فقال رأيت في المنام أني شربت ماء البحر؛ فقلت: لعل ذلك يكون اشتهار العلم فلم يرجع؛ فرأيته كثير العلم قليل العقل. ويقال: إنه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد:

أرى قدمي أراق دمي * وهان دمي فهاندمي

والأول قول أبي الفتح البستي[3] وهو قوله:

إلى حتفي سعى قدمي * أرى قدمي أراق دمي

فلا أنفك من ندم * وليس بنافعي ندمي

وفيها توفي الشيخ نجم الدين الخبوشاني[4]. قال صاحب المرآة: «قدم إلى الديار المصرية وأظهر الناموس وتزهد، وكان يركب الحمار فيقف على السلطان صلاح الدين وأهله. وأعطاه السلطان مالا فبنى به المدرسة التي بجانب الشافعي[5] — رحمة الله عليه —. وكان كثير الفتن — منذ دخل مصر إلى أن مات — ما زالت الفتنة قائمة

(١) وهي قصيدة طويلة ذكرها ابن خلكان وصاحب عقد الجمان. (٢) هو أبو الحسن علي ابن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الفقيه الأصولي الملقب سيف الدين الآمدي. توفي سنة ٥٨٣ هـ. (عن ابن خلكان). (٣) هو أبو الفتح علي بن محمد البستي تقدمت وفاته سنة ٣٦٣ هـ. راجع الجزء الرابع ص ١٠٦ من هذه الطبعة. (٤) هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي ابن الحسن بن عبد الله الفقيه الشافعي (عن عقد الجمان وابن خلكان).

(٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٤ من هذا الجزء.

بينه وبين الحنابلة [و] آبن الصابونى وزين الدين بن نُجَيّة[1]، يكفّرونه ويكفرهم؛ وكان طائشا مُتَهوّرا ، نبَش على آبن الكِيزَانِى[2] وأخرج عظامَه من عند الشافعى، وقد تقدّم ذلك . وكان يصوم ويُفطِر على خبز الشعير، فلمّا مات وُجِد له ألوف الدنانير، وبلغ صلاحَ الدين فقال : ياخيبة المَسْعَى ! ومات فى صفر . وتولّى بعـده — تدريس مدرسـة الشافعى التى بناها — شيخُ الشيوخ صـدر الدين آبن حَمُّويه[3] » . إنتهى كلام صاحبِ المرآة بآختصار بعـد أن ثَلَب الْخُبُوشَانِىَ المذكور بمساوئ أضربتُ عن ذكرها — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها توفى الفقيه أبو محمـد عبد الرحمن بن على الخِرَقِىّ التَّيْمِى فى ذى القعدة ، وله ثمانٍ وثمانون سنة. وأبو المعالى عبد المنعم بن عبد الله بن محمد الفَرَاوِى[4] فى شعبان . وصاحب حماة المظفّر عمر بن شاهنشاه بن أيّوب . ونجم الدين محمد بن الموفّق الْخُبُوشَانِى الشافعى الزاهد . والشهاب السُّهْرَوَرْدِى الفيلسوف . ويعقوب بن يوسف الحَرْبِى[5] المقرئ .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم ستّ أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

---

(١) فى الأصل : «ابن عشة» . والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب وابن خلكان . وهو أبو الحسن على بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصارى المعروف بابن نجية الواعظ المشهور، وسيذكر المؤلف وفاته فيا نقله عن الذهبى سـنة ٥٩٩ هـ . (٢) راجع ترجمته فى ص ٣٦٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) هو محمد بن عمر بن على بن محمد بن حمويه، عماد الدين الجوينى كما فى طبقات الشافعية وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦١٧ هـ . (٤) فى الأصـل : «الفزاوى» . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد .

(٥) كذا فى الأصل . وفى غاية النهاية : «الخزى» .

*
* *

السنة الثانية والعشرون من ولاية صلاح الدين يوسف بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة .

فيها توفّى سِنَان بن سليمان[1] ، صاحب الدعوة[2] بقلاع الشام . كان أصله من البصرة من حصن أَلَمُوت[3]، فرأى منه صاحب الأمر بتلك البلاد نجابةً وشهامة وعقلا ٥ وتدبيرا، فسيّره إلى حصون الشام، فسار حتّى وصل إلى البلاد الشاميّة، وكان فيه معرفة وسياسة . وجَدّ فى إقامة الدعوة واستجلاب القلوب، وكان مجيئُه إلى الشام فى أيّام السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد . فجَرَت له معه حروب وخطوب، واستولَى سِنَان هذا على عِدّة قلاع وأقام واليا ثلاثين سنة والبعوث تَرِد عليه فى كلّ قليل من قِبَل نور الدين . ثم إنّ السلطان نورَ الدين عزم على قصده فتوفّى . وأقام ١٠ سنان على ذلك إلى أن توفّى ببلاد الشام فى هذه السنة .

وفيها توفّى علىّ بن أحمد الأمير سيف الدين بن المَشْطُوب ملك الهَكَّارِيّة[4] . وكان أميرا شجاعا صابرا فى الحروب مُطاعا فى قبيلته ، دخل مع أسد الدين شِيرِكُوه إلى مصر فى مرّاته الثلاث، ثم عاد بعد سلطنة صلاح الدين إلى البلاد الشاميّة، فدام بها إلى أنْ مات فى آخر شوّال . وقال ابن شدّاد : مات بالقدس وصُلِّيَ عليه ١٥ بالجامع الأقصى .

وفيها توفّى السلطان قِلِيج أَرسلان بن مسعود بن قليج أرْسلان بن سليمان بن قُتُلْمِش بن إسرائيل بن سَلْجُوق، الملك عِزّ الدين السلجوقىّ صاحب بلاد الروم .

(١) فى شذرات الذهب : «ابن سلمان» . (٢) يريد بها دعوة الإسماعيلية كما صرح بها فى عقد الجمان وشذرات الذهب وابن الأثير . (٣) ألموت : قلعة على جبل شاهق من حدود ٢٠ الديلم (راجع ابن الأثير ج ٨ ص ١٤٠) . (٤) الهكارية : بلدة وناحية وقرى فوق الموصل فى بلد جزيرة ابن عمر؛ يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

طالت أيامه واتّسعت ممالكه . ولمّا أسنّ أصابه الفالج فتعطّلت حركتُه ، وتنافس أولادُه فى الملك ، وحكم عليـه ولده قُطْبُ الدين مَلِكشاه ، وقَتَل كثيرا من خواصّه فى حياة أبيـه . وكان قطب الدين مُقيما بسِيوَاس[1] وأبوه بقُونِيَة[2] . ثم جاء إلى أبيه يقاتله فأخرج إليه العساكر ، فآلتقاهم قطب الدين وكسرهم و بدّد شمل أصحاب أبيه ، ثم ظفِر بأبيـه فأخذه مُكْرَهًا وحمـله إلى قَيْسَارِيَة[3] ، ووقع له معه أمور أُخَر . وآخر الأمر أنّه عهِد إلى ولده غِياث الدين بالمُلك ولم يَعْهَد لقطب الدين . وكانت وفاته فى نصف شعبان .

وفيها تُوفّى نصر بن منصور أبو المرهف النُّمَيْرِىّ الشاعر المشهور، منسوب إلى نُمَير بن عامر بن صَعْصَعة[4] . وُلِد برَقّة الشام ، وأمّه بنت سـالم بن مالك صاحب الرَّحْبَة، ورُبِّىَ بالشام وعاشر الأدباء وقال الشعر وهو آبن ثلاث عشرة سنة . وقلّ بصره بالجُدَرِىّ وله أربع عشرة سـنة . وقدِم بغداد ليداوِىَ عَيْنَيْه فآيسه الأطبّاء ، فحفِظ القرآن وتفقّه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — وكان طاهر اللسان عفيفا ديّنا . وله مدائح فى صلاح الدين وغيره . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

تُرَى يتألّف الشـمْلُ الصديعُ * وآمنُ مِن زمانٍ ما يرُوعُ
وتأنس بعـد وَحْشَتِنا بنَجْـدٍ * منازلُنـا القـديمةُ والرُّبُوعُ
ذكرتُ بأيْمَنِ العلمَيْن عَصْـرًا * مضَى والشمل مُلْتَـئِمٌ[5] جميـعُ

---

(١) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة و بها قلعة صغيرة بينها و بين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) . (٢) قونية : مدينة من أعظم مدن الإسـلام بالروم (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٠٤ من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٤) انظر: بقية نسبه فى آبن خلكان . (٥) كذا فى ابن خلكان . وفى الأصل : « والعيش ملتئم » .

فلم أملِك لدمعي ردّ غَرْب * وعند الشوق تَعْصِيكَ الدموعُ
ينازعني إلى خَنْساء قلبي * ودون لقائها بلدٌ شَسوعُ
وأخْوَفُ ما أخاف على فؤادى * إذا ما أنجَد البرقُ اللَّموعُ
لقد حُمِّلْتُ من طول التنائي * عن الأحباب مالا أستطيع

٥ الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفّى الفقيه أحمد ابن الحسين بن عليّ العراقيّ الحنبليّ بدمشق . والمحدّث أبو الفضل إسماعيل بن عليّ الجَنْزوِيّ[1] الشُّرُوطيّ[2] بدمشق في سلخ جُمادى الأولى . وأبو ياسر عبد الوهاب [بن هبة الله بن عبد الوهاب][3] بن أبي حبّة الدقاق بحرّان في شهر ربيع الأول . وأبو جعفر عبيدالله بن أحمد [بن عليّ بن عليّ][4] بن السَّمين . والأمير الكبير سيف الدين عليّ بن أحمد
١٠ الهكّاريّ المشطوب في شوّال بالقدس . وصاحب الروم قِليج أرْسلان بن مسعود السلجوقيّ . والنسّابة أبو عليّ محمد بن أسعد الحسينيّ الجَوّانيّ بمصر .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وثلاث وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

---

(١) في الأصل هكذا : « الجبروني » . والتصويب عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه
١٥ في أسماء الرجال للذهبي ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية في التاريخ . والنسبة جنزى .
ويقول بعضهم في النسبة اليها : «جنزوى» ، وهي أعظم مدينة بأرّان وهي بين شروان وأذربيجان وهي
التي تسميها العامة كنجة . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الشروطي : نسبة إلى كتابة الشروط
وهي الوثائق . (٣) التكملة عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد والمشتبه في أسماء الرجال
للذهبي وتاريخ الإسلام . (٤) في الأصل : « عبدالله بن أحمد بن السمين » . والتصحيح
٢٠ والزيادة . عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .

ذكر ولاية الملك العزيز عثمان على مصر

هو الملك العزيز عمَاد الدين أبو الفتح عثمان سلطان الديار المصرية وآبن سلطانها الملك الناصر صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادِى ابن مَرْوَان الأيّوبىّ الكُرْدِىّ الأصل المصرىّ . ولِى سلطنة مصر فى حياة والده صورةً ؛ ثم تسلطن بعد وفاته آستقلالا بآتّفاق الأمراء وأعيان الدولة بديار مصر ، لأنه كان نائبا عن أبيه صلاح الدين بها لمّا كان أبوه مشتغلا بفتح السواحل بالبلاد الشاميّة وتمّ أمره . وكان مولده بالقاهرة فى ثامن جُمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان الملك العزيز هذا أصغر من أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب، وأصغر من أخيه الأفضل صاحب دمشق . وكان الأفضل هو أكبر الإخوة ، وهو المشار إليه فى أيّام أبيه صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذى جلس للعزاء بعد موت صلاح الدين، وصار هو السلطان الأكبر إلى أنْ ظهر منه أمور، منها : أنّه كان آستوزر ضِياءَ الدين الجَزَرِىّ(1)، فأساء ضِياءُ الدين السِّيرة؛ وشغّف قلوب الجند إلى مصر، وساروا إليها فآلتقاهم الملك العزيز وأكرمهم ، وكانوا مُعْظَم الصلاحيّة . وآشتغل الأفضل بلهوه . وكان القُدْس فى يده فعجز عنه وسلّمه إلى نوّاب الملك العزيز هذا ؛ فبان للناس عجزُ الأفضل . ثم وقعت الوحشة بين العزيز هذا و بين أخيه الأفضل المذكور . و بلغ الفرنج ذلك ، فطمعوا فى البلاد وحاصروا جَبَلَة ، وكان بها جماعة من الأكراد فباعوها للفرنج . و برز الملك العزيز من مصر يريد قتال الفرنج فى الظاهر، وفى الباطن أخذ دمشق من أخيه الأفضل؛

---

(1) هو ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد المعروف بابن الأثير الجزرى الشيبانى، وهو مصنف المثل السائر، وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٧ ه .

وعلم الأفضل بذلك فكتب إلى عمّه العادل أبى بكر بن أيّوب ، وللمشارقة[1] بالنجدة ، فأجابوه إلى ما يريد ؛ وكان مع العادل عدّة بلاد بالشرق ، وكان لمّا توفّى أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين بالكَرَك قدم دمشق معزّيا للأفضل وأقام عنده أيّاما ؛ ثم رحل إلى محلّ ولايته بالجزيرة[2] والرُّها[3] وسُمَيْساط[4] والرَّقّة[5] وقلعة جَعْبَر وديار بكر[6] ومَيّافارقِين[7] . وهى البلاد التى كان أعطاها له أخوه صلاح الدين فى حياته ، وكان له أيضا مع ذلك بالبلاد الشاميّة الكَرَك والشُّوبَك .

والمقصود أنّ الملك العزيز هذا لمّا رحل من مصر إلى نحو دمشق ، سار حتى نزل بظاهر دمشق ، وقيل بعقبة الشُّحُورة[8] ؛ وجاء العادلُ بعساكر الشرق ونزل بمرج عَذْواء[9] . فأرسل إليه العزيز يقول : أريد الاجتماع بالعادل ؛ فاجتمعا على ظهور خيلهما وتفاوضا ؛ فقال له العادل : لا تخرّب البيت وتدخل عليه الآفة ! والعدوّ وراءنا من كلّ جانب ، وقد أخذوا جَبَلَة ؛ فارجع إلى مصر واحفظ عهد أبيك . وأيضا فلا تكسر حُرْمة دمشق ، وتُطْمِع فيها كل أحد ! وعاد الملك العادل عنه إلى دمشق ، وأقام العزيز فى منزلته . وقدمت العساكر على الأفضل وبعث العادل إلى العزيز يقول له : ارْحل إلى مرج الصُّفَّر ؛ فرحل وهو مريض . وكان

(١) يريد بالمشارقة أمراء المشرق ؛ وهم الظاهر غازى بحلب ومحمد بن تقى الدين بحماة وأسد الدين شيركوه بن محمد بحمص والأمجد مجد الدين بهرام شاه ببعلبك ، وعسكر الموصل وغيرها راجع ابن الأثير وعقد الجمان فى حوادث سنة ٥٩٠ هـ . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٧ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣١٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة (٨) عقبة الشحورة : بلدة بين الكسوة ودمشق فى جنوبها (عن تقويم البلدان لأبى الفداء إسماعيل) . وفى الأصل : « بعقبة سجورا » . ولم نقف عليها فى المعاجم التى تحت أيدينا . (٩) كذا فى الأصل . وفى ابن الأثير : « بمرج الريحان » وقد بحثنا عن كليهما فى الكتب التى تحت أيدينا فلم نوفق إليهما .

قصـد العادل أنْ يُبْعِده عن البلد . فوصل الملك الظاهر غازى من حلب، والملك المنصور من حَمَاة، وشِيرِكُوه بن محمد بن شِيرِكوه من حِمْص، والأمجد من بعلبكّ، والجميع نجدةً للأفضل . فقال لهم العادل : قد تقرر أنّه يرحل إلى مصر . وآشتدّ مرض العزيز فآحتاج إلى المصالحة، ولولا المرض ما صالح ؛ فأرسل الملك العزيز كبراء دولته فخرَ الدين إياز جِهَارَكس[١] وغيرَه يحلّف الملوك، وطلب مصاهرة عمّه العادل فزوّجه آبنته الخاتون . ورجع كلُّ واحد إلى بلده، وذلك فى شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة .

وقال العماد الكاتب الأصفهانىّ : خرج الملوك لتوديع الملك العزيز إلى مرج الصُّفَّر واحدا بعد واحد . وأوّل مَن خرج إليه أخوه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، فبات عنده ليلةً وعاد ، فخرج إليه أخوه الأفضل صاحب الواقعة، فقام إليه وآعتنقا وبكيا، وأقام عنده أيضا يوما، وكان قد فارقه منذ تسع سنين، فلمّا عاد كتب إلى العزيز من إنشائه من عدّة أبيات :

نَظَرْتُك[٢] نظرةً من بعد تسع * تقضَّتْ بالتفرق مِن سنينِ

ولمّا آنفصل العساكر عن دمشق شرع الأفضل على عادته فى اللّهو واللّعب، فآحتجب عن الرعيّة فسُمِّى «الملك النوّام» وفوّض الأمر إلى وزيره ضياء الدين الجَزَرىّ ، وحاجِبِه الجمال محاسن بن العجمىّ، فأفسدا[٣] عليه الأحوال، وكانا سببا لزوال دولته . وآستمرّ الملك العزيز هذا بمصر وأمرُه ينمو ويزداد إلى سنة تسعين .

وفيها عاد الآختلاف ثانيا بين العزيز والأفضل؛ وسببُه إغراءُ الجند والوسائط . وكان أكبر المحرّضين للعزيز على أخيه الأفضل أُسامة، حتّى قال له : إنّ الله يسألك عن

(١) فى الأصل : «سرتكين» . وفى ابن الأثير والروضتين : «أياز جركس» . وما أثبتناه عن عقد الجمان .
(٢) هذا البيت مطلع قصيدة للأفضل عدتها ثمانية أبيات، ذكرها صاحب كتاب الروضتين .
(٣) فى الأصل : «فأفسدوا» .

الرعيّة ، هذا الرجل قد غرق فى اللهو وشربه ، وآستولى عليه الجزَرِى وآبنُ العجمى .
ثم قال له القاضى آبن أبى عَصْرون : لا تَسْلَم يوم القيامة . و بلغ الأفضلَ قولُ أسامة وآبن
أبى عَصْرون فأقلع عمّا كان عليه ، وتاب وندِم على تفريطه ، وعاشر العلماء والصلحاء ،
وشرع يكتب مصحفا بخطّه ، وكان خطّه فى النهاية ، فلم يُغْن عنه ذلك . وتحرّك
العزيز يَقْصِده ، فسار الأفضل إلى عمّه العادل يستنجِد به ، فآلتقاه العادل على صِفّين(١) ،
فسار معــه بعساكر الشرق إلى دمشق ؛ وكان الأفضل لمّا آجتاز بحلب آتفق مع
أخيه الظاهر غازى وتحالفا ، وجاء إلى حماة ففعل كذلك مع آبن عمّــه المنصور .
وصار العادل يشير عليه بعزْل الجزَرى عن الوزارة ، و يقول له : هذا يخرّب بيتك .
فصار لا يلتفت إليه لخنِق منه . ثم إنّ العادل سأل الملك الظاهر غازى فى شىء فلم يُجبه ،
فغضب لذلك العادل وآنفرد عنهم ، وكتب إلى العزيز يخبره أنّه معه ، و يستحثّه على
القدوم إلى دمشق ؛ فخرج العزيز من مصر مُسْرِعًا ، ثم علِم العــادل أنّه لا طاقة له
بالعزيز ولا بالظاهر ؛ فراســل الأســديّة الذين كانوا بمصر ، وأوعدهم بالأموال
والإقطاعات . وكان الملك العزيز قد قدّم عليهم الصلاحيّة مماليكَ أبيه . والأسديّة
هم ممــاليك عمّه أســد الدين شِيركوه وحواشيه الأكراد ؛ ثم دسّ العادل للأســديّة
الأموال ، وكان مقدّم الأكراد الأسديّة أبو الهيجاء السّمين ، وكان العزيز قد عزَله
عن ولاية القدس ، وتقدّمت الأســديّة بسيف الدين جُرْدِيك ؛ فركب أبو الهيجاء
بجوعه ، ومعه أزْكُش فى الليل ، وقصدوا دمشق ، فأصبح العزيزُ فلم يرَ فى الخيام من
الأسديّة أحدا ، فرجع إلى مصر . وشرع أُزْكُش وأبو الهيجاء والأســديّة يحرّضون
العادل على أخذ مصر ، وكانت الأسديّة والأكراد يكرهون العادل ، و إنّمــا دعتهم

(١) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربى بين الرقة وبالس (عن معجم البلدان لياقوت) .

الضرورة إليه. وآتفق العادل مع آبن أخيه الأفضل وسارا إلى جهة العزيز نحو مصر.
فلمّـا وصلوا إلى القُدْس ولّوْا أبا الهيجاء كما كان، وعزلوا جُرديك عنها؛ ثم ساروا
حتّى نزلوا ببلبيس وبها جماعة من الصلاحيّة. فتوقّف العادل عن القتال ولم يرَ آنتزاع
مصر من يد العزيز، وظهَرت منـــه قرائن تدلّ على أنّه لا يؤثر السلطنة للأفضل،
٥ ولا يرى بتقدمته على العزيز. فأرسل العادل إلى العزيز يطلب منه القاضي الفاضل،
وكان الفاضل قد آعتزلهم وآنقطع إلى داره، فأرسل إليه العزيز يسأله فآمتنع، فتضرّع
إليه وأقسم عليه، فخرج إلى العادل، فآحترمه العادل وأكرمه وتحدّث معه بما قرّره،
وعاد الفاضل إلى العزيز وتحدّث معه، فأرسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له
برسالة ظاهرة، مضمونها: «لا تقاتلوا المسلمين ولا تَسْفِكوا دماءَهم، وقد أنفذت
١٠ ولديّ يكونان تحت كفالة عمّي العادل، وأنا أنزل لكم عن البلاد وأمضي إلى الغرب».
وكان ذلك بمشهد من الأمراء، فرقّ العادل وبكى مَنـــ حضَر. فقال العادل:
معاذ الله! ما وصل الأمرُ إلى هذا الحدّ.

وكانــ العـــادل قد قرّر مع القاضي الفاضل ردّ خير الأســدية وإقطاعاتهم
وأملاكهم، وأن يبقَ أبو الهيجاء على ولاية القدس. ثم قال العادل للأفضل:
١٥ المصلحة أن تمضي إلى أخيك وتصالحه، ما عذرُنا عندالله وعند الناس إذا فعلنا بآبن
أخينا مالا يليق! . وكان العزيز أرسل يقول للعادل مع الخادم المقدّم ذكُره: «البلاد
بلادك وأنت السلطان ونحن رعيّتك». ففهم الأفضل أنّ العادل رجع عن يمينه،
وأنّه آتّفق مع العزيز على أخذ البلاد منه، لكنّه لم يمكنه الكلام، ومضى إلى أخيه
الملك العزيز وآصطلحا، وعاد إلى دمشق. ودخل العزيز والعادل والأســـديّة إلى
٢٠ القاهرة يوم الخميس رابع ذي الحجّة. وسلطن العادلُ العزيزَ ومشى بين يدَيه بالغاشية[1].

(١) الغاشية: سرج من أديم مخروز بالذهب. يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب تحمل بين السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٧).

ولو أراد العادل مصرَ فى هـذه المرّة لأخذها ؛ وإنّما كان قصـده الإصلاح بين الإخوة .

ثم وقع بين العزيز هذا والأفضل ثالثا ، وهو أنّه لمّا عاد الأفضل إلى دمشق آزداد وزيره الجَزَرِىّ من الأفعال القبيحة ، والأفضل يسمع منه ولا يخالفه ، فكتب قيماز النَّجْمِىّ وأعيان الدولة إلى العادل يشكونه ، فأرسـل العادل إلى الأفضـل : « ارفع يد هذا الأحمق السيّئ التدبير القليل التوفيق » ، فلم يلتفت . فاتّفق العادل مع آبن أخيه العزيز هذا على التوجّه إلى الشام فسارا . وآستشار الأفضلُ أصحابَه ، فكلٌّ أشار عليه بأن يلتقى عمَّه العادل وأخاه العزيز ولا يخالفهما إلّا الجَزَرِىّ ، فإنّه أشار بالعصيان ، فآستعد الأفضل للقتال والحصار وحلّف الأمراء والمقدّمين ، وفرّقهـم فى الأبراج والأسوار ، فراسـلوا العزيز والعادل وأصلحوا أمرهم فى الباطن ؛ وآتفق العادل مع عزّ الدين ابن الحُِمْصى على فتح الباب الشرقىّ ، وكان مُسَلَّمًا إليـه ، فلمّا كان يوم الأربعاء سادس عشرين شهر رجب ركب العـادل والعزيز وجاءا إلى البـاب الشرقىّ ففتحه آبن الحِمْصى فدخلا إلى البـلد من غير قتال ؛ فنزل العـزيز دار عمّته ستّ الشام ، ونزل العادل دار العَقِيقىّ ، ونزل الأفضل إليهما وهما بدار العقيقى ؛ فدخل عليهما وبكى بكاء شـديدا ، فأمره العزيز بالآنتقال من دمشق إلى صَرْخَد ، فأخرَج وزيرَه الجَزَرِىّ فى الليل فى جملة الصناديق خوفا عليه من القتل ، فأخذ أموالا عظيمة وهرَب إلى بلاده .

وكان العزيز قد قرّر مع عمّه العادل أن يكون نائبَه بمصر ، ويقيم العزيز بدمشق . ثم ندِم فأرسل إلى أخيه الأفضـل رسالة فيها صلاح حاله . ثم وقعت أمور إلى أن سلّم العـزيز بُصْرَى إلى العادل ، وكان بها الظافر . وأقام العزيز بعـد ذلك بدمشق مدّة ، وصلّى الجمعة عند قبر والده بالكَلّاسة وأمر ببناء القبّة والمدرسـة إلى جانبها ،

ثم أمَرَ محيي الدين بن الزَّكيّ بعمارة المدرسـة العزيزيّة، ونَقَل السلطانَ صلاح الدين إلى الكَلّاسة فى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة . وكان الأفضل قد شرع فى بنـاء تربة عند مشهد القَدَم[1] بوصيّة من السلطان صلاح الدين. وكان الملك العزيز إذا جلس فى مجالس لَهوِه يجلس العادل على بابه ، كأنّه بَرْد[ه][2] داره . فلّما كان آخرُ ليلة من مُقام العزيز بدمشق، وكانت ليلة الآثنين تاسع شعبان، قال العادل لولده المعظم عيسى : أُدخل إلى العزيز فقبِّـل يده وآطلب منه دِمشق ، وكان المعظّم قـد راهق الحُلُمُ، فدخل إلى آبن عمّه العزيز وقبّل يده وطلب منه دِمَشْق، فدفعها إليه وأعطاه مستحقّه، وقيل : بل آستناب العادلَ فيها ، ثم أعطاها للمعظّم فى سـنة أربع وتسعين . وكان خروج الملك العزيز من دمشق فى يوم تاسع شعبان المذكور. وسار إلى مصر ومضى الأفضل إلى صَرْخَد، وآجتاز العزيز بالقدس فعزَل أبا الهيجاء السمين عن نيابتها ، وولّاها لسُنْقُر الكبير، ومضى أبو الهيجاء إلى بغداد .

وآستقرّ الملك العزيز بمصر، وآسـتقامت الأمور فى أيّامه، وعدل فى الرعيّـة، وعفّ عن أموالها حتّى قيل : إنّ آبن البَيْسانِيّ أخا القاضى الفاضل بذَل على قضـاء المحلّة[3] أربعين ألف دينار ، فعجّل منها عشرين ألفـا ، وكان رسوله فى ذلك الملك العادل عمّ العزيز المقدّم ذكره، وبذل له عن ترسّله خمسـة آلاف دينار، وللحاجب

(١) مشهد القدم (مسجد القدم)، هو من الآثار التى فى مدينة دمشق وغوطتها مما يرجى فيـه إجابة الدعاء عند القطيعة . يقال إن هناك قبر موسى بن عمران ، ومسجد الباب الشرقى . وقد تبسط فى وصفه ابن عساكر فى تاريخه وأورد فيه عدة أحاديث وأقوال . (راجع تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٣٦) .

(٢) هذه الكلمة فارسية مركبة من كلمتين : «برده» ومعناها : الحجاب، و «دار» ومعناها الحافظ ، ومحافظ الحجاب هو الحاجب أو الحارس .

(٣) المراد بها هنا مدينة المحلة الكبرى (إحدى المدن المصرية القديمة كانت قاعدة مديرية الغربية قبل طنطا ، وهى اليوم قاعدة مركز المحلة الكبرى . ولا تزال هـذه المدينة من أكبر وأشهر المدن المصرية ، فهى مركز تجارى عظيم لتجارة القطن وغيره من المحصولات الزراعية . وبالمحلة جملة محالج للقطن ومعامل كبيرة (لشركة مصر) لحليج القطن وغزله ونسيج الأقشة القطنية الجيدة على آختلاف أنواعها ، وبها معامل لصناعة الأقشة الحريرية الجيلة .

أبى بكر ألفَ دينار، ولجهاركس ألفَ دينار. فاجتمعوا على العزيز جميعا وخاطبوه فى ذلك، وألحّ عليه الملك العادل. فقال له العزيز: والله ياعم، هذا الرجل بذل لنا هـذا البَذْل [لا][1] عن محبّة لنـا، والله إنّه لياخذ من أموال الرعيّة أضعاف ذلك، لا ولّيتـه أبدا! فرجع العادل عن مساعدته، فلمّا آل الأمر إلى العادل صادر ابن البيسانىّ المذكور، وأخذ منه أموالا كثيرة. انتهى.

وقال القاضى شمس الدين بن خلّكان فى ترجمة الملك العزيز هذا بعد أن ذكر اسمه ولقبه قال: «وكان مَلِكا مباركا كثير الخير واسع الكرم محسنا إلى الناس معتقدا فى أرباب الخير والصلاح، وسمع بالإسكندرية الحديث من [الحافظ][2] السِّلَفىّ، والفقيه أبى طاهر بن عَوْف الزُّهرىّ، وسمع [بمصر][2] من العلّامة أبى محمد بن بَرِّىّ النحوىّ وغيرهم. ويقال: إنّ والده لمـا كان بالشام والقاضى الفاضل عبد الرحيم بالقـاهرة عند العزيز وُلِد للعزيز المذكور ولد، فكتب القاضى الفاضل يهنّئ والدَه السلطانَ صلاحَ الدين بولد ولده، فقال: «المملوك يقبّـل الأرض بين يدى مولانا المِلك الناصر، دام[3] رُشْدُه وإرشادُه، وزاد سعده وإسعادُه، وكثُر أوليـاؤه وعبيدُه وأحفادُه، واشتدّ بأعضاده فيهم اعتضادُه، وأنمى الله عددَه حتّى يقال هذا آدم الملوك وهذه أولادُه؛ وينهى أنّ الله تعالى — وله الحمد — رزق الملك العزيز — عزّ نصرُه — ولدًا مباركا عليـا، ذكرا سَرِيًّا، [برًّا][4] زكيًّا، نقيًّا تقيًّا؛ من ورثة كريمة بعضُها من بعض، وبيتٍ شريف كادت ملوكُه تكون ملائكةً فى السماء، ومماليكه ملوكًا فى الأرض». انتهى ما كتبه القاضى الفاضل فى التهنئة.

(١) زيادة يقتضيها السياق. (٢) زيادة عن ابن خلكان.
(٣) كذا فى ابن خلكان. وفى الأصل: «أدام الله تعالى رشده ... الخ».
(٤) زيادة عن ابن خلكان.

قال آبن خلّكان — رحمه الله — : «وكانت ولادة العزيز بالقاهرة فى ثامن جُمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسمائة . وكان قد توجّه إلى الفَيّوم، فطَرَد فرسَه وراء صيد فتقَنْطَر به فرسُه، فأصابته الحُمّى من ذلك، وحُمِـل إلى القاهرة فتُوفّى بها فى الساعة السابعة من ليلة الأربعاء الحادى (١) والعشرين من المحرّم سنة خمس وتسعين وخمسمائة — رحمه الله تعالى — قال : ولمّـا مات كتب القاضى الفاضل إلى عمّه العادل رسالة يُعزّيه، من جملتها :

«فنقول فى توديع النِّعمة بالملك العزيز: لا حول ولا قوّة إلا بالله قول الصابرين، ونقول فى آستقبالهـا بالملك العادل ؛ الحمـد لله ربّ العالمين قول الشاكرين؛ وقد [كان] (٢) من أمر هذه الحادثة (٣) ما قطع (٤) كلّ قلب وجلب كلّ كرب ومثّل وقوع هذه الواقعـة لكلّ أحد ولا سيما لأمثال المملوك ، ومواعظ الموت بليغة، وأبلغها ما كان فى شباب الملوك؛ فرحِم الله ذلك الوجه ونضّره، ثمّ السبيلَ إلى الجنة يسّره .

وإذا محاسنُ أوجهٍ بَلِيتْ * فعفَا الثرى عن وجهه الحسنِ

والمملوك فى حالِ تسطير هذه الخدمة جامع بين مَرَضَىْ قلب وجسد، ووجع أطرافٍ وعليلِ كَبِد؛ فقد فُجِع المملوك بهذا المولى، والعهد بوالده غيرُ بعيد، والأَسَى فى كلّ يوم جديد؛ وما كان لِيَنْدَمِلَ ذلك القَـرْح، حتّى أعقبه هـذا الجَرْح؛ والله تعالى لا يُعدِم المسلمين بسلطانهم الملكِ العادل [السلوة، (٥) كما لم يُعدِمهم بنبيّهم صلّى الله عليه وسلم الأُسوة] — وأخذ فى نعت الملك العادل إلى أن قال — : ودُفِن بالقرافة

(١) كذا فى الأصـل، وهو الموافق لما فى ابن خلكان طبع باريس . وفى وفيات الأعيان طبع بولاق والروضتين : « من ليلة الأحد العشرين من المحرّم » . (٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) فى الأصـل : «الحكاية» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٤) فى الأصـل : « ما يقطع كل قلب و يجلب كل كرب ... لاسيما لأمثال المملوك» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٥) زيادة عن ابن خلكان .

الصغرى (يعنى العزيز) فى قُبّة الإمام الشافعىّ — رضى الله عنه — . وقبره معروف هناك» انتهى كلام آبن خلّكان برُمّته، ولم يتعرّض لشىء من أحواله، ولا إلى ما كان فى بداية أمره .

وقال أبو المظفّر سِبْط آبن الجَوْزىّ فى تاريخه : «وفيها (يعنى سنة خمس وتسعين) تُوفّى الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين صاحب مصر . كان صلاح الدين يُحبّه ، وكان جَوَادًا شجاعًا عادلا منصفًا لطيفا كثيرَ الخير رفيقا بالرعيّة حليما . حكى لى المُبارِز سُنْقُر الحَلَبىّ — رحمه الله — قال : ضاق ما بيده بمصر (يعنى عن العزيز) ولم يبق فى الخِزانة درهم ولا دينار، فجاء رجل من أهل الصعيد إلى أَزْكُش سيف الدين، قال: عندى للسلطان عشرة آلاف دينار ولك ألف دينار، وتولّينى قضاء الصعيد؛ فدخل أَزْكُش إلى العزيز فأخبره ؛ فقال : والله لا بعتُ دماء المسلمين وأموالهم[(١)] بملك الأرض! وكتب ورقة لأَزْكُش بألف دينار . وقال : آخرج فآطرُد هذا الدبِرَ[(٢)]، ولولاك لأدّبته .

وقد ذكرنا أنّه وهَب دِمشق [للملك][(٣)] المعظّم ، وكان يُطْلِق عشرة آلاف دينار وعشرين ألفا . وكان سبب وفاته أنّه خرج إلى الفيّوم يتصيّد، فلاح له ظَبْىٌ فركَض الفرسَ خلفَه فكبا به الفرس، فدخل قَرَبُوس [السرج][(٣)] فى فؤاده، فحُمِل إلى القاهرة فمات فى العشرين من المحرّم، ودفن عند الشافعى — رحمه الله — عن سبع وعشرين سنة وشهور؛ وقيل: عن ثمان وعشرين سنة . ولمّا مات نَصَّ على ولده ناصر الدين محمد، وهو أكبر أولاده، وكان له عشرة أولاد، ولم يذكر عمّه العادلَ فى الوصيّة .

---

(١) رواية مرآة الزمان : «وأولادهم» . (٢) فى مرآة الزمان : «المدبر» . ولعله : القذر . (٣) التكلة عن مرآة الزمان .

وأوصى للأمير أَزْكُش، وكان مقدَّمَ الأَسَدية وكبيرَهم، وعاش بعد العزيز مدّةً طويلة» . انتهى كلام أبى المظفّر .

وقال ٱبن القادسيّ — خلاف ما نقل أبو المظفّر وٱبنُ خلّكان وغيرُهما — قال: «كان قد رَكِب وتبِـع غزالةً فوقع فاندقّت عُنُقُه، وبقِى أربعةَ أيّام ومات . ونصّ على ولده الأكبر محمد إن أمضى العادلُ ذلك . وكانت الوصـيّة إلى أمير كبير ٱسمه أَزْكُش فوثَبتِ الأسديّة عليه فقتلته» . انتهى .

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قِزَأُوغْلى فى تاريخه : «ولمّـا مات العزيز كان لٱبنه محمـد عشرُ سنين، وكان مقدّمُ الصَّلاحيّة فخر الدين جِهَارَكَس، وأَسَد الدين سَرَا سُنْقُر، وزَيْن الدِّين قراجا؛ فٱتّفقوا على ناصر الدين محمد (يعنى ٱبن العزيز)، وحلَّفوا له الأمراء . وكان سيف الدين أُزْكُش مقدّمُ الأَسَدية غائبًا بأَسْوَان، فقدِم فصوَّب رأيَهم وما فعلوه، إلّا أنّه قال : هو صـغيرُ السِّن لا ينهَض بأعباء الملك، ولا بدّ من تدبير كبير يحَسِم الموادّ ويقُيم الأمور، والعادل مشغول فى الشرق بمَـارِدِين[(١)]، وما ثَمّ أقربُ من الأفضـل نجعلُه أَتابَكَ العساكر . فلم يمكن الصَّلاحيّة مخالفته . وقالوا : ٱفعـل، فكتب أزْكُش إلى الأفضـل يستدعيه وهو بصَرْخَد[(٢)]، وكتبت الصلاحيّة إلى مَن بدمشق من أصحابهم يقولون : قد ٱتّفقت الأسديّة على الأفضل، وإن ملكوا حكموا علينا، فٱمنعوه من المجىء؛ فركب عسكرُ دمشق ليمنعوه ففاتهم؛ وكان الأفضل قد ٱلتقى نجّابا من جِهَارَكَس إلى مَن بدمشق بهذا المعنى، ومعه كُتُب فأخذها منه وقال : ٱرجع فرجع إلى مصر . ولـمّا وصل الأفضلُ إلى مصر ٱلتقاه

---

(١) ماردين : قلعـة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين وذلك الفضاء الواسع (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة وولاية حسنة واسعة (عن معجم البلدان لياقوت) .

الأسدية — نحكى ذلك كلّه فى أوّل ترجمة الملك المنصور بن العزيز هذا ، إن شاء الله —

وكان الملك العزيز قويّا ذا بطش وخفّة حركة، كريما محسنا[1] عفيفا لم يردّ سائلا؛ وبلغ من كرمه أنّه لم يبق له خزانة ولا خاصّ ولا تَرْك ولا فَرْش . وأمّا عفته فإنّه كان له غلام تركىّ آشتراه بألف دينار يقال له : أبو شامة، فوقف يوما على رأسه فى خلوة ليس معهما ثالث، فنظر العزيز إلى جماله ، وأمره أن ينزع ثيابه ، وقعد العزيز منه مكانَ الفاحشة، فأدركه التوفيق ونهض مسرعاً إلى بعض سراريه فقضى وَطَرَه ، وخرج إلى الغلام وأمره بالخروج عنه» . انتهى .

ويُحكى عن عفّته عن الأموال : أنّ عَرَب المحلّة قتلوا بعضَ أمرائه، وكان والى المحلة آبنَ بَهْرَام ، بجباهم عشرةَ آلآف دينار، وجاء بها إلى القاهرة ؛ فصادف فى الدّهليز غلاما خارجا من عند السلطان ؛ فقال آبنُ بَهْرام : آرجع إلى السطان وآستأذِنْه لى؛ فقال الغلام : دعنى، أنا فى أمرٍ مُهِمٍّ للسلطان، قد وهب لشيخ صيّاد دينارين ، وقد سيّرنى إلى الجهات كلّها فلم أجد فيها شيئا ، وقد تعذّر عليه هذا المبلغ اليسير؛ فقال : ارجع إليه، معى مالٌ عظيم . فلمّا دخل آبنُ بَهْرام إلى العزيز فضّ المالَ بين يديه وقال : هذا دِيَةَ فلان؛ فقال : أخذتَها من القاتل ؟ قال : لا، بل من القبيلة؛ فقال العزيز : لا أستجيز أخذَه ، رُدّه على أربابه ، فراجعه فآكفهرّ؛ فخرج آبنُ بَهْرام بالمال وهو يقول : ما يَرُدُّ هذا مع شدّة الحاجة إلّا مجنون ! . فرحم الله هذه الشِّيَم . انتهت ترجمة الملك العزيز من عِدّة أقوال . رحمه الله تعالى وعفا عنه وعن جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين .

---

(١) فى الأصل : «كريما حييا» .

*
* *

السـنة الأولى من ولاية السلطان العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة تسع وثمانين وخمسمائة، على أنّ والده السلطان صلاح الدين يوسف حكم منها المحرّم وصفرًا .

فيها كانت وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمتـه .

وفيها تُوفّى الأمير بُكْتُمُر [بن عبد الله مملوك][1] شاه أرمن . وعزّ الدين صاحب المَوْصِل كما سيأتى .

وفيها بنَى الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ دار الكتب بالمدرسة النظاميّة ببغداد، ونقل إليها عشرة آلاف مجلد، فيها الخطوط المنسوبة وغيرها .

وفيها تُوُفِّى أسعد بن نصر بن أسعد النحوىّ، كان إمامًا فاضلا أديبا شاعرًا . ومن شعره قوله :

يجمع المـرءُ ثم يترك ما جمّـ * ـعَ مِن كسبِه لِغيرِ شَكُورِ
ليس يَحْظَى إلّا بذكر جميـلٍ * أو بعـلِمٍ من بعـده مأثورِ

وفيها توفّى الأمير بُكْتُمُر بن عبد الله مملوك شاه أرمن بن سُكْمان صاحب خِلاط، مات شاه أرمن ولم يخلّف ولدا، فاتّفق خواصّـه على بُكْتُمر فولّى، وضبَط الأمور وأحسن للرعيّة، وصاحَب العلماء، وكان حسن السِّيرة متصدِّقًا ديّنا صالحا؛ جاءه أربعة على زِىّ الصوفيّة فتقدّم إليه واحد منهم فمنعه الجانداريّة[2] . فقال :

(١) زيادة عما سيأتى للمؤلف بعد أسطر . (٢) الجاندارية : وظيفة صاحبها كالمتسلم للباب، يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم الى الديوان (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠) . وفى الأصل : « الخازندارية » .

دعوه، فتقدّم وبيده قِصّة فأخذها منه، فضربه بسكّين في جوفه فمات في ساعته. فأخذوا الأربعة وقُرّروا، فقالوا: نحن إسماعيلية[1]؛ فقُتِلوا وأُحْرِقوا؛ وذلك في جُمادَى الأولى.

وفيها تُوُفّي السلطان مسعود بن مَوْدُود بن زَنْكِي بن آق سُنْقُر عِزّ الدِّين صاحب المَوْصِل وآبن أخي السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد. كان خفيفَ العارضَيْن أسمرَ مليحَ اللّوْن، عادلًا عاقلا محسنا إلى الرعية شجاعا، صبرَ على حِصار السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب له بالموصل ثلاثَ مرّات، وحَفِظ البلد وفرّق الأموال العظيمة. وكان ديِّنا صالحا، خرج من الموصل لقتال الملك العادل أبي بكر ابن أيُّوب، وكان العادل على حَرّان[2] بعد موت صلاح الدين. فعاد مريضا ومات في شهر رمضان، وكانت أيّامه ثلاثَ عشرةَ[3] سنة وستّة أشهر. وأوصى بالمُلْك من بعده لولده الأكبر نور الدين أَرْسلان شاه، وكان أخوه شرف الدين مَوْدُود يروم السلطنة، فَصُرِفت عنه لنور الدين هذا فعزّ ذلك عليه.

الذين ذكر الذهبيّ وَفاتَهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّي الشيخ[4] سِنان بن سليمان البَصْرِيّ زعيم الإسماعيلية. وأبو منصور عبد الله بن محمد [بن عليّ بن هبة الله][5] ابن عبد السلام الكاتب. والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحَضْرَميّ بالإسكندرية. وصاحب المَوْصِل عِزّ الدين مسعود بن قطب الدين مَوْدُود بن زَنْكِي.

(١) في مرآة الزمان وعقد الجمان: «فأخذوا وقرروا، فقالوا: نحن من الإسماعيلية وكانوا قد شفعوا اليه في أمر لا يليق فلم يقبل شفاعتهم فعملوا هذا، فأحرقوا». (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة. (٣) في الأصل: «ثلاثا وعشرين سنة». وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان والبداية والنهاية لابن كثير. (٤) هو الذي ذكر المؤلف وفاته في السنة الماضية. (٥) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد.

والمكرم بن هبة الله بن المكرم الصُّوفِيّ . والسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيّوب فى صفر بقلعة دمشق، وله سبع وخمسون سنة .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القـديم ستُّ أذرع وثلاثُ أصابع . مبلغ الزيادة ثمانىَ عشرةَ ذراعا وثمانى أصابع .

٥

*

السنة الثـانية من ولاية العزيز عثمان بن صـلاح الدين يوسف على مصر ، وهى سنة تسعين وخمسمائة .

فيها تُوُفّى أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ الإمام أبو الخير القزوينِيّ الشافعىّ . كان إماما عالمـا بالتفسير والفقه ، وكان متعبِّدا يَخْتِم القـرآنَ فى كلّ يوم وليـلة . ومولده بقَـزْوِين(١) فى سـنة آثنتى عشرة وخمسمائة . وقـدِم بغدادَ ووعَـظ ومال إلى الأشـعرىّ، فوقعت الفِتَنُ . وجلس يومَ عاشوراء فى النظاميّة فقيل له : اِلعن يزيد بن معاوية ؛ فقال : ذاك إمام مجتهد(٢)، فجاءه الرَّجْم حتّى كاد يُقتل ، وسـقط عن المنبر فأُدخل إلى بيت فى النظاميّـة ، وأُخذت فتاوى الفقهاء بتعزيره ؛ فقال بعضهم يُضرب عشرين سَوْطًا : قيل له : من أين لك هـذا . فقال : عن عمر آبن عبد العزيز، سَمِع قائلا يقول : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فضربه عشرين سوطا . ثم خُلِّص القزوينِيّ بعد ذلك وأخرج من بغداد إلى قَزْوِين .

١٠

١٥

وفيها توفى السلطان طُغْرُلْبَك شاه بن أَرْسـلان شاه بن طُغْرِل شاه بن محمـد آبن مَلِكْشاه بن أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق السَّلْجُوقىّ آخر ملوك

(١) راجع الحاشـية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الثـالث من هـذه الطبعة .

(٢) فى مرآة الزمان : «إمام مجاهد» .

٢٠

السَّلْجُوقيّة بالعراق سوى[1] صاحب الروم . وكان مبدأ أمره — عند وفاة والده — سنة ثلاث وسبعين[2] وخمسمائة ، وكان صغير السّنّ فكفله البَهْلَوان[3] إلى أن مات في سنة آثنتين وثمانين ، فكفله بعده أخو[4] البهلوان لأبيه حتّى أنِف من الحَجْر وخرج عن يده ، وآنضاف إليه جماعةُ من الأمراء ، وكسر عسكر الخليفة وأسر آبن يونس[5] وهابته الملوك . وكان طُغْرُلْبَك هذا سفّاكا للدماء ، قتل وزيره رَضِيّ الدين الغَزْنَوِيّ[6] ، وفخر الدين العَلَوِيّ رئيس هَمَذان . ثم وقع له أمور ومِحَنٌ وأُخذ وحُبِس . وقد تقدّم أن طُغْرُلْبَك هذا آخر ملوك السَّلْجُوقيّة ، وعِدّتُهم نيف وعشرون ملكا ، ومدّة مُلْكهم مائة وستون سنة . وأوّل مَن ملك منهم طُغْرُلْبَك في سنة آثنتين وثلاثين[7] وأربعمائة ؛ ثم أَلْب أَرْسلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجُوق بن دُقْاق[8] ، وهو آبن أخي طُغْرُلْبَك ؛ ثم بعده ولده مِلِكشاه ؛ ثم ولده محمود ؛ ثم أخوه بَرْكيارُوق ؛ ثم أخوه محمد شاه ؛ ثم ولده محمود ؛ ثم واحد بعد واحد . حسب ما ذكرناهم في هذا الكتاب كلّ واحد في محلّه . وطغريلبك[9] (بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء

---

(١) في الأصل : « عند صاحب الروم » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . وعبارة شذرات الذهب : «طلب السلطنة من الخليفة وأن يأتي بغداد ويكون على قاعدة الملوك السلجوقية سوى صاحب الروم» . (٢) في الأصل : «سنة إحدى وسبعين» . وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردي . (٣) هو محمد بن إلدكز شمس الدين صاحب بلاد الجبل والري وأصفهان وأذربيجان (عن ابن الأثير) . (٤) هو قزل أرسلان عثمان بن إلدكز (عن ابن الأثير وعقد الجمان) .

(٥) هو جلال الدين عبيد الله بن يونس وزير الخليفة الناصر لدين الله كما سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٩٣ هـ .

(٦) الغزنوي : نسبة الى غزنة ، مدينة بالهند . وفي تاريخ دولة آل سلجوق : « وأتهم وزيره عزيز الدين (وفي هامشه عز الدين) بن رضي الدين يوما فقتله وأخاه صبرا » .

(٧) في الأصل : « في سنة آثنتين وأربعين » . وما أثبتناه عن مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٧٨ تاريخ) ، ومرآة الزمان وعقد الجمان وما تقدم ذكره للمؤلف في الجزء الخامس من هذه الطبعة في حوادث سنة ٤٣٢ هـ .

(٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٣٤ من الجزء الخامس .

(٩) كذا ضبطه في الأصل هنا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

المهملة وبعدها ياء ولام ساكنتان) . وهو آسم باللغة التركية لطائر معروف عندهم .
وبَك : هو الأمير، واضح لا يحتاج إلى تفسير .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العلّامة رَضِيّ الدّين
أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطَّالَقانيّ القَزْوِينيّ الشافعيّ الواعظ فى المحرّم، وله
٥ ثمان وثمانون سنة . وطُغْرُلْبَك شاه السلطان آبن[(١)] أَرْسلان بن طُغْرِل بن محمد بن ملِكْشاه
السَّلْجُوقيّ، قتله [فى] المصاف خُوَارَزم شاه تُكُش . وأبو المظفّر عبد الخالق بن فَيْرُوز
الجَوْهَرِيّ . والإمام أبو محمد القاسم بن فِيرُّه[(٢)] الرُّعَيْنيّ[(٣)] الشّاطِبيّ[(٤)] المقرئ فى جمادى
الآخرة، وله آثنتان وخمسون سنة . والحافظ محمد بن إبراهيم بن خَلَف المالِقِيّ[(٥)]
أبو عبد الله بن الفَخّار بمرّاكُش . والفخر محمد بن عليّ بن شُعَيْب بن الدّهّان الأديب المؤرّخ
١٠ بَحَاة[(٦)] بالحِلّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وخمس أصابع .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتان وعشرون إصبعا .

＊＊＊

السنة الثالثة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر،
١٥ وهى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة .

---

(١) فى الأصل : « والد أرسلان » . والتصويب عما تقدّم ذكره للمؤلف وتاريخ الإسلام للذهبي وعقد الجمان . (٢) فى الأصل : « ابن فرة » . وما أثبتناه عن وفيات الأعيان والمشتبه وغاية النهاية فى رجال القراءات وشذرات الذهب . وقد ضبطه المشتبه بالقلم وآبن خلكان بالعبارة فقال : « بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وتشديد الراء وضمها » . (٣) الرعينيّ : نسبة إلى ذى رعين،
٢٠ وهو أحد أقيال اليمن . (٤) الشاطبيّ : نسبة إلى شاطبة، مدينة فى شرق الأندلس وشرق قرطبة، وهى مدينة كبيرة قديمة، قد خرج منها خلق من الفضلاء (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٥) المالقى : نسبة إلى مالقة ؛ مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رية، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

فيها اقطع الملك العزيز فارسَ الدين ميمونَ القَصْرىّ نابُلُس[1] فى سبعمائة فارس من مُقَاتِلة الفرنج[2] .

وفيها كانت وقعة الزَّلَّاقة[3] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن و بين أَلْفَنْش[4] الفرنجى ملك طُلَيْطُلَة[5] ، وكان قد آستولى على جزيرة الأندلس وقهر وُلاتَها ، و يعقوب المذكور مشغول بقتال الخارجين عليه ، و بينه و بين الأندلس زُقَاقُ سَبْتَة[6] ، وعرضه ثلاثُ فراسخ ، فجمع يعقوبُ العساكرَ وعرَض جندَه ، وكانوا مائتى ألف [مقاتل : مائة ألف][7] يأكلون الأرزاق ، ومائة ألف مُطَّوِّعة ، وعبر الزُّقاقَ إلى مكان يقال له الزَّلَّاقة ، وآلتقَوْا فجرى بينهم قتال لم يجر فى جاهلية ولا إسلام حتّى أنزل الله نصرَه على المسلمين . فولّى أَلْفَنْش هاربا فى نفر يسير إلى طُلَيْطُلَة ، وغنِم المسلمون ما كان فى عسكره . وكان عِدّة من قُتِل من الفرنج مائةَ ألف وستةً وأربعين ألفًا ، وعِدّة الأَسَارى ثلاثين ألفا ، ومن الخيام : مائة ألف خَيْمة وخمسين ألفا ، ومن الخيل ثمانين ألفا ، ومن البغال والأموال والجواهر والثياب ما لا يُحَدُّ ولا يُحْصَى . وبيع الأَسير من الفرنج بدرهم ، والسيف بنصف درهم ، والحِصان بخمسة دراهم ، والحِمار بدرهم . وقسم الملك يعقوب هذه الغنائمَ بين المسلمين على مقتضى الشريعة ،

(١) نابلس (بضم الموحّدة واللام) : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى الأصل : «فى مقابلة الفرنج» . (٣) الزلاقة : أرض بالأندلس بقرب قرطبة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) كذا فى الأصل ومرآة الزمان وابن الأثير وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان ، وقد ضبطه بالعبارة (بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء والنون وفى آخره شين معجمة) . وفى معجم البلدان لياقوت وعقد الجمان وقد ضبطه بالعبارة أيضا : «الأذفونش» . وقال : الأول أظهر . (٥) طليطلة ، قال ياقوت : هكذا ضبطه الحميدى (بضم الطاءين وفتح اللامين) . وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى وفتح الثانية : مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس ، يتصل عملها بعمل وادى الحجارة من أعمال الأندلس ، وهى غربى ثغر الروم و بين الجوف والشرق من قرطبة

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

فاستفنوا إلى الأبد . ووصـل ألفنش إلى طليطلة على أقبح وجه ، فحلق رأسـه ولحيته ، ونكس صليبه وآلى أنه لا ينام على فراش ولا يقرب النساء ولا يركب فرسا حتى يأخذ بالثأر .

وفيها آعتنى الخليفة الناصر لدين الله العباسى بحمام البطاقة آعتناء زائدا، حتى صار يكتب بأنساب الطير المحاضر أنه من ولد الطير الفلانى ؛ وقيل : إنه باع طيرا بألف دينار .

وفيها حج بالناس من بغداد سـنجر(١) الناصرى ، ومن الشـام سرا سنقر وأيبك فطيس الصلاحيان ، ومن مصر الشريف إسماعيل بن ثعلب الجعفرى(٢) الطالبى .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هـذه السنة ، قال . وفيهـا توفى أبو القاسم ذاكر بن كامل الخفاف . والفقيـه أبو محمد عبـدالله الزاهد آبن محمد بن على الأندلسى فى المحرم عن بضع وثمانين سنة . وأبو الحسن(٣) نجبة بن يحيى [بن خلف(٤)] بن نجبـة الإشبيلى المقرئ النحوى .

§ أمر النيـل فى هذه السنة — المـاء القديم سـت أذرع و إصبعان . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع .

* * *

السنة الرابعة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سـنة آثنتين وتسـعين وخمسمائة .

---

(١) هو سنجر قطب الدين مملوك الناصر لدين الله الخليفة . (٢) من ولد جعفر بن أبى طالب، كما فى مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) فى الأصل : « أبو المحاسن » . وما أثبتناه عن غاية النهاية و بغيـة الوعاة وتكملة الصـلة لابن الأبار (ج ٢ ص ٤٢٣) .

(٤) التكلة عن غاية النهاية و بغية الوعاة وتكملة الصلة لابن الأبار .

فيها بعد خروج الحاجّ من مكّة هبّت ريحٌ سوداءُ عمّت الدنيا، ووقع على الناس رَمْل أحمر، ووقع من الركن اليمانيّ قطعة، وتحرّك البيت الحرام مرارا . وهذا شيء لم يُعهد منذ بناه عبد الله بن الزُّبَيْر — رضى الله عنهما — .

وفيها أيضا كانت الوقعة الثانية بين السلطان يعقوب و بين أَلْفَنْش ملك الفرنج بعد أن حشد أَلْفَنْش جمعا كبيرا وآلْتَقَوْا، فكان بينهم قتلة عظيمة، ونصر الله المسلمين . وهزمه يعقوب وتبعه وحصره على الزَّلّاقة و بُطَلَيْطُلَة ونصب عليها المجانيق وضيّق عليها، ولم يبق إلّا أخذُها . فخرجت إليه والدة[1] أَلْفَنْش و بناته ونساؤه و بَكَيْنَ بين يديه ، وسألته إبقاءَ البلد عليهنّ، فرقّ[2] لهنّ ومنّ عليهنّ بها؛ ولو فتح طُلَيْطُلَة لفتح إلى مدينة النحّاس[3] . ثم عاد يعقوب إلى قرطبة فأقام بها شهرا يقسم الغنائم، وجاءته رسل أَلْفَنْش أيضا تسأل الصلح، فصالحه على مدّة معيّنة .

وفيها تُوُفّى محمد بن علىّ بن أحمد[4] ، الوزير أبو الفضل مؤيّد الدّين بن القَصّاب . أصله من شِيراز، وقَدِم بغداد وآستُخْدِم في الديوان، ثم ترقّى إلى أن ولى الوزارة؛ وقرأ الأدب والنحو . وكان داهيــةً رديءَ الاعتقاد إلّا أنّه كان له خِبْرَة بالأمور والحروب وفَتْح البلاد، وكان الخليفة الناصر لدين الله يُثْني عليــه و يقول : لو قَبِلوا من رأيه ما جرى ما جرى، ولقد أَتْعب الوزراء من بعده .

وفيها تُوُفّى محمد بن علىّ بن شُعَيْب[5] ، الشيخ أبو شجاع الفَرَضىّ الحاسب البغدادىّ المعروف بابن الدّهان . كان فاضلا عالما وصنّف تاريخا من عشر وخمسمائة إلى سنة آثنتين وتسعين وخمسمائة .

(١) في الأصل : « خرج إليه ولد ألفنش » . والتصحيح عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب (٢) في الأصل : « فرق عليهن » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٣) مدينة النحاس و يقال مدينة الصفر، لها قصة بعيدة من الصحة . راجع ما كتبه عنها ياقوت في معجمه . (٤) في عقد الجمان : « محمد بن علي بن محمد » .
(٥) قد تقدّمت وفاته فيمن ذكرهم الذهبي سنة ٥٩٠ هـ . ووافقه على ذلك آبن خلكان .

وفيها تُوُفِّى محمد بن علىّ بن فارس الشـيخ أبو الغنـائم [المعروف ب][1]ـا بن المعلّم الهُرْثِىّ الشاعر المشهور . وهُرْثُ : قرية تحت واسط . كان رقيق الشعر، لطيف المعانى، وله ديوان شعر . ومن شعره القصيدة التى أوّلها :

لو قضَى من أهل نجدٍ أرَبَهْ * لم يَهِجْ نشـرُ الخُـزَامَى طَـرَبَهْ

عاّلوا الصبَّ بأنفـاس الصَّـبَا * إنّهـا تَشْـفِى النفوسَ الوَصِـبَهْ

فهى إن مَرّتْ عليـه نشرتْ * ما ٱنطـوى عنـه وجلّت كُرَبَهْ

كَلَفِى فيكم قـديمٌ عهـدُهُ * ما صَـبَاباتى بـكم مكتَسَـبَهْ

أين وُرْقُ الجِزْعِ مَنْ لى أن أرَى * عُجْمَـه إن لم أشاهـد عَرَبَهْ

ومنهـا :

عن جفُونِى النومَ مَن بَعَّدَهُ * و إلى جسـمِى الضَّنَا مَن قرّبَهْ

وصِـلوا الطَّيْفَ إذا لم تِصلوا * مستهامًا قـد قطعتُم سَـبَبَهْ

و إلى أن تُحسِـنُوا صُنْعَابنا * قـد أساء الحبُّ فينا أدَبَهْ

وهى أطول من هذا .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى المحدّث أبو الرِّضا أحمد بن طارق الكَرْكِىّ[2] فى ذى الحجّة ببغداد . وعبد الخالق بن عبد الوهّاب بن محمد المَالِكىّ[3] الصابونىّ الخفّاف . وأبو الغنائم محمد بن علىّ بن فارس [المعروف ب]ٱبن المعلّم الواسطىّ شاعر العراق عن إحدى وتسعين سـنة . والوزير مؤيّد الدّين محمد بن علىّ بن القَصَّاب . والعلّامة مُجِير الدين محمود بن المبَارك البغدادىّ الشافعىّ عن خمس وسبعين سنة . ويوسف بن معالى الكَتَّانِىّ المقرئ بدمشق .

---

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) الكركى : نسبة إلى كرك قرية فى أصل جبل لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) المـالكى : نسبة الى المـالكية — لا إلى المذهب — وهى قرية على الفرات (عن معجم البلدان لياقوت) .

§ أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الخامسة من ولاية الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر، وهى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

فيها قَدِم حُسام الدّين أبو الهَيْجاء السّمين بغداد وخرج الموكب للقائه ، ودخل أبو الهيجاء فى زِىّ عظيم [و] رتّب الأطلاب على ترتيب أهل الشام ،وكان فى خدمته عِدّة من الأمراء؛ وأوّل ما تقـدّم من الأمراء طُلب ٱبن أخيه المعـروف بكور(١) الفرس ثم أمير أمير؛ وجاء هو بعـد الكلّ فى العُدّة الكاملة والسلاح التامّ ، وخرج أيضا أهل بغداد للقائه ، وكان رأسه صغيرا و بطنه كبيرا جدّا ، بحيث كان بطنه على رقبة البغلة؛ فرآه رجل كَوّاز فعمِل فى الساعة كوزا من طِين على هيئته ، وسبقه فعلّقه فى السوق؛ فلمّا ٱجتاز به ضَحِك . ثم عَمِل بعد ذلك أهلُ بغداد كِيزاناً سمّوها : أبا الهيجاء . وأكرمه الخليفة وأقام له بالضِّيَافات .

قلت : أبو الهيجاء هـذا هو الذى عَزَله الملك العزيز هذا عن نيـابة القُدْس بجُرْدِيك فى أوائل أمره . حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمة العزيز .

وفيهـا توفّى الأمير طُغْتِكين بن أيّوب أخو السلطان صلاح الدين بن أيوب ، ولَقَبُه سيف الإسلام . كان والى اليمن ، ملَكها من زَبِيد إلى حَضْرَموْت(٢) ، وكان

(١) فى عقـد الجمان والذيل على الروضتين : « وكان معه ولدا أخيه عز الدين كُر والفرز . وأول ما تقدم طلب كُرْثم الفرز ثم أمير أمير » . (٢) حضرموت : ناحية واسعة شرقىّ عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف ، وبها قبر هود عليه السلام (عن معجم البلدان لياقوت)

شجاعًا مِقداما شهما . وتُوُفّى بِزَبِيد . وولِى اليمن بعده ولده شمس الملوك إسماعيل وآدّعى الخلافة .

وفيهـا تُوُفّى عبد الله بن منصور بن عِمْران الشيخ أبو بكر الباقِلّانِىّ . ومولده فى سنة خمسمائة . وآنفرد بالرِّواية فى القراءات العشر ، وكان حسنَ التلاوة . وقدِم بغدادَ ومات بواسِط فى سَلْخ شهر ربيع الآخر . ٥

وفيها تُوُفّى عُبيْد الله[(1)] بن يونس بن أحمد الوزير جلال الدين أبو المظفَّر الحَنْبَلِىّ ، وَلِىَ حِجَابةَ الديوان ثم آسـتوزره الخليفة ، وكان إماما عالمـا فى الأصلين والحساب والهندسة والجبر والمقابلة ، غير أنّه شان أمرَه بأمور فعلها ، منها : أنّه أخرب بيت الشيخ عبد القادر [الجيلانىّ][(2)] وشتّت أولادَه ، ويقال : إنّه بعث فى الليل من نَبَش على الشيخ عبد القادر ورَمى بعظامه فى اللُّجّة ، وقال : هـذا وقف ما يحلّ أن يُدْفَن فيه أحد . ١٠

قلت : وما فعله هو بعظام الشيخ أقبحُ من أن يُدْفَن بعضُ المسلمين فى بعض أوقاف المسلمين ، وما ذاك إلّا الحسدُ داخله من الشيخ عبـد القادر وعِظَمُ شهرته حتّى وقع منه ما وقع ؛ ولهذا كان موته على أقبح وجهٍ ، بعد أن قاسى خطوبًا ومِحَنًا وحُبِس سنين ، حتى أخرِج من الحبس ميّتا ؛ وهذا ما وقع له فى الدنيا ، وأمّا الأُخرى فأمره إلى الله تعالى . وبالجملة فإنّه كان من مساوئ الدهر . ١٥

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيهـا تُوُفّىَ سيفُ الإسلام طُغْتِكين بن أيّوب بن شادِى صاحب اليمن فى شوّال ، وولى بعده آبنه إسماعيل . ومقرئ العراق أبو بكر عبـد الله بن منصور الرَّبَعىّ الباقِلّانىّ بواسط فى شهر ربيع

---

٢٠ (١) كذا فى الأصل وعقد الجمان وابن الأثير والمختصر المحتاج اليه . وفى شذرات الذهب والذيل على الروضتين : «عبد الله» . (٢) زيادة عن شذرات الذهب .

الأول عن ثلاث وتسعين سنة . والوزير جلال الدين عُبَيْد الله بن يونس ، مات في المَطْمُورة[(١)] . وعذراءُ بنت شاهنشاه بن أيوب ودُفنت بالعَذْرَاوِيّة[(٢)] . وقاضي القضاة أبو طالب عليّ بن عليّ بن أبي البركات البُخاريّ الشافعيّ ببغداد . وأبو المُعَمَّر محمد ابن حَيْدرة بن عمر بن إبراهيم العَلَوِيّ الزَّيْديّ الرافضيّ . وأبو[(٣)] الفتح الأصبهانيّ ناصر الدين بن محمد الوترح في ذي الحجة . وأبو القاسم يحيى بن أسعد بن [يحيى][(٤)] بن بَوْش الخَبّاز في ذي القعدة ، غُصّ بلقمة ، وعاش بضعا وثمانين سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وخمس وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإحدى وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة السادسة من ولاية العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف على مصر ، وهي سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

فيها توفّي الأمير جُرْدِيك بن عبد الله النُّورِيّ . كان من أكابر أمراء الملك العادل نور الدين محمود الشهيد ، ثم خدم السلطانَ صلاح الدين يوسف بن أيوب في جميع غزواته وحروبه من يوم قَتْل شاوَر بمصر وابن الخَشّاب بحلب . وكان أميرا شجاعا مَهِيبا جَوّادًا ، ولّاه صلاح الدين نيابة القُدْس إلى أن أخذها منه الأفضل .

---

(١) المطمورة : بلد في ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) العذراوية ، هي المدرسة التي بنتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب بدمشق (عن عقد الجمان) .

(٣) كذا في الأصل . وفي شرح القصيدة اللامية في التاريخ هكذا : «ناصر الوتريح» . وفي شذرات الذهب : «أبو الفتح ناصر بن محمد الأصبهاني القطان» .

(٤) تكملة عن المشتبه والمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد .

وفيها توفى زَنْكى بن مودود بن زنكى بن آق سنقر عماد الدين صاحب سِنجار، وآبن أخى نور الدين الشهيد . كان عاقلا جَوَادًا لم يزل مع السلطان صلاح الدين؛ وكان السلطان صلاح الدين يحترمه مثل ما كان يحترم نور الدين ، ويُعطيه الأموال والهدايا، وكانت وفاته بسِنْجار . ولمّـا آحتُضِر أوصى إلى أكبر أولاده قطب الدين

٥ محمد، ولُقِّبَ بالملك المنصور .

وفيهـا تُوُفِّى قَيْماز بن عبد الله مجاهد الدين الخادم الرومىّ الحاكم على المَوْصِل ، وهو الذى بنى الجامع المجاهدىّ والمدرسةَ والرِّباط والبِيمارِسْـتَان بظاهر الموصـل على دِجلة ووقف عليها الأوقاف. وكان عليه رواتبُ بحيث إنّه لم يدع [بالموصل بيتَ][1] فقير إلّا أغنى أهله ، وكان ديّنا صالحا عابدا عادلا كريما، يتصـدّق كلّ يوم خارجا

١٠ عن الرواتب بمائة دينار . ولمّـا مات عزّ الدّين[2] مسعود وولى آبنه أرْسلان[3] شاه حَبَس قيماز هذا وضيّق عليه وآذاه إلى أن مات فى حبسه .

وفيهـا تُوفّى يحيى بن سعيد بن هبة الله العلّامة أبو طالب قِوام الدِّين الشَّيْبَانىّ المنشئ الكاتب الواسطىّ الأصل، البغدادىّ المولد والدار والوفاة . مولده فى سنة آثنتين وعشرين وخمسمائة . وآشتغل بالأدب وبَرَع فى الإنشاء وفنون من العلوم كالفقه

١٥ وعلم الكلام والأصول والحساب والشعر، وجالس أبا منصور بن الجَوَاليقىّ وقرأ عليه، وسمـع أبا القاسم بن الصائغ وغيره ؛ وولى للخليفة عدّةَ خِدَم : حِجْبَـةَ الباب ، ثم الأسـتادارية ، ثم كتابة الإنشاء آخرَ عمره ومات فى ذى الحجة . ومن شـعره — وأحسن فيما قال — :

---

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب . (٢) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين

٢٠ مودود صاحب الموصل . (٣) هو نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب الموصل .

بآضطراب الزمان ترتفع الأنـ * ـذالُ فيه حتّى يعم البـلاءُ
وكذا المـاءُ ساكِنًا فإذا * حُرِّك ثارت من قعره الأقـذاءُ

قلت : وفى هذين البيتين شرح حال زماننا هذا لكثرة من ترقّى فيه من الأوباش إلى الرُّتَب السنيّة من كلّ طائفة ، وقد أذكرنى ذلك واقعـة جرت فى أوّل سلطنة الملك الأشرف إينال[1]، وهى أنّ بعض أوباش الخاصكيّة ممّن ليس له ذات ولا أدوات وقف إلى السلطان وطلب منـه إِمْرة عشرة، وقال له : يا مولانا السلطان، إمّا أن تُنعِم علىّ بإمرة عشرة و إلّا وَسِّطْنِى هنا؛ وقيل: إنّه تمدّد ونام بين يديه حتّى أخذ إمرة عشرة؛ وهو معروف لا يحتاج إلى تسميته. ومن هذه المقولة شىء كثير، ومع ذلك خرج الزمان وللدولة أعيان، فلا قوّة إلّا بالله .

وفيها تُوُفّى أبو الهَيْجاء السَّمِين الأميرُ حُسام الدين الكُرْدِىّ المقدّم ذكرُه فى عدّة أماكن، وذكرنا أيضا دخوله إلى بغداد، وأنّه صار من جملة أمراء الخليفة حتى سيّره إلى هَمَـذَان، فلم يتمّ له أمر، وآختلف أصحابه عليه فآستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار إلى الشام ومرِض بهـا ومات بعـد أيّام . وكان أميرا شجاعا مِقـداما عارفا متجمِّلا سَـيُوسًا .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبعان .

(١) هو السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبـد الله العـلائى الظاهرى ثم الناصرى . ملك الديار المصرية من سنة ٨٥٧ — ٨٦٤ هـ . كما سيأتى ذكره للؤلف .

ذكر ولاية الملك المنصور محمد على مصر

اختلف المؤرخون فيمن ولى مُلك مصر بعد موت الملك العزيز عثمان آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . فمن الناس من قال : أخوه الأفضل نور الدين علىّ بن صلاح الدين يوسف بن أيّوب؛ ومنهم من قال : ولده الملك المنصور محمد هذا . والصواب المقالة الثانية، فإنّه كان ولّاه والدُه العزيز من بعده، وإليه أوصى العزيزُ بالمُلك، وأيضا ممّا يُقوّى المقالة الثانية أنّ المنصور كان تحت كَنَف والده العزيز بمصر، وكان الأفضل بصَرْخَد[1]، ولم يحضُر إلى مصر، حتّى تمّ أمر المنصور وتسلطن بعد موت أبيــه . وبيان ذلك أيضا يأتى فيما نذكره الآن فى سـياق ترجمة الملك المنصور، فيُعرف بهذا السياق مَن كان فى هذه المدّة السلطان بمصر إلى حين ملك المَلِك العادل أبو بكر بن أيّوب؛ فنقول :

لمّـا مات الملك العزيز عثمان بديار مصر فى العشرين من المحرّم أوصى بالمُلك لأكبر أولاده وهو ناصر الدين محمد المذكور، ونَصّ عليه فى الوصيّة؛ وكان للعزيز عشرة أولاد، ولم يذكر فى الوصيّة عمّه العادل؛ وجعل وصيّه الأمـير أُزْكُش مقدّم الأسديّة .

قال أبو المظفّر سبط آبن الجَوْزىّ فى تاريخه : «كان لآبنه محمد عشر سنين وكان مقدّمُ الصلاحيّة فخرَ الدين جِهَارْكَس، وأسد الدين سَرَا سُنْقُر، وزَيْن الدين قراجا؛ فآتّفقوا على ناصر الدين محمد وحلّفوا له الأمراء؛ وكان سيف الدين أُزْكُش مقدّمُ الأسديّة غائبا بأُسْوَان، فقدم وصوّب رأيهم وما فعلوه، إلّا أنّه قال: هو صغير السن لا يَنْهَض بأعباء المُلك، ولا بدّ من تدبير كبير يَحْسِم الموادّ ويُقيم الأمور، والعادل مشغول فى الشرق بمارِدِين، وما ثَمّ أقرب من الأفضل نجعله أتَابَك العساكر، فلم يمكن

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

الصلاحيّة مخالفة الأسديّة وقالوا: افعلوا ففعلوا. فكتب أزْكُش إلى الأفضل يستدعيه وهو بصَرْخَد. وكتبت الصلاحيّة إلى مَنْ بدمشق من أصحابهم يقولون: قد اتفقت الأسديّة على الأفضل، وإنْ مَلَك الأفضل الديار المصريّة حكموا علينا، فامنعوا الأفضل من المجيء؛ فركب عسكر دِمَشق ليمنعوه ففاتهم؛ وكان الأفضل قد التقى النّجّاب المتوجّه إلى دِمشق ثانيا من قِبَل الصلاحيّة، وعلى يده الكُتُب التى تتضمّن ما ذكرناه من منع الأفضل من المجيء إلى الديار المصريّة، فأخذ الأفضل النّجّاب وعاد به إلى مصر، ولمّا وصل الأفضل إلى مصر التقاه الأسديّة والصلاحيّة، ورأى جِهَارْكَس النّجّاب الذى أرسله، فقال له: ما أسرعَ ما عُدتَ! فأخبره الخبرَ، فساق هو وقراجا بمَن معهما من وقتهما إلى القُدْس وتحصّنا به. فلمّا وقع ذلك أشارت الأسديّة على الأفضل بقَصْد دِمشق، وأنّ العادل مشغول بمَارِدِين. فكتب الأفضل إلى أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حَلَب يستنجده، فأجابه وقال: اِقْدَم حتّى أساعِدَك. فسار الأفضل بالعساكر المصريّة إلى الشام واستناب بمصر سيفَ الدين أزْكُش، ووصل الأفضل إلى دمشق فى شعبان من السنة فأحدق بها. وبلغ هذا الخبرُ الملكَ العادلَ وهو على مَارِدِين، وقد أقام عليها عشرة أشهر، ولم يبقَ إلّا تسليمُها وصَعِدتْ أعلامُه على القَلعة[1]؛ فلمّا سمعوا بوفاة العزيز توقّفُوا عن تسليمها؛ فرحل الملك العادلُ أبو بكر عنها، وترك على حصارها ولدَه الكاملَ محمدا الآتى ذكره فى سلاطين مصر — إن شاء الله تعالى — وسار العادل إلى نحو الشام فوصلها ومعه جماعة من الأمراء؛ وكان الأفضل نازلًا فى المَيْدان الأخضر فأشار عليه جماعةُ من الأمراء أن يتأخر إلى مشهد القَدَم[2] [حتّى[3] يصل الظاهر وصاحبُ

(١) فى الأصل: «إلى القلعة». وما أثبتناه عن مرآة الزمان. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٦ من هذا الجزء. (٣) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان.

حِمْص والأمراء] . ودخل العادلُ ومَن معــه إلى دمشق ، وجاء الظاهر بعسكر حلب ، وجاء عسكر حَمَاة وحِمْص ، وبِشَارة من بَانْيَاس ، وعسكرُ الحصون ، وسعدُ الدين مسعود صاحب صَفَد (١) ، وضايقوا دمشق وبها العادل ، وكسروا باب السلامة (٢) ؛ وجاء آخرون إلى باب الفراديس (٣) وكان العادل فى القلعة وقد آستأمن إليه جماعةٌ من المصريين مثل آبن كهدان (٤) ومِثْقال الخادم وغيرهما . فلمّــا بلغه أنّ آبن الحنبلىّ وأخاه شهاب الدين وأصحابهما قــد كسروا باب الفراديس ركب من وقته وخرج إليهم وجاء إلى جَيْرُون (٥) والمجدُ أخو الفقيــه عيسى قائم على فرســه يشرب الفُقّاع (٦) ، ثم صــاح العــادل : يا فَعَلة يا صَنَعة إلى هاهنا ! فلمّا سمعوا كلامه آنهزموا وخرجوا ؛ فأغلق العادلُ بابَ السلامة ، وجاء إلى باب الفراديس فوجدهم قد كسروا الأقفال بالمِرْزَبّات ؛ فقال مَن فعل هذا ؟ قالوا : الحنابلة ؛ فسكت ولم يقُل شيئًا . وقال أبو المظفّر : وحَكَى لى المعظَّم عيسى — رحمــه الله — قال : [لمّــا] (٧) رَجَعْنا من باب الفراديس [و] (٧) وصلنا إلى باب مدرسة الحنابلة رُمِىَ على رأس أبى (يعنى العادل) حُبُّ (٨) الزَّيْت فأخطأه ، فوقع فى رَقَبة الفرس فوقع ميتًا ، فنزل أبى وركب غيره ولم ينطق بكلمة ،

(١) صفد : مدينــة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى فى جبال لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . وفى الأصل : « صفت » . (٢) باب السلامة : شمال دمشق ، سمى بذلك تفاؤلا لأنه لا يتهيأ القتال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار . (عن تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ٢٦٢) . (٣) باب الفراديس ، شمالى دمشق : منسوب الى محلة كانت خارج الباب تسمى الفراديس ، وهى الآن خراب ، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسدّ ، والفراديس بلغة الروم البساتين (عن تهذيب تاريخ مدينة دمشق) . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٤) فى الأصل : «ابن مهران» وفى مرآة الزمان : «ابن كدان» . وما أثبتناه عن عقد الجمان وكما سيأتى فى حوادث سنة ٦١٥ هـ . (٥) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٦) فى الأصل : «وهو قائم» . وما أثبتناه عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٧) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٨) الحب : الجرة .

وجاء جهاركس وقراجا فى الليل من جبل سنير[١] فدخلا دمشق . وأمّا المواصلة فساقوا على الكامل محمد فرحّلوه عن ماردين ، فجاء أيضا يقصد دمشق ، وجمع التركمان[٢] وغيرهم .

وأمّا أمر دمشق فإنّه لمّا اشتدّ الحصار عليها، وقطعوا أشجارها ومياهها الداخلة إليها، انقطعت عن أهلها الميرة وضجّوا، فبعث العادل إلى ابن أخيه الظاهر غازى صاحب حلب يقول له : أنا أسلّم إليك دمشق على أن تكون أنت السلطان ، وتكون دمشق لك لا للأفضل، فطمع الظاهر وأرسل إلى الأفضل يقول : أنت صاحب مصر فآثرنى بدمشق، فقال الأفضل : دمشق لى من أبى ، وإنّما أخذت منّى غصبا . فلا أعطيها لأحد ، فوقع الخلف بينهما ووقع التقاعد، وخرجت السّنة على هذا . ثمّ دخلت السنة السادسة والتسعون ، والحصار على دمشق . وكان أتابك أرسلان شاه صاحب الموصل قد رحّل الكامل من ماردين كما تقدّم ذكره . فقدم الكامل دمشق ومعه خلق كثير من التّركمان وعسكر حرّان[٣] والرّها[٤] ، فتأخّر الأفضل بالعساكر إلى عقبة الشّحورة[٥] فى سابع عشر صفر . ووصل الكامل فى تاسع عشره فنزل بجوسق[٦] أبيه على الشرف[٧] ، ثم رحل الأفضل إلى مرج الصّفّر[٨] ، ورحل الظاهر إلى حلب، وأحرقوا ما عجزوا عن حمله . وسار الأفضل إلى مصر . وأحضر العادل

(١) سنير : جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) التركمان (بالضم) : جيل من الترك ، سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألف فى شهر واحد ، فقالوا : ترك إيمان ، ثم خففت فقيل تركمان (عن القاموس) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

(٥) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٦) الجوسق : القصر .

(٧) فى نزهة الأنام فى محاسن الشام ص ٧٠ : ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر والقصور، ويسمى أحدهما بالشرف الأعلى والآخر بالشرف الأدنى ، وفى كل شرف منهما عدّة من المدارس والمساجد . وكل شرف يطل على «الشقرا» و «الميدان» و «القصر الأبلق» و «المرجة» ذات العيون والغدران .

(٨) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان صحراء (عن معجم البلدان لياقوت) .

بنى الحنبلىّ : الناصح وأخاه شهاب الدين وغيرهما، وكان الأفضل قد وعد الناصحَ بقضاء دمشق، والشهاب بالحِسْبَة، فقال لهم العادل : ما الذى دعاكم إلى كسر باب الفراديس، ومظاهرة أعدائى علىّ، وسفك دمى؟ فقال له الناصح : أخطانا وما ثَمّ إلّا عَفْو السلطان. — ثم ساق أبو المظفّر كلاما طويلا محصوله العفو عن الحنابلة، إلى أن قال — :

٥ وأمّا الأفضل فإنّه سار إلى مصر، فأرسل العادل وراءه [أبا محمد][1] نجيب الدين الزَّبَدَانِىّ[2] إليه يقول [له] : ترفّق، فأنا لك مثل الوالد، وعندى كلُّ ما تريد. فقال الأفضل : قل له : إن صحّت مقالتك فأبعدْ عنك أعدائى الصّلاحيّة. وبلغ ذلك الصلاحيّةَ، فقالوا للعادل : إيش قعودنا هنا؟ قم بنا، وساروا خلف الأفضل مَرْحَلَةً مرحلة؛ فنزل الأفضل ببلبيس ونزل العادل السائح[3]؛ فرجع الأفضل وضرب معهم

١٠ المَصَافّ، وتقاتلوا فانكسر الأفضل وتفرّق عنه أصحابه؛ ورَحَل إلى القاهرة وأغلق أبوابها. وجاء العادل فنزل البِرْكة[4]، ودخل سيفُ الدين أَزْكُش بين العادل والأفضل، واتّفقوا أن يعطيه العادلُ ميّافَارِقِين وجَبَلَ جُور[5] وديار بكر، ويأخذ منه مصر؛ فاتّفق الأمر على ذلك.

ورَحل الأفضل من مصر فى شهر ربيع الآخر، ودخل العادل إلى القاهرة،

١٥ وأحسن إلى أَزْكُش، وقال للأفضل : جميعُ مَن كان معك كاتَبَنِى إلّا سيفَ الدين أَزْكُش. ثم قدّم العادلُ أَزْكُشَ المذكور وحكّمه فى البلاد، وردّ القضاء

---

(١) فى الأصل : «ولده» والتصحيح والزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (٢) الزبدانى : نهر بدمشق. (٣) السائح، هذا الاسم كان يطلق على منطقة الأراضى الواقعة على جانبى الترعة السعيدية فى المسافة الواقعة بين ناحيتى سوادة والصالحية بمركز فاقوس بمديرية الشرقية. ولما تكلم المقريزى

٢٠ فى الجزء الأوّل من خططه ص ١٨٤ على بلدة الصالحية فى موضوع الورّادة، قال : إن الملك الصالح نجم الدين أيوب أنشأ الصالحية من سنة ٦٤٤ هـ بالسائح فى أوّل الرمل. (٤) يريد بركة الحجاج. وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨ من الجزء الخامس من هـذه الطبعة. (٥) جبل جور : اسم لكورة كبيرة متصلة بديار بكر من نواحى أرمينية (عن معجم البلدان لياقوت).

إلى صدر الدين عبد الملك بن دِرْباس الكُرْدِىّ، وولِّى شيخَ الشيوخ آبن حَمّويه[1] التدريسَ بالشافعىّ ومَشْهَد الحُسَين والنَّظَر فى خانقاه الصُّوفِيّة[2]، وجلس الوزير صفىّ الدين عبد الله بن علىّ بن شُكْر فى دار السلطنة فى حُجْرة القاضى الفاضل، ونظر فى الدواوين. وسار الأفضل إلى مَيّافارِقين. وآستدعى العادلُ ولدَه الكاملَ إلى مصر فخرج من دمشق فى ثالث عشرين شعبان[3] وودّعه أخوه الملك المعظَّم عيسى إلى رأس الماء[4]. قال العِماد الكاتب : وسرتُ معه إلى مصر وأنشدتُه :

دعتْك مصرُ إلى سلطانها فأَجِبْ * دعاءَها فهو حَقٌّ غيرُ مكذوبِ

قد كان يهضمنى دهرى فأدركنى[5] * محمّدُ بن أبى بكر بن أيّوب

ووصل الكامل إلى مصر فى عاشر شهر رمضان، وآلتقاه أبوه العادل من العَبّاسة[6]، وأنزله فى دار الوزارة. وكان قد زوّجه بنتَ أخيه صلاح الدين فدخل بها. ولم يقطع العادلُ الخطبة لولد العزيز.

قلت : وهذا ممّا يدلّ أيضا على أنّ الأفضل كان عند الملك المنصور محمد آبن العزيز عثمان بمنزلة الأَتَابَك. والظاهر أنّه كان ظنُّ الأفضل إذا تمّ أمره مع عمّه العادل هذا آستقلّ بالمُلْك، فلم يقع له ذلك، ولهذا لم نذكره فى ملوك مصر، وما ذكرناه[7] هنا إلّا فى ضمن ترجمة المنصور صاحب الترجمة.

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٦ من هذا الجزء. (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٣) فى مرآة الزمان وعقد الجمان : «فى ثالث شعبان». (٤) رأس الماء : موضع بالقرب من حوران شديد البرد صيفا (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٩٥ و ١٠٢ طبع أوربا). (٥) فى الأصل : * قد كان يهضنى دهرى فأدركنى * وفى مرآة الزمان ... : « قد كان يهضنى دهرى فيوهمه » . والتصويب عن الروضتين.

(٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة.

(٧) فى الأصل : «وإنما ذكرناه» . والسياق يقتضى ما أثبتناه.

قال : ثم إنّه جمع الفقهاء (يعنى الملك العادل) وقال لهم : هــل يجوز ولاية الصغير على الكبير ؟ فقالوا : الصغير مولًّى عليه (١) . قال : فهل يجوز للكبير أن ينوب عن الصغير ؟ قالوا : لا ، لأنّ الولاية من الأصــل إذا كانت غيرَ صحيحة فكيف تصحّ النيابة ! فعنــد ذلك قطع خطبةَ ابنِ العــزيز (يعنى عن المنصــور صاحب الترجمة) وخطب لنفسه ولولده الكامل من بعده . ونقَصَ النيلُ فى هــذه السنة ولم يبلغ ثلاث عشرة ذراعا . ووقع الغلاء بديار مصر » .

قلت : وعلى هذا يكون أوّل سلطنة العادل على مصر فى يوم خُطِب له بمصر، وهو يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة .

قال ابن المُسْتَوْفِى (٢) فى تاريخ إِرْبِل (٣) : فتكون أوّل سلطنة الملك العادل من هذا اليوم، ولا عِبْرة باستيلائه على مصر قبل ذلك . وعلى هــذا أيضا تكون مدّة الملك المنصور محمد صاحب الترجمة على سلطنة مصر سنة واحدة وتسعة أشهر سواء، فإنّ والده العزيز عثمان مات فى عشرين المحرّم من سنة خمس وتسعين وخمسمائة فتسلطن من يوم موت أبيــه، وخُلِــع فى العشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة . انتهى . ولم أقف على وفاته الآن .

---

(١) فى الأصل : «الصغير مولى مولى عليه» . (٢) هو أبو البركات المبارك بن أبى الفتح أحمد ابن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب اللخمى الملقب شرف الدين، المعروف بابن المستوفى الإربلى . كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسع الكرم . وكان ماهرا فى فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافى وعلم البيان وأشــعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعا فى علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم . وجمع لإربل تاريخا فى أربعة مجلدات . وقد قابله ياقوت الحموى بإربل وأنشده من شعره وكتب له بخطه عدّة قطع من أشــعاره ذكر بيتين منهــا فى معجمه فى كلامه على إربل . وكانت وفاته سنة ٦٣٧ﻫ . (راجع ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧٩ من الجزء الخامس من هذه الطابعة .

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك المنصور محمد ابن الملك العزيز عثمان ابن الملك الناصر يوسف على مصر، وهى سنة خمس وتسعين وخمسمائة، على أن الملك العزيز والده حكم منها نحو العشرين يوما من المحرّم كما تقدّم ذكره .

فيها حجّ بالناس من بغداد مظفّر الدين وجهُ السَّبُع .

وفيها كانت وفاة الملك العزيز عثمان حسب ما تقدّم ذكره فى ترجمته .

وفيها تُوفّى يحيى بن علىّ بن الفضل أبو القاسم بن فَضْلان مدرّس النِّظاميّة، كان فقيها بارعا، قدِم بغداد وناظر وأفتى ودرّس، وكان مقطوعَ اليد، وقع من الجمل فعمِلت عليه يده خِيف عليه فقُطِعت . وكانت وفاته فى شعبان . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

وإذا أردت منازلَ الأشرافِ * فعليك بالإسعاف والإنصافِ
وإذا بغى باغٍ عليك نخَلّهِ * والدهرَ فهو له مُكافٍ كافِ

وفيها تُوفّى يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملك المنصور أبو يوسف صاحب المغرب . كان مَلِكا مُغازِيًا مجاهدًا، وهو الذى كَسَرَ أَلْفَنْش ملك الفرنج المقدّم ذكره على الزَّلَّاقة، وهو أعظم ملوك المغرب وأحسنهم سِيرةً لِما كان جمع من المحاسن : الدِّين والصلاح والشجاعة والكرم والحزم والعزم، ودام فى مُلكه إلى أن مات فى شهر ربيع الأوّل[1] بعد أن أوصى بالمُلك إلى ولده أبى عبد الله محمد . وكانت مدّة أيامه خمس عشرة سنة . وفيه يقول شاعره أبو بكر[2] يحيى بن عبد الجليل

(١) فى ابن الأثير : «فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر» . (٢) فى الأصل : «أبو بكر بن يحيى» . وما أثبتناه عن ابن خلكان، وهو شاعر مجيد وله ديوان شعر أكثره مدح فى الأمير يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن . توفى هذا الشاعر بمراكش سنة ٥٨٧ هـ . (عن ابن خلكان) .

آبن عبد الرحمن بن مُجِير الأَنْدَلُسِى المُرْسِى قصيدته المطوّلة، وعدّة أبياتها مائة وسبعة أبيات . أوّلها :

أَتُراه يترُك الغـــزَلَا * وعليه شَبّ وآكتهلا

ومدحه أيضا إبراهيم بن يعقوب[1] الشاعر المشهور بقصيدة طنّانة أوّلها :

أزال حِجـابَه عنى وعينى * تَراه من المهابة فى حِجابِ
وقرّبَنى تفضُّـلُه ولكن * بعُدتُ مهابةً عند آقترابِى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين يوسف بن أيّوب صاحب مصر فى المحرّم، وله ثمان وعشرون سنة. والحفيد آبن رُشْــد العلّامة أبو الوليد[2] محمد بن أحمد بن أبى الوليد محمد بن أحمد بن رُشْد القُرْطُبِىّ المتكلّم . وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطَّرَسُوسِىّ بأصبهان فى جمادى الآخرة . وأبو الحسن مسعود بن أبى مسعود[3] الأصبهانىّ الخيّاط الجمّال فى شوّال . وأبو الفضل منصور بن أبى الحسن الطَّبَرِىّ الصوفىّ الواعظ. والعلّامة جمال الدّين يحيى بن علىّ بن فَضْلان البغدادىّ الشافعىّ فى شعبان . وصاحب المغرب المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن القَيْسِىّ .

§ أمر النيل فى هــذه السنة — المــاء القديم ثلاث أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا .

---

(١) هو الأديب أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكانمى الأسود الشاعر . والكانمى، نسبة الى كانم (بكسر النون) وهى بلدة بنواحى غانة وهى دار ملك السودان (عن ابن خلكان) .

(٢) ولد بقرطبة ونشأ بها ، ولما ترعرع غصنه ظهر فضله وذاع صيته وتلق العلوم المختلفة على شيوخ عصره ، وما زال مثابرا على الإفادة والآستفادة حتى أصبح وعاء من أوعية العلم ، وكان حسن الرأى والتدبير ذكيا رث البزة قوى النفس . (راجع ترجمته بتفصيل وافٍ فى عيون الأنبا فى طبقات الأطبا لابن أبى أصيبعة) .

(٣) فى شذرات الذهب : « أبو الحسن مسعود بن أبى منصور » .

***

السنة الثانية من ولاية الملك المنصور محمد آبن الملك العزيز عثمان على مصر، على أنّه حكم فى آخرها من شهر رمضان إلى آخر السنة عمُّ أبيه الملكُ العادُل أبو بكر ابن أيّوب، وهى سنة ستّ وتسعين وخمسمائة .

فيها تُوفِّى تُكُش بن أَرْسلان شاه بن أَتْسِز[1] الملك علاء الدّين خُوَارَزْم شاه، هو من ولد طاهر بن الحسين. كان شجاعا مِقْداما جودا، مَلَك الدنيا من الصِّين والهند وما وراء النهر إلى خُراسان إلى باب بغداد، وكان نوابه فى حُلْوان[2]، وكان فى ديوانه مائة ألف مقاتل، وهو الذى أزال دولة بنى سلجوق، وكان عارفا بعلم المُوسِيقى؛ ولم يكن فى زمانه أعرف منه بضرب العُود، وكان يُباشر الحروب بنفسه حتّى ذهبتْ إحدى عينيه فى الحرب، وكان قد عزم على أخذ بغداد وسار إليها؛ فلمّا وصل إلى دِهِسْتان[3] تُوفِّى بها فى شهر رمضان . ووقع له فى مسيره إلى أخذ بغداد فى هذه المرّة طريفة : وهو أنّ الباطنيّة جهّزوا إليه رجلًا ليقتلَه، وكان قوىَّ الاحتراس، فجلس تلك الليلة يلعب بالعُود، وقد شَرَّع الخَيْمَةَ وغنّى بيتًا بالعجميّة، وفيه «بَبِيتَم» ومعناه بالعجمىّ : أبصرتك[4]، وكرّر هذه اللفظة؛ فلمّا سمع الباطنىّ ذلك خاف وظنّ أنه رآه فهرب، فأُخِذ وحُمِل إليه فعزّره وأمر بقتله . فكان ذلك من الطرائف .

---

(١) فى الأصل : «أبز» . وما أثبتناه عن تاريخ ابن الوردى وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٥ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) دهستان : بلد مشهور فى طرف مازندان قرب خوارزم وجرجان . بناها عبد الله بن طاهر فى خلافة المهدى (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) وجدنا فى هامش الأصل العبارة الآتية : «ليس معناه أبصرتك بل معناه : أرى، ليس فيه خطاب ولا معنى ماض» .

وفيها تُوفِّى إمام عصره ووحيد دهره، القاضي الفاضل عبد الرحيم آبن القاضى الأشرف أبى المجـد على[(١)] [آبن القاضى السعيد أبى محمد محمد] [(٢)] بن الحسن بن الحسين ابن أحمد [بن المفرج بن أحمد] [(٢)] اللَّخمى العَسْقَلانى المولد، المصرى [الدار] [(٢)]، المعروف بالقاضى الفاضل الملقّب محيي الدين[(٣)]؛ وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

قال آبن خلّكان — رحمه الله — : [و] [(٤)] تمكّن منه غاية التمكّن (يعنى من صلاح الدين) وبَرَز فى صناعة الإنشاء وفاق المتقدّمين ، وله فيـه الغرائب مع الإكثار . أخبرنى أحد الفضلاء الثّقات المُطّلِعين على حقيقة أمره : أنّ مسودات رسائله فى المجلّدات، والتعليقات فى الأوراق إذا جُمعت ما تقصر عن مائة مجلد، وهو مجيد فى أكثرها .

قال العِماد الكاتب الأصبهانى فى كتاب الخَرِيدة فى حقّه : «ربّ القَلَم والبيان، واللَّسَن واللِّسان، والقريحة الوقّادة، والبصيرة النقّادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المطرّزة، والفضل الذى ما سُمِـع فى الأوائل ممّن[(٥)] لو عاش فى زمانه لتعلق فى غُباره، أو جرى فى مِضماره، فهو كالشريعة المحمديّة التى نسـخَت الشرائع ، ورَسَخَت بها الصنائع، يخترع الأفكار، ويفترع الأبكار، ويُطلِـع الأنوار ، ويُبدِع الأزهار ؛ وهو ضابط المُلك بآرائه ، ورابط السالك بلألائه[(٦)] ، إن شاء أنشأ فى اليوم الواحد بل فى الساعة ، مالو دُوّن لكان لأهل الصـناعة ، [خير] [(٧)] بِضاعة » انتهى كلام العِماد بآختصار .

---

(١) فى الأصل : «أبى الحسن» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى .
(٢) التكملة عن ابن خلكان وشرح القـاموس . (٣) فى ابن خلكان وعقد الجمـان : «مجير الدين» . (٤) زيادة عن ابن خلكان . (٥) فى الأصـل : «من لو عاش» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٦) فى الأصل : «بآلائه» . وما أثبتناه عن آبن خلكان .
(٧) فى الأصـل : «لكان لأهل الصناعة كفاية» . والتصحيح والزيادة عن ابن خلكان .

وقال غيره : وكان مع فضله كثيرَ العبادة تاليًـا للقرآن العزيز دينًا خيرًا ، وكان السلطان صـلاح الدين يقول : لا تظنُّوا أنّى ملكتُ البـلاد بسيوفكم ، بل بقـلم الفاضل . وكان بين الفاضل وبين الملك العادل أبى بكر بن أيّوب وَحْشة[(١)] ، فلمّـا بلغ الفاضـلَ مجىءُ العادل إلى مصر دعا الله على نفسه بالموت ، فمات قبل دخوله .
وقيـل : إنّ العادل كان داخلا من باب النصر ، وجنازة الفاضل خارجة من باب زوِيلة[(٢)] . انتهى .

قلت : وفضل الفاضل وبلاغته وفصاحته أشهر من أن يذكر . ومن شعره : قولـــه :

وإذا السعادة لاحظتْك[(٣)] عيـونُها * نَمْ فالمخاوفُ كلُّهنّ أمانُ
وآصطدْ[(٤)] بهـا العَنْقاءَ فهى حبائلٌ * وآقتـد بها الجَـوْزاء فهى عِنَانُ

وقد آستشهد علمـاءُ البديع بكثير من شعره فى أنواع كثيرة ، فمما ذكره الشيخ تقىّ الدين[(٥)] أبو بكر [بن علىّ][(٦)] بن حِجّة فى شرح بديعيّته فى نوع « تجاهل العـارف » قوله من قصيدة :

أهـذِى كَفُّـه أم غَوثُ غَيْثٍ * ولا بلـغ السحابُ ولا كرامَـهْ
وهـــذا بشْرُه أم لَمْـعُ بَرْقٍ * ومَن للـبرق فينا بالإقامـــهْ
وهـذا الجيش أم صَرْفُ اللّيـالى * ولا سـبقت حوادثها زِحامـــهْ

(١) عبارة مرآة الزمان وعقـد الجمان : «لمـا تيقن الفاضل استيلاء العادل على القاهرة دعا على نفسه بالموت خوفا من ابن شكر وزير العادل ، فانه كانت بينه وبينه وحشة» .
(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
(٣) فى الأصل : «أحرستك» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٤) فى الأصل : «وآصعد» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . (٥) هو الشاعر المشهور صاحب القصيدة البديعية وشرحها وغيرها من المصنفات مات بحماة فى خامس عشرين شعبان سنة ٨٣٧ هـ . كما سيأتى للؤلف فى حوادث السنة المذكورة . (٦) التكلة عما سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٣٧ هـ .

وهــذا الدهر أم عبــدٌ لديه * يُصَرِّف عن عزيمته زِمامــهْ
وهــذا[1] نصل غِمْد أم هــلالٌ * إذا أمسى كَنُونٍ أم قُلَامــهْ
وهــذا التُّرْبُ أم خــدٌّ لثمنا * فآثار الشِّفاه عليــه شامــهْ

ومنها وهو غير تجاهل العارف [ولكنّه من المُرْقِص والمُطْرِب][2] :

وهــذا الدرُّ منثورٌ ولكن * أرونى غيرَ أقــلامى نِظامَــهْ
وهــذى روضةٌ تندى وسطرى * بهــا غصنٌ وقافيــتى حَمَامَــهْ
وهذا الكأس رُوِّق من بَنَانِى * وذِكْرُك كان من مسك ختامَــهْ

وذكر أيضا فى «تجاهل العارف» قوله من قصيدة :

أهــذه سِيَرٌ فى المجــد أم سُوَرُ * وهــذه أنجُمٌ فى السعد أم غُرَرُ
وأنمــلٌ أم بِحار والسيوف لهــا * موجٌ وإفــرندها فى لُجّهــا دُرَرُ
وأنت فى الأرض أم فوق السماء وفى * يمينك البحــر أم فى وجهك القمرُ

وفيها تُوفِّى علىّ بن نصر بن عَقِيل المعروف بالهُمَام البغدادىّ العَبْدِىّ الشاعر المشهور، قَدِم الشامَ ومدح الملكَ العادلَ، والملكَ الأمجد صاحب بَعْلَبَكّ . ومن شعره :

وما الناسُ إلّا كامُل الحظِّ ناقصٌ * وآخرُ منهم ناقصُ الحظِّ كاملُ
وإنّى لَمُــثْرٍ من حَيَاءٍ وعِفّةٍ * وإن لم يكن عندى من المــالِ طائلُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو جعفر أحمد ابن علىّ القُرْطُبىّ المقرئ إمام الكَلَّاسَــة . وإسماعيل بن صــالح بن يَسّ بمصر فى ذى الحجّة . وأبو سعيد خليل بن أبى الرجاء الرَّارَانِىّ[3] الصوفىّ فى شهر ربيع الآخر،

(١) فى الأصل : «وهذا فصل» . وما أثبتناه عن معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص .
(٢) الزيادة عن خزانة الأدب لابن حجة .
(٣) الرارانى (براءين مهملتين) : نسبة إلى راران ، قرية بأصبهان .

وله ست وتسعون سنة . والسلطان علاء الدين خُوَارَزْم شاه تُكُش بن خُوَارَزْم شاه أَرْسلان بن أَتْسِز بن محمد فى رمضان بالخوانيق ، وتملّك بعده آبنه علاء الدين محمد . والقاضى الفاضل أبو علىّ عبد الرحيم بن علىّ [بن محمد][1] بن حسن اللَّخْمِىّ البَيْسانىّ[2] الوزير فى شهر ربيع الآخر، وله سبع وستون سنة . وأبو الحسن عبد اللطيف بن إسماعيل آبن [أبى][3] سعد الصُّوفىّ فى ذى الحجّة بدمشق . وأبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب [بن سعد بن صَدَقَة بن الخضر][4] بن كُلَيْب فى شهر ربيع الأول، وله ست وتسعون سنة وشهر . والأثير أبو الفضل[5] محمد بن محمد بن بيان الأنبارىّ ثم المصرىّ الكاتب فى شهر ربيع الآخر . والعلّامة شهاب الدين محمد بن محمود الطُّوسىّ بمصر . وأبو جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد بن زُرَيْق الواسطىّ الحَدّاد[6] المقرئ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم لم يُذكر لقلّته . وكان مبلغ الزيادة فى هذه السنة آثنتى عشرة ذراعا و إحدى وعشرين إصبعا . وشَرِقت الأراضى ، وعمّ البلاء والغلاء الديار المصريّة وأعمالها .

---

(١) الزيادة عما تقدم ذكره فى وفيات هذه السنة . (٢) نسبة الى بيسان : مدينة بالأردن. وفى الأصل : «النيسابورى» . (٣) التكلة عن عقد الجمان وشذرات الذهب والذيل على الروضتين. (٤) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وعقد الجمان . (٥) نسبه فى المختصر المحتاج اليه : « محمد بن محمد بن محمد بنان الأنبارى ثم المصرى أبو طاهر بن أبى الفضل » . وفى شذرات الذهب وفوات الوفيات لابن شاكر : « الأثير محمد بن محمد بن أبى الطاهر بن محمد بن بنان الأنبارى المصرى » . وفى حسن المحاضرة للسيوطى : « محمد بن محمد بن أبى الطاهر محمد بن بيان الأنبارى » . (٦) فى الأصل : « ابن الحداد » . وما أثبتناه عن غاية النهاية والمختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب .

ذكر ولاية الملك العادل على مصر

هو السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد آبن الأمير أبى الشكر نجم الدين أيّوب بن شادى بن مَرْوان الدُّوِينىّ التَّكْرِيتىّ ثم الدمشقىّ . وقد تقدّم ذكر نسبه وأصله فى ترجمة أخيه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب . وقد ذكرنا أيضا من أحوال العادل هـذا نبذة كبيرة فى ترجمة أخيه صلاح الدين المذكور، وأيضا فى ترجمة أولاده، ثم فى ترجمة حفيده الملك المنصور محمد آبن الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، الذى خلعه العادل هذا وتسلطن مكانه فى العشرين من شوّال سـنة ستّ وتسعين وخمسمائة . وقد تقدّم ذلك كلّه فى ترجمة المنصور محمد المخلوع عن السلطنة . ولا بدّ من ذكر شىء من أحوال العادل هنا على حِدته، و إيراد قطعة جيّدة من أقوال الناس فى ترجمته — إن شاء الله تعالى — .

قال الحافظ أبو عبـد الله شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخه : « وُلِد ببعلبكّ فى سنة أربع[1] وثلاثين ، وأبوه نائب عليها للأتابَك زَنْكى والد نور الدين محمود، وهو أصغر من أخيه صلاح الدين بسنتين ؛ وقيل : وُلِد فى سنة ثمانٍ[2] وثلاثين ؛ وقيل : وُلِد فى أوائل ســنة أربعين . قال أبو شامة : تُوفِّى الملك العـادل سيف الدين أبو بكر محمـد ، وهو بكنيته أشهر . ومولده ببعلبكّ، وعاش ستّا وسبعيــن سنة . ونشأ فى خدمة نور الدين مع أبيه و إخوته ؛ [وحضر[3] مع أخيه صلاح الدين فتوحاته وقام أحسن قيام فى الهــدنة مع الأَنْكِلْتِير ملك الفرنج بعـد أخذهم عكّا] ، وكان

(١) هـذه رواية الذهبى . وفى عقد الجمان ومرآة الزمان : « سئل عن مولده فقال : فتوح الرها يعنى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة » . (٢) هذه الرواية وما بعدها ذكرهما آبن خلكان أيضا فى ترجمة العادل . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى .

صلاح الدين يعوّل عليه كثيرا، وآستنابه بمصر مدّة، ثم أعطاه حلب، ثم أخذها منه وأعطاها لولده الظاهر، وأعطاه الكَرَك عوضها، ثم حَرّان» . انتهى كلام الذهبيّ .

وقال الشيخ شمس الدين أحمد بن خلّكان — رحمه الله — فى وفيات الأعيان : «كان الملك العادل قد وَصَل إلى مصر صحبة أخيه وعمّه أسد الدين شِيرِكُوه المقدّم ذكره . وكان يقول : لمّا عزمنا على المسير إلى مصر آحتجتُ الى جِرْمدان[1] فطلبتُه من والدى فأعطانى، وقال يا أبا بكر : إذا ملكتم مصر أعطونى مِلأَهُ ذهبا . فلمّا جاء إلى مصر، قال يا أبا بكر : [أين][2] الجِرْمدان؟ فرُحتُ وملأتُه له من الدّراهم السُّود ، وجعلت على أعلاها شيئًا من الذهب وأحضرتُه إليه ، فلمّا رآه آعتقده ذهبًا ، فقلبه فظهرت الفِضّة السوداء، فقال يا أبا بكر : تعلمتَ زَغَلَ المصريّين ! قال : ولمّا ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب مصر كان ينوب عنه فى حال غَيْبته بالشام، ويستدعى منه الأموال للإنفاق فى الجند وغيرهم . قال : ورأيت فى بعض رسائل القاضى الفاضل أنّ الحُمول تأخرت مدّة فتقدّم السلطان صلاح الدين إلى العماد الأصبهانىّ أن يكتب إلى أخيه العادل يستحثّه على إنفاذها حتّى قال : يسير [لنا][2] الحِمْل من مالنا أو من ماله ! فلمّا وصل الكتاب إليه، ووقف على هذا الفصل شقّ عليه، وكَتَب إلى القاضى الفاضل يشكو من السلطان لأجل ذلك . فكتب القاضى الفاضل جوابه ، وفى جملته : «وأمّا ما ذكره المولى من قوله : يسير لنا الحمل من مالنا أو من ماله ، فتلك لفظة ما المقصود منها من الملك النُّجْعَة، وإنّما المقصود من الكاتب السَّجْعَة . وكم من لفظة فَظّة، وكلمة فيها غِلْظة، حيّرت عيّ الأقلام، فسدّت خلل الكلام . وعلى المملوك الضمان فى هذه

(١) الجرمدان : كلمة فارسية مركبة من كلمتين : «جرم» ومعناه الجلد، و«دان» ومعناه الظرف . والمراد بها كيس من الجلد . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

النُّكتة، وقد فات لسان القلم منها أىّ سكتة» . قال : ولمّا ملك السلطان (يعنى صلاح الدين) مدينة حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة كما تقدّم ذكره ، [أعطاها[1] لولده الملك الظاهر غازى ثم أخذها منه و] أعطاها للملك العادل فآنتقل إليها [وقصد[1] قلعتها يوم الجمعة الثانى والعشرين] من شهر رمضان من السنة المذكورة ؛ ثم نزل عنها للملك الظاهر غازى آبن السلطان صلاح الدين؛ ثم أعطاه السلطان قلعة الكَرَك، وتنقّل فى الممالك فى حياة السلطان صلاح الدين وبعد وفاته . وقضاياه مشهورة مع الملك الأفضل والملك العزيز والملك المنصور فلا حاجة إلى الإطالة فى شرحها. وآخر الأمر أنه آستقلّ بمملكة الديار المصريّة. وكان دخوله إلى القاهرة لثلاثَ عشرةَ ليلة خلت[2] من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وآستقرّت له القواعد . وقال أبو البركات بن المُسْتَوْفِى فى تاريخ إرْبِل : فى ترجمة ضِيَاء الدين أبى الفتح نصر الله المعروف بآبن الأثير [الوزير][3] الجَزَرِىّ ما مثاله — وجدت بخطّه — : خُطِب للملك العادل أبى بكر بن أيّوب بالقاهرة ومصر يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوّال سنة ست وتسعين وخمسمائة، وخُطِب له بحلب يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة — والله أعلم بالصواب — هذا ما ذكره آبن خلّكان وهو بخلاف ما ذكرناه من أنه خُطِب[4] له فى عاشر شهر رمضان من السنة، ويمكن الجمع بين القولين، لأنّنا قلنا فى شهر رمضان تخمينًا، لأنّ الآتّفاق كان فى شهر رمضان، ولعلّ الخطبة كانت فى شوّال — انتهى . قال : «وملك مع ذلك البلاد الشاميّة والمشرقيّة ، وصفت له الدنيا، ثم ملك بلاد اليمن فى سنة آثنتى عشرة وستمائة [و][5] سيّر إليها ولَدَ ولده الملك المسعود صلاح الدين

(١) التكملة عن ابن خلكان . (٢) فى ابن خلكان : «بقيت» .
(٣) زيادة عن ابن خلكان . (٤) يلاحظ أن المؤلف لم يذكر فى ترجمة العادل شيئا من ذلك . (٥) زيادة عن آبن خلكان .

أبا المظفر يوسف ابن الملك الكامل محمد الآتى ذكره . وكان ولده الملك الأوحد نجم الدين أيوب ينوب عنه فى ميافارقين وتلك النواحى، فاستولى على مدينة خلاط[(١)] و[بلاد] أرمينية[(٢)]، واتسعت مملكته ، وذلك فى سنة أربع وستمائة .

ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده، فأعطى الملك الكامل محمدًا الديار المصرية ، وأعطى الملك المعظم عيسى البلاد الشامية، وأعطى الملك الأشرف موسى البلاد الشرقية، والأوحد فى المواضع التى ذكرناها . وكان ملكا عظيماً ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب، حسن السيرة جميل الطوية وافر العقل، حازما فى الأمور صالحا محافظًا على الصلوات فى أوقاتها ، متبعًا لأرباب السنة مائلاً إلى العلماء . صنف له فخر الدين الرازى[(٣)] «كتاب تأسيس التقديس» ، وذكر اسمه فى خطبته ، وسيره إليه من بلاد خراسان . وبالجملة فإنه كان رجلا مسعودًا، ومن سعادته أنه كان خلف أولادا لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم ؛ فى نجابتهم [وبسالتهم][(٢)] ومعرفتهم وعلو همتهم، ودان لهم العباد وملكوا البلاد. ولما مدحه ابن عنين[(٤)] بقصيدته الرائية ذكر منها فى مديح أولاده المذكورين، فقال :

وله البنون بكلّ أرض منهمُ * مَلِكٌ يقود إلى الأعادى عَسْكَرَا
من كلّ وَضّاح الجَبِين تخالُهُ * بَدْرا وإن شهِد الوَغَى فغَضَنْفَرا

(١) فى الأصل : «واستناب على مدينة خلاط» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .
(٢) زيادة عن ابن خلكان . (٣) هو الإمام فخر الدين أبو عبد محمد بن عمر بن الحسين الرازى، أفضل المتأخرين ، وسيد الحكماء المحدثين ، قد شاعت سيادته وانتشرت فى الآفاق مصنفاته وتلامذته . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٠٦ هـ . (٤) هو أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر بن الحسين بن عنين الأنصارى الملقب شرف الدين الكوفى الأصل الدمشقى المولد الشاعر المشهور كان خاتمة الشعراء، لم يأت بعده مثله ، ولا كان فى أواخر عصره من يقاس به ، ولم يكن شعره مع جودته مقصورا على أسلوب واحد بل افتن فيه ، وكان غزير المادة من الأدب مطلعا على معظم أشعار العرب . توفى سنة ٦٣٠ هـ . (راجع ترجمته فى ابن خلكان ج ٢ ص ٣٦) .

متقـــدّمُ حتّى إذا النّقعُ انجـــلى * بالبِيض عن سبْيِ الحَـريم تأخّرا
قوم زَكَوْا أصــلًا وطابوا مَحْتِـدًا * وتدفّقوا جُـودًا وراقوا منظَــرا

قال ومن جملة هذه القصيدة فى مدح الملك العادل هذا قولُه ، ولقد أحسن فيها ،

[العـادلُ الملِكُ الذى أسمـاؤُه * فى كلّ ناحيــةٍ تُشرِّف مِنـبرَا] (١)
٥ وبكلّ أرضٍ جنّةٌ من عدله الصّـ * ـافى أسَـال [نداه] (١) فيها كَوْثَرَا
عَدْلٌ يَبِيت الذئبُ منه على الطَّوَى * غَرْثان وهو يَرَى الغـزالَ الأعْفَرَا
ما فى أبى بكرٍ لِمُعْتقِـد الهـدى * شَـكٌّ مُريبٌ أنّه خـيرُ الوَرَى
سيفٌ صِقَالُ المَتْنِ أُخْلِص متنُـه * وأبان طِيبُ الأصل منه الجَوْهَرَا
ما مَدْحُه بالمسـتعار له ولا * آياتُ سُــؤْدُدِه حديثٌ يُفْـتَرَى
١٠ بين الملوك الغـابرين وبينــه * فى الفضل ما بين الثُّرَيّا والثَّرَى
نسختْ خلائقَهُ الحميـدةُ ما أتى * فى الكُتْب عن كِسْرى الملوك وقَيْصَرا (٢)
مَلِك إذا خفّت حلومُ ذوى النُّهَى * فى الرَّوْع زاد رصانَةً وتوقُّــرا
ثَبْتُ الجَنَان تُرَاع من وَثَبَاتِه * وثَبَاته يوم الوغى أُسْـد الشَّرَى
يَقِظٌ يكاد يقـول عمّا فى غدٍ * ببـديهةٍ أَغْنَتْه أن يتفكّرا
١٥ حِلْمٌ تَخِفُّ له الحـلومُ وراءه * رَأْىٌ وعَزْمٌ يَحْقِـر الإسكندرا
يعفـو عن الذنب العظيم تكَرُّمًا * ويَصُـدُّ عن قِيل الخَنَـا مُتَكَبِّرَا
لا تسمعنَّ حديثَ مَلْكٍ غيرِه * يُرْوَى فكلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفَرا

قال : ولمّا قسم البلاد بين أولاده كان يتردّد بينهم، ويتنقّل من مملكة إلى أخرى ، وكان يَصيف بالشام لأجل الفواكه والمياه الباردة ، ويُشتّى بالديار المصريّة لاعتدال

(١) زيادة عن ابن خلكان .
٢٠ (٢) فى الأصل : « عن كسرى الملوك القيصرا » . وما أثبتناه عن ابن خلكان وتاريخ ابن الوردى .

الوقت فيها وقلّة البرودة ، وعاش فى أرغد عيش . وكان يأكل كثيراً خارجًا عن المعتاد ، حتّى يقال إنّه كان يأكل وحده خَرُوفا لطيفًا مشويًا ، وكان له فى النكاح نصيبٌ وافر . وحاصل الأمر أنّه كان مُمَتّعًا فى دنياه . وكانت ولادته بدِمَشق فى المحرّم سنة أربعين ، وقيل : ثمانٍ وثلاثين وخمسمائة .

قلت : وافق الذهبيَّ فى مولده فى السنة ، مع خلاف ذكره الذهبيُّ فيه ، وخالفه فى المكان الذى وُلِد فيه ، فإنّ الذهبيّ قال : كانت ولادته ببعلبكّ كما تقدّم ذكره . قال : وتُوُفِّى فى سابع جُمادَى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعَالِقين . ونُقل إلى دِمَشق ، ودُفِن بالقلعة ثانى يوم وفاته ، ثمّ نُقِل إلى مدرسته المعروفة به ، ودفِن بالتُّربة التى بها ، [وقبره][1] على الطريق يراه المجتاز من الشُّبّاك المركّب هناك . وعَالِقين (بفتح العين المهملة وبعد الألف لام مكسورة وقاف مكسورة أيضا وياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها نون) وهى قرية بظاهر دمشق » . انتهى كلام ابن خلّكان — رحمه الله تعالى — بتمامه .

وقال غيره : ولمّا افتتح ولدُه الكاملُ إقليمَ أَرْمينِيَةَ فَرِح العادل فرحًا شديدا ، وسيّر أستاداره [شمس الدين][1] إيلدكز وقاضى العسكر نجم الدين خليل إلى الخليفة يطلب التقليدَ بمصر والشام وخِلَاط وبلاد الجزيرة ، فأكرمهما الخليفة وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين أبا حَفْص عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدِىّ بالتشريف ، ومرّ بحَلَب ووعَظ بها ، واحترمه الظاهر غازى صاحب حلب ، وبعث معه بهاءَ الدّين ابن شَدَّاد بثلاثة آلاف دينار لينثرها على عمّه العادل ، إذا لَبِس خِلْعَةَ الخليفة . ولمّا وصل السُّهْرَوَرْدِىّ إلى دِمشق[2] فَرِح العادل وتلقّاه من القُصَيْر[3] ، وكان يومًا مشهودًا ،

(١) زيادة عن عقد الجمان . (٢) فى الأصل : «إلى مصر» . والتصويب عن عقد الجمان .
(٣) القصير : ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق .

ثمّ من الغد أُفِيضَتْ عليه الخلَعُ، وهى : جُبّةٌ سوداء بِطراز ذهب، وعِمامةٌ سوداء بِطراز ذهب، وطوق ذهب فيــه جَوْهَر، وقُلّدَ سَيْفًا محلًّى جميــع قِرَابه بالذهب، وحِصانٌ أشهبُ بمَرْكَب ذهب، وعَلَمٌ أسود مكتوب فيــه بالبياض ألقابُ الناصر لدين الله . ثمّ خَلَع السُّهْرَوَرْدِىّ على وَلَدَى العادل : المعظّم عيسى والأشرف موسى،
لكلّ واحد عِمامةً سوداء، وثوبًا أســود واسع الكُمّ ؛ وخَلَع على الصاحب آبن شكر كذلك . ونُثِر الذهبُ على رأس العادل من رُسل صاحب حلب وحَماة وحِمْص وغيرهم. وركب الأربعةُ (أعنى العادل وولديه وآبن شكر الوزير) بالخِلَع، ثمّ عادوا إلى القلعة؛ وقرأ آبنُ شكر التقليدَ على كرسىّ، وخُوطِب العادل: بشاهنشاه[1] ملك الملوك خليل أمير المؤمنين . ثمّ قَــدِم السُّهْرَوَرْدِىّ إلى مصر وخَلَع على الملك الكامل بن العــادل .
وهو يومَ ذاك صاحبُ مصر نيابةً عن أبيه العادل كما تقدّم ذكره .

وقال الموفّق عبد اللطيف[2] فى سِيرة الملك العادل : « كان أصغرَ الإخوة وأطولَهم عمرًا وأعمقَهم فِكْرًا وأبصرَهم فى العواقب وأشدّهم إمساكًا وأحبّهم للدرهم ؛ وكان فيــه حِلْمٌ وأناةٌ[3] وصبرٌ على الشدائد ، وكان سعيدَ الجَدّ عالىَ الكعب مظفَّرا بالأعداء من قِبَل السماء ، وكان نَهِمًا أَكُولًا يحبّ الطعام وآختلاف ألوانه ، وكان أكثر أكله بالليل كالخيل، وله عند ما ينام رضيعٌ، ويأكل رِطلا بالدّمشقىّ خَبِيصَ السُّــكّر، يجعل هذا كالجُوَارِش[4]؛ وكان كثير الصلاة ويصوم الخميس ؛ وله صدقات فى كثير من الأوقات ، وخاصّة عندما تنزل به الآفات ، وكان كريمًا على الطعام يحب من يؤاكله، وكان قليلَ الأمراض . قال لى طبيبه بمصر: إنّى آكلُ خيرَ هذا السلطان

(١) فى الأصل : «شاه أرمن» . وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٢) هو موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف بن محمد بن على بن سعد البغدادى المعروف بابن اللباد . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٢٩ هـ .
(٣) فى الأصل : «وكان فيه علم وأناة» . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبى . (٤) الجوارش : نوع من الحلوى ، معرب (عن أقرب الموارد) .

سنين كثيرة ولم يَحْتَج إلى سوى يوم واحد ، أُحضِر إليــه من البِطّيخ أو بعون حِملًا فكَسَر الجميع بيده ، وبالغ فى الأكل منــه ومن الفواكه والأطعمة ، فعرَض له تُخَمَةٌ فاصبح ، فأشرتُ عليه بشرب المــاء الحارّ ، وأن يركَب طويلا ففعل ، وآخر النهار تعشَّى وعاد إلى صحّته . وكان نكّاحا يُكثِر من آقتناء السَّرارِى ، وكان غيورًا لا يدخل فى داره خَصِىٌّ إلّا دون البلوغ ، وكان يُحبّ أن يطبُخ لنفسه مع أنّ فى كلّ دارٍ من دور حَظَاياه مطبخًا [دائرًا][(1)] ، وكان عفيفَ الفَرْج لا يُعرف له نظرٌ إلى غير حلائله . نُجُبَ له أولاد من الذكور والإناث ، سلطن الذكور وزوّج البنات بملوك الأطراف .

وكان العادل قد أوقع الله تعالى بِغضتَه فى قلوب رعاياه ، والمخامرةَ عليه فى قلوب جنده ، وعمِلوا فى قتله أصنافا من الحِيَل الدقيقة مرّاتٍ كثيرة ، وعند ما يقال إنّ الحِيــلة تمّت تَنفسِخ وتنكشِف وتُحسَم موادّها ، ولولا أولاده يتوَلَّوْن بلاده لمَــا ثبَتَ مُلْكُه ؛ بخلاف أخيــه صلاح الدين فإنّه إنّما[(2)] حفِظ ملكه بالمحبّة له وحسن الطاعة ، ولم يكن — رحمه الله — بالمنزلة المكروهة ؛ وإنّمــا كان الناس قد أَلِفوا دولة صلاح الدين وأولاده ، فتغيّرت عليهم العادة دفعةً واحدة . ثم إنّ وزيره آبن شُكْر بالغ فى الظّلم . قال : وكان العادل يُواظِب على خدمة أخيه صلاح الدين ، يكون أوّلَ داخل وآخرَ خارج ، وبهذا جلبه ، وكان يُشاوِره فى أمور الدولة ، لمَــا جرَّب من نفوذ رأيه . ولمّــا تسلطن الأفضل بِدمَشق والعزيز بمصر قصد العزيز دمشق ، ووقع له ما حكيناه إلى أن ملكها . قال : ثم أخذ العادل يُدبِّر الحيلة حتى يستنيبه[(3)] العزيزُ على مصر ، ويُقيمَ العزيزُ بِدمَشق ، ففَطِن بعض أصحاب العزيز فرَمَى قَلَنْسُوَتَه

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام .

(٢) فى الأصل : « إنمــا حفظ ملكه إلا بالمحبة » . والتصويب عن تاريخ الاســلام للذهبي .

(٣) فى الأصل : «حتى آستنابه» . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي .

بين يديه ، وقال : ألم يكفك أنك أعطيته دمشق حتى تعطيه مصر! فنهض العزيز لوقته على غِرَّة ولَحِق بمصر .

قال المُوَفَّق : ومات الملك الظاهر غازى قبله بسنتين فلم يتهنّ العادل بالملك من بعده ، وكان كلّ واحد منهما ينتظر موتَ الآخر ، فلم يَصْفُ للعادل العيشُ بعد موته ، لأمراض لزِمَته بعد طول الصّحّة ، والخوف من الفرنج بعد طول الأمن . وخرجوا (يعنى الفرنج) إلى عكّا وتجمّعوا على الغَوْر[(١)] ، فنزل العادل قُبالَتَهم على بَيْسَان[(٢)] ، وخَفِى عليه أن ينزل على عَقَبة أُفِيق[(٣)] ، وكانوا قد هدموا قلعة كَوْكَب ، وكانت ظهرَهم ، ولم يقبل من الجَوَاسيس ما أخبروه بما عزم عليه الفرنج من الغارة ، فاغترّ بما عوّدته المقادير من طول السلامة ، فَغَشِيت الفرنج عسكره على غِرّة ، وكان قد آوى إليه خَلْقٌ من البلاد يعتصمون به ، فركب مُجِدًّا ، وماج الفرنج فى أثره حتى وصل دمشق على شَفَا وَهَمٍ ، فدخل إليها فمنعه المعتمد وشجّعه ، وقال له : المصلحة أن تُقيم بظاهر دمشق . وأمّا الفرنج فاعتقدوا أنّ هزيمته مَكِيدة فرجعوا من قُرب دِمشق بعد ما عاثوا فى البلاد قَتْلًا وأَسْرًا وعادوا إلى بلادهم ، وقصدوا دِمياط فى البحر فنازلوها .

وكان قد عَرَض له قبل ذلك ضعفٌ وصار يعتريه وَرَمُ الأُنْثَيَيْن[(٤)] . فلمّا هزّته الحِيَل على خلاف العادة ودخله الرُّعب ، لم يَبق إلّا مدّةً يسيرةً ومات بظاهر دمشق . وكان مع حِرْصه يهين المال عند الشدائد غايةَ الإهانة ببذله . وشرع فى بناء قلعة

(١) الغور : يريد غور الأردن بالشام ، بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدس ، ولذلك سمى الغور ، طوله مسيرة ثلاثة أيام وعرضه نحو يوم فى نهر الأردن وبلاد وقرى كثيرة وعلى طرفه طبرية وبحيرتها (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامى ، ويقال هى لسان الأرض ، وهى بين حوران وفلسطين . (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) أفيق : قرية من حوران فى طريق الغور فى أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق « والعامة تقول : فيق » تنزل فى هذه العقبة الى الغور وهو الأردن ، وهى عقبة طويلة نحو ميلين (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى ولعله : « أعيته » .

دِمشقَ فقسم أرضها على أمرائه وأولاده، وكان الحفّارون يَحفِرون الخَنْدَق و يقطعون الحجارة، فخرج من تحته خَرَزَةُ بئرٍ فيها ماءٌ مَعين . قال : ودعا مرة فقال : اللّهمّ حاسِبْنى حِسابًا يسيرًا، فقال له رجلٌ ماجِنٌ من خواصّة : يا مولانا، إنّ الله قد يسّر حِسابك، قال : ويلك ! وكيف ذلك؟ قال : إذا حاسبك قل له : المـالُ كلّه فى قلعة جَعْبَر لم أُفَرِّط فيه فى قليل ولا كثير . وكانت خزائنه بالكَرَك ثمّ نقلها إلى قلعة جَعْبَر وبها ولده الملكِ الحافظ، فسوّل له بعضُ أصحابه الطمعَ فيها ، فأتاها الملك العادل ونَقَل ما فيهـا إلى قلعة دمشـق، فحصلَتْ فى قبضة ولده الملك المعظّم عيسى ، فلم ينازعه فيها إخوته ؛ وقيل : إنّ الذى سـوّل للحافظ الطَمَع والعِصيانَ هو المعظّم ففعل ذلك الحافظ، وكانت مَكيدةً من المعظّم حتّى رجع إليه المـال». انتهى كلام الموفّق باختصار .

وقال أبو المظفّر شمس الدين يوسف بن قِزَاوغْلِى فى تاريخه : « سألته عن مولده فقال : فتوح الرُّهَا (يعنى سـنة تسع وثلاثين وخمسمائة) — وهـذا نَقْلٌ آخر فى مولده — قال : وقد ذكرنا أحواله[1] فى السنين إلى أن آسـتقرّ له الملك وآمتدّ من بلاد الكَرْخ[2] إلى هَمَذان والجزيرة والشام ومصر والحجاز ومكّة والمدينة واليمن إلى حَضْرَمَوت ، وكان ثَبْتًـا خليقا بالمُلك[3] حسن التدبير ، حليما صَـفُوحا مدبِّرًا للملك على وجه الرضا ، عادلا مجاهدا ديّنا عفيفا متصدّقا ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، طهّر جميع ولاياته من الخمور والخواطئ والقِمار والمكوس والمظالم . وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائةَ ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى .

(١) عبارة مرآة الزمان : « وقد ذكرنا أحواله مع أخيه صلاح الدين فى إعطائه إياه مصر ثم حلب ثم الشرق والكرك والشوبك وما يتعلق بذلك وما جرى بينـه وبين أولاده فى مرّ السنين إلى أن آستقرله الملك ... الخ » . (٢) كذا فى مرآة الزمان . وفى تاريخ الاسلام : «من بلاد الكرج» بالجيم . والأصل غير واضح . (٣) فى الأصل هنا كلمتان غامضتان لم نتبينهما .

وكان واليه على دمشق المُبَارز والمعتمد[1]، أعانه المبـارز على ذلك، أقام رجالا على عِقَاب قاسيون[2] وجبل الثَّلْج وحوالى دمشق بالجَامَكِيّة[3] والجراية يَحْرِمُون أحدًا يدخل دمشق بمُنْكر. بلغنى أنّ بعض المغانى دخلت على العادل فى عُرْس فقال لها : أيـن كنتِ ؟ فقالت : ما قـدرت أجىءُ حتّى وفيتُ ما علىّ للضامن . فقال : وأىّ ضامن ؟ قالت ضامن القِيَان، فقامت عليه القِيامة، وطلب المعتمد [وعمِل به[4] ما لا يليق] ، وقال : والله لئن عاد بلغنى مثل هذا لأفعلنّ ولأصنعنّ .

واقـد فعل العادل فى غلاء مصر عَقِيبَ موت العزيز ما لم يفعـله غيرُه ؛ كان يخرج فى الليل بنفســه ويُفرِّق الأموال فى ذوى البيوتات والمساكين، وكفَّن تلك الأيام من ماله ثلثمائة ألف من الغُرَباء ، وكان إذا مَرِض أو تشوّش مزاجُه خلع جميع ما عليه وباعه حتى فرسَــه وتصدّق به .

قال أبو المظفّر : وقد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بخبر بُرْج دِمْياط[5]، وأنّه انزعج وأقام مريضًا إلى يوم الجمعـة سابع أوثامن جُمَـادى الآخرة وتوفّى بعالِقِين . وكان المعظّم قد كَسَر الفرنج على القَيْمُون[6] يوم الخميس خامس جُمَادى الآخرة، وقيل يوم الأربعاء . ولمّـا تُوفّى العادل لم يعلم بموته غيرُكَرِيم الدّين الخِـلاطِىّ، فأرسل الطير إلى نَابُلُس إلى المعظم، فجاء يوم السبت إلى عَالِقِين فاحتاط على الخزائن،

---

(١) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام . وفى مرآة الزمان وعقـد الجمان : «وكان واليه على دمشق المبارز المعتمد» . (٢) قاسيون : الجبل المشرف على مدينة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت).
(٣) الجامكية : أصحاب المرتّبات والمـاهيات . (عن القاموس الفارسى والإنجليزى) .
(٤) زيادة عن مرآة الزمان . (٥) برج دمياط (برج السلسلة) . قال أبو شامة : وهذا البرج كان قفل الديار المصرية ، وهو برج عال فى وسط النيل ودمياط بحذائه من شرقيه ، والجزيرة بحذائه من غربيه ، وفى ناحيته سلسلتان تمتدّ إحداهما على النيـل الى دمياط ، والأخرى على النيل الى الجزيرة تمنعان عبور المراكب من البحر المـالح (عن تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى ص ١٨٣ طبع مصر).
(٦) القيمون : حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

وصبَّر العادل وجعله فى مِحَفَّة وعنده خادمٌ يُرَوِّح عليه وقد رَفَع طَرَف سجافها وأظهر أنّه مريض، ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يُسلِّمون على الخادم، وهو يُومئ إلى ناحيــة العادل ويَرُدّ السلام؛ ودخلوا به القلعــة وكتموا موته؛ و[من العجائب أنهم][(1)] طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، فأخذوا عِمامة الفقيه ابن فارس فكفّنوه بها، وأخرجوا قطنا من مِخَدّة فلفّوه به، وصلّى عليه [وزيره][(2)] ابن فارس ودفنوه فى القلعة.

قال أبو المظفّر: وكنت قاعدًا إلى جانب المعظّم عند باب الدار التى فيها الإيوان وهو واجمٌ ولم أعلم بحاله؛ فلمّا دُفِن أبوه قام قائما وشقّ ثيابه ولطم رأسه ووجهه، وكان يومًا عظيمًا، وعَمِل له العــزاء ثلاثة أيام بالإيوان الشمالى، وعُمِــل له العــزاء فى الدنيا كلّها، ونُودى ببغداد من أراد الصــلاة على الملك العادل الغازى المجاهــد فى ســبيل الله فليحضر إلى جامع القصر، فحضر الناس ولم يتخلّف سوى الخليفة، وصلّوا عليه صــلاة الغائب وترحّموا عليه، وتقدّموا إلى خطباء الجوامع بأَسْرهم، ففعلوا ذلك بعد صــلاة الجمعة. وبقى العادل بالقلعة إلى سنة تسع عشرة وستمائة، [ثم] نُقِل إلى تربته التى أنشأها عند دار العَقِيقِىّ[(3)] ومدرسته.

— قلت: لا أعلم ما كان السبب فى عدم وجود الكَفَن القطن للملك العادل مع همّة ولده الملك المعظّم عيسى وأخذه من عالِقين ميتا فى مِحَفّة ولم يَفْطُن به أحد. وهذا أعظم وأكثر كُلْفةً وأصعب من شراء ثوب بَعْلَبَكّىّ، وما يحتاج إليه الميت من الحَنُوط والقطن وغيره فلعلّ لهــا عذرًا وأنت تلوم[(4)] —.

(1) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (2) زيادة عن عقد الجمان.

(3) العقيقى، هو أحمد بن الحسين بن أحمد بن على بن محمد العلوى الدمشقى ويعرف بالعقيقى. تقدّمت وفاته سنة ٣٧٧ هـ. (4) فى العقــد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٣٢٥ طبع بلاق فى كتاب الجوهرة فى الأمثال): «لعل له عذرا وأنت تلوم».

قال: وكان له عدّة أولاد: منهم شمس الدين مَوْدُود(١) والد الملك الجَوّاد [يونس](٢).
والكامل محمد(٣). والأشرف موسى(٤). والمعظّم عيسى(٥). والأوحد أيّوب(٦). والفائز إبراهيم
[ويلقّب بسابق الدين](٧). وشهاب الدِّين غازى(٨). والعزيز عثمان(٩). والأمجد حسن(١٠).
والحافظ أرْسلان(١١). والصالح إسماعيل(١٢). والمغيث عمر(١٣). ومُجير الدين يعقوب(١٤).
٥ وتقىّ الدين عبّاس(١٥). وقُطْب الدين أحمد(١٦). والقاهر إسحاق(١٧). وخليل(١٨) أصغرهم(١٩).

(١) توفى فى حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك لابن الفرات). (نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ). (٢) زيادة عن تاريخ الدول والملوك ومرآة الزمان. (٣) هو السلطان الكامل ناصر الدين محمد صاحب الديار المصرية وصاحب الخطبة والسكة فى جميع البلاد الأيوبية (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (٤) هو الملك الأشرف
١٠ مظفر الدين موسى صاحب الشرق وبلاد خلاط بعد أخيه الملك الأوحد. (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (٥) هو الملك المعظم شرف الدين عيسى صاحب دمشق وأعمالها (عن عقد الجمان).
(٦) هو الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط. توفى فى حياة أبيه (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (٧) الزيادة عن عقد الجمان. (٨) هو الملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (٩) هو الملك العزيز عماد الدين عثمان،
١٥ كان بيده بانياس وعدّة مواضع مما كان بيد الأمير فخر الدين جهاركس (عن تاريخ الدول وعقد الجمان).
(١٠) هو الملك الأمجد مجد الدين حسن. توفى فى حياة والده، ودفن بالقدس الشريف فى مدرسة بنيت له (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (١١) هو الملك الحافظ نور الدين على أرسلان شاه صاحب قلعة جعبر (عن تاريخ الدول والملوك وعقد الجمان). (١٢) هو الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، وكانت له من أبيه بصرى وملك بعد ذلك دمشق (عن تاريخ الدول والملوك). (١٣) هو الملك
٢٠ المغيث عمر، توفى فى حياة أبيه وخلف ولدا صغيرا وهو الملك المغيث شهاب الدين محمود (عن تاريخ الدول والملوك). وقد عدّ المؤلف المغيث شهاب الدين محمودا من أولاد الملك العادل وهو خطأ.
(١٤) فى الأصل: «فخر الدين». والتصويب عن عقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك.
(١٥) هو الملك الأمجد تقى الدين عباس وهو أصغرهم. مولده سنة ٦٠٣ هـ، وهو آخرهم موتا، توفى فى دمشق سنة ٦٦٩ هـ، فى سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (عن تاريخ الدول والملوك).
٢٥ (١٦) هو الملك المفضل قطب الدين أحمد، توفى بمصر فى أيام الملك الكامل (عن تاريخ الدول والملوك). (١٧) فى عقد الجمان أنه يلقب ببهاء الدين واسمه الخضر. (١٨) هو الملك الناصر صلاح الدين خليل (عن عقد الجمان). (١٩) راجع الحاشية رقم ١٥ من هذه الصفحة.

وكان له عِدّة بنات أفضلهنّ صَفيّة خاتون صاحبة حلب أم الملك العزيز[(١)]» . انتهت ترجمة الملك العادل — رحمه الله تعالى — .

ولمّا مات العادل آستقرّ كلّ واحد من أولاده فى مملكته، فإنه كان قسم ممالكه فى أولاده حسب ما تقدّم ذكر ذلك كلّه فى صدر هذه الترجمة، فالذى كان بمصر الملك الكامل محمد، و بالشام المعظّم عيسى، و بالشرق الأشرف شاه أرمن، و باقى أولاده كلّ واحد فى مملكة، أو فى خدمة أخ من إخوته . انتهى .

*
* *

السـنة الأولى من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

فيها كان هبوط النيل، ولم يُعهد ذلك فى الإسـلام إلّا مرّة واحدة فى دولة الفاطميّين، ولم يبق منه إلّا شىء يسير، وآشتدّ الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام وتفرّقوا وتمزّقوا كلّ ممزّق .

قال أبو المظفّر : «كان الرجل يَذبح ولده الصـغير وتساعده أمّه على طبخه وشيّه؛ وأحرق السـلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا . وكان الرجل يدعو صديقَه وأحبّ الناس إليه إلى منزله ليضيفه فيذبَحه و يأكلَه، وفعلوا بالأطبّاء كذلك، [(٢) فكانوا يدعونهم ليبصروا المرضى فيقتلونهم و يأكلونهم]وفُقِدت الميتات والجِيَف [(٢) من كثرة ما أكلوها] . وكانوا يختطفون الصّبيان من الشوارع فيأكلونهم . وكفّن السلطان فى مدّة يسيرة مائتى ألف وعشرين ألفا، وآمتلأت طرقات المغرب والمشرق والحجاز

(١) هو الملك العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازى، والد الملك الناصر يوسف الذى أسر فى حوادث التتار . (راجع عقد الجمان فى حوادث سنة ٦١٥ هـ) . (٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

والشام برِمَّ الناس، وصلّى إمام جامع الإسكندرية فى يوم على سبعمائة جنازة .
وقال العماد الكاتب الأصبهانىّ : « [و] (١) فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة : اشتدّ الغلاء، وامتدّ البلاء ، وتحققت المجاعة ، وتفرقت الجماعة ؛ وهلك القوىّ فكيف الضعيف ! ونحف السمين فكيف العجيف ! وخرج الناس حذَرَ الموت من الديار، وتفرّق فريقُ مصر فى الأمصار ؛ ولقد رأيتُ الأرامل على الرمال ، والجمال باركةً تحت الأحمال، ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللَّقَم (٢) ، تسترقّ الجياع باللُّقَم » . انتهى .

قال : وجاءت [فى شعبان] (١) زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر، فمات تحت الهدم خلقٌ كثير، ثم امتدّت إلى الشام والساحل فهدمت مدينة نابلُس، فلم تبق فيها جدارًا قائما إلّا حارة السَّمَرة (٣) ؛ ومات تحت الهدم ثلاثون ألفا، وهُدمت عكّا وصور وجميع قلاع الساحل؛ وامتدّت إلى دمشق فرمت بعض المنارة الشرقيّة بجامع دمشق، وأكثرَ الكلّاسة والبيمارستان النُّورىّ، وعامّة دور دمشق إلّا القليل؛ فهرب الناس إلى الميادين، وسقط من الجامع ستّ عشرة شَرَفة، وتشقّقت قُبّة النَّسر (٤) » . انتهى كلام صاحب المرآة باختصار، فإنّه أمعن وذكر أشياء مهولة من هذا النَّموذج .

وفيها تُوفّى عبد الرحمن بن علىّ بن محمد بن علىّ بن عُبَيد الله بن عبد الله بن حمّادى ابن أحمد بن محمد بن جعفر الجَوْزىّ بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم

---

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) فى الأصل : « على اللقم » . وفى مرآة الزمان : « على اللهم » . وما أثبتناه عن عقد الجمان . واللقم : معظم الطريق وقيل وسطه وقيل واضحه .
(٣) السمرة والسامرة : قوم من اليهود من قبائل بنى اسرائيل يخالفون اليهود فى بعض أحكامهم كانكارهم نبوّة من جاء بعد موسى عليه السلام ، وقولهم لامساس ، وزعمهم أن نابلس هى بيت المقدس . (راجع القاموس وشرحه مادة سمر) .
(٤) قبة النسر، واقعة قبلى جامع دمشق ، ليس فى دمشق شىء أعلى ولا أبهى منظرا منها ، ولها ثلاث منائر إحداها وهى الكبرى كانت ديدبانا للروم (راجع خطط الشام ج ٥ ص ٢٧٥ لكردى على) .

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق عبد الله
آبن أبى قُحافة، الشيخ الإمام الحافظ الواعظ المفسّر العلّامة جمال الدين أبو الفرج
القُرشى[(1)] التَّيمى البكرى البغدادى الحنبلى المعروف بآبن الجَوْزى[(2)]، صاحب التصانيف
المشهورة فى أنواع العلوم: كالتفسير والحديث والفقه والوعظ والزُّهد والتاريخ والطبّ
وغير ذلك. مولده ببغداد سنة عشر وخمسمائة تقريبا بدرب حبيب. وتوفى أبوه ٥
وله ثلاث سنين.

قلت: وفضل الشيخ جمال الدين وحفظه وغزير علمه أشهر من أن يذكر هنا،
والمقصود أنّ وفاته كانت فى ليلة الجمعة بين العشاءين فى داره[(3)] بقَطُفْتا[(4)] ودُفن من الغد،
وكانت جنازته مشهودة، وكثُر أسف الناس عليه، ولم يخلّف بعده مثله.

قال آبن خلّكان: «وبالجملة فكتُبه أكثر من أن تُعَدّ، وكَتَبَ بخطّه كثيرا، ١٠
والناس يُغالون فى ذلك حتّى يقولوا إنّه جُمعت الكراريس التى كتبها، وحُسبت مدّة
عمره وقُسمت الكراريس على المدّة، فكان ما خصّ كلّ يوم تسعَ كراريس؛ وهذا
شىءٌ عظيم لا يكاد يقبله العقل. ويقال: إنّه جُمعت بُرَايَةُ أقلامه التى كَتَبَ بها
حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فحَصَلَ منها شىءٌ كثيرٌ، وأوصى أن يُسَخَّنَ بها
الماء الذى يُغسل به بعد موته فَفُعِل ذلك [فكَفَتْ[(5)]]». انتهى كلام آبن خلّكان ١٥
بآختصار.

---

(١) فى الأصل: «القيسى التيمى». والتصويب عن ابن خلكان وعقد الجمان ومرآة الزمان وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات وشذرات الذهب. (٢) الجوزى: نسبة الى فرضة من فرض البصرة، يقال لها: جوزة عن عقد الجمان. (٣) فى رحلة ابن جبير (طبع أوروبا ص ٢٢٠): أن دار ابن الجوزى كانت على الشط بالجانب الشرقى وفى آخره، على آتصال من قصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقى. (٤) قطفتا: محلة بالجانب الشرقى من بغداد. (عن ابن الأثير ج ١٢ ص ٢١٧). (٥) زيادة عن ابن خلكان. ٢٠

ومن شعره :

ياصاحبي إن كنتَ لى أو معى * فَعُجْ إلى وادى الحِمَى نَرْتَع[1]
وسَــلْ عن الوادى وسُكّانِه * وٱنْشُد فؤادى فى رُبَا المَجْمَع
حَيِّ كثيبَ الرَّمْل رملِ الحِمَى * وقِفْ وسَــلِّمْ لى على لَعْلَـع[2]
وٱسمعْ حديثًا قد رَوَتْه الصَّبا * تُسْنِدُه عن بانة الأجرع
وٱبكِ فما فى العين من فَضْلَةٍ * ونُبْ فدتك النفس عن مدمعى

وله :

رأيتُ خيالَ الظِّلِّ أعظمَ عِبرةً * لمن كان فى أَوْجِ الحقيقة راقِ
شخوصٌ وأشكالٌ تمُرّ وتَنْقَضِى * وتَفْـنَى جميعًا والمحـرِّك باقِ

وفيهـا تُوفّى الأمير بهـاء الدين قَرَاقُوش[3] [بن عبـد الله][4] الأَسَـدِىّ الخادم الخَصِىّ المنســوب إليــه حارة بَهاء الدِّين[5] بالقاهرة داخل باب الفتــوح ، وهــو الذى بنى قَلْعــة الجبل بالقــاهرة ، والسُّــور[6] [على مصر والقــاهرة][7]

---

(١) فى الأصل : « برقع » . وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٢) لعلع : اسم لطائفة من الأماكن . أوردها ياقوت فى معجمه . (٣) قراقوش : لفظ تركى ، تفسيره بالعربى العقاب : الطائر المعروف ، وبه سمى الإنسان لشهامته وشجاعتــه (عن عقد الجمان وابن خلكان) .

(٤) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان . (٥) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من هذا الجزء .

(٧) زيادة عن مرآة الزمان وشذرات الذهب وعقد الجمـان . وقد تكلم المقريزى فى الجزء الأول من خططه ص ٣٧٧ على ذكر ســور القاهرة فقال : إن السور الثالث ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٦٦ هـ ، وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت ســنة ٥٦٩ هـ ، وهو سلطان مصر انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الأسدى فبناه بالحجارة وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر (مصر القديمة) والقلعة سورا واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وعندها انقطع السور وكان فى أمله مدّ السور من المقس الى أن يتصل بسور مصر (مصر القديمة) وزاد فى سور القاهرة قطعة مما يلى باب النصر =

والقنطرة التي عند الأهرام[1] وغير ذلك؛ وكان من أكابر الخُدّام، من خدّام القصر، وقيل إنّ أصله من خدّام العاضِد، وقيل إنّه من خُدّام أسد الدين شِيرِكُوه وهو الأصحّ . واتّصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وكان صلاح الدِّين يثق به ويعوّل

= الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان بقرب من الصوه تحت القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر (مصر القديمة) .

وأقول : إن السور الذى أنشأه صلاح الدين حول مدينة القاهرة لا تزال بعض أجزائه قائمة الى اليوم فى الجهات الآتى بيانها وهى :

أولا — فى المسافة الواقعة بين باب الشعرية (باب العدوى) وبين باب البحر (ميدان باب الحديد) توجد أجزاء قائمة من السور البحرى وسط المبانى المشرفة من الجهة البحرية على شوارع : بين الحارات والشنبكى والطبلة .

ثانيا — يمتد بناء السور البحرى من شارع الأمير فاروق تجاه حارة المسطاحى متجها الى الشرق حتى يتقابل مع باب الفتوح ثم باب النصر وبعد هذا الباب يتجه السور أيضا الى الشرق فى مسافة طولها ٣٠٠ متر وينقطع فى نهاية تلك المسافة عند شارع برج الظفر .

ثالثا — جزء من السور الشرقى يبدأ من برج الظفر ويسير الى الجنوب بطول ٤٠٠ متر ثم ينقطع تجاه شارع القواطم بقسم الجمالية .

رابعا — جزء من السور الشرقى قائم فى المسافة من درب المحروق الى قرب تربة الأمير طراباى الشريف التى بباب الوزير الخارجى .

خامسا — جزء من السور الشرقى قائم بين مكان الخانقاه النظامية وبين بقايا جامع السبع سلاطين الى أن يتصل بسور القلعة .

وأما سور مدينة مصر (الفسطاط) فلم يبق منه إلا بعض أجزاء متقطعة تبدأ من مجرى العيون (عند انعطافها نحو الشرق الى القلعة) ثم تتجه نحو الجنوب شرق تلول عين الصيرة وشرقى الموقع القديم لمدينة الفسطاط ثم تميل الى الغرب حيث تنقطع أجزاء السور فى الجنوب الشرقى لقصر الشمع تجاه كوم غراب بمصر القديمة .

(١) هذه القنطرة هى التى ذكرها المقريزى فى الجزء الثانى من خططه ص ١٥١ باسم قناطر الجيزة، وقال : إن الذى عمرها هو الأمير قراقوش الأسدى سنة ٥٦٩ هـ، فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فهدم الأهرام الصغيرة وأخذ أحجارها وبنى بها عدّة عمارات منها هذه القناطر الواقعة تحت الجسر الموصل بين النيل والأهرام تجاه مدينة مصر . وأقول : إن هذه القنطرة كانت مكونة من جملة عيون أغلبها مسدود تحت شارع الهرم وبعضها لايزال مفتوحا والجزء المفتوح قد تجدد جملة مرات وهو الذى يمر منه اليوم مجرور بحر الليبى الواقع غربى مصرف المحيط تحت شارع الهرم وعلى بعد ١٥٠٠ متر من الجهة الشرقية للاهرام بأراضى ناحية نزلة السمان بمركز الجيزة .

عليه فى مهمّاته . ولمّا آفتتح عكّا من الفرنج سلّمها إليه؛ ثم لمّا آستولَوْا عليها أُخذ أسيرًا، ففداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار؛ وقيل : بستين ألف دينار .

قال آبن خلّكان : «والناس ينسبون إليه أحكاما عجيبة فى ولايته نيابة مصر عن صلاح الدين، حتّى إنّ الأسعد بن مَمَّاتِى(1) له فيه كتاب لطيف سماه : «الفاشوش فى أحكام قراقوش» . وفيه أشياء يبعُد وقوع مثلها منه، والظاهر أنّها موضوعة؛ فإنّ صلاح الدين كان يعتمد فى أحوال المملكة عليــه، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوّضها إليه . وكانت وفاته فى مستهلّ رجب» .

وفيها تُوُفِّيَ محمــد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبــد الله بن علىّ بن محمــود بن هبة الله أبو عبد الله الإمام العــلّامة عِماد الدِّين الأصبهانىّ المنشئ المعروف بالعِماد الكاتب، وبآبن أخى العــزيز . وُلِد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وبها نشأ . وقَدِم بغداد مع أبيه وبها تفقّه، وآشتغل بالأدب وبَرَع فى الإنشاء، وخَدَمَ الوزير يحيى [بن محمد](2) بن هُبَيْرة، وكان أحد كُتّابه . ثم قَدِم دِمشق أيّام نور الدين الشهيد وآتّصل به وخدمه. وكان فاضلا حافظًا لدواوين العرب، وله عِدّة مصنّفات، منها : «خريدة القصر فى شعراء العصر»(3) وغير ذلك وكان القاضى الفاضــل يقول : العِماد الكاتب . كالزناد الوقّاد (يعنى أنّ النّار فى باطنه كامنة، وظاهره فيه فَتْرة) . وكانت وفاة العِماد بدمشق فى يوم الآثنين غُرَّة شهر رمضان . ودُفِن عند مقابر الصوفيــة

---

(1) هو القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا بن زكرياء بن أبى قدامة ابن أبى مليح مماتى المصرى الكاتب الشاعر. كان ناظر الدواوين بالديار المصرية، وفيه فضائل وله مصنفات عديدة . توفى سنة ٦٠٦ هـ (راجع ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان وشذرات الذهب) .

(2) زيادة عما تقدم ذكره فى حوادث سنة ٥٦٠ هـ .

(3) فى كشف الظنون : «خريدة القصر وجريدة أهل العصر»

عند المُنَيبِع[1] . وقيل إن العماد اجتمع بالقاضي الفاضل يومًا في مَوْكب السلطان فسارا جميعا، وقد انتشر الغُبار لكثرة الفُرْسان ما سدّ الفضاء فتعجَّبا من ذلك ، فأنشد العماد في الحال :

أمّا الغُبارُ فإنّهُ * ممّا أثارتْهُ السَّنابِكْ
والجَوُّ منهُ مُظْلِمٌ * لكِنْ أناربه السَّنابِكْ
يادهرُ لي عبدُ الرحـ * ـيم فلستُ أخشى مَسَّ نابِكْ

ومن شعره :

دارِ غيرَ اللّبيبِ إن كنتَ ذا لُبٍّ ولاطِفْهُ حين يأتى بحذقِ
فأخو السُّكْرِ لا يخاطبه الصّا * حِى إلى أن يُفيق إلّا برِفقِ

وفيها تُوفّى محمد بن المبارك بن محمد الطّهير أبو غالب المصرىّ[2]، كان فاضلا أديبًا. وُلِد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة؛ ومن شعره — رحمه الله تعالى — قوله :

تَقَنَّعْ بالقليل وعِشْ عزيزًا * خفيفَ الظَّهرِ من كُلَفٍ وإثمِ
وإلّا هَىِّ نفسَك للبلايا * وَهَمٍّ واردٍ في إثرِ هَمِّ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى القاضي أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد التَّيمِىّ[3] الأصبهانىّ المعروف بابن اللّبان العدل في ذي الحجّة .

---

(١) المنيبع : محلة وسويقة وحمام وأفران، وبها مدرسة الخاتونية وهى من أعاجيب الدهر، يتزه صحنها نهر بانياس، ونهر القنوات على بابها ... وهذه المحلة من محاسن دمشق (راجع وصفه بإسهاب في نزهة الأنام في محاسن الشام لأبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقي ص ٧٦ طبع مصر) .

(٢) لم ترد ترجمته في الكتب التي تحت يدنا إلا في تاريخ الاسلام للذهبي والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد، واقتصرا في تسميته على : « محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون أبو غالب الأديب » . والظاهر أنه بغدادى .

(٣) كذا في الأصل وشذرات الذهب. وفي تاريخ الاسلام : «التيمى» .

ومُفيد بغداد تميمُ بن أحمد البَنْدَنِيجِيّ[1] فى جُمادى الآخرة، أدرك ٱبنَ الزَّاغُونِيّ[2]. والإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علىّ بن الجَوْزِىّ، وقد ناهز التسعين. وأبو محمد عبد المنعم ابن محمد المـالِكىّ فقيه الأندلُس. والأمير بَهَاء الدين قراقوش الأَسَدِىّ الخادم الأبيض. ومحمد بن أبى زيد الكَرَّانِىّ[3] الخبّاز بأصبهان فى شوّال، وقد كمّل المـائة. والعِماد الكاتب العـلّامة محمد بن محمد بن حامد الأصبهانىّ فى [شهر] رمضان، وله سبع وسبعون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراعان سواء. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وستّ عشرة إصبعا.

*

السـنة الثانية من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمـانٍ وتسعين وخمسمائة.

فيها بَرَزَ العادل المذكور من ديار مصر طالبًا حلب، وكان الملك الأفضل بحِمْص عند شِيرِكُوه، فجاء إلى العادل فأكرمه العادل وعوّضه عن ميَّافارِقِين سُمَيْساط[4] وسَرُوج[5]، ثم سار العادل ونزل على حَمَاة، وصالحه الملك الظاهر صاحب حلب، وعاد الملك العادل إلى حِمْص.

---

(١) البندنيجى: نسبة الى بندنيجين بلفظ المثنى، وهى بلدة مشهورة فى طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد (راجع معجم البلدان لياقوت). (٢) هو على بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله ابن سهل الإمام أبو الحسن بن الزغوانى شيخ الحنابلة. تقدمت وفاته سنة ٥٢٦ هـ.

(٣) الكرانى: نسبة إلى كران، محلة مشهورة بأصبهان (عن معجم البلدان لياقوت).

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر (عن معجم البلدان لياقوت).

وفيها تُوفّى عبد الملك بن زَيْد بن يَس التَغْلَبيّ الدَّوْلَعِيّ خطيب دمشق؛ والدَّوْلَعِيَّة: قرية من قُرَى الموصل. قدم دمشق وٱستوطنها وصار خطيبها، ودرّس بالزاوية الغربيّة[1] من جامع دمشق؛ وكان مُنَزَّهًا حسن الأثر حميدَ الطريقة. مات في شهر ربيع الأوّل.

وفيها تُوفّى هبة الله بن الحسن بن المظفّر الهَمَذَانيّ، محدّث ٱبن محدّث ٱبن محدّث. كانت وفاته بباب المراتب[2] ببغداد في المحرّم. قال أبو المظفّر أنشدنا لغيره:

إذا الفتى ذمّ عيشًا في شبيبتِه * فما يقول إذا عَصْرُ الشباب مَضَى
وقد تعوّضتُ عن كلّ بمشبِهِهِ * فما وجدت لأيّام الصِّبا عِوضَا

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى الملك المُعِزّ إسماعيل ٱبن سيف الإسلام [طُغْتِكين][3] صاحب اليمن. وأبو طاهر بركات بن إبراهيم الخُشُوعيّ. والمحدّث حمّاد بن هبة الله الحَرّانيّ التاجر في ذي الحجّة. وعبدالله [بن أحمد][4] بن أبي المجد الحَرْبِيّ الإسكاف في المحرّم بالمَوْصل. وزَيْنُ القضاة أبو بكر عبد الرحمن بن سلطان ابن يحيى القُرَشيّ الزَّكَوِيّ[5] في ذي الحجّة، سمع من جَدّه. وأبو الحسن عبد الرحيم ٱبن أبي القاسم [عبد الرحمن][6] الشَّعَرى[7]، أخو زينب في المحرّم. وخطيب دمشق الضِّياء عبد الملك بن زَيْد بن يَس الدَّوْلَعِيّ في شهر ربيع الأول، وله إحدى وتسعون سنة. وقاضي القضاة محيي الدين أبو المعالي محمد ٱبن القاضي الزَّكي عليّ بن محمد القُرَشيّ[8]،

(١) كذا في الأصل ومرآة الزمان. وفي المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وطبقات الشافعية وعقد الجمان وشذرات الذهب: «بالغزالية». ولعل الغزالية اسم للزاوية المذكورة.

(٢) باب المراتب: أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجل أبوابها وأشرفها، وكان حاجبه عظيم القدر ونافذ الأمر. (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) زيادة عن شذرات الذهب والجامع المختصر لابن الساعي وتاريخ الاسلام للذهبي. (٤) التكلة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبي. (٥) الزكوى: نسبة الى جده أبي الفضل القاضي يحيى الزكى. (٦) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي. (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٨) راجع بقية نسبه في ابن خلكان.

وله ثمانٍ وأربعون سنة، تُوفّى فى شعبان . وأبو القاسم هبَة الله[1] بن علىّ بن مسعود الأنصارىّ البُوصيرِىّ فى صفر، وله آثنتان وتسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ذراع واحدة وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

٥

*
* *

السـنة الثالثة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

فيها فى ليلة السبت سلخ المحرّم ماجت النجوم فى السماء شرقا وغربا، وتطايرت كالجراد المنتشر يمينا وشمالا ؛ ولم يُرَهذا إلّا عند مبعث النبى صلّى الله عليه وسلّم ؛

١٠ وفى سنة إحدى وأربعين ومائتين، وكانت هذه السنة أعظم .

وفيها تُوفّى إبراهيم بن أحمد[2] بن محمد أبو إسحاق الموفّق الفقيه بن الصّقال الحنبلى . وُلِد سـنة خمس وعشرين وخمسمائة . وتفقّه على أبى يعلَى[3] الفرّاء ، وسمع الحديث الكثير، وكان شيخًا ظريفا صالحا زاهدا . مات فى ذى الحجّة ، ودُفِن بباب حَرْب ببغـداد .

١٥ وفيها تُوُفِّيت زمرّد خاتون امّ الخليفة الناصر لدين الله العباسِىّ ببغداد . كانت صالحة كثيرة البِرّ والصدقات، وحجّت مرّة فأنفقت ثلثمائة ألف دينار ، وكان معها نحو ألفى جمل، وتصدّقت على أهل الحرمين، وأصلحت البِرَك والمصانع؛ وعمرّت التُّربة عند قبر معروف الكَرْخىّ والمدرسة إلى جانبها . وماتت فى جُمادى الأولى .

---

(١) فى الأصل : « أبو القاسم بن هبة الله » . والتصويب عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام وعقد الجمان .

٢٠ (٢) كذا فى الأصل وشذرات الذهب . وفى تاريخ الإسلام : «إبراهيم بن محمد بن أحمد» .

(٣) هو القاضى أبو يعلى الصـغير شيخ الحنابلة محمـد بن أبى خازم بن القاضى أبى يعلى بن الفراء . وقد تقدّمت وفاته سنة ٥٦١ هـ .

وفيها تُوفّى علىّ بن الحسن بن إسماعيل أبو الحسن [العَبْدِىّ] (١) من عبد القَيْس، كان فاضلا بارعا فى الأدب وغيره، وله شعر جيّد؛ من ذلك قوله - رحمه الله تعالى - :

لا تَسْلُكِ الطُّرْقَ إذا أخطرتْ * لَوَ آنها تُفْضِى إلى المملكه
قد أنزل الله تعالى ولا * تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَه

وفيها تُوفّى القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم أبو الفضائل ضياء الدين الشَّهْرُزُورِىّ، وهو ابن أخى القاضى كمال الدين [محمد] (٢) الشَّهْرُزُورِىّ . كان فقيها فاضلا جَوَادًا كريما أديبا شاعرا . ومن شعره أوّل قصيدة :

فى كلّ يوم تُرَى للبين آثارُ * وماله فى آلتئام الشَّمْلِ آثارُ
يسطو علينا بتفريقٍ فواعجبا * هل كان للبين فيما بيننا ثار

وفيها تُوفّى يحيى بن طاهر بن محمد أبو زكرياء الواعظ، ويعرف بآبن النجار (٣) البغدادىّ . كان فاضلا فصيحا . وكان ينشد فى مجلسه - رحمه الله تعالى -

عاشر من النـاس من تَبْقَى مودّتُهُ * فأكثرُ النـاس جمعٌ غيرُ مُؤْتَلِفِ
منهم صديقٌ بلا قاف ومعرفةٌ * بغير فاءٍ وإخوانٌ بلا ألِفِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو القاسم عبد الرحمن ابن مَكِّىّ بن حمزة بن موقا (٤) الأنصارىّ الإسكندرانىّ التاجر فى شهر ربيع الآخر، وله أربع وتسعون سنة . وزَيْن الدين أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن نجا (٥) الدمشقىّ

---

(١) فى الأصل : «أبو الحسن بن عبد القيس» . والتصحيح والزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى والذيل على الروضتين . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى والذيل على الروضتين وابن خلكان فى ترجمة القاضى آبن أبى عصرون . (٣) كذا فى الأصل والذيل على الروضتين . وفى تاريخ الاسلام للذهبى والمختصر المحتاج اليه أنه توفى سنة ٥٩٧ هـ . (٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام . وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ج ١ ص ٢١٣) : «وكانت وفاته سنة ٥٧٩ هـ» . (٥) فى الأصل : «ابن نخالة» . وما أثبتناه عن شرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .

الحنبلىّ الواعظ بمصر فى رمضان، وله إحدى وتسعون سنة . وأبو الحسن علىّ بن حمزة بن علىّ بن طلحة البغدادىّ الكاتب بمصر فى شعبان . وسلطان غَزْنَة غِياث الدين[(1)]. وقاضى القضاة ضِياء الدين القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشَّهْرُزُورِى [أبو الفضائل][(2)] الشافعىّ، وله خمس وستون سنة، ولِى القضاء بدمشق بعد عمه[(3)]، ثم آستعفى لأمر ما، ثمّ بعد مدّة ولى قضاء العراق، ثم آستعفى وخاف [العواقب][(2)] ثمّ سكن حَمَاة، وولى قضاءها، وبها مات فى رجب . والزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد القرشىّ الهاشمىّ الأندلسىّ ببيت المقـدس . والشهاب أبو الفضل محمد بن يوسف الغَزْنَوِىّ الحنفىّ المقرئ بمصر . وأبو طاهر المبارك بن المبارك [بن هِبة الله][(4)] ابن المَعْطُوش فى جُمادى الأولى عن آثنتين وتسعين سنة ببغداد .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ذراعان وست وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا .

* * *

السـنة الرابعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستمائة .

فيها وصل إلى بغداد أبو الفتح بن أبى نصر الغَزْنَوِىّ[(5)] رسولًا من صاحب غَزْنَة وجلس بباب بدر[(6)]، وقال : هنيئًا لكم يأهل بغـداد، أنتم تَحْظَوْن بأمير المؤمنين، ونحن محرومون! وأنشد — رحمه الله — :

(١) هو أبو الفتح غياث الدين محمد بن سام بن الحسين بن الحسن الغورى صاحب غزنة، كما فى تاريخ الإسلام . (٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبى وشذرات الذهب .
(٣) يريد عمه أبا الفضل محمد بن أبى محمد عبد الله بن أبى أحمد القاسم الشهرزورى الملقب كمال الدين . تقدمت وفاته سنة ٥٧٢ هـ . (٤) التكملة عن شرح القاموس والمختصر المحتاج إليه وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام . (٥) فى الجامع المختصر : «أبو الفتوح» . (٦) باب بدر، من حرم الخليفة فى ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه (عن رحلة ابن جبير طبع أوروبا ص ٢٢٢) .

ألا قل لسكّان وادى العقيق * هنيئًا لكم [فى](١) الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيْضًا * فنحن عِطاشٌ وأنتم وُرُود

وفيها تُوفّى الحافظ عبد الغنىّ بن عبد الواحد [بن علىّ](٢) بن سرور أبو محمد المقدسىّ. ولد بجمّاعيل، وهى قرية من أعمال نابُلُس فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وكان أكبر من الشيخ موفّق الدين(٣) بأربعة أشهر [وهما آبنا خالة](٤) وكان إماما حافظا متقنا مصنّفا ثقةً، سمع الكثير ورحل إلى البلاد وكتب الكثير، وهو أحد أكابر أهل الحديث وأعيان حُفّاظهم، ووقع له مِحنٌ ذكرها صاحب مرآة الزمان، ونجّاه الله منها. ومات فى يوم الآثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل، ودُفن بالقرافة(٥) عند الشيخ أبى عمرو بن مرزوق، وكان إمامًا عابدا زاهدا ورِعًا. قال تاج الدين الكِنْدِىّ : هو أعلم من الدَّارَقُطْنِىّ(٦) والحافظ أبى موسى(٧).

قال أبو المظفَّر: وفى هذه السنة سافرتُ من بغداد إلى الشام، وهى أوّل رحلتى، فآجتزتُ بدَقُوقا(٨) وجلست بها (يعنى للوعظة) ثم قدمت إِرْبِل وآجتمعتُ بمحيى الدين الساعاتىّ(٩)، وأنشدنى مقطعات لغيره. منها — رحمه الله — :

---

(١) التكملة عن الجامع المختصر لابن الساعى. (٢) التكملة عن تذكرة الحفاظ للذهبى وشذرات الذهب ومرآة الزمان وطبقات الحفاظ للسيوطى وتاريخ الاسلام وما سيأتى ذكره للمؤلف. (٣) هو موفق الدين المقدسى أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلى. كان إمام السنة مفتى الأمة شيخ الإسلام، سيد العلماء الأعلام. توفى سنة ٦٢٠ هـ كما فى شذرات الذهب ومختصر طبقات الحنابلة. (٤) زيادة عن تاريخ الاسلام وتذكرة الحفاظ. (٥) يريد بها قرافة مصر، كما صرح بذلك فى حسن المحاضرة وتذكرة الحفاظ وشذرات الذهب. (٦) هو على بن عمر بن أحمد بن مهدى ابن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله أبو الحسن البغدادى الدارقطنى. تقدّمت وفاته سنة ٣٨٥. (٧) هو أبو موسى المدينى شيخ الإسلام محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى أحمد بن عمر الأصبهانى. تقدّمت وفاته سنة ٥٨١ هـ. (٨) دقوقا (بالقصر والمد) : مدينة إربل و بغداد معروفة لها ذكر فى الأخبار والفتوح، كان بها وقعة للخوارج (عن معجم البلدان لياقوت). (٩) كذا فى الأصل. وفى مرآة الزمان : «الساقانى» ولم نعثر على هاتين النسبتين فى كتب الأنساب. وفى الذيل على الروضتين : «الشاتانى» : نسبة إلى شاتان، قلعة بديار بكر.

رحمتُ أسْودَ هذا الخال حين بدا * فى جمرة الخـدّ مَرْمِيًّا بأبصارِ
كأنّه بعضُ عُبَّاد المجوسِ وقد * ألقى بمهجته فى لُجَّة النـار

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى متخَب[1] الدين أبو الفتح[2] أسعد بن أبى الفضائل محمود بن خَلَف العِجْلىّ الأصبهانىّ شيخ الشافعيّة
٥ بلده فى صفر، وله خمس وثمانون سنة. وأبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد النيسابورىّ الصفّار فى رمضان، وله آثنتان وتسعون سنة. والحافظ تقىّ الدين عبد الغنى بن عبد الواحد بن علىّ الجمّاعِيلىّ المقدسىّ فى شهر ربيع الأوّل، وله تسع وخمسون سنة. وفاطمة بنت سعد الخير الأنصاريّة فى شهر ربيع الأول، ولها ثمانٍ وسبعون سنة. وبهاء الدين أبو محمد القاسم آبن الحافظ علىّ بن الحسن بن هبة الله
١٠ ابن عساكر فى صفر، وله ثلاث وسبعون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إحدى وعشرون إصبعا.

* * *

السـنة الخامسة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر،
١٥ وهى سنة إحدى وستمائة.

فيها جاءت الفرنج حَمَاة بغتةً وأخذوا النساء الغسّالات من باب البلد على العاصى[3]، وخرج إليهم الملك المنصور[4] بن تقىّ الدين وقاتلهم وثَبَت وأبلى بلاءً حسنا؛

---

(١) كذا فى الأصل وطبقات الشافعية وشذرات الذهب. وفى المختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام للذهبى: «المنتجب» بالجيم. (٢) فى شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وطبقات
٢٠ الشافعية وابن الأثير: «أبو الفتوح». وفى تاريخ الاسلام للذهبى: «أبو الفتوح وأبو الفتح».
(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٤) هو الملك المنصور محمد بن تقى الدين عمر.

وكسر الفرنجُ عسكَره ، فوقف على السـاقة (١) ، ولولا وقوفه ما أبقوا من المسلمين أحدًا .

وفيها حجّ بالناس من العراق وجهُ السبع ، ومن الشام صارم الدين برغش العادلي وزَيْن الدين قراجا صاحب صَرْخَد .

٥ وفيها تُوفّى عبد المنعم بن علىّ [بن نصر] (٢) بن الصَّيْقَلِىّ أبو محمد نجم الدين الحَرّانِىّ ، قـدم بغداد وتفقّه بهـا ، وسمع الحديث ، ثم عاد إلى حَرّان ووعظ بهـا وحصل له القبول التام ، ثم عاد إلى بغـداد وآستوطنها . قال أبو المظفّر سـبط آبن الجَوْزِىّ فى تاريخه : سمعتُه يُنشِد :

واشتاقكم يا أهلَ وُدِّى وبيننا * كما زعمَ (٣) البينُ المُشِتُّ فراسخُ

١٠ فأمّا الكَرَى عن ناظرى فمشرَّدٌ * وأما هواكم فى فؤادى فراسخ

وفيها تُوُفّى (٤) محمد بن سـعد الله بن نصر أبو نصر بن الدَّجَاجِىّ الواعظ الحنبلىّ . وُلِد سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ومات فى شهر ربيع الأوّل ، ودُفِن بباب حرب . ومن شعره — رحمه الله — :

نفس الفتى إن أصلحت أحوالها * كان إلى نيل المُنَى (٥) أحوى لها

١٥ وإن تراها سدّدت أقوالها * كان على حَمْل العُلَا أقوى لها

---

(١) فى شذرات الذهب والذيل على الروضتين : «على الساقة من الرقيطاء» والرقيطاء : قرية بحماة كما فى تاريخ حماة للصابونى ص ٢٧ (٢) التكملة عن الجامع المختصر وتاريخ الاسلام وشذرات الذهب، وسمى بذلك لأنه كان يصقل السيوف . (٣) رواية الذيل على الروضتين : « كما حكم » . (٤) فى الأصل : «محمد بن سعد بن نصر الله» . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد ٢٠ والجامع المختصر لأبن الساعى والذيل على الروضتين وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . (٥) فى الأصل والذيل على الروضتين : «نيل التق» . وما أثبتناه عن الجامع المختصر وعقد الجمان والبداية والنهاية لأبن كثير .

وفيها تُوُفِّى ملك خِلاط سيف الدين بَكْتُمر[1] . كان من أحسن الشباب ؛ ولم يبلغ عشرين سنة من العمر، قتله الهزار دينارى[2]؛ قيل : إنّه غرّقه فى بحر خِلاط، وقُتِل الهزار دينارى بعده بمدّة يسيرة .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوُفِّى المحدّث أحمد بن سليمان[3] الحَرْبِىّ الملقب بالسُّكَّر[4] . وأبو الفضل[5] محمد بن الحسين بن الخَصيب[6] بدمشق . ويوسف بن المبارَك بن كامل الخَفّاف . وعبد الله بن عبد الرحمن بن أيّوب الحَرْبِى البَقْلِىّ . وشُمَيْم الحِلِّىّ أبو الحسن علىّ بن الحسن بن عَنْتَر[7] الأديب . ومحمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله الأَرْتاحِىّ[8] الحنبلىّ بمصر، وله بضع وتسعون سنة .

---

(١) هو الأمير بكتمر بن عبد الله مملوك شاه أرمن سكمان صاحب خلاط . يلاحظ أن وفاته قد تقدّمت سنة ٥٨٩ هـ وهى السنة التى مات فيها السلطان صلاح الدين . قال ابن الوردى وصاحب عقد الجمان فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ ما ملخصه : فى جمادى الأولى قتل سيف الدين بكتمر وكان له خشداش اسمه بدر الدين آقسنقر هزار دينارى، وهو الذى جهز على بكتمر فى قتله طمعا فى الملك، ثم اعتقل ابنه (محمد بن بكتمر) وآستمر فى مملكة خلاط الى أن توفى سنة ٥٩٤ هـ . وقالا فى حوادث سنة ٥٩٤ هـ : توفى بدر الدين هزار دينارى فاستولى على خلاط بعده خشداشيه قتلغ أرمنى ، ثم قتل بعد سبعة أيام ، وأحضر محمد بن بكتمر من معتقله واستمر على ملك خلاط إلى سنة ٦٠١ هـ أو سنة ٦٠٢ هـ أو سنة ٦٠٣ هـ أو سنة ٦٠٤ هـ (على اختلاف روايات كتب التاريخ) ، ثم اتفق عز الدين بلبان مملوك شاه أرمن مع العسكر وخنقوه فى التاريخ المذكور ورموه من القلعة وانفرد بلبان بملك خلاط ومن هنا يتبين أن الذى مات فى هذه السنة ابنه محمد بن بكتمر كما يؤيد ذلك رواية مرآة الزمان . (٢) الذى تقدم للؤلف فى حوادث سنة ٥٨٩ هـ أنّ الذى قتل بكتمر أحد الإسماعيلية ولعل الهزاردينارى هذا هو الذى حرضه على قتل بكتمر . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٣ من هذا الجزء . (٣) كذا فى الأصل وعقد الجمان والجامع المختصر . وفى مرآة الزمان والشذرات وغاية النهاية : «أحمد بن سلمان» . (٤) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام للذهبى . وفى شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ : «أبو المفضل» . (٥) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام . وفى شـذرات الذهب : « ابن الحسن » . (٦) كذا فى الأصل وتاريخ الاسلام وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . وفى شذرات الذهب «الحصيب» بالحاء المهملة .

(٧) كذا فى الأصـل وابن خلكان ومعجم الأدباء لياقوت والجامع المختصر وتاريخ الاسـلام . وفى بغيـة الوعاة للسـيوطى : « ابن عتبة » . وفى شـذرات الذهب وابن كثير : « ابن عنبر » .

(٨) الأرتاحى : نسبة الى أرتاح ، حصن منيع ، كان من العواصم من أعمال حلب (عن معجم البلدان ليـاقوت) .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وثماني أصابع .

* * *

السنة السادسة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيوب على مصر، وهي سنه اثنتين وستمائة

فيها توجّه ناصر الدين[1] صاحب ماردين[2] إلى خلاط بمكاتبة أهلها وملكها، فجاء الملك الأشرف موسى شاه أرمن ابن الملك العادل هذا فنزل على دُنَيْسر، وأقطع بلادَ ماردين ؛ فلمّا بلغ ذلك ناصرَ الدين عاد إلى ماردين بعد أن غَرِم مائة ألف دينار، ولم تُسَلِّم له خِلاط .

وفيها أغار [ابن][3] لاون على حلب وأخذ الجُشّار[4] من نواحي حارِم، فبعث إليه الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب — وهو يومَ ذاك صاحب حلب — فارس الدين ميمونا القَصْري، وأَيْبَك فُطَيْس، والأميرَ حُسام الدين [بن أمير تركمان][5] فتقاتلا قتالا شديدا ، وكان ميمون تقدّم ولولاهما لأُخِذ ميمون ؛ فلمّا بلغ ذلك الملك الظاهرَ خرج من حلب ونزل مَرْج دَابِق[6]، ثمّ جاء إلى حارِم،

---

(١) هو ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبي بن تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردين (عن ابن الأثير) . (٢) الذى فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وابن الأثير : « توجه ناصر الدين صاحب ماردين الى خلاط بمكاتبة أهلها ، فجاء الأشرف فنزل على دنيسر وأقطع بلاد ماردين ، فعاد ناصر الدين الى بلده بعد أن غرم مائة ألف دينار ولم يسلموا إليه أخلاط » .

(٣) التكملة عما سيأتى للؤلف وعقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين وتاريخ ابن الوردى . وفى ابن الأثير هو ابن ليون الأرمنى صاحب الدروب . (٤) الجشار : الماشية .

(٥) زيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٦) مرج دابق، هو مرج معشب نزه قرب حلب من أعمال أعزاز ، كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة (عن معجم البلدان لياقوت) .

فهرب آبن لاون إلى بلاده . وكان آبن لاون قد بنى قلعةً فوق دَرْبَسَاك ، فأخذها الظاهر وأخربها ، ثم عاد الملك الظاهر إلى حلب .

وفيها حجّ بالناس من العراق وجهُ السَّبُع ، ومن الشام الشّجاع علىّ بن السّلّار .

وفيها تُوُفّى الأمير طَاشْتِكين بن عبـد الله المُقْتَفَوِىّ[(١)] مُجِير الدين أميرُ الحاجّ ، حجّ بالناس ستّا وعشرين حِجّة ، وكان يسير فى طريق الحجّ مثلَ الملوك . شكاه آبن يونس [الوزير][(٢)] إلى الخليفة أنّه يكاتب السلطان صلاح الدين صاحب مصر [وزوّر عليه كتابة][(٣)] ، فحبســه الخليفة مدّة ، ثم تبيّن له أنّه برىء ، فأطلقه وأعطاه خُوزِسْتان[(٤)] ، ثم أعاده إلى إمْرَة الحاجّ ، وكانت الحِلَّة[(٥)] إقطاعَه . وكان شجاعا جَوَادًا سَمْحا قليل الكلام يَمْضى عليه الأسبوعُ ولا يتكلّم . استغاث إليه رجل يوما فلم يكلّمه ، فقال الرجل : الله كلّم موسى ، فقال : وأنت موسى! [فقال الرجل : وأنت الله! فقضى حاجته . وكان حليما ، آلتقاه رجل فآستغاث إليه من نوّابه فلم يُجبه][(٦)] فقال الرجل : أنت حمار؟ فقال طاشتِكين : لا . وفى قلّة كلامه يقول آبن التَّعَاوِيذِىّ[(٧)] الشاعر المشهور :

وأمـــير على البـــلادِ مولًّى * لا يُجيب الشاكى بغير السكوتِ

كلّمــا زاد رِفْعَـــة حطَّنا اللّـ * ـه بتغفيــله إلى البَهَمُـــوتِ

وفيهــا تُوفّى مســعود[(٨)] بن ســعد الدين صاحب صَــرْخَد . وأخوه بدر الدين ممدود شِحْنة دمشق ، وهما آبنا الحاجب مبــارك بن عبد الله ، وأمّهما أمّ فرخشاه

---

(١) فى الأصل : « الصفدى » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . وفى الجامع المختصر وعقد الجمان فى إحدى روايتيه : « المستنجدى » . (٢) الزيادة عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٤) خوزستان : اسم لجميع بلاد الخوز (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) يريد بها حلة بنى مزيد ، وتسمى الحلة السيفية نسبة إلى سيف الدولة صدقة بن مزيد كما سماها بذلك صاحب عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان . (٦) التكلة عن عقـد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين . (٧) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٣ هـ . (٨) فى الأصل : « وهو أخو بدر الدين » . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

ابن شاهنشاه(١) بن أيّوب [ففرخشاه أخوهما لأمّهما](٢)، وأختهما لأمّهما أيضا الستّ
عذراء صاحبة المدرسة العَذْرَاوِيّة المجاورة لقلعة دمشق . وكانا أميرين كبيرين
(أعنى ممدودا ومسعودا) صاحبى الترجمة، ولهما مواقف مع السلطان صلاح الدين
يوسف بن أيّوب، وتقدّمت وفاة ممدود على أخيه مسعود ، فإنّه مات بدمشق
فى يوم الأحد خامس شهر رمضان من هذه السنة . وتُوفّى مسعود هذا بصَفَد ٥
فى يوم الآثنين خامس شوّال — رحمهما الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفى سلطان غَزْنَة
شهاب الدين [أبو المظفر(٣) محمد بن سام] الغُورى قتلته الباطنيّة. وأبو علىّ ضياء الدين
ابن أبى القاسم [أحمد(٤) بن الحسن أبى علىّ] بن الخُرَيْف . والمفتى أبو المَفَاخر
خلف بن أحمد الأصبهانىّ الفرّاء ، وله أربع وثمانون سنة . وأبو يَعْلَى حمزة بن ١٠
علىّ [بن حمزة بن فارس](٥) بن القُبَيْطِىّ، قرأ القرآن على سبط الخيّاط وجماعة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وأربع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

* * *

السنة السابعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، ١٥
وهى سنة ثلاث وستمائة .

فيها فارق وجه السَّبُعُ الحاجَّ، وقصد الشام مُغْضَبًا، وكان فى الحجّ جماعة من
الأعيان، فبكَوْا وسألوه العود معهم على العادة، فقال : مولاى أمير المؤمنين محسن

(١) فى الأصل : « بنت شاهنشاه » : وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان .
(٢) الزيادة عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) زيادة عن مرآة ٢٠
الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان وابن الأثير وتاريخ الاسلام . وهو أخو غياث الدين أبو الفتح
محمد المذكور فى حوادث سنة ٥٩٩ هـ (٤) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب .
(٥) التكلة عن ابن الأثير والجامع المختصر وغاية النهاية .

إلىّ، وما أشكو إلّا من الوزير آبن مهدى[1]، وما عن التوجّه بُدٌّ؛ ففارقهم وسار إلى الشام، فتلقّاه الملك العادل صاحب الترجمة وأولاده، وأحسن العادل إليه وأكرم نُزُلَه، وحَزِن الخليفة على فراقه .

وفيها ولّى الخليفةُ عمادَ الدين أبا القاسم عبدَ الله بنَ الدّامَغانىّ الحنفىّ قاضى قضاة بغداد .

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلىّ، وآستأصله حتّى آحتاج إلى الطلب من الناس .

وفيها نزلت الفرنج على حِمْص ، وكان الملك الظاهر غازى صاحب حلب قد بعث المُبَارِز يوسف بن خَطْلُخ الحلبىّ إليها نجدةً لأسد الدين صاحبها، وحصل القتال بينهم وبين الفرنج وأسِر الصَّمْصَام بن العَلَائِىّ، وخادم صاحب حمص . ورجع الفرنج إلى بلادهم .

وفيها تُوفّى عبد الرزاق آبن الشيخ عبد القادر الجيلىّ المعروف بالكيلانى — رضى الله عنه — وكان عبد الرزاق هذا زاهدا ورِعا عابدا مُقتَنِعًا من الدنيا باليسير صالحا ثقة ، لم يدخل فى الدنيا كما دخل فيها غيرُه من إخوته . وكان مولده سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة، ومات فى شوّال ببغداد ودُفِن بباب حرب .

وفيها تُوفّى أبو القاسم [أحمد][2] آبن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ببغداد، كان شابًّا حسنا يعاشر آبن الأمير أَصْبَه، وكان آبن أصبه شابًّا جميلا، جلسا يوما فداعب آبنُ المقرئ آبنَ أَصْبَه فرماه بسِكّين صغيرة، فوقعت فى فؤاده فقتلته، فسلّم الخليفة آبنَ المقرئ إلى أولاد أَصْبَه، فلمّا خرجوا به ليقتلوه أنشد .

(١) هو نصير الدين ناصر بن مهدى الرازى أبو الحسن . (عن آبن الأثير) .

(٢) زيادة من الجامع المختصر .

قَدِمتُ على الإله بغير زادٍ * من الأعمال بالقلب السليمِ
وسوء الظن أن تعتدّ زادا * إذا كان القـدوم على كريم

فقتلوه — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الصَّيْدَلانِىّ، وله أربع وتسعون سـنة . وأبو عبد الله محمد بن مُعَمَّر [بن عبد الواحد بن رَجَاء][(1)] بن الفاخِر القُرَشِىّ . وأبو بكر عبد الرزّاق بن عبد القادر ابن أبى صالح الجِيلىّ الحافظ فى شوّال، وله خمس وسبعون سنة .

§ أمر النيـــل فى هذه السنة، المـاء القديم خمس أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع .

* * *

السـنة الثامنة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع وستمائة .

فيها ملك الأوحد ابن الملك العادل صاحب الترجمة خِلاط بمكاتبة أهلها بعد قتل ابن بُكْتُمُر[(2)] والهزار دينارى[(3)] المقدّم ذكرهما؛ وكانت بنت بكتمر مع صاحب أَرْزَن[(4)] الروم، — فقالت بعد قتل أخيها — : لا أرضى حتّى تَقتلَ قاتلَ أخى، وهو الهزار

---

(١) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وتاريخ الإسلام للذهبى . (٢) كذا فى الأصل . وعبارة شـذرات الذهب : « وفيها تملك الملك الأوحد أيوب بن العادل مدينة خلاط بعد حرب جرت بينه و بين صاحبها بلبان ، ثم قتـل بلبان بعـد ذلك » . وما ذكره صاحب الشـذرات ملخص ما فى ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات فى حوادث السنة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٨ من هذا الجزء . (٣) هو مغيث بن طغرل شاه بن قلج أرسلان .
(٤) أرزن الروم : مدينة مشهورة ، ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحى أرمينية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

دينــارى وتأخذَ بثأره؛ فسار صاحب أرْزَن إلى خِلاط ، وخرج الهــزار دينارى للقــائه ، فضربه صاحبُ أَرْزَن فأبان رأســه ، وعاد إلى أرزن الروم . وبقيتْ خلاط بغير ملك ، وكان الأوحد بن العادل صاحب ميّافارِقِين ، فكاتبوه أهلُ خلاط لجاء إليهم وآستولى عليها .

٥ وفيها حجّ بالناس من العراق ياقوتُ[(١)] .

وفيها تُوفّى محمود[(٢)] بن هبة الله بن أبى القاسم الحلبيّ أبو الثناء البَزّاز . كان فاضلاً قرأ القرآن، وسمع الحديث على إسماعيل بن موهوب بن الجَوَالِيقِيّ ، وحكَى عنه قال : كنتُ فى حَلْقة والدى بجامع القصر، فوقف عليه شابّ وقال: مامعنى قول القائل :

وَصْلُ الحبيبِ جِنانُ الخُلْدِ أسكُنها * وهجرُه النــارُ يُصْلِينى به النــارا

١٠ فالشمسُ بالقوس أضحتْ[(٣)] وهى نازلةٌ * إن لم يَزُرْنى وبالجَوْزاء إن زارا

فقال له والدى : يابنىّ ، هــذا شىء يتعلّق بعلم النجوم لا بعــلم الأدب . ثم قام والدى وآلَى على نفسه ألّا يعود إلى مكانه حتّى ينظر فى علم النجوم، ويعرفَ مسير الشمس والقمر ، فنظر فيه وعَلِمه . ومعنى الشعر : أنّ الشمس إذا نزلت القوس يكوِن الليل فى غايةَ الطول، وإذا كانت فى الجَوْزاء كان فى غايةَ القِصَر .

١٥ قلت : ومحصول البيتين : أنّه إذا لم يزره محبوبه كان الليل عليه أطول الليالى، وإذا زاره كان عليــه أقصر الليالى ، فقصــد القوس للطُّول ، والجوزاء للقِصَر . وهذا يُشبِه قول القائل، وقد تقدّم ذلك فى غير هذا المحلّ من هذا الكتاب، :

---

(١) هو أمير الحاج مجاهد الدين ياقوت الرومى الناصرى (عن الجامع المختصر) .

(٢) فى الأصــل : «محمد بن هبة الله» . والتصويب عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج إليه

٢٠ وشذرات الذهب والذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٣) كذا فى الذيل على الروضتين . وفى الأصل « أمست » .

ليـلِي[1] ولَيـلَى نفى نومى آختـلافهما * بالطُّول والطَّوْل يا طو بى لو آعتـدلا

يجـود بالطُّـول ليـلِي كلّما بخِلتْ * بالطَّوْل لَيْـلَى و إن جادت به بخِـلا

ومثل هذا قول شرف الدين أحمد بن نصر بن كامل — وقيل هما لغيره — :

عهدى بهم ورِداءُ الوصل يجمعنا * والليـلُ أطولُه كاللَّمْح بالبصرِ

فاليـوم ليـلَى مذ غابوا فديتهـم * ليـلُ الضرير فصبحى غير مُنْتَظَرِ ٥

ويُعجبنى قول من قال — وهو قريب من هذا المعنى إن لم يكن هو بعينه — :

هجم السُّهاد على عيـونى فى الدُّجَى * سرق الرقادَ ودمـعُ عيـنى سافحُ

وغدا يسامح للـدجى فى بيعـه * واللِّصُّ كيف يبيع فهو الرابحُ

وقد آستوعبنا هذا النوع (أعنى ماقيل فى طول الليل وقصره فى كتابنا المسمّى: بـ«حلية الصفات فى الأسماء والصناعات») فلينظُر هناك فى حرف الطاء المهملة . ١٠

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى حَنْبل بن عبد الله ابن الفرج بن سُعادة أبو علىّ[2] الرُّصَافىّ المكبِّر [بجامع المهدى][3] الدلّال فى المحرّم . وعبـد المجيب بن عبد الله بن زُهَيْر الحَرْبِىّ بحَمَاة . وأبو الفضل عبـد الواحد ابن عبد السلام بن سلطان المقرئ. وستّ الكَتَبَة نعمة بنت علىّ بن يحيي [بن محمد][4] ابن الطراح بدمشق . ١٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

(١) هـذان البيتان من قول الفضل بن عبد القـاهر جد محمـود بن على بن المهنأ بن أبى المكارم. راجعهما فى ص ٢٠٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) كذا فى الأصـل والذيل على الروضـتين . وفى المختصر المحتاج اليـه وشذرات الذهب : «أبو عبد الله» . وفى تاريخ الإسـلام للذهبى : «أبو على وأبو عبـد الله» . وفى الجامع المختصر : «أبو الفـرج» . ٢٠

(٣) الزيادة عن تاريخ الاسـلام للذهبى والمختصر المحتاج إليه . (٤) فى الأصـل : «نعمة بنت على بن يحيى بن الطرّاح» . والتكملة والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين وتاريخ الاسلام للذهبى .

*
* *

السـنة التاسعة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة خمس وستمائة .

فيها زُلزلت نيسابور زلزلة عظيمة دامت عشرة أيام، فمات تحت الردم خلق كثير.

وفيها اتفق الفرنج من طرابلس وحصن الأكراد (١) على الإغارة على أعمال حمص، فتوجهوا إليها وحاصروها، فعجز صاحب حمص أسد الدين شيركوه عنهم، ونجده ابن عمه الملك الظاهر غازى صاحب حلب ، فعاد الفرنج إلى طرابلس . وبلغ السلطانَ الملك العادل صاحبَ الترجمة، فخرج إليهم من مصر بالجيوش وقصد عكا، فصالحه صاحبها، فسار حتى نزل على بحيرة قدس (٢)، وأغار على بلاد طرابلس وأخذ من أعمالها حصنا صغيرا .

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة ، قال وفيها توفى قاضى القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن دِرْباس بمصر عن تسع وثمانين سنة . والقاضى أبو الفتح محمد بن أحمد بن بَخْتِيار بواسط فى شعبان، وله ثمان وثمانون سنة. وأبو الجُود غِياثُ بن فارس اللَّخْمى مقرئُ ديار مصر. وأبو بكر محمد بن المبارك [بن محمد بن أحمد بن الحُسَين] (٣) بن مَشّق محدث بغداد، وله اثنتان وسبعون سنة . والحسين بن أبى نصر [بن الحسين بن هبة الله بن أبى حنيفة] (٤) بن القارص (٥) الحريمى

(١) حصن الأكراد : حصن منيع حصين على الجبل الذى مقابل حمص من جهة الغرب ، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص (عن معجم البلدان لياقوت) . وقد ذكر ابن الأثير وعقد الجمان هذه الواقعة فى السنة الماضية . (٢) فى الأصل : « بحيرة حمص » . وما أثبتناه عن ابن الأثير وعقد الجمان وتاريخ الدول والملوك وتاريخ ابن الوردى : و بحيرة قدس قرب حمص بينها و بين جبل لبنان (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) التكلة عن الجامع المختصر والمختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد . (٤) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام . (٥) فى الأصل : « ابن الفارض محمد » والتصويب عن المشتبه والمختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام .

الضرير آخر من رَوَى شيئا عن المُسْنَد، تُوفِّى فى شعبان . وخطيب القُدْس علىّ بن محمد بن علىّ بن جَمِيل المَعَافِرِى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وآثنتا عشرة إصبعا .

٥

***

السنة العاشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيُّوب على مصر، وهى سنة ستّ وستمائة .

فيها تُوفّى الحسن بن أحمد [بن محمد](١) بن جكينا من أهل الحرم الطاهرىّ، كان فاضلا رئيسا شاعرا . ومن شعره :

١٠

قد بان لى عُذْرُ الكرام وصدُّهم * عن أكثر الشعراء ليس بعارِ
لم يسأموا بذل النوال وإنّما * جَمَدَ النَّدَى لبُرودة الأشعار

وفيها تُوفّى محمد بن عمر بن الحسين العلّامة أبو المعالى(٢) فخر الدين الرازىّ المتكلّم صاحب التصانيف فى علم الكلام والمنطق والتفسير . كان إماما بارعا فى فنون من العلوم، صنّف « التفسير »(٣) و « المحصل »(٤) و « الأربعين »(٥) و « نهايةَ العقول »(٦) وغير ذلك . قال صاحب المرآة : « وآختصّ بكتب آبن سينا فى المنطق وشَرَحَها، وكان

١٥

(١) التكملة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد . ولم يذكر سنة وفاته ، وفى فوات الوفيات لآبن شاكر أن وفاته كانت سنة ٥٢٨ هـ ، ووافقه على ذلك صاحب شذرات الذهب .

(٢) كذا فى الأصل ومرآة الزمان . وفى آبن خلكان وشذرات الذهب وطبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة : « أبو عبد الله » . وفى عقد الجمان « العلامة أبو عبد الله وأبو المعالى » .

٢٠

(٣) هو التفسير الكبير ، ويسمى مفاتيح الغيب ، كما فى كشف الظنون . (٤) هو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين (عن كشف الظنون) . (٥) هو كتاب الأربعين فى أصول الدين ، ألفه لولده محمد ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام (عن كشف الظنون) .

(٦) هو نهاية العقول فى الكلام فى دراية الأصول (يعنى أصول الفقه) (عن كشف الظنون) .

يعظ و ينال من الكرّامية[(١)] و ينالون منه ، و يكفّرهم و يكفّرونه ، وقيل : إنّهم دسّوا عليه من سقاه السم فمات ففرحوا بموته ؛ وكانوا يرمونه بالكبائر ، وكانت وفاته فى ذى الحجّة . ثم ذكر عنه صاحب المرآة أشياء ، الأليق الإضراب عنها والسُّكات عن ذكرها .

٥ وفيها تُوفّى المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات مجد الدين ابن الأثير المَوْصِلىّ الجَزَرىّ الكاتب ، وُلِد سنة أربعين[(٢)] وخمسمائة بجزيرة ٱبن عمر ، ثم ٱنتقل إلى الموصل وكتب لأمرائها ، وكانوا يحترمونه ، وكان عنـدهم بمنزلة الوزير الناصح إلّا أنّه كان منقطعا إلى العلم قليل الملازمة لهم . صنّف الكُتُب الحِسان ، منها : «جامع الأصول فى أحاديث الرسول[(٣)]» ، جمع فيه بين الصِّحاح الستة . وكتاب «النهاية فى غريب الحديث» فى خمسة مجلدات . وكتاب « الإنصاف فى الجمع بين ١٠ الكشف[(٤)] والكشّاف » فى تفسير القرآن ، أخذه من تفسير الثَّعلبىّ[(٥)] والزمخشرىّ[(٦)] ، وله كتاب «المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار» وله كتاب لطيف فى صناعة الكتابة ، وكتاب « البديع فى شرح الفصول فى النحو لٱبن الدّهان[(٧)] » وله « ديوان رسائل » ، وكتاب « الشافى فى شرح مسند الإمام الشافعىّ » — رضى الله عنه — . ومن شعره

---

١٥ (١) الكرامية فرقة تنسب الى زعيمها محمد بن كرام ولها بدع وعبادات أظهرها أن ابن كرام كان يعتقد أن معبوده جسم له حدّ ونهاية (راجع الكلام عليهم فى كتاب الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ — ٢١٤
(٢) فى الجامع المختصر ووفيات الأعيان : « ولد فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة » .
(٣) فى الأصل : « جمع فيه من الصحاح » . وما أثبتناه عن ترجمته فى صدر كتابه النهاية فى غريب الحديث ووفيات الأعيان لابن خلكان. (٤) كذا فى الأصل وابن خلكان. وفى كشف الظنون :
٢٠ « الانصاف فى الجمع بين الثعلبي والكشاف » . (٥) تفسير الثعلبي هو الكشف والبيان فى تفسير القرآن ، لأبى إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابورى . تقدمت وفاته سنة ٤٢٧ هـ .
(٦) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمـد بن عمر الزمخشرى الخوارزمى صاحب تفسير الكشاف . تقدّمت وفاته سنة ٥٣٨ هـ . (٧) هو سعيد بن المبارك بن على بن عبد الله الإمام ناصح الدين ابن الدهان النحوى . تقدّمت وفاته سنة ٥٦٩ هـ .

— رحمه الله — ما أنشده لصاحب الموصل ، وقد زَلّت به بغلته وألقته إلى الأرض :

إن زلّتِ البغلةُ من تحته * فإنّ في زَلّتها عُذْرًا
حمّلها من عِلْمه شاهقًا * أو من ندى راحته بحرًا

وكانت وفاته بالموصل في يوم الخميس سلخ ذي الحجّة ، ودفن برباطه بدرب دَرّاج(١)، وهو أخو أبي الحسن علىّ(٢) بن الجَزَرِىّ الكاتب .   ٥

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى القاضي وجيه الدين أسعد بن المُنَجّا التَّنُوخىّ في المحرّم ، وله سبع وثمانون سنة . وأبو مسلم المؤيّد [هشام](٣) بن عبد الرحيم [بن أحمد بن محمد](٣) بن الإخوة العدل بأصبهان في جُمادى الآخرة . وأبو عبد الله محمود بن أحمد المُضَرِىّ(٤) الأصبهانىّ إمام جامع أصبهان عن   ١٠ تسع وثمانين سنة . وأبو القاسم إدريس بن محمد العطّار بأصبهان، وله نحو مائة سنة . وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازىّ المصنّف ٱبن خطيب الرىّ يوم عيد الفطر، وله ٱثنتان وستون سنة . ومجد الدين يحيى بن الربيع الواسطىّ مدرس النظاميّة عن ثمان وسبعين(٥) سنة . ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجَزَرِىّ الكاتب صاحب « جامع الأصول » و « النهاية » في سلخ العام، وله ثلاث   ١٥

---

(١) درب دراج : محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل ، يسكنها الخالديان الشاعران (عن معجم البلدان لياقوت) .   (٢) هو عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرام محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزرى صاحب التاريخ المشهور . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣٠ هـ .
(٣) التكلة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبي .   (٤) في الأصل : « المصرى » وهو تصحيف . والتصويب عن تاريخ الإسلام والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي .   (٥) في الأصل :   ٢٠ « ثمان وستين » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه ، لأنه ولد سنة ٥٢٨ هـ .

وستون سنة . وأمّ هانئ عُفَيْفَة بنت أحمد القَارِفَانِيّة[(١)] مُسْنِدة أصبهان ، ولها ستّ وتسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .

٥

+ + +

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع وستمائة .

فيها حجّ بالناس من الشام سيف الدّين [علىّ][(٢)] بن عَلَم الدين سليمان بن جَنْدَر .

وفيها تُوفّى أرسلان [شاه][(٣)] بن عزّ الدين مسعود الأمير نور الدين الأتابَك صاحب

١٠ الموصل، كان متكبّرا جبّارا بخيلا فاتكا سفّاكا للدماء، حبَس أخاه علاء الدين[(٤)] سنين حتّى مات فى حبسه ، وولّى الموصلَ لرجل ظالم يقال له السراج فأهلك الحَرْث والنّسْل ، وكانت وفاة أرسلان هذا فى صفر . وخلّف ولدين : القاهر[(٥)] مسعودا وزنكى[(٦)]، وأوصى إلى بدر الدين لؤلؤ[(٧)] أن يكون مسعودٌ السلطانَ و يكون زنكى فى شهرزور[(٨)] .

١٥ (١) القارفانية : نسبه الى فارفان : قرية من قرى أصبهان . (٢) زيادة عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٣) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وتاريخ ابن الوردى وعقد الجمان . (٤) فى الأصل : « عماد الدين » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وابن الأثير . وهو علاء الدين خرمشاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى كما فى ابن الأثير . (٥) هو الملك القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه . (٦) هو الملك المنصور

٢٠ عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه . (٧) هو الأمير بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الذى تغلب على الموصل وملكها فى سنة ٦٣٠ ﻫ فى أواخر شهر رمضان ، وكان قبل نائبا بها ثم استقل (عن عقد الجمان وشذرات الذهب) . (٨) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٣ من الجزء الثالث من هذه الطبعة .

وفيها تُوفّى عبد الوهّاب بن علىّ الشيخ أبو محمد الصُّوفىّ[1] ضياء الدين المعروف بابن سُكَيْنَة سِبْط شيخ الشيوخ إسماعيل بن أحمد النّيسابورىّ . وكان فاضلا محدّثا عابدا زاهدا ، وكان يُنشد لمحمد الفارِقىّ[2] — رحمه الله — :

تحمّلْ أخاك على خُلْقِه * فما فى آستقامته مَطْمَعُ
وَأنّى له خُلُقٌ واحد * وفيه طبائعـه الأربعُ

وفيها تُوفّى عمر بن محمد بن مُعَمَّر بن أحمد بن يحيى بن حَسّان المُسْنِد الكبير رُحْلَة الآفاق أبو حفص بن أبى بكر البغـدادىّ الدّارَقَزّىّ[3] المؤدّب المعروف بآبن طَبَرْزَذ، والطَّبَرْزَذ : هو السكر . وُلد فى ذى الحجّة سنة ست عشرة وخمسمائة، وسمع الكثير بإفادة أخيه المحدّث أبى البقاء محمد ثم بنفسه، وحصّل الأصول وحفظها إلى وقت الحاجة إليه، فلمّا كَبِرتْ سِنُّه حدّث بالكثير، وصار رُحْلَةَ الزمان إلى أن مات فى تاسع شهر رجب ببغداد، ودُفِن بباب حرب .

وفيها تُوفّى محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة بن مقدام الإمام القُدْوة الزاهد أبو عمر المَقْدِسىّ الجَمّاعِيلىّ . قال آبن أخته الحافظ ضياء الدين : مولده فى سـنة ثمـانٍ وعشرين وخمسمائة بجَمّاعِيـل ، وسمِـع الكثير بدِمَشق من والده وخَلْقٍ كثير سواه، وروى عنه أخوه الشيخ المُوَفَّق[4] و ولداه شرف الدين عبد الله وشمس الدين عبد الرحمن و جماعة كثيرة ، وكان إماما عالمـا زاهـدا وَرِعًا مُتْقِنًا متعبّدًا : قال أبو المظفّر : وكان معتدلَ القـامة حسنَ الوجه، عليه أنوار العبادة لا يزال مبتسما ،

(١) كذا فى الأصـل وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير والذيل على الروضتين ؛ وفى المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وغاية النهاية : «أبو أحمد» . (٢) الفارقى : نسبة الى ميافارقين .
(٣) الدارقزى : نسبة الى دار القز، محلة ببغداد .
(٤) هو عبد الله صاحب المغنى والمقنع توفى سنة ٦٢٠ ﻫ كما فى مختصر طبقات الحنابلة .

نحيلّ الجسم من كثرة الصيام والقيام . ثم قال — بعد كلام طويل و بعد أن أورد أشعارا كثيرة — وأنشدنى لغيره :

لى حيــلةٌ فيمَنْ ينـــمّ وليس فى الكذّاب حيله

من كان يخلُق ما يقـــو * ل فحيلتى فيـــه قليله

٥ وفيها تُوفّى الوجيه بن النُّورِىّ المصرىّ الفقيه المقرئ الحنفىّ إمام مقصورة الحنفية الغربيــة بجامع دمشق ، كان صالحــا ديّنا فقيرا قارئا للقرآن بالسبع . قال أبو المظفّر وأنشد لغيره :

ومن عادة السادات أن يتفقّدُوا * أصاغرهم والمَكْرُمَاتُ مصايدُ

سليمانُ ذو ملك تفقــد هُدْهُدًا * وإنّ أقلّ الطائرات الهداهدُ

١٠ الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفى أبو محمد جعفر بن محمد [بن أبى محمد](١) بن آموسان(٢) الأصبهانىّ بعد حجّة بالمدينة فى المحرّم ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو محمد عبد الوهّاب ابن(٣) الأمين علىّ بن سُكَيْنة الصوفىّ مسند العراق وشيخها ، وله ثمــان وثمانون ســنة . مات فى شهر ربيع الآخر . والشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قُدَامة الزاهد شيخ المقادسة فى شهر ربيع الآخر، وله تسع ١٥ وسبعون سنة . وعائشة بنت مُعَمَّر بن الفاخر عن بضع وثمانين سنة . وأبو الفرج محمد بن هبة الله بن كامل الوكيل ببغداد عن خمس وثمانين سنة . وأبو حفص عمر ابن محمــد بن مُعَمَّر بن طَبَرْزَد عن إحدى وتسعين ســنة، كلاهما فى رجب . وأبو المجــد زاهر(٤) بن أحمــد بن أبى غانم الثَّقَفِىّ الأصبهانىّ وقــد قارب التسعين

(١) التكلة عن المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد وتاريخ الإسلام للذهبى .

٢٠ (٢) فى الأصــل : «أبو بيان» . والتصويب عن المختصر المحتاج إليــه وشذرات الذهب وتذكرة الحفاظ وتاريخ الإسلام للذهبى . (٣) راجع الحاشية رقم ١ من الصفحة السابقة .

(٤) فى الأصــل : «زاهد» . والتصويب عن تاريخ الإســلام للذهبى وشذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ .

في ذي القعدة . وأسعد بن سعيد [بن محمود بن محمد بن أحمد بن جعفر] بن رَوْح (١) التاجر بأصبهان في ذي الحِجّة ، وله تسعون سنة ، وخُتِم به حديثُ الطَّبَرَانِيّ في الدنيا .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يوجد له قاعٌ في هذه السنة . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا وأربع أصابع (٢)، بعد ما توقّف عن الزيادة أيّاما .

⁂

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي سنة ثمان وستمائة .

فيها قدِم بغداد رسول جلال الدين حسن صاحب أَلَمُوت (٣)، يخبر الخليفة بأنّهم تبرّءوا من الباطنيّة ، و بَنَوا الجوامع والمساجد، وأُقيمت الجمعة والجماعات عندهم ، وصلّوا التراويح في شهر رمضان ؛ فسرّ الخليفة والناس بذلك . وقدِمت الخاتون أمّ جلال الدين حاجّةً، وٱحْتَفَلَ (٤) بها الخليفة، وجهّز لها ما يليق بها .

وفيها بعث الخليفة الناصر لدين الله خاتمه للأمير وجه السَّبُع بالشام، وقد تقدّم ذكره فيما مضى ، فتوجّه وجهُ السبع إلى الخليفة ومعه رسول الملك العادل صاحب الترجمة، فأكرم الخليفة وجه السبع، وأعطاه الكوفةَ إقطاعا .

وفيها تُوفّي عبد الواحد بن عبد الوهّاب بن عليّ بن سُكَيْنَة ويُلَقَّب بالمعين . وُلِد سنة ٱثنتين وخمسين وخمسمائة ، وسافر إلى الشام في أيام الأفضل، و بسط

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٢) كذا في الأصل . وفي درر التيجان : « ست عشرة ذراعا وست أصابع » . و في كنز الدر : « ست عشرة ذراعا فقط » .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١١٧ من هذا الجزء . (٤) في الأصل : « احتفل اليها الخليفة » . والتصويب عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان .

لسانه فى الدولة، ثم عاد إلى بغداد بأمان من الخليفة؛ ووَلِىَ مشيخة الشيوخ.
ومات غريقًا فى البحر، وكان سمِع جدّه لأمّه شيخ الشيوخ عبد الرحيم(١) وغيرَه.
وأنشد لجَدّه المذكور قوله فى الخِضاب:

ولم أخْضِب مَشيبِى وهو زَيْنٌ * لإيثارى جهالاتِ الشّبابِ
ولكن كى يَرَانى من أُعادِى * فأُرْهِبَه بوَثْبات التّصابِى

وفيها تُوفّى مظفر الماسكى(٢) البغدادىّ، كان ظريفًا أديبا، وكان يقول من الشعر «كان وكان»(٣) وغيرَه. ومن شعره فى «كان وكان» قولُه:

ذى زوجها ما شطها وكل من جا حفّها
قَصْدُهْ يرى النقش عنده فى كفّها ألوانْ
إن شندرت فلوجههْ تصيب قبلَ كُفُوفها
ما صحّ ذاك النشادرْ إلّا من الدخّانْ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة(٤)، قال: وفيها تُوفّى أبو المعالى محمد ابن صالح آخر من حدّث عن المَيُوْرَقِىّ. ويحيى بن البنّاء، وله تسعون سنة. وأبو الفتح منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن [محمد](٥) الفَرَاوِىّ العدل بنَيْسابور، وله ستّ وثمانون سنة فى شعبان. والقاضى أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن سَنَاء المُلْك بمصر. وأبو عبد الله محمد بن أيّوب بن محمد بن [وهب بن محمد بن وهب](٥) بن نُوح

---

(١) هو عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبى سعد شيخ الشيوخ. ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٠ هـ.
(٢) كذا فى الأصل وعقد الجمان. وفى مرآة الزمان: «مطير القاسكى».
(٣) كان وكان هو أحد الأوزان المستحدثة فى الشعر. اخترعه البغداديون وسموه بذلك لأنه غالبا يشتمل على الحكايات والقصص.
(٤) لم نجد هذا الاسم فيمن ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة فى تاريخ الإسلام.
(٥) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وتاريخ الإسلام.

الغافقيّ[1] ببلنسية، وله ثمان وسبعون سنة. والخضر بن كامل [بن سالم][2] بن سبيع الدلّال بدمشق. وأبو العبّاس أحمد بن الحسن بن أبى البقاء العاقوليّ[3] فى ذى الحجة ببغداد.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وست أصابع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشر أصابع.

*
* *

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر. وهى سنة تسع وستمائة.

فيها اجتمع الملك العادل المذكور وأولاده: الكامل والفائز والمعظّم على دمياط لقتال الفرنج، وكان الأمير أسامة بالقاهرة، فاتّهم بمكاتبة الملك الظاهر غازى صاحب حلب، ووجدوا كتبا إليه وأجوبة؛ فخرج أسامة المذكور من القاهرة كأنّه يتصيّد وساق إلى الشام فى مماليكه يطلب قلعة كوكب وعجلون. وكان ذلك فى يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة. فأرسل والى بلبيس الحمام إلى دمياط بالخبر؛ فقال العادل: من ساق خلفه فله أمواله وقلاعه؛ فقال ولده الملك المعظّم عيسى: أنا، وركب من دمياط يوم الثلاثاء غرّة رجب. قال أبو المظفّر سبط ابن الجوزيّ: «وكنت معه، فقال لى: أنا أريد أن أسوق فابق أنت مع قماشى ودفع لى بغلة، وساق ومعه نفر يسير وعلى يده حصان، فكان صباح يوم الجمعة بغزّة، [ساق مسيرة ثمانية أيام فى ثلاثة أيّام][4] فسبق أسامة. [وأمّا أسامة][4] فتقطّع عنه مماليكه و بقى

(١) الغافقى: نسبة إلى غافق، حصن بالأندلس (عن لب اللباب). (٢) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام. (٣) العاقولى: نسبة إلى دير العاقول، وهو بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه و بين بغداد خمسة عشر فرسخا (عن معجم البلدان لياقوت).
(٤) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين.

وحدَه، وكان به مرض النِّقْرِس (يعنى بأسامة)، فجاء إلى بلد الدَّارُوم[(١)]، وكان المعظّم أَمْسك عليه من البحر إلى الزَّرْقاء[(٢)]، فرآه بعض الصيّادين فى بَرِّيّة الدَّارُوم فعرفه، فقال له : اِنزل، فقال : هذه ألفُ دينار وأوصلْنى إلى الشام، فأخذها الصيّاد وجاء إلى رِفاقه [فعرفوه أيضا][(٣)]، فأخذوه على طريق الخَلِيل[(٤)] ليحملوه إلى عَجْلُون، فدخلوا به إلى القُدْس فى يوم الأحد فى سادس رجب بعد وصول المعظّم بثلاثة أيام، فتسلّمه المعظّم وأنزله بِصِهْيَوْن، وبعث إليه بثياب وطعام ولاطفه [وراسله][(٣)] وقال له : أنت شيخ كبير وبك نِقْرِس وما تصلُح لك قلعة، سَلِّم إلىّ كَوْكَب وعَجْلُون، وأنا أَحْلِف لك على مالك وجميع أسبابك، وتعيش بيننا مثلَ الوالد . فآمتنع وشَتَم المعظّم، فبعث به المعظّم إلى الكَرَك فآعتقله بها، وآستولى على قِلاعه وأمواله وذخائره [وخيله][(٣)]، فكان قيمةُ ما أَخذ منه ألفَ ألف دينار .

وفيها حجّ بالناس من العراق حُسَام الدين بن أبى فِراس[(٥)] نيابةً عن محمد بن ياقوت، وكان معه مال وخِلَع لِقَتادة[(٦)] صاحب مكّة . وحجّ بالناس من الشام شجاع الدين بن مُحارِب[(٧)]، من على أَيْلَة[(٨)] .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) الزرقاء : موضع بالشام بناحية معان، وهو نهر عظيم (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

(٤) فى الأصل : «على طريق الجبل» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين ؛ والخليل : اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وحوق بقرب البيت المقدس بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام فى مغارة تحت الأرض (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٥) فى الأصل : «حسام الدين أبو الفوارس» . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان وما سيذكره المؤلف فى السنة الآتية .

(٦) هو قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة (عن ابن الأثير) .

(٧) فى الذيل على الروضتين : «شجاع الدين محارب» .

(٨) أيلة، هذه البلدة هى التى تعرف اليوم باسم «العقبة» وكانت تابعة لمصر . وأما الآن فهى من بلاد إمارة شرق الأردن (بقارة آسيا) وهى ميناء بحرية واقعة فى شمال خليج العقبة الواقع فى شمال البحر الأحمر، وبفصل بين شبه جزيرة طور سينا وبين بلاد العرب .

وفيها تُوفّى الملك الأوحد نجم الدين أيّوب آبن السلطان الملك العادل أبى بكر صاحب الترجمة . كان صاحبَ خِلَاط وغيرِها فى أيام أبيه الملك العادل، وقد تقدّم ذكرُ أخذه خِلَاطَ وغيرَها ، وكان قد آبتُلِيَ بأمراض مزمنة ، وكان يتمنّى الموت وكان قد آستزار أخاه الملكَ الأشرفَ موسى من حَرّان ، فأقام عنده أياما ، وآشتدّ مرضه فطلب الأشرفُ الرجوع إلى حَرّان لئلا يتخيّل منه الأوحد، فقال له الأوحد: يا أخى، لِمَ تُلِحُّ فى الرَّوَاح ! والله إنّى ميّت وأنت تأخذ البلاد من بعدى، فكان كذلك . وملك الأشرفُ بعد موته خِلَاطَ وأحبّه أهلُها. كلُّ ذلك فى حياة أبيهما الملك العادل هذا . فكانت مدّة تملّك الأوحد خلَاطَ أقلّ من خمس سنين، ووجد عليه الملكُ العادل كثيرا .

وفيها تُوفّى محمود بن عثمان بن مكارم أبو الثناء الحنبلىّ، كان شيخًا زاهدا عابدا صاحب رياضات ومجاهدات بصوم الدهر، وآنتفع بصحبته خَلْق كثير، وكان من الأبدال .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو جعفر أحمد آبن علىّ الأَنْصَارىّ الدَّانِىّ[1] الحَصّار المقرئ ببَلَنْسِيَة، آستُشْهِد فى وقعة العُقاب[2] هو وخَلْق من المسلمين . وأبو الفرج محمد بن علىّ بن حَمْزة بن القُبَّيْطِىّ ، وله نيِّف وثمانون سنة . والحافظ أبو نِزار رَبيعة بن الحسن الحَضْرَمِىّ اليَمَنِىّ بمصر عن آثنتين وثمانين سنة[3] . وأبو [شجاع][4] زاهر بن رُسْتم المقرئ بمكّة .

(١) الدانى : نسبة إلى دانية، مدينة بالأندلس . (٢) وقعة العقاب ، كانت ملحمة عظيمة بالأندلس بين الناصر محمد بن يعقوب بن يوسف و بين الفرنج . ونصر الله فيها الاسلام، واستشهد بها عدد كثير (راجع شذرات الذهب وعقد الجمان وتاريخ الاسلام فى حوادث هذه السنة) .

(٣) فى شذرات الذهب وتاريخ الاسلام : « عن أربع وثمانين سنة » .

(٤) التكملة عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام وغاية النهاية فى طبقات القراء .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا و إحدى عشرة إصبعا .

* * *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة عشر وستمائة .

فيها حجّ بالناس من العراق آبن أبى فِراس نيابةً عن آبن ياقوت . وحجّ بالناس من الشام الغرز[1] صديق بن تمرداش التُّرْكُمانِىّ من على عَقَبة أَيْلَة[2] بحُجّاج الكَرَك والقُدْس . وحجّ فى هذه السنة الملك الظافر[3] خضر آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب من على تَيْماء[4]، ومعه حجّ الشام بإذن عمّه السلطان الملك العادل — فيما قيل — ، فلمّا بلغ الملكَ الكاملَ محمّد بن العادل أنّه توجّه إلى الحجاز خاف على بلاد اليمن منه ، فوجّه إليه عسكرا من مصر فلحِقُوه، وقالوا له : آرجع؛ فقال : قـد بقى بينى و بين مكّة مسافة يسيرة، والله ماقصدى اليمن ، و إنّما قصدى الحجّ ، فقَيِّدونى وآحتاطوا بى حتّى أقضىَ المناسك وأعودَ إلى الشام؛ فلم يلتفتوا لكلامه؛ فأراد أن يُقاتلهم فلم يكن له بهم طاقة، فرجع إلى الشام ولم يحجّ .

وفيها تُوُفِّى الأمير أَيْدُغْمُش صاحب هَمَذَان، أرسـله الخليفة إلى همذان فسار وآنتظر العسكر وطال عليه الأمر فرحل عن هَمَـذان . فآلتقاه عسكر مَنْكِلِى بُغا ملك

---

(١) فى الأصـل : «العزيز صـديق» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من هذا الجزء . (٣) فى الأصل : «الملك الظاهر» . والتصويب عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وما تقدّم ذكره للؤلف فى صفحة ٤٩ من هذا الجزء . (٤) تيماء : بليد فى أطراف الشام ، بين الشام ووادى القرى على طريق حج الشام ودمشق ، والأبلق الفرد حصن السموءل بن عادياء اليهودى مشرف عليها (عن معجم البلدان لياقوت) .

التتار، وقاتلوه فقتلوه[1]، وحملوا رأسه إلى مَنْكَلِى بُغا المذكور . وكان أميرًا صالحا كثير الصدقات ديِّنا صائما عادلا كثير المحاسن — رحمه الله — .

وفيها تُوفّى الوزير الرئيس سعيد بن علىّ بن أحمد أبو المعالى بن حَدِيدَة من ولد قُطْبَة[2] بن عامر بن حَدِيدَة الأنصارىّ الصحابىّ . وكان مولده بكَرْخ سَامَرّا سنة ست وثلاثين وخمسمائة؛ وكان له مال كثير، وآستوزره الخليفة الناصر لدين الله، ووقع له بعد ذلك مِحَنٌ، فهرب وآختفى إلى أن تُوُفّى .

وفيها تُوفّى الأمير سنجر [بن عبد الله][3] الناصرىّ صِهْر طَاشْتِكِين، وكان ذليلًا بخيلًا ساقط النفس مع كثرة المال . وتولّى مرّة إمْرَة الحاجّ [سنة تسع وثمانين وخمسمائة][3] فاعترض الحاجّ رجل بدوىّ[4] فى نفر يسير جدًا، وكان مع سنجر هذا خمسمائة نفس، فذلّ وجَبُن عن ملاقاته، وجَبَى له مالاً من الحجّ ؛ فلمّا دخل بغداد رَسَم عليه الخليفة حتى أخذ منه المال وردّه إلى أصحابه، ثمّ عزله وأخذ إقطاعه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أبو الحسن مهذّب الدين علىّ بن أحمد بن علىّ [المعروف بابن هُبَل][5] البغدادىّ الطبيب بالمَوْصل . وأبو عبدالله الحسين بن سعيد بن الحسين بن شُنَيْف[6] الدَّارَقَزِّىّ الأمين ببغداد، كلاهما فى المحرّم . وأمّ النور عين الشمس بنت أحمد بن أبى الفرج الثَّقَفِيّة، ولها ستّ وثمانون سنة . وأبو مسعود عبد الجليل بن أبى غالب [بن[7] أبى المعالى بن محمد بن الحسين]

(١) راجع هذه الحادثة فى تاريخ الاسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان ومرآة الزمان وابن الأثير فقد ذكرتها تلك المصادر بتفصيل وتوضيح عما هنا . (٢) فى الأصل : «من ولد عطية بن عامر» والتصويب عن طبقات ابن سعد (ج٣ قسم ثان ص ١١٧) . (٣) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين . (٤) فى مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان : «يقال له دهمش» . (٥) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه .
(٦) فى الأصل : «الحسن» . وما أثبتناه عن المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وتاريخ الاسلام . (٧) التكملة عن تاريخ الاسلام .

ابن منده يه الصوفىّ بدمشق عن ثمانٍ وثمانين سنة، وإنّما سمِـع فى كِبره. وتاج الأمناء أحمد بن محمـد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقىّ . والفخر إسماعيل بن علىّ الحنبلىّ المتكلّم غلام بن المَنّى[(١)] .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبع واحدة .

*

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى عشرة وستمائة .

قلت : وفى مدّة هذه السنين كلّها [كان][(٢)] صاحب مصر ولده الكامل محمد بن العادل ، والملك العادل يتنقّل فى البـلاد ، غير أنّه هو الأصل فى السلطنة وعليه المعوّل ؛ ولا تحسب سلطنة الكامل على مصر إلّا بعد موت أبيه العادل هـذا ، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

فيها مَلَك اليَمن أَضْيس[(٣)] بن الملك الكامل محمـد بن الملك العادل أبى بكر صاحب الترجمة . ولُقب أَضْيس المذكور بالملك المسـعود ، والعـامّة يسمّونه «أقسيس» وغلب عليه مقالة العامّة، والصواب ما قلناه لأنّ والده الملك الكامل ما كان يعيش له ولد، فلّما وُلِد له هذا أَضْسيس قال له بعض الأتراك : فى بلادنا إذا كان الإنسان[(٤)]

---

(١) فى الأصل : « ابن البىّ » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . (٣) كذا ورد بالأصـل . وذكر صاحب عقـد الجمان فى حوادث سنتى ٦١١ هـ و ٦١٥ هـ عدّة روايات لهـذا الاسم : أتسز، أتسيز ، أقسيس ، أطمز ، أطسيز، أطسيس ، أقسيس . واقتصر صاحب مرآة الزمان على روايه : أقسيس . واسمه الملك المسـعود صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك الكامل .

(٤) فى الأصل : «إذا ما عاش للشخص ولد» . وما أثبتناه عن عقد الجمان فى حوادث سنة ٦١٥ هـ .

لا يعيش له ولد يسمّونه أُضْسيس . ومعناه باللغة التركية : ماله آسم ؛ فسمّاه والده الملكُ الكاملُ بذلك ؛ فلمّا كَبِرَ ثَقُلَ على العامّة لفظُ أَضْسيس ، فسمّوه « أقسيس » . انتهى .

وكان أَقْسيس المذكور شابًا جبّارا فاتكا قتَـل باليمن نحو ثمـانمائة شريف . ودخل إلى مكّة إلى حاشـية الطواف را كبًا . وقيـل إنه : كان يَسْكَر وينام بدارٍ على المَسْعى ، فتخرُج أعوانُه تمنع الناس من الصِّياح والضَّجيج في المَسْعَى ، ويقولون : الأمير سكران نائم ! لا ترفعوا أصواتكم بالذكر والتَّلْبِيَة ! وقتَل أَقْسيس هذا خَلْقًا كثيرا من الأكابر والعظماء . ولو لم يحجّ عمُّـه الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق ما قدر أَقْسيس هذا على أخذ اليمن . كلّ ذلك في حياة جدّه الملك العادل صاحب الترجمة .

وفيها أخذ الملك المعظم عيسى آبن الملك العادل هذا قلعة صَرْخَد من الأمير [آبن](1) قراجا ، وعوّضه مالًا وإقطاعا .

وفيها حجّ بالناس من العراق آبن أبي فِراس بن ورّام نائبا عن محمد بن ياقوت .

وفيها حجّ الملك المعظّم عيسى المقدّم ذكره من دمشق ، وحجّ معه عِدّة أمراء من أعيان دمشق ، وحجّ على مذهب أبي حنيفة وآستمرّ على المذهب ، وكلّمه والده الملك العـادل صاحب الترجمة في العَوْد إلى مذهب الشافعيّ فلم يقبـل ، وجاوبه بكلام السُّكَاتُ عنه أَلْيَق .

وفيهـا تُوفّي عبـد العزيز بن محمود بن المُبارك [بن محمود بن الأخضر](2) الشيخ أبو محمد البزّاز ، سمِـع الحديث وأكثر وصنّف وكتب ، وكان فاضلًا دينًا صالحا . مات في شوّال .

(١) تكلة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

(٢) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى الحافظ شرف الدين أبوالحسن علىّ بن المفضّل بن [علىّ] المَقْدِسىّ[1] الإسكندرانىّ المالكىّ، وله سبع وستون سنة . وفقيه بغداد أبو بكر محمد بن معَالِى بن غَنِيمة بن الحلاوى الحنبلىّ، وكان من أبناء السبعين[2] . والحافظ عبد العزيز بن محمود [بن المبارك[3] بن محمود] بن الأخضر، وله سبع وثمانون سنة فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وأربعَ عشرةَ إصبعا. مبلغ الزيادة ستّ عشرةَ ذراعا وثمانى عشرةَ إصبعا .

*
* *

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة اثنتى عشرة وستمائة .

فيها خرج وجهُ السَّبُع من بغداد بالعساكر إلى هَمَذان للقاء مَنْكَلِى مملوك السلطان أُزْبَك[4] خان ، وكان قد عَصَى على مولاه وعلى الخليفة وقطع الطريق ، فكتب الخليفة إلى ابن زَيْن الدين[5]، وإلى الملك الظاهر غازى صاحب حلب، وإلى الملك العادل هذا يطلب العساكر، فجاءته العساكر من كلّ مكان؛ وتوجّه ابن زَيْن الدين مقدّم العساكر، وجاء أُزْبَك وجلال الدين مقدّم الإسماعيليّة . وجمع أيضا مَنْكَلِى جموعا كثيرة والتقَوْا قريبا من هَمَذَان، واقتتلوا قتالا شديدًا ، فكانت الدائرة على مَنْكَلِى، وقُتِل من أصحابه ستة آلاف، ونهبوا أثقاله ، فحال بينهم اللّيل فصَعِد

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٢) فى تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه : «كانت ولادته سنة أربع وعشرين وخمسمائة» فسنه أكبر من ذلك . (٣) التكملة عما تقدّم ذكره فى حوادث السنة . (٤) هو أزبك خان بن البهلوان محمد بن إلدكز صاحب أذربيجان . (٥) هو مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين على كجك صاحب إربل .

مَنْكَلِى على جبل، وآبنُ زين الدين والعساكر أسفل، وأوقد مَنْكَلِى نارًا عظيمة وهرب في اللّيل، فأصبح الناس وليس لمَنْكَلِى أثر، ثم قُتِل مَنْكَلِى بعد ذلك. وأزْبك خان هذا هو غير أُزبك خان التَّتَرِىّ المتأخّر.

وفيها أخذ خُوَارَزْم شاه محمد [بن تُكُش][1] مدينة غَزْنَة من يَلْدز تاج الدين مملوك شهاب الدين [أحمد][2] الغورِىّ بغير قتال. ٥

وفيها أخذ آبنُ لاوُن الإفرنجىّ أنطاكِيَة في يوم الأحد رابع عشرين شوّال.

وفيها حجّ بالناس آبن أبى فِراس من العراق نيابةً عن محمد بن ياقوت.

وفيها تُوفِّى علىّ آبن الخليفة الناصر لدين الله العباسىّ وكنيته أبو الحسن. وكان لَقَّبــه أبوه الخليفة بالملك المعظّم، وكان جليلا نبيلًا. مات في ذى القعدة وأُخرج تابوته وبين يديه أرباب الدولة. ومن الآتّفاق الغريب أنّه يوم الجمعة دَخَل بغداد ١٠ رأسُ مَنْكَلِى على رُمْح، وزُيِّنت بغداد وأظهر الخليفة السرور والفرح، ووافق تلك الساعة وفاةُ آبن الخليفة علىّ هذا، ووقع صُرَاخٌ عظيم في دار الخلافة، فآنقلب ذلك الفرح بحزن. وخرجت المخدّرات من خدورهنّ ونشرْنَ شعورهنّ.

قال أبو المظفّر: «ولَطَمْنَ وقام النوائح في كلّ ناحية، وعظُم حُزْنُ الخليفــة بحيث إنه آمتنع من الطعام والشراب، وغلّقت الأسواق، وعُطّلت الحمّامات، وبطَل ١٥ البيع والشّراء، وجرى مالم يجر قبــله. وكان الخليفة قد رشّحه للخــلافة، ففعل الله في مُلكه ماأراد. وخلّف ولدين: أبا عبد الله الحسين ولقّبه جَدُّه «المؤيد» ويحيى ولقّبه بـ«الموفّق».

---

(١) زيادة عن آبن الأثير وعقد الجمان وتاريخ ابن الوردى. (٢) الزيادة عن عقد الجمان

وفيها تُوفّى المبـارك بن المبـارك أبو بكر الواسِطىّ النحوىّ[1] . وُلِد سـنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وكان حنبليًّا، ثم صار حنفيًّا، ثم صار شافعيًّا لأسباب وقعت له، وكان قـرأ الأدب على آبن الخَشّاب[2] وغيره ، وكان أديبًا فاضـلا شاعرا . ومن شعره — رحمه الله — قوله :

لا خير فى الخمر فمن شأنها * إفقادُها العقلَ وجلبُ الجنونْ
أو أن تُرِى الأقبـحَ مُسْتَحْسَنًا * وتُظهِرَ السرَّ الخـفىَّ المَصُونْ

قلت : ويُعجبنى قولُ القائل، وهو قريب ممّـا نحن فيه :

على قدر عقل المرء فى حال صَحْوِهِ * تُؤَثِّر فيه الخمـــرُ فى حال سُكْرِهِ
فتأخذ من عقـــل كبير أقلَّه * وتأتى على العقـل اليسير بأسره

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة ، قال : وفيها تُوُفِّى الفقيه سليمان بن محمد بن علىّ المَوْصلىّ فى صفر، وله أربع وثمانون سنة . وأبو العبّاس أحمد بن يحيى ابن بَرَكَة الدَّبيقِىّ[3] البَزّاز فى شهر ربيع الأول ، وله أربع وثمانون سـنة أيضا . والحافظ عبد القادر [بن عبد الله أبو محمد][4] الرُّهَاوِى[5] بحرّان ، وله ست وسبعون سنة فى جُمَادى الأولى . وأبو الفرج [يحيى][6] بن ياقوت الفَرّاش[7] فى جمادى الآخرة. والقُدْوَة

(١) فى تاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان : « ولد سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة » .
(٢) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٦٧ هـ . (٣) فى الأصل : « الديلمى » . والتصويب عن تاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ والمختصر المحتاج اليـه . والدبيقى : نسبة إلى دبيقية ، قرية ببغداد . (٤) الزيادة عن تذكرة الحفاظ والمختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام ومعجم البلدان لياقوت . (٥) الرهاوى : نسبة الى الرها ، بلد بالجزيرة .
(٦) التكلة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبى .
(٧) كذا فى الأصـل . وفى تاريخ الاســلام للذهبى « الفراس » . وفى المختصر المحتاج اليـه « العراش » .

الزاهد أبو الحسن علىّ بن الصبّاغ[1] بن حُمَيْد[2] الصَّعيدىّ ببلدة قنا[3] . وأبو الفتوح محمد بن علىّ الجُلَاجِلىّ التاجر بالقُدْس عن إحدى[4] وسبعين سنة . ومحمد بن أبى المَعَالى [عبد الله][5] بن موهوب الصوفىّ ابن البنّاء فى ذى القعدة . وأبو محمد عبد العزيز بن مَعَالى [بن غَنِيمة[5] بن الحسن المعروف ب]ابن مَنِينا الأَشْنَانِىّ، وله سبع وثمانون سنة . مات فى ذى الحجّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثمانى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة .

فيها جهّز الخليفة الناصر لدين الله ولَدَى ولده المقدّم ذكرهما إلى تُسْتَر، وضمّهما إلى بدر الدين محمد سِبْط[6] العقاب، وخرج أرباب الدولة بين يديهما، وضرب لهما خيمة الأطلس بأطناب خُضْر إبْرِيسَم، وعلى رءوسهما الشمسيّة والبنود والأعلام،

(١) فى تاريخ الإسلام وشذرات الذهب : « على بن حميد أبو الحسن بن الصباغ » . وفى حسن المحاضرة للسيوطى (ص ٢٩٥ ج ١) : «على بن أحمد بن إسماعيل بن يوسف الشيخ أبو الحسن الصباغ القوصى » . (٢) قنا : مدينة مصرية قديمة شهيرة بالصعيد الأعلى واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل، وهى قاعدة مديرية قنا التى أصبحت إحدى مديريات الوجه القبلى من سنة ١٨٥١ إلى اليوم .

(٣) فى الأصل : « أبو الفتح » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . والجلاجلى : نسبة الى جلاجل، جبل من جبال الدهناء . (٤) فى الأصل : « أحمد » . والتصويب عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . (٥) الزيادة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام والمختصر المحتاج إليه . (٦) وكانت وفاته سنة ٦١٦ هـ . كما فى عقد الجمان ومرآة الزمان .

وخلفهما الكوسات، وسار معهما نجاح الشَّرَابِىّ (١) والمَكِين القُمِّىّ (٢) بالعساكر فى سابع المحرّم، فأقاما بتُسْتَر شهرين فلم تَطِب لهما، فعادًا إلى بغداد عند جَدّهما الخليفة فى شهر ربيع الآخر.

وفيها تُوُفّى الملك الظاهر غازى — على ما يأتى ذكره — فى هذه السنة. وتوجّه الشيخ أبو العبّاس عبد السلام بن [أبى] (٣) عَصْرون رسولًا من الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى المذكور إلى الخليفة الناصر لدين الله يطالب تقريره بسلطنة حلَب على ما كان أبوه عليها.

وفيها قصد الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق الآجتماع بأخيه الملك الأشرف موسى، فآجتمعا بنواحى الرّقة، وفاوض المعظّمُ الأشرفَ فى أمر حلب.

وفيها حجّ بالناس من العراق آبن أبى فِراس، ومن الشام الشيخ عَلَم الدين الجَعْبَرِىّ.

وفيها تُوُفّى زَيْد بن الحسن بن زيد بن الحسن [بن زيد بن الحسن] (٤) بن سعيد بن عِصْمة بن حِمْيَر (٥) العلامة تاج الدين أبو اليمن الكِندى البغدادىّ المقرئ النحوىّ اللغوىّ. مولده فى شعبان سنة عشرين وخمسمائة، وحفظ القرآن وهو آبن سبع سنين، وكمّل القراءات العشر وله عشر سنين.

(١) هو عز الدين نجاح بن عبد الله الشرابى (عن ابن الأثير). (٢) هو مكين الدين محمد ابن محمد بن عبد الكريم ابن برز القمى: نسبة إلى قم — بلد بين ساوة وأصبهان — أبو الحسن مؤيد الدين كاتب ديوان الإنشاء ورشح للوزارة للامام الناصر. (عن ابن الأثير والمختصر المحتاج اليه).

(٣) الزيادة عن شذرات الذهب وآبن خلكان. وهو عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد ابن أبى عصرون. وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ. (٤) التكملة عن تاريخ الإسلام للذهبي وغاية النهاية وبغية الوعاة للسيوطى. (٥) فى الأصل: «حبل». وما أثبتناه عن عقد الجمان وبغية الوعاة وغاية النهاية وتاريخ الاسلام للذهبى.

قال الذهبيّ : «وكان أعلى أهل الأرض إسنادًا فى القراءات، فإنى لا أعلم أحدًا من الأئمة عاش بعد ما قرأ القراءات [ثلاثا و](١) ثمانين سنة غيرَه. هذا مع أنّه قرأ على أسنّ شيوخ العصر بالعراق ، ولم يبقَ أحد ممّن قرأ عليه مثل بقائه ولا قريبًا منه ، بل آخِرُ من قرأ عليه الكمال [بن](٢) فارس، وعاش بعده نيفا وستين سنة . ثم إنّه سمع الحديث على الكبار، وبقِيَ مسنِد الزمان فى القراءات والحديث». انتهى كلام الذهبيّ ٥
باختصار. وكان فاضلا أديبا ومات فى شوّال . ومن شعره — رحمه الله تعالى — :

دعِ المنجّمَ يكبُو فى ضلالتِه * إن ادّعى علمَ ما يجرى به الفلَكُ
تفرّد اللهُ بالعلم القـديم فلا الـ * إنسانُ يشرَكُه فيه ولا المَلَكُ

وفيها تُوفّى سـعيد بن حمزة بن أحمد أبو الغنائم بن شاروخ(٣) الكاتب العراقىّ . كان فاضلا بارعًا فى الأدب، وله رسائل ومكاتبات وشعر . ومن شعره القصيدةُ ١٠
التى أوّلهـا :

ياشائمَ البرقِ من نجْدِىّ(٤) كاظمةٍ * يبـدو مرارًا وتخفيــه الدياجيرُ

وفيها تُوُفّى السلطان الملك الظاهر أبو منصور غازى صاحب حلب ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب . وُلِد بالقاهرة فى سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة فى سلطنة والده . ونشأ تحت كنف والده، وولّاه أبوه ١٥
سلطنة حلب فى حياته . وكان مَلِكًا مَهِيبًا وله سياسة وفِطْنة، ودولة معمورة بالعلماء والأمراء والفضلاء. وكان محسنًا للرعيّة والوافدين عليه. وحضر معظم غَزَوات والده

(١) التكملة عن تاريخ الإسلام وغاية النهاية و بغية الوعاة. (٢) تكملة عن تاريخ الاسلام وغاية النهاية. وهو الكمال إبراهيم ابن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس توفى سنة ٦٧٦ هـ ، كما فى غاية النهاية.
(٣) كذا فى الأصل . وفى عقد الجمان : «ساروح» بالسين والحاء المهملتين . وفى المختصر المحتاج ٢٠
اليه والذيل على الروضتين : «ابن سارخ» بالخاء المعجمة .
(٤) فى تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه : «من شرق» .

السلطان صلاح الدين، وكان فى دولة الظاهر هذا من الأمراء: مَيمون القَصْرِىّ، والمُبارَز(١) ابن يوسف بن خَطْلُخ، وسُنْقُر الحَلَبِىّ، وسرا سُنْقُر، وأَيْبَك فُطَيْس وغيرهم من الصلاحيّة. ومن أرباب العمائم القاضى بهاء الدين بن شَدّاد، والشريف الافتخارىّ الهاشمىّ، والشريف النّسّابة، وبنو العجمىّ والقَيْسَرانىّ، وبنو الخَشّاب [وغيرهم](٢).

٥ وكان ملجأً للغرباء وكَهْفًا للفقراء، يزور الصالحين ويتفقّدهم، ودام على ذلك إلى أن تُوُفّى ليلة الثلاثاء العشرين من جُمادى الآخرة بعلّة الذَّرَب. ودُفِن بقلعة حلب، ثم نُقِل بعد ذلك إلى مدرسته التى أنشأها. وقام بعده ولده الملك العزيز محمد بوصيّته، وولّاه الخليفة حسب ما تقدّم ذكره.

وفيها تُوُفّى الشيخ عزّ الدين محمد بن الحافظ عبد الغنى المَقْدِسىّ، وُلِد سنة ستّ

١٠ وستين وخمسمائة، وسمع الحديث ورحل البلاد، وكان حافظا ديّنا ورِعا زاهدا. ودُفِن بقاسيون(٣).

وفيها تُوُفّى يحيى بن محمد بن محمد بن محمد [بن محمد](٤) أبو جعفر الشريف الحُسَيْنىّ. ولى نقابة الطالبيّين بالبصرة بعد أبيه، وقرأ الأدب، وسمع الحديث، ومن شعره — رحمه الله تعالى —:

١٥ هذا العقيقُ وهذا الجِزْعُ والبانُ * فاحبِسْ فلى فيه أوطارٌ وأوطانُ
آليتُ والحُرُّ لا يَلْوِى أَلِيّتَهُ * ألّا تَلَذَّ بطِيب النوم أجفانُ
حتّى تَعُودَ ليالينا التى سَلَفَتْ * بالأجرَعَيْن وجيرانى كما كانوا

(١) فى الأصل: «المبارك». وقد تقدم غير مرة. (٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (٣) فى الأصل: «ومات بقاسيون». وما أثبتناه عن شذرات الذهب
٢٠ وعقد الجمان. وتعتبر قاسيون مقبرة دمشق.
(٤) الزيادة عن تاريخ الإسلام والذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى العلّامة تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِنْدىّ فى شوّال، وله ثلاث وتسعون سنة وشهران . والملك الظاهر أبو منصور غازى آبن السلطان صلاح الدين بحلب فى جمادى الآخرة . والمحدّث عزّ الدين محمد آبن الحافظ عبد الغنى المقْدِسىّ فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

***

السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع عشرة وستمائة .

فيها قدم الملك خُوارَزْم شاه وآسمه محمد [بن تُكُش][1] إلى هَمَذان بقصد بغداد[2] فى أربعمائة ألف مقاتل، وقيل فى ستمائة ألف، فآستعدّ له الخليفة الناصر لدين الله، وفرّق المال والسلاح، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدّين السُّهْرَوَرْدِىّ[3] فى رسالة فأهانه وآستدعاه وأوقفه إلى جانب تخته، ولم يأذن له بالقعود .

قال أبو المظفّر : — «حكَى الشهاب قال — آستدعانى فأتيتُ إلى خَيْمة عظيمة لها دِهْليز لم أر فى الدنيا مثله، والدِّهليز والشقة أطلس والأطناب حرير، وفى الدِّهليز ملوكُ العجم على اختلاف طبقاتهم : صاحب هَمَذان وأصبهان والرّى وغيرهم، فدخلنا إلى خَيْمة أُخرى إِبْرِيْسَم، وفى دهليزها ملوكُ خُراسان: مَرْو ونَيْسابور وبَلْخ وغيرهم؛ ثم دخلنا خَيْمة أخرى، وملوك ماوراء النهر فى دِهليزها، كذلك ثلاث خيام .

(١) الزيادة عن عقد الجمان . (٢) فى الأصل : « فى قصد بغداد » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان . (٣) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه شهاب الدين . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٢ هـ .

ثم دخلنا عليــه وهو فى خركاة عظيمة من ذهب؛ وعليها سِجافٌ مرصّعٌ بالجواهر . وهو صبىّ له شَعَرات قاعد على تخت ساذَج وعليه قَبَاءٌ بخارىّ يساوى خمسة دراهم، وعلى رأســه قطعة من جلد تساوى درهما، فسلّمت عليه فلم يردّ ، ولا أمرنى بالجلوس؛ فشرعتُ نخطبتُ خطبةً بليغةً، ذكرتُ فيها فضل بنى العبّاس ووصفتُ الخليفةَ بالزُّهد والوَرَع والتُّقَى والدين؛ والتَّرْجُمان يُعيــد عليه قولى . [فلمّا فرغت] (١) قال للترجمان : قل له هذا الذى وصفته ما هو فى بغداد ؟ . : قلت : نعم . قال [أنا] (١) أجىء وأُقيم خليفة يكون بهذه الأوصاف . ثم ردّنا بغير جواب . فنزل الثلْج عليهم فهلكت دوابُّهم وركب خُوَارَزْم شاه يومًا فعثر به فرسه فتطيّر، ووقع الفساد فى عسكره وقلّت المِيرة . وكان معــه سبعون ألفًــا من الخُطَا فردّه الله ونُكِب تلك النكبة العظيمة» . وسنذكرها — إن شاء الله تعالى — فى محلّها .

وفيها تُوُفِّى إبراهيم [بن عبد الواحد] (٢) بن علىّ بن سرور الشيخ العِماد المَقْدِسىّ الزاهد القُدْوة الحنبلىّ أخو الحافظ عبد الغنى، وُلِد بجَمَّاعيل فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، فهو أصــغر من الحافظ عبد الغنى (٣) بسنتين وسمِــع الكثير، وكان إماما حافظا عالمــا محدِّثا زاهدا عابدا فقيها . مات بجأة فى ليلة الأربعاء سادس عشر ذى القعدة .

وفيها تُوُفِّى عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل بن علىّ بن عبد الواحد أبو القاسم القاضى جمال الدين الحَرَسْتَانِىّ (٤) الأنصارىّ شيخ القضاة . وُلِد بدمشــق فى ســنة عشرين وخمسمائة، ورحل وسمِــع الحديث وتفقّه ، وكان إماما عفيفًا خطيبا ديِّنــا صالحا . له حكاياتٌ مع الملك المعظّم عيسى فى أحكامه — رحمه الله تعالى — .

---

(١) الزيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين . (٢) التكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب ، وما سيأتى ذكره للمؤلف فيمن ذكر وفاتهم نقلا عن الذهبى .
(٣) هو الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور أبو محمد المقدسى، ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٠٠ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٤ من هذا الجزء .

وفيها تُوُفِّى محمد بن أبى القاسم بن محمد أبو عبد الله الهَكّارِىّ الأمير بدر الدين، أُستُشْهِد على الطور[1]، وأبلى بلاءً حسناً ذلك اليوم وكان من المجاهدين، له المواقف المشهودة فى قتال الفرنج، وكان من أكابر أمراء الملك المعظّم، كان يستشيره و يَصْدُر عن رأيه و يثِق به لصلاحه ودينه وكان سَمْحًا جوادًا .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى المحدّث أبو الخطّاب أحمد بن محمد البَلَنْسِىّ بمَرّاكُش . وأبو الحسن علىّ بن محمد بن علىّ المَوْصِلىّ أخو سليمان[2]. وأبو الحسين محمد بن أحمد بن جُبَيْر الكِنَانِىّ البَلَنْسِىّ الأديب الإسكندرانىّ بها ، وله أربع وسبعون سنة . وقاضى القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الحَرَسْتَانِىّ فى ذى الحِجّة، وله أربع وتسعون سنة وأشهر . والإمام عِماد الدين إبراهيم ابن عبد الواحد المَقْدِسىّ بحَماة فى ذى القعدة، وله سبعون سنة . والمحدّث أبو محمد عبد الله[3] بن عبد الجَبّار العثمانىّ الإسكندرانىّ الكَارِمىّ بمكّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا .

*
* *

السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى التى مات فيها العادل فى جمادى الآخرة حسب ما تقدّم ذكره، وهى سنة خمس عشرة وستمائة .

---

(١) الطور : جبل بعينه مطل على طبرية الأردن، بينهما أربعة فراسخ، ثم بنى هناك الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب قلعة حصينة وأنفق عليها الأموال الجمة . وأحكمها غاية الاحكام . فلما كان فى سنة ٦١٥ هـ وخرج الفرنج من وراء البحر طالبين البيت المقدّس أمر بخرابها (عن معجم البلدان لياقوت ، وكما سيأتى ذكره للمؤلف فى الصفحة التالية) . (٢) هو سليمان بن محمد بن على ابن أبى سعد أبو الفضل الموصلى ثم البغدادى الصوفى و يعرف بابن اللباد (عن تاريخ الاسلام للذهبي) . وذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦١٢ هـ . (٣) فى حسن المحاضرة للسيوطى : «عبد الرحمن بن عبد الجبار» .

وفيها نزلت الفرنج على دِمْياط فى شهر ربيع الأوّل، وكان العادل بمَرْج الصُّفَّر، فبَعَث بالعساكر التى كانت معــه إلى مصر إلى ولده الكامل، وأقام المعظّم بالساحل بعسكر الشام فى مقابلة الفرنج ليشغلهم عن دِمْياط .

وفيهـا ٱستدعى الملكُ العادلُ صاحبُ الترجمة ٱبنَه الملكَ المعظَّم المقـدّم ذكره وقال له : قد بَنَيْتَ هذا الطُّور[(١)]، وهو يكون سببا لخراب الشام، وقد سَلّم الله مَن كان فيه من أبطال المسلمين، وسلاح الدنيا والذخائر؛ وأرى من المصلحة خرابه ليتوفّر مَن فيه من المسلمين والعدد على حفظ دِمْياط، وأنا أُعَوِّضُك عنه؛ فتوقّف المعظّم وبَقِىَ أيّاما لا يدخل إلى أبيه العـادل، فبعث إليــه العادل ثانيا وأرضاه بالمـال، ووعده فى مصر ببلاد، فأجاب المعظّم وبعث ونَقَل ما كان فيه .

وفيهـا فى يوم الجمعــة ثانى عشر شهر ربيع الآخر كَسَر الملك الأشرف موسى صاحب خِلاط وديار بكر وحلب ٱبنُ الملك العادل هذا ملكَ الروم كَيْكَاوُس .

وفيها أيضا بعث الأشرف المذكور بالأمير سيف الدين بن كهدان والمبـارز ٱبن خَطْلُخ بجماعة من العساكر نجدةً إلى أخيــه الملك الكامل بِدمْياط ، كلّ ذلك والقتال عمّال بين الملك الكامل والفرنج على ثغر دِمْياط .

وفيها فى آخر جُمادى الأولى أخذ الفرنج بُرْج السِّلْسِلة[(٢)] من الكامل، فأرسل الكامل شيخَ الشيوخ صدر الدين إلى أبيه العادل وأخبره ، فدقّ العادل بيده على صدره ، ومرِض من قَهْره مرضَ الموت .

---

(١) فى عقد الجمان : « حصن الطور » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢١ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٧٠ من هذا الجزء .

وفيها فى جُمادى الآخرة ٱلتقى الملك المعظّم الفرنج بساحل الشام وقاتلهم فنصره الله عليهم، وقتل منهم مَقْتلة، وأَسَر من الدَّاوِيّة[1] مائةَ فارس، وأدخلهم القدس منكَّسِى الأعلام .

وفيها وصل رسول خُوَارَزْم شاه إلى الملك العادل هذا وهو بمَرْج الصُّفَّر، فبعث بالجواب الخطيبَ الدَّوْلَعِىَّ[2] ونجم الدين خليل [بن علىّ الحنفى][3] قاضى العسكر، فوصلا هَمَذَان فوجدا الخُوارَزْمىّ قد ٱندفع بين يدى الخُطَا [والتتار][3]، وقد خامر عليه عسكره ، فسارا إلى حدّ بُخارى؛ فاجتمعا بولده الملك جلال الدين فأخبرهما بوفاة العادل صاحب الترجمة مرسلهما، فرجعا إلى دمشق .

وفيها حجّ بالناس من بغداد أقباشُ[4] الناصرى .

وفيها تُوفّى عبد الله بن الحسين أبو القاسم عِماد الدين الدَّامَغَانِىّ الحنفىّ قاضى القضاة ببغداد؛ ومولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . وكان له صَمْتٌ ووقار ودينٌ وعصمة وعِفّة وسِيرة حسنة مع العلم والفضل ، وكانت وفاته فى ذى القعدة ودُفن بالشُّونِيزِيّة .

وفيها تُوُفّى كَيْكَاوُس[5] الأميرُ عِزّ الدين صاحب الروم، كان جبّارا ظالمًا سفّاكًا للدماء ، ولمّا عاد إلى بلده من كَسْرة الأشرف موسى ٱتّهم أقوامًا من أمراء دولته

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٣ من هذا الجزء. (٢) هو الخطيب جمال الدين محمد ابن أبى الفضل بن زيد بن يس أبو عبد الله التغلبى الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق بعد عمه . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٥ هـ . (٣) زيادة عن الذيل على الرضتين . (٤) كذا فى الأصل وعقد الجمان . وفى الذيل على الرضتين : « أقباس » بالسين المهملة . وهو أقباش بن عبد الله مملوك الخليفة الناصر . (٥) هو كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب قونية وأقصرا وملطية وما بينها من بلاد الروم، كما فى ابن الأثير وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان . وقد ضبط بالقلم فى كتاب التبر المسبوك فى تواريخ أكابر الملوك تأليف السلطان عماد الدين صاحب حماة (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٦ تاريخ م) : بفتح الكاف وسكون الياء وكاف بعدها ألف وضم الواو، وهو فيه بالشين المعجمة .

أنهم قصّروا فى قتال الحلبيّين، وسلّق منهم جماعة فى القُدور، وجعل آخرين فى بيت وأحرقه، فأخذه الله بغتةً . ومات سكران بخاةً، وقيل : بل آبتُلى فى بدنه، وتقطّعت أوصاله . وكان أخوه علاءُ الدين كَيْقُبَاد محبوسًا فى قلعة ، وقد أمر كَيْكَاوُس بقتله ، فبادروا وأخرجوه، وأقاموه فى المُلك . وكانت وفاة كَيْكَاوُس فى شوّال ، وهو الذى أطمع الفرنج فى دِمْياط .

وفيها تُوفّى خُوَارَزْم شاه وآسمه محمد بن تُكُش بن إيل أرْسلان بن أتْسِز ابن محمد بن أنُوشتِكين السلطان علاء الدين المعروف بخُوَارَزْم شاه .

قال آبنُ واصل[1] : نسبُه ينتهى إلى إيلتِكين أحد مماليك السلطان ألْب أرْسلان آبن طُغرُلْبَك السَّلْجُوقىّ، وكانت سلطنة خوارَزم شاه المذكور فى سنة ست وتسعين وخمسمائة عند موت والده السلطان علاء الدين تُكُش .

وقال عِز الدين بن الأثير : كان صَبُورًا على التعب و إدمان السَّيْر غير متنعّم ولا مُقْبِل على اللّذات ، إنّما همّته فى المُلك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيّته، وكان فاضلا عالمًا بالفقه والأصول وغيرهما ، وكان مُكْرِما للعلماء مُحِبًّا لهم مُحْسِنًا إليهم يُحبّ مناظرتهم بين يديه و يُعظّم أهل الدين و يتبرّك بهم .

— قلت : وهذا بخلاف ماذكره أبو المظفّر ممّا حكاه عن الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدىّ ، لمّا توجه إلى خُوَارَزْم شاه هذا رسولاً من قِبَل الخليفة الناصر لدين الله فإنّه ذكر عنه أشياء من التكبّر والتعاظم عليه، وعدم الآلتفات له ، وإنّه صار لايفهم كلامَ السُّهْرَوَرْدىّ إلّا بالتَّرْجُمان، ولعلّه كان فعل ذلك لإظهار العظمة، وهو نوع من تجاهل العارف — قال : وكان أعظم ملوك الدنيا وآتّسعت ممالكه شرقا وغربا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وهابته الملوك حتى لم يبقَ إلّا مَن دخل تحت طاعته وصار من عسكره. ومحق أبوه التتار بالسيف وملك منهم البلاد. ووقع له أمور طويلة حتى إنه نزل هَمَذَان، وكان فى عسكره سبعون ألفا من الخُطَا، فكاتب القُمِّىُّ[١] عساكره ووعدهم بالبلاد، فاتّفقوا مع الخُطَا على قتله. وكان خاله من الخُطَا وحلّفوه ألّا يُطلعه على ما دبّروا عليه، فجاء إليه فى الليل وكتب فى يده صورةَ الحال[٢]، فقام وخرج من وقته ومعه ولداه: جلالُ الدين وآخرُ، ولمّا خرج من الخَيْمة دخل الخُطَا والعساكر من بابها ظنًّا منهم أنّه فيها، فلم يجدوه فنهبوا الخزائن، يقال: إنّه كان فى خزائنه عشرة آلاف ألف دينار، وألفُ حِمْل قماش أطلس، وعشرون ألف فرس وبغل، وكان له عشرة آلاف مملوك، فتمزّق الجميع وهرب ولداه إلى الهند، وهرب خُوَارَزْم شاه إلى الجزيرة، وفيها قلعة ليتحصّن بها، فمات دون طلوع القلعة المذكورة فى هذه السنة، وقيل: فى سنة سبع عشرة[٣] وستمائة. والله أعلم.

وفيها تُوُفِّى الملك القاهر عِزّ الدين مسعود [بن أَرْسلان[٤] بن مسعود بن مودود ابن زَنْكِى أبو الفتح] صاحب الموصل، وترك ولدا صغيرا اسمه محمود، فأخرجَ الأميرُ بدرُ الدين لؤلؤ زَنْكِىٌّ[٥] أخا القاهر من الموصل واستولى عليها، ودبّر مملكة محمود المذكور.

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢١٦ من هذا الجزء. (٢) عبارة الذيل على الروضتين: «وكتب فى يده صورة الحال ووقف بإزائه، فنظر الى السطور وفهمها، وهو يقول: خذ لنفسك فالساعة تقتل، فقام وخرج من تحت ذيل الشقة ومعه ولداه ... الخ». (٣) وذلك كما فى كتاب الكامل لابن الأثير وعقد الجمان وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام. (٤) زيادة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب. (٥) هو المنصور عماد الدين زنكى بن أرسلانشاه بن مسعود ابن مودود بن زنكى (عن عقد الجمان).

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفِّى الشهاب فِتْيان بن علىّ الشاغُورِىّ[(١)] الأديب . وصاحبُ الروم السلطان عِزّ الدين كَيْكَاوُس، ووَلِى بعده علاءُ الدين أخوه . وصاحب الموصل عِزّ الدين مسعود بن أَرْسلان شاه الاتَابَكِىّ . وصاحب مصر وغيرها السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيّوب فى جُمَادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة . وأبو الفتوح محمد بن محمد [بن محمد][(٢)] بن عمروك البَكْرِىّ النَّيْسابُورِىّ الصُّوفىّ فى جُمادى الآخرة، وهو فى عشر المائة . والشمس أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد السلمىّ العطّار فى شعبان . والحافظ أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن أحمد بن كرم البَنْدَنِيجِىّ[(٣)] فى رمضان عن أربع وسبعين سنة ، سمع ابنَ الزّاغُونِىّ[(٤)] . وأمّ المؤيَّد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشَّعْرِيّة ، ولها إحدى وتسعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وستّ أصابع .

---

(١) الشاغورى : نسبة إلى الشاغور، وهى عمارة بظاهر دمشق من جملة ضواحيها (عن ابن خلكان).

(٢) التكملة عن تاريخ الإسلام والمختصر المحتاج إليه .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبيد الله بن نصر بن الزاغونى . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٥٢ هـ .

ذكر سلطنة الملك الكامل على مصر

أعنى بذلك آستقلالاً بعد وفاة أبيه العادل، لأنّ الكامل هذا كان متولّى سلطنة مصر فى حياة والده العادل، لمّا قسم العادل الممالك فى أولاده من سنين عديدة، أَعْطَى المعظّم عيسى دِمَشق، وأعطى الأشرفَ موسى الشرق، وأعطى الملك الكامل محمدًا هذا مصر، وصار هو يتنقّل فى ممالك أولاده، والعُمْدة فى كلّ الممالك عليه إلى أن مات الملكُ العادل تفرّد الملك الكامل محمد بالخطبة فى ديار مصر وأعمالها، وآستقلّ بأمورها وتدبير أحوالها، وذلك من يوم وفاة والده الملك العادل المذكور، وهو من يوم الجمعة سابع جُمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة.

قلت: وقد تقدّم نسب الملك الكامل هذا فى ترجمة عمه السلطان صلاح الدين، وآستوْعبْنا ذلك من عِدّة أقوال وحررناه، فلْيُنْظَر هناك.

قال أبو المظفّر: «وُلِد الكاملُ سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وكان أكبرَ أولاد العادل بعد مودود[1]، وكان العادل قد عَهِد إليه لمّا رأى من ثباته وعقله وسداده. وكان شجاعًا ذكيًّا فَطِنا يُحِبّ العلماء والأماثل ويُلْقِى عليهم المشكلات، ويتكلّم على صحيح مسلم بكلام مليح، ويثبُتُ بين يدى العدو. وأمّا عدله فإليه المنتهى» انتهى كلام أبى المظفّر بآختصار.

وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبيّ فى تاريخ الإسلام: «الملك الكامل محمد السلطان ناصر الدين أبو المعالى وأبو المظفّر آبن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيّوب بن شادِى صاحب مصر. وِلد بمصر سنة ست وسبعين وخمسمائة.

(١) راجع ص ١٧٢ من هذا الجزء فى الكلام على أولاد الملك العادل.

- قلت : وهذا بخلاف ما نقله أبو المظفّر فى سنة مولده ، وعندى أن أبا المظفر أثبت لصحبته بأخيه المعظم عيسى ، وكونه أيضا عصرى الملك الكامل هذا — . والله أعلم .

قال (أعنى الذهبىّ) : وأجاز له العلّامة عبد الله بن بَرِّى [1] ، وأبو عبد الله آبن صَـدَقه الحَرّانىّ [2] ، وعبد الرحمن بن الخِرَقِىّ ، قرأت بخط آبن مَسْـدِىّ [3] فى معجمه . كان الكامل مُحِبًّا للحديث وأهله ، حريصًا على حفظه ونقله ، وللعلم عنده شرف ؛ خرّج له أبو القاسم بن الصَّفْرَاوِىّ [4] أربعين حديثا ، وسمعها جماعة . وحَكَى لى عنه مكرم الكاتب أن أباه العادل آستجاز له السِّلَفِىّ قبل موت السِّلَفِىّ بأيام ، قال آبن المَسْدِىّ : ثم وقفتُ أنا على ذلك وأجاز لى [و] لأبى . قال الذهبىّ : وتملّك الديار المصريّة أربعين سنة ، شطرها فى أيام والده . وقيل : بل وُلِد فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين . قلت : وهذا قول ثالث فى مولده .

---

(١) هو عبد الله بن برى بن عبد الجبار أبو محمد المقدسى المصرى النحوى اللغوى ، شاع ذكره واشتهر ولم يكن فى الديار المصرية مثله ، أجاز لأهل عصره . وقد ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٢ ه .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن الحسن بن صدقة الحرانى التاجر السفار راوى صحيح مسلم عن الفراوى . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٤ ه .

(٣) هو أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدى الأسدى المهلبى الأندلسى الغرناطى . سافر إلى البلاد وقابل الشيوخ ، وله تصانيف كثيرة منها معجم شيوخه فى ثلاثة مجلدات كبار ، وتوسع فى العلوم وأفتى . وله اليد البيضاء فى النظم والنثر ومعرفة الفقه وغير ذلك وفيه تشيع وبدعة . توفى سنة ٦٦٣ ه . (عن تذكرة الحفاظ وكشف الظنون) .

(٤) هو جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن حسين ابن حفص المالكى الإسكندرانى الصفراوى ، نسبة الى وادى الصفراء بالحجاز . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٦ ه .

وقال الحافظ عبد العظيم المُنْذِري[١] استادار الحديث بالقاهرة (يعني بذلك المدرسة الكاملية بين القصرين[٢]) . قال : وعمّر القُبّة على ضريح الشافعي[٣]، وأجرى الماء من بركة الحَبَش إلى حوض السَّبِيل والسِّقاية[٤]، وهما على باب القُبّة المذكورة[٥]،

(١) هو الحافظ الكبير زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري الشامي ثم المصري الشافعي صاحب التصانيف . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٥٦هـ .

(٢) المدرسة الكاملية ، قال المقريزي في الجزء الثاني من خططه ص ٣٧٥ : إن هذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية . أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٢٢هـ. وقال المقريزي : إنها ثاني دار عملت للحديث فان أول من بنى دارا للحديث على وجه الأرض هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق . وبنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية . وقد جدد بعض هذه المدرسة الأمير حسن كتخدا مستحفظان الشعراوي في سنة ١١٦٦هـ كما يؤخذ من الكتابة المنقوشة على بابها . ولا تزال هذه المدرسة موجودة الى اليوم بشارع بين القصرين بجوار جامع السلطان برقوق من بحريه وتعرف باسم جامع الكاملية أو جامع الكامل .

(٣) قبة الإمام الشافعي ، قال المقريزي في الجزء الثاني من خططه ص ٤٦٢ عند الكلام على ذكر السبعة قبور التي تزار بالقرافة : إن هذه القبة أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٠٨هـ . وذكر ابن إياس في كتاب بدائع الزهور ص ١٩٨ ج ٢ أن الملك الأشرف قايتباي أمر بتجديد عمارة قبة الإمام الشافعي . ويستدل مما هو منقوش في لوحتين من الرخام مثبتتين الى اليوم بوزرة قاعة القبة أن السلطان قايتباي والسلطان الغوري أصلحا الوزرة الرخام التي تكسو جدران هذه القاعة من الداخل ولا تزال هذه الكسوة باقية الى اليوم . ويستفاد مما ذكره الجبرتي في الجزء الأول من كتاب عجائب الآثار عند ذكر ترجمة أمير اللواء على بك الكبير دفتردار مصر أنه في سنة ١١٨٥هـ جدد الجزء العلوي من القبة حيث استبدل الرصاص القديم الذي يكسو سطح القبة من الخارج برصاص جديد ورمم ما تشعث من خشب القبة الداخلي وجدد أيضا نقوش هذه القبة من الداخل وزخرفها بالذهب والأصباغ الجليلة وكتب بإفريزها تاريخا منظوما . ولا تزال هذه القبة الجليلة المرتفعة قائمة الى اليوم تعلو قبر الامام أبي عبد الله محمد ابن إدريس الشافعي رضي الله عنه المجاور لمسجده بشارع الإمام الشافعي بالقرافة . ويوجد فوق القبة من الخارج في مكان الهلال مركب صغيرة من النحاس تسع من الحب قدر نصف إردب وقد ورد في الخطط التوفيقية ص ٢٥ ج ٥ بأن هذه المركب يوضع فيها الحب لإطعام الطيور .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٥) حوض السبيل والسقاية ، ذكر ابن إياس في كتاب بدائع الزهور ص ٨١ ج ١ أن الملك الكامل بنى المجراة من بركة الحبش الى تربة الامام الشافعي تجري بالماء في أيام النيل وبنى الحوض على الطريق السالكة عند تربة الامام رضي الله عنه . فأما السقاية المشهورة اليوم باسم المزملة فلا تزال موجودة بشكل =

ووقف غير ذلك من الوقوف على أنواع من أعمال البر بمصر وغيرها . وله المواقف المشهودة فى الجهاد بدمْياط المدّة الطويلة، وأنفق الأموال الكثيرة ، وكافح العدوّ المخذول برًّا وبحرًا ليــلا ونهارًا . يُعرف ذلك من شاهده . ولم يزل على ذلك حتّى أعزّ الله الإسلام وأهلَه، وخذل الكفر وأهلَه . وكان مُعَظِّمًا للسُّنّة النبويّة وأهلها، راغبًا فى نشرها والتمسّك بها، مؤثرًا الآجتماع مع العلماء والكلام معهم حضرًا وسَفَرًا. انتهى كلام المنذرى بآختصار .

وقال القاضى شمس الدين آبن خلّكان فى تاريخه بعد ما ساق نسبه وذكره نحوًا ممّا ذكرناه حتّى قال : « ولمّـا وصل الفرنج إلى دِمْياط كما تقدّم ذكره، كان الملك الكامل فى مبدأ آسـتقلاله بالسلطنة، وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأمراء : منهم : عِماد الدين أحمد بن المشطوب ، فآتفقوا مع أخيه الملك الفائز سابق الدين إبراهيم آبن الملك العادل، وآنضموا إليه، فظهر للملك الكامل منهم أمور تدلّ على أنّهم عازمون على تفويض المُلك إليه وخَلْع الكامل ، وآشتهر ذلك بين النـاس ؛ وكان الملك الكامل يُداريهم لكونه فى قُبالة العــدوّ ولا يمكنه المقاهرة[1] ، وطوّل رُوحَه معهم ، ولم يزل على ذلك حتّى وصل إليه أخوه الملك المعظّم عيسى صاحب دِمَشق يوم الخميس تاسع عشر ذى القعــدة من سنة خمس عشرةوستمائة ، فأطلعه الكامل فى الباطن على صورة الحال ، وأنّ رأس هــذه الطائفة آبن المشطوب ، فجاءه يوما على غفلة فى خَيْمته وآستدعاه فخرج إليه، فقال [له][2]: أريد أن أتحدّث [معك][2] سرًّا فى خَلْوة، فركب فرسه (يعنى [آبن] المشطوب). وسار معه جريدة، وقد جرّد المعظّم جماعة ممّن يعتمد عليهم ويثق إليهم، وقال لهم : اِتّبِعونا، ولم يزل المعظّم يَشْغَله

= سبيل فى الطرقة الواقعة بين مسجد الامام وبين منزل ورئة الشيخ عبد الفتاح أبى النجا على يسار الداخل الى قبة الامام الشافعى رضى الله عنه . وقد جدد هذا السبيل ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٣٠٥ هـ . وأما حوض السبيل فقــد كان واقعا بجوار السقاية المذكورة ولا أثر له اليوم .

(١) فى ابن خلكان : «ولا يمكنه المناظرة والمنافرة» . (٢) زيادة عن ابن خلكان .

بالحديث ويخرُج معه من شىء إلى شىء حتّى أُبْعِد عن المخيّم ، ثم قال له : يا عماد الدين هـذه البلاد لك ، [و][1] نشتهى أن تَهَبَها لنـا ، ثم أعطاه شيئًا من النفقة ، وقال لأولئك المجرّدين : تَسلّموه حتّى تُخرجوه من الرمل ، فلم يسعه إلا الامتثال لانفراده وعدم القُـدرة على الممـانعة فى تلك الحال ، ثم عاد المعظّم إلى أخيـه الملك الكامل وعرّفه صـورة ما جرى . ثم جهّز أخاه الملك الفائز المذكور إلى الموصل لإحضار النجدة منها [و][1] من بلاد الشرق فمات بسِنْجار[2] . وكان ذلك خديعةً لإخراجه من البلاد . فلمّا خرج هذان الشخصان من العسكر تحلّلت عزائم مَن بقى من الأمراء الموافقين لهما ، ودخلوا فى طاعة الملك الكامل كُرْهًا لا طوعا . وجرى فى قصّة دِمْياط ما هو مشهور فلا حاجة للإطالة فى ذكره .

ولـمّا ملك الفرنج دمْياط وصارت فى أيديهم خرجوا منها قاصدين القاهرة ومصر [و][1] نزلوا فى رأس الجزيرة[3] التى دِمْياط فى برّها ، وكان المسلمون قبالتهم فى القرية المعروفة بالمنصورة[4] ، والبحر حائلٌ بينهم ، وهو بحر أُشْمُوم[5] ، ونصر الله — سبحانه وتعالى — بمنّه

(١) زيادة عن ابن خلكان . (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) الجزيرة ، المقصود بها الأرض التى تشغلها اليوم بلاد مركز فارسكور وبعض بلاد مركز المنصورة ، وكان يطلق عليها اسم الجزيرة لوقوعها بين فرع النيل الذى يعرف اليوم باسم فرع دمياط وبين بحر أشموم الذى يعرف اليوم باسم البحر الصغير ، وهذان الفرعان كانا يتقابلان عند مدينة المنصورة على شكل مثلث رأسه المدينة المذكورة وقاعدته بحيرة المنزلة . ومدينة دمياط تقع فى الجزء الشمالى من هـذه الجزيرة على رأس بلاد مركز فارسكور . (٤) المنصورة ، قال المقريزى فى الجزء الأوّل من خططه ص ٢٣١ : إن هذه المدينة أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة ٦١٦ هـ عند ما ملك الفرنج مدينة دمياط ، وقـد جعلها الكامل منزلة لعسكره وسماها المنصورة (تيمنا بانتصاره على الصليبيين) ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط فصارت المنصورة بعد ذلك مدينة كبيرة ، بها المساجد والحمامات والفنادق والأسواق . وقد كانت مدينة أشموم طناح التى تعرف اليوم باسم أشمون الرمان بمركز دكرنس قاعدة لاقليم الدقهليـة وعاصمته الى آخر حكم دولة المماليك الجراكسة . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة الى مدينة المنصورة التى لا تزال إلى اليوم عاصمة مديرية الدقهلية وهى من أشهر وأكبر المدن المصرية وأجملها لوقوعها على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الشرقى المعروف باسم فرع دمياط وهى مركز تجارى عظيم بالوجه البحرى .

(٥) بحر أشموم ، هذا البحر يعرف اليوم باسم البحر الصغير أحد فروع الرى الشهيرة بمديرية الدقهلية ، =

وجَميلِ لطفِه المسلمين عليهم كما هو مشهور ؛ ورحَل الفرنج عن منزلتهم ليلة الجمعة سابع رجب سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وتمّ الصلح بينهم وبين المسلمين فى حادى عشر الشهر المذكور ، ورحَل الفرنج عن البلاد فى شعبان من السنة المذكورة ، وكانت مدّة إقامتهم فى بلاد الإسـلام[1] ما بين الشام والديار المصريّة أربعين شهرا وأربعـة عشر يوما ؛ وكفى الله — تعالى — المسلمين شرّهم والحمد لله على ذلك .

— قلت ونذكر أمر دِمْياط من كلام أبى المظفّر فى آخر هـذه الترجمة بأوسع من ذلك ، لأنّه معاصر الكامل وصاحب المعظّم ، فهـو أجدر بهذه الواقعة — .

فلمّـا آستراح خاطر الملك الكامل من جهة هذا العدو تفرّغ للأمراء الذين كانوا متحاملين[2] عليـه فنفاهم عن البلاد وبدّد شَمْلَهم وشرّدهم ، ودخل القـاهرة وشَرَع فى عِمارة البلاد وآستخراج الأموال من جهاتها ، وكان سلطاناً عظيمَ القدر جَمِيلَ الذكر مُحِبًّا للعلماء متمسّكا بالسُّنة ، حسن الأعتقاد معاشرا لأرباب الفضائل حازما فى أموره لا يضع الشىء إلّا فى مواضعه من غير إسراف ولا إقتار ، وكان يَبِيت عنـده كلّ ليلة [جمعة][3] جماعةٌ من الفضلاء يشاركهم فى مباحثهم ، ويسألهم عن المواضع المُشْكلة فى كلّ فنّ ، وهو معهم كواحد منهم ، وكان — رحمه الله — يُعجبه هـذان البيتان ويُنشدهما كثيرًا وهما :

= وكان يسمى بحر أشموم نسبة إلى مدينة أشموم طناح الواقعة عليه وتعرف اليوم باسم أشمون الرمان بمركز دكرنس . وكان هـذا البحر يأخذ مياهه قديما من فرع النيل الشرقى فى نقطة تقع فى الجنوب الغربى لمدينة المنصورة تجاه قرية جوجر التى بمركز طلخا بمديرية الغربية . وأما اليوم فيأخذ البحر الصغير مياهه من ترعة المنصورية فى نقطة تقع فى الشمال الشرقى لمدينة المنصورة . وترعة المنصورية المذكورة هى امتداد الرياح التوفيقى الذى يأخذ مياهه مباشرة من النيل أمام القناطر الخيرية .

(١) فى الأصل : «فى بلاد الشام» . والتصويب عن ابن خلكان .

(٢) فى الأصل : «متحملين» . وما أثبتناه عن ابن خلكان .

(٣) زيادة عن ابن خلكان .

ما كنتَ [من] قبل مِلْك قلبى * تَصُـدُّ عن مُدْنَفٍ حَزِين
و إنّما قـد طَمِعتَ لمّا * حللتَ فى موضـع حصين

قال : ولمّا مات أخوه الملك المعظّم عيسى صاحبُ الشام ، وقام آبنه الملك الناصر صلاح الدين دواد مقامه ، خرج الملك الكامل من الديار المصريّة قاصدًا أخذَ دِمَشق منه ؛ وجاءه أخوه الملك الأشرف مظفّر الدين موسى ، وآجتمعا على أخذ دمشق بعد فصول يطول شرحها . وملك الكامل دمشق فى أوّل شعبان سنة ست وعشرين وستمائة ، وكان يوم الآثنين ؛ فلمّا ملكها دفعها لأخيه الملك الأشرف ، وأخذ عِوَضَها من بلاد الأشرف : حَرّان والرُّها وسَرُوج والرَّقّة ورأس العين[1]؛ وتوجّه إليها بنفسه فى تاسع شهر رمضان من السنة . قال آبن خلّكان : وآجترتُ بحَرّان فى شوّال سنة ستّ وعشرين وستمائة والملك الكامل مقيمٌ به بعساكر الديار المصريّة؛ وجلال الدين خُوَارَزْم شاه يوم ذاك محاصرُ لخلاط ، وكانت لأخيه الملك الأشرف . ثم رجع إلى الديار المصريّة؛ ثم تجهّز فى جيش عظيم ، وقصد آمِد فى سنة تسع وعشرين وستمائة فأخذها مع حِصْن كَيْفَا والبـلاد من الملك المسعود بن الملك الصالح أبى الفتح محمود بن نورا لدين محمد بن فخر الدين قَرَا أَرْسلان[2] بن ركن الدولة داود بن قُطْب[3] الدين سقمان ؛ ويقال سُكْمان بن أُرْتُق، قال : ثمّ مات أخوه الملك الأشرف وجعل ولىّ عهـد أخاه الملكَ الصالحَ إسماعيل بن العادل ، فقصده الملك الكامل أيضًا ، وآنتزع منه دِمَشق بعد مصالحة جرت بينهما فى التاسع من جُمَادى

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٢ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٢) فى الأصل : « وملك البلاد من الملك المسعود ركن الدين مودود ابن الملك الصالح أبى الفتح محمـد .. الخ » . والتصويب عن تاريخ ابن الوردى وعقد الجمان . (٣) فى الأصل : « ... ركن الدولة داود بن نور الدولة بن سقمان الخ » . والتصويب عما تقدّم ذكره للؤلف فى حوادث سنة ٥٠٤ هـ وابن الأثير .

الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأبقى له بعلبك وأعمالها، وبصرى وأرض السواد[1] وتلك البلاد. ولما ملك البلاد المشرقية : آمد وتلك النواحى استخلف فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب، وآستخلف ولده الأصغر الملك العادل سيف الدين أبا بكر بالديار المصرية. وقد تقدم فى ترجمة الملك العادل أنه سير ولده الملك المسعود أقسيس[2] إلى اليمن، وكان أكبر أولاد الملك الكامل. وملك الملك المسعود مكة — حرسها الله تعالى — وبلاد الحجاز مضافة إلى اليمن، وكان رحيل الملك المسعود من الديار المصرية متوجها إلى اليمن فى يوم الآثنين سابع عشر رمضان سنة إحدى عشرة وستمائة، ودخل مكة فى ثالث ذى القعدة من السنة، وخطب له بها وحج، ودخل زبيد وملكها مستهل المحرم سنة آثنتى عشرة وستمائة. ثم ملك مكة فى شهر ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة، أخذها من الشريف حسن بن قتادة الحسنى.

قلت : وقد ذكرنا خروج الملك المسعود إلى اليمن من وقته فى ترجمة جده الملك العادل. وتوفى الملك المسعود فى حياة والده الملك الكامل بمكة فى ثالث جمادى الأولى سنة ست وعشرين وستمائة. وكان مولده فى سنة سبع وتسعين[3] وخمسمائة وأظنه أكبر أولاد الكامل. والله أعلم.

قال آبن خلكان : وآتسعت المملكة للملك الكامل، ولقد حكى لى من حضر الخطبة يوم الجمعة بمكة أنه لما وصل الخطيب إلى الدعاء للملك الكامل قال : سلطان مكة وعبيدها، واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها، والشام وصناديدها، والجزيرة ووليدها، سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢١٠ من هذا الجزء. (٣) فى ابن خلكان : «سنة تسع وتسعين وخمسمائة».

أبو المعالى ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين . قال : ولقد رأيتُه بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عند رجوعه من بلاد المشرق ، وآستنقاذه إيّاها من الأمير علاء الدين كَيْقُبَاد بن كَيْخُسرو بن قِليج أَرْسلان بن مسعود [بن قِليج أَرْسلان] (١) بن سليمان [بن قُتُلْمِش] (١) بن إسرائيل بن سَلْجوق بن دُقْماق السَّلْجُوقِيّ صاحب الروم . وهى وقعة مشهورة يطول شرحها ؛ وفى خدمته يومئذ بضعة عشر ملكًا، منهم : [أخوه] (١) الملك الأشرف ، ولم يزل فى علوّ شأنه وعظيم سلطانه إلى أن مرض بعد أخذه دمشق ولم يركب، وكان يُنشِد فى مرضه كثيرًا :

يا خليلىَّ خبِّرانى بصدقٍ * كيف طَعْمُ الكَرَى فإنّى نسيتُهْ

ولم يزل كذلك إلى أن تُوُفِّى يوم الأربعاء بعد العصر، ودُفِن بالقلعة بمدينة دمشق يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأنا بدمشق يومئذ، وحضرتُ الصَّيْحَةَ يوم السبت فى جامع دمشق، لأنّهم أخْفَوْا موته إلى وقت صلاة الجمعة، فلمّا دنت الصلاة قام بعض الدُّعاة [على العَرِيش الذى] (٢) بين يدى المِنْبر وترحّم على الملك الكامل، ودعا لولده الملك العادل صاحب مصر، وكنتُ حاضرا فى ذلك الوقت، فضَجّ الناس ضَجّة واحدة، وكانوا قد أحسّوا بذلك، لكنهم لم يتحقّقوا إلّا ذلك الوقت، وترتّب آبن أخيه الملك الجواد مظفَّر الدين يُونس آبن شمس الدين مودود بن الملك العادل فى نيابة السلطنة بدمشق عن الملك العادل بن الكامل صاحب مصر بآتفاق الأمراء الذين كانوا حاضرين ذلك الوقت بدمشق؛ ثم بُنِى له تربة مجاورة للجامع، ولها شُبّاك إلى الجامع، ونُقِل إليها . قال : وأمّا ولده الملك العادل [فإنه] (١) أقام فى المملكة إلى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة من سنة سبع وثلاثين وستمائة،

(١) الزيادة عن ابن خلكان . (٢) فى الأصل : « قال بعض الدعائين يدى المنبر... الخ » . وهى عبارة غير واضحة . والتصحيح والزيادة عن ابن خلكان .

فقَبَض عليه أمراء دولته بظاهر بلبيس » . انتهى كلام ابن خلّكان على جليته .
ونذكر أيضا من أحوال الكامل نُبْذَةً جيّدة من أقوال غيره من المؤرّخين ، إن شاء الله تعالى .

قال بعضهم : كان الملك الكامل فاضلا عالما شهمًا مهيبًا عاقلا مُحبًّا للعلماء ، وله شِعْر حسن ، واشتغالٌ في العلم . قيل : إنّه شكا إليه ركبدار أستاذَه بأنّه استخدمه ستة أشهر بلا جامكيّة ، فأنزل أستاذَه من فرسه وألبسه ثياب الركبدار ، وألبس الركبدار ثيابه ، وأمره بخدمة الركبدار وحَمْل مداسه ستة أشهر حتّى شفَع فيه . وكانت الطرق آمنةً في زمانه . ولمّا بعث ابنه الملك المسعود أَقْسِيس وافتتح اليمن والحجاز ثم مات قبله كما ذكرناه ورِث منه أموالاً عظيمة ، ففرّق غالبها في وجوه البِرّ والصدقات . وكانت راية الملك الكامل صفراء . وفيه يقول البهاء زُهَيْر — رحمه الله تعالى — :

بك اهتزّ عِطْفُ الدّين في حُلَل النّصْرِ * ورُدّتْ على أعقابها مِلَّةُ الكُفْرِ[(1)]
وأُقْسِم إن ذاقت بنو الأصفر الكَرَى * لَمَا حلمَتْ إلّا بأعلامكَ الصُّفْرِ
ثلاثةَ أعوام أقمتَ وأشهرًا * تُجاهد فيهم لا بزيد ولا عمرو
وليلةَ غزوٍ[(2)] للعدو كأنّها * بكثرة من أرْدَيْتَه ليلةُ النَّحْر
فيا ليلةً قد شرّف الله قدرَها * فلا غرْوَ إن سمّيتُها ليلة القَدْرِ

وقال : وكان فيه جَبَرُوت مع سفك الدماء .

وذكر الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجَزَرِيّ[(3)] : أنّ عماد الدين يحيى البيضاويّ الشريف قال : حكى لى الخادم الذى للكامل قال : طلب منّى الكامل

---

(١) هذه القصيدة واردة في ديوانه المطبوع بمصر ١٢٧٧ هـ في نحو الخمسين بيتا ومطلعها هذا البيت .
(٢) في الأصل : * وليلة نفر العدوّ رأيتها * وما أثبتناه عن ديوانه .
(٣) هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز ابن الجزرى صاحب التاريخ الكبير في الحوادث والوفيات وتراجم الرجال توفى سنة ٧٣٩ هـ (عن شذرات الذهب) .

طَسْتًا حتّى يتقيّأ فيه فأحضرتُه، وكان الملك النـاصر داود على البـاب، جاء ليعود عمّه الكامل؛ فقلتُ : داود على البـاب، فقال : ينتظر موتى! فآنزعج ، فخرجت وقلت : ما ذاك وقتُك السـلطان منزعج ، فنزل إلى داره ؛ ودخلتُ إلى السـلطان فوجدتُه قد قَضَى والطست بينَ يديه وهو مكبوب على المخدّة .

٥ وقال آبنُ واصل : حَكَى لِي طبيبه قال : أصابه لمـّا دخل قلعة دمشق زُكَامٌ، فدخل الحمّام وصبّ على رأسه ماءً شـديدَ الحرارة ، آتّباعا لقول محمـد[1] بن زكريّا الرازىّ فى كتاب سمّـاه « طِبّ ساعة »[2] ؛ قال فيه : من أصابه زُكَامٌ يَصُبّ على رأسه ماءً شديدَ الحرارة آنحلّ زكامُه لوقته، وهو لا ينبغى أن يُعمَل على إطلاقه؛ قال الطبيب : فانصبّ[3] من دماغه إلى فم معدته فتورمت، وعَرَضت له حُمّى شديدة، وأراد القىء فنهاه الأطِبّاء، وقالوا : إن تقيّأ هلك، فخالفهم وتقيّأ فهلك لوقته . ١٠

قال آبنُ واصـل : وحَكَى لِي الحَكَم رضىّ الدين قال : عَرَضت له خوانيق ، وتقيّأ دمًا كثيرًا ومِدّةً؛ فأراد القىءَ أيضا فنهـاه موفّق الدين إبراهيم ، وأشار عليـه بعضُ الأطباء بالقىء فتقيّأ ، فآنصبّت بقيّة المـادة إلى قصبة الرئة وسدّتها فمـات .

وقال آبنُ واصل : وكانَ ملكا جليلًا حازما ، سـديدَ الآراء حسنَ التدبير لممـالكه عفيفا حليمًا؛ عُمِّرت فى أيّامه الديار المصريّة عِمَارةً كبيرة، وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يُورِدها، فمَن أجابه حَظِىَ عنده . ١٥

---

(١) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٣١١ هـ .

(٢) لم نعثر فى كشف الظنون ولا فى تاريخ الحكماء للقفطى ولا فى عيون الأنبا لابن أبى أصيبعة ولا فى ابن خلكان — وقد ترجمت له طويلا — على اسم هذا الكتاب .

(٣) فى تاريخ ابن الوردى وعقد الجمان : « فاندفعت النزلة الى معدته فتورمت » . ٢٠

ذكر أخذ دِمْياط

قال أبو المظفّر فى تاريخـه : « فى شـعبان أخذ الفرنج دِمْياط ، وكان المعظّم قد جهّز إليهـا الناهض بن الجرخى[1] فى خمسمائة راجل ، فهجموا على الخنادق فقُتِل آبن الجرخى ومَن كان معـه ، وصفّوا رءوس القَتْلَى على الخنادق ، وكان الفرنج قد طمّوها (يعنى الخنادق) وضعُف أهلُ دِمْياط وأكلوا الميتات ، وعجز الملك الكامل عن نُصْرتهم ، ووقع فيهم الوباء والفناء ، فراسـلوا الفرنج على أن يُسَلّموا إليهم البلد ويخرجوا منه بأموالهم وأهلهم ، وآجتمعوا وحلّفوهم على ذلك ، فركبوا فى المراكب وزحفوا فى البَرّ والبحر ، وفتح لهم أهل دِمْياط الأبواب ، فدخلوا ورفعوا أعلامهم على السُّور ، وغَدَرُوا بأهل دِمْياط ، ووضعوا فيهم السيف قتلًا وأسرًا ، وباتوا تلك الليـلة بالجامع يَفْجُرون بالنساء ، ويَفْتَضُّون البنات ، وأخذوا المِنْـبر والمصاحف ورءوسَ القَتْلَى ، وبعثوا بهـا إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسةً ؛ وكان أبو الحسن ابن قُفْل[2] بِدمْياط ، فسألوا عنه ، فقيل لهم : هـذا رجلُ صالح من مشايخ المسلمين يأوى إليه الفقراء ، فما تعرّضوا له . ووقع على المسلمين[3] كآبةٌ عظيمة . وبكى الكامل والمعظّم بكاءً شديدًا ، ثم تأخّرت العساكر عن تلك المنزلة . ثم قال الكامل لأخيه المعظّم : قد فات المطلوب ، وجرى المقدر بمـا هو كائن ، ومالى مُقامك هاهنا فائدة ؛ والمصلحة أن تنزل إلى الشـام تشغل خواطر الفرنج ، وتستجلب العساكر من بلاد الشرق . قال أبو المظفّر : فكتب المعظّم إلىّ وأنا بدمَشق كتابًا بخطّه ، يقول[4] — فى أوّله —

(١) فى الأصل : « ابن الحرجى » بحاء وجيم . وفى مرآة الزمان : « ابن الحرحى » بحاءين مهملتين . وما أثبتناه عن عقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) هو أبو الحسن على بن أبى القاسم الدمياطى المعروف بابن قفل (بالضم) . حدّث عنه المنذرى فى معجمه . توفى سنة ٦٤٧ هـ (عن شرح القاموس) . (٣) كذا فى الذيل على الروضتين . وفى الأصل : « ووقع على الاسلام ... الخ » . (٤) فى الأصل : « كتابا بخطه يقول فى أوّله أخوه عيسى الكامل قد علم ... الخ » .

قد علم الأخ العزيز بأن قد جرى على دِمْياط ما جرى، وأريد أن تُحرِّض الناسَ على الجهاد، ونُعرّفهم ما جرى على إخوانهم أهلِ دِمْياط من الكَفَرة أهل العناد. وإنّى كشفتُ ضِياع الشام فوجدتُها ألفىْ قرية، منها ألفٌ وستمائة أملاكٌ لأهلها، وأربعمائة سلطانية، وكم مقدار ما تقوم به هذه الأربعمائة من العساكر؟ وأريد أن تُخرِج الدماشقةَ ليذُبُّوا عن أملاكهم الأصاغرِ[1] منهم والأكابر. ويكون لقاؤنا وهم صحبتك إلى نابُلُس في وقت سمّاه. قال: فجلستُ بجامع دِمَشق وقرأتُ كتابه عليهم، فأجابوا بالسمع والطاعة، [وقالوا[2]: نمتثل أمره بحسب الآستطاعة]. وتجهّزوا؛ فلمّا حلّ ركابُه بالساحل وقع التقاعد، وكان تقاعدُهم سببًا لأخذه الثُمْنَ والخُمْسَ من أموالهم[3]. وكتب إلىّ يقول: إذا لم يخرجوا فسر أنت إلينا، فخرجتُ إلى الساحل وهو نازل على قَيْسارية، فأقمنا حتّى فتحها عَنْوةً، ثم سرنا إلى النفر[4] ففتحه وهدمه، وعاد إلى دمشق بعد أن أخرجَ[5] العساكر إلى السواحل. وآستمرّ الملك الكامل على مقاتلة الفرنج إلى أن فتح الله عليه فى سنة ثمانى عشرة وستمائة، وطلب من إخوته النجدة، وتوجّه المعظّم فى أوّل السنة إلى أخيه الأشرف موسى، وآجتمعا على حَرّان. وكتب صاحبُ مَارِدِين إلى الأشرف يسأله أن يصعد المعظّم إليه، فسأله فسار إلى ماردين، فتلقاه صاحب ماردين من دُنَيْسر، وأصعده إلى القلعة وخدمه خدمةً

(١) كذا فى عقد الجمان ومرآة الزمان. وفى الأصل: «إلا ما عز منهم والأكابر» وهو تحريف.
(٢) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان.
(٣) فى الأصل: «منهم». وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان.
(٤) هذه الكلمة فى الأصل غير واضحة. وفى مرآة الزمان: «الى النهر». وفى عقد الجمان: «إلى النقر» بالنون والقاف. وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين. ولم نهتد لشىء نطمئن اليه.
(٥) فى مرآة الزمان وعقد الجمان: «بعد أن أخرب بلاد الفرنج».

عظيمة، وقدّم له التُّحَف والجواهر وتحالفا واتّفقا على ما أرادا، ثم عاد المعظّم إلى[1] أخيه الأشرف . وجاء خبر دِمْياط . وكان المعظّم أحرَص الناس على خلاص دِمْياط والغزاة، وكان مصافيًا لأخيه الكامل، وكان الأشرف مقصّرا فى حقّ الكامل مباينًا له فى الباطن؛ فلمّا ٱجتمعت العساكر على حَرّان قطع بهم المعظّم الفُرات، وسار الأشرف فى آثاره، ونزل المعظّم حِمْص والأشرف سَلَمْيَــة . قال : وكنتُ قــد خرجتُ من دِمَشق إلى حِمْص لطلب الغزاة، فإنّهم كانوا على عزم[2] الدخول إلى طرابُلُس، فٱجتمعتُ بالمعظّم فى شهر ربيع الآخر فقال لى : قد سحبتُ الأشرف إلى هاهنا وهو كاره، وكلّ يوم أعتبه فى تأخّره وهو يكاسر[3] وأخاف من الفرنج أن يستولوا على مصر، وهو صديقك؛ وأشتهى أن تقــوم تروح إليــه فقد سألنى عنك [مرارا][4] ؛ ثم كتب إلى [أخيه][4] كتابا بخطّه نحو ثمانين سطرا، فأخذتُه ومضيتُ إلى سَلَمْيَة؛ وبلغ الأشرفَ وصولى فخرج من الخَيْمة وتلقّانى وعاتبنى على ٱنقطاعى، [عنه][4] وجرى بينى وبينه فصول؛ وقلت له : المسلمون فى ضائقــة، وإذا أخذ الفرنج الديار المصريّة ملكوا إلى حَضْرَمَوْت، وعفّوا آثار مكّة والمدينة والشام [وأنت تلعب][5] ، قم الساعة وٱرحل؛ فقال : ٱرموا الخيام [والدهليز][5]، وسبقته إلى حِمْص فتلقّانى المعظّم؛ وقال : ما نمتُ البارحة ولا أكلتُ اليوم شيئا، فقلت : غدًا يُصبِح أخوك الأشرفُ حِمْص .

فلمّا كان من الغد أقبلت الأطلاب[6] وجاء طُلْب الأشرف، والله ما رأيت أجمل منه ولا أحسن رجالًا ولا أكمل عُدّة، وسرّ المعظّم سرورا عظيما؛ وجلسوا تلك الليلة

(١) فى الأصل : «وقدم له التحف والجواهر ثم عاد المعظم إلى أخيه الأشرف وتحالفا على ما أرادا، وعاد المعظم فجاء خبر دمياط» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان .

(٢) فى الأصل : «كانوا فى عزم» . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان .

(٣) كذا فى الأصل ولعله : أعاتبه فى تأخره وهو يتكاسل . (٤) الزيادة عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان . (٥) الزيادة عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين .

(٦) الأطلاب : العساكر .

يتشاورون، فاتّفقوا على الدخول فى السحَر إلى طرابُلُس، وكانوا على حال، فأنطق الله الملكَ الأشرفَ من غير قصد وقال للمعظّم : يا خوند[(١)]، عوض ما ندخل الساحل وتضعُف خيلُنا وعساكرنا ويضيع الزمان ما نروح إلى دِمْياط ونستريح ؟ فقال له المعظّم — قول رماة البندق قال — : نعم، فقبّل المعظّم قدمه ونام الأشرف، فخرج المعظّم من الخيمة كالأسد الضارى يصيح : الرحيلَ الرحيلَ إلى دِمْياط؛ وما كان يَظُنّ أنّ الأشرف يسمع بذلك، وساق المعظّم إلى دِمَشق وتَبِعَتْـه العساكر، ونام الأشرف فى خيمتـه إلى قرب الظهر، وانتبـه فدخل الحمّام فلم يَرَ [حول][(٢)] خيمته أحدا، فقال : وأين العساكر؟ فأخبروه الخبر فسكت، وساق إلى دِمشق فنزل القُصَيْر يوم الثـلاثاء رابع جُمادى الأولى، فأقام إلى سلخه، وعَرَض العساكر تحت قلعة دمشق، وكان هو وأخوه المعظّم فى الطيّارة بقلعة دمشق، وساروا إلى مصر .

وأمّا الفرنج فإنّهم خرجوا بالفارس والراجل، وكان البحر زائدا جدّا، فجاءوا إلى ترعة فأرسَوْا عليها، وفتح المسلمون عليهم الترع من كلّ مكان، وأحدق بهم عساكر الكامل، فلم يبق [لهم][(٣)] وصـول إلى دِمْياط؛ وجاء أسـطول المسلمين فأخذوا مراكبهم، ومنعوهم أن تصل إليهم المِيرةُ من دِمْياط، وكانوا خَلْقا عظيما، وانقطعت أخبارُهم عن دِمْياط، وكان فيهم مائة كُنْد[(٤)] وثمانمائة من الخيّالة المعروفين وملكُ عكّا والدوك[(٥)]؟ واللوكان نائبُ البابا؛ ومن الرجّالة مالا يُحصى، فلمّا عاينوا الهلاك أرسلوا إلى الكامل يطلبـون الصلح والرهائن، ويسلّمون دِمْياط؛ فمن حِرْص[(٦)] الكامل على

(١) خوند : أمير . (٢) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين .
(٣) الزيادة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين ومرآة الزمان .
(٤) الكند : الفارس الباسل الشاكى السلاح (عن القاموس الإنجليزى الفارسى) .
(٥) لعله « الدوق » بالقاف ، وهو لقب من ألقاب الشرف عند الإفرنجة .
(٦) فى الأصل : « فمن فرح الكامل » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان وعقد الجمان .

خلاص دِمْياط أجابهم، ولو أقاموا يومين أخذوا برِقابهم؛ فبعث إليهم الكامل ٱبنَه الملك الصالح نجم الدين أيّوب، وٱبنَ أخيه شمس الملوك؛ وجاء ملوكهم إلى الكامل ممّن سمّينا، فٱلتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخِيام. ووصل المعظّم والأشرف فى تلك الحال إلى المنصــورة فى ثالث رجب، بجلس الكامل مجلسا عظيما فى خيمة كبيرة عاليــة، وقد مدّ سماطًا عظيما، وأحضر ملوكَ الفرنج [والخيّــالة][1]، ووقف المعظّم والأشرف والملوك فى خدمتــه، وقام الحِلّى[2] الشاعر — رحمــه الله تعــالى — فأنشـــد :

هنيئًــا فإنّ الســـعد راح مخــلَّدا * وقـــد أنجــز الرحمنُ بالنصر مَوْعِدَا
حبَــانا إلهُ الخَــلْق فتحًا بدا لنــا * مُبينــا وإنعــامًا وعزًّا مؤبَّـــدا
تهــلّل وجهُ الدهر[3] بعـــد قُطُوبِهِ * وأصبح وجهُ الشِّرْك بالظلم أســودا
ولمّــا طغى البحرُ الخِضَمُّ بأهــله الـ * ـطغاة وأضحى بالمــراكب مُزْبِدا
أقام لهذا الدِّين مَن سلّ سـيفه * صــقيلًا كما ســلّ الحُسام مجــرّدا
فــلم يَنْجُ إلّا كلُّ شِــلْوٍ مجــدّلٍ * ثَوَى منهــمُ أو من تراه مقيَّـــدا
ونادى لسانُ الكون فى الأرض رافعًا * عقــيرتَه فى الخافقيْن ومُنْشِـــدا
أَعُبّادَ عيسى إنّ عيسى وحزبَهُ * وموسى جميعًا يخــدُمون محمّـــدا

وهذا من أبيات كثيرة.

قلت : صحّ للشاعر فيما قصــد من التورية فى المعظّم عيسى والأشرف موسى، لمّا وقفا فى خدمة الكامل محمد، فلله دره! لقد أجاد فيما قال.

---

(١) زيادة عن الذيل على الروضتين ومرآة الزمان. (٢) هو شرف الدين راجح بن إسماعيل ابن أبى القاسم الأســدى الحلى أبو الوفاء، مدح الملوك بمصر والشام والجزيرة وسار شعره. وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٢٧ هـ. (٣) فى الذيل على الروضتين : «وجه الدين».

ووقع الصلح بين الملك الكامل و بين الفرنج فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وسار بعض الفرنج فى البرّ و بعضهم فى البحر إلى عكّا، وتسلّم الكامل دِمْياط .

قلت : ويُعجبنى قول البارع كمال الدين علىّ بن النّبيه [(١)] فى مدح مخدومه الملك الأشرف موسى لمّا حضر مع أخيه المعظّم إلى دِمْياط فى هذه الكائنة قصيدتَه التى أوّلها :

للـذّةِ العيش والأفراحِ [(٢)] أوقاتُ * فآنشرْ لواءً له بالنصر عاداتُ

إلى أن قال منها :

دِمْياط طُورٌ ونارُ الحرب موقَدَةٌ * وأنت موسى وهذا اليوم مِيقاتُ

أَلقِ العَصَا تتلقَّفْ كلَّ ما صنعوا * ولا تَخَفْ ما حبالُ القوم حَيّاتُ

وهى قصيدة طويلة مثبتة فى ديوان آبن النبيه .

قال أبو المظفّر قال فخر الدين آبن شيخ الشيوخ [(٣)] : لمّا حضر الفرنجُ دِمْياطَ صَعِد الكامل على مكان عالٍ، وقال لى : ما ترى ما أكثرَ الفرنج ! مالنا بهم طاقة؛ [قال] [(٤)] فقلتُ [له] [(٤)] : أعوذ بالله من هذا الكلام؛ قال : ولِمَ ؟ قلتُ لأنّ السعد [موكّل] [(٤)] بالمنطق، قال : فأَخذتِ الفرنج دِمْياط بعد قليل، فلمّا طال الحصار صَعِد يوماً على مكان عالٍ ، وقال : يا فلان ، ترى الفرنج ما أقلّهم ! والله ما هم بشىء ؛

(١) هو العلامة كمال الدين على بن محمد بن يوسف بن النبيه الكاتب الشاعر، صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل، وله ديوان شعر مشهور كله ملح . توفى سنة ٦١٩ هـ (راجع ترجمته فى مقدمة ديوانه المطبوع فى مصر سنة ١٢٨٠ هـ وفوات الوفيات لابن شاكر وشذرات الذهب) .

(٢) فى الأصل : « فى الأفراح » . وما أثبتناه عن ديوانه .

(٣) فى مرآة الزمان : « وحضر شيخ الشيوخ » بدون لفظة : « ابن » .

(٤) زيادة عن مرآة الزمان .

فقلتُ : أخذتَهم والله، قال : وكيف ؟ قلتُ : قلتَ فى يوم كذا وكذا : كذا وكذا، فأخذوا دِمْياط، وقد قلتَ اليوم : كذا، والملوك منطَّقون بخير وشرّ، فأَخَذَ دِمْياطَ بعد قليل » . انتهى . وقد تقدّم ذكر الكامل فى أوائل الترجمة من قول جماعة من المؤرّخين، ويأتى أيضا — من ذكره فى السنين المتعلّقة به — نبذةٌ كبيرة . إن شاء الله تعالى . والله الموفّق لذلك بمنّه وكرمه .

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك الكامل محمد ٱبن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ستّ عشرةَ وستّمائة، وقد تقدّم أنّ الكامل كان ولى مصر فى حياة والده العادل سنين عديدة فلا عُمْدة بولايته تلك الأيام، فإنّه كان كالنائب بمصر لأبيه العادل، ولا عِبرةَ إلّا بعد ٱستقلاله بسلطنة مصر بعد وفاة أبيه.

فيها (أعنى سنة ستّ عشرةَ وستمائة) أخرب الملكُ المعظّم عيسى صاحبُ دِمَشق القُدْس، لأنّه كان توجّه إلى أخيه الملك الكامل صاحب الترجمة فى نَوْبة دِمْياط فى المرّة الأولى، فبلغه أنّ الفرنج على عزم أخذ القُدْس، فٱتّفق الأمراء على خرابه ؛ وقالوا : قد خلا الشامُ من العساكر، فلو أَخَذ الفرنجُ القُدس حكموا على الشام جميعه . وكان بالقدس [أخوه] العزيز عثمان ، وعزّ الدين أَيْبَك أستادار، فكتب إليهما المعظّم بخرابه، فتوقّفا وقالا : نحن نحفظه، فكتب إليهما المعظّم ثانياً : لو أخذوه لقتلوا كلّ مَن فيه وحكموا على الشام و بلادِ الإسلام، فألجأت الضرورة إلى خرابه . فشرعوا فى خراب السور أوّل يوم من المحرّم ، ووقع فى البلد ضجّة عظيمة . وخرج النساء المخدّرات والبناتُ والشيوخ وغيرُهم إلى الصخرة[1] والأقصى

(١) فى الأصل : « الى الصحراء » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان والذيل على الروضتين وعقد الجمان .

وقطعوا شعورهم ومزّقوا ثيابهم ، وفعلوا أشياء من هذه الفعال ؛ ثم خرجوا هاربين وتركوا أموالهم وأهاليهم ، وما شكّوا أنّ الفرنج تُصبّحهم ، وآمتلأت بهم الطُّرُقات ؛ فتوجّه بعضهم إلى مصر ، [وبعضهم الى الكَرَك](١) ، وبعضهم إلى دِمشق ، وكانت البنات المخدّرات يُمزّقن ثيابهنّ ويربُطْنها على أرجلهن من الحفا ؛ ومات خَلْق كثير من الجوع والعطش ، ونُهِبت الأموال التي كانت لهم بالقدس ، وبلغ ثمن القنطار الزيت عشرة دراهم ، والرِّطل النُّحاس نصف دِرْهم ؛ وذمّ الناس المعظَّم ؛ فقال بعض أهل العلم في ذلك :

في رَجَبٍ حلَّل الحُمَيّا(٢) * وأخرب القُدْس في المحرَّمْ

وقال القاضي مجد الدين محمد بن عبد الله الحنفيّ قاضي الطُّور(٣) في خراب القُدْس :

مررتُ على القُدْس الشريف مُسَلِّمًا * على ما تبقَّى من رُبوعٍ كأنْجُمِ
ففاضت دموعُ العَيْنِ منّي صَبابةً * على ما مضى من عصرنا(٤) المتقدِّمِ
وقد رام عِلْجٌ أن يعفّي رسومه * وشمّر عن كفّي لئيمٍ مُذَمَّمِ
فقلتُ له شُلّت يمينك خلِّها * لمعتبرٍ أو سائلٍ أو مسلِّمِ
فلو كان يُفْدَى بالنفوس فديتُه * بنفسي وهذا الظنّ في كلّ مسلمِ

وفيها حجّ بالناس من العراق أقباش [بن عبد الله](٥) الناصريّ ، ومن الشام مملوك الملك المعظَّم عيسى .

---

(١) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٢) رواية الذيل على الروضتين :

في رجب حلل المحرم * وخرب القدس في المحرم

(٣) في الأصل : « قاضي الفور » . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) رواية شذرات الذهب وعقد الجمان :

* على ما مضى من عصره المتقدم *

(٥) الزيادة عن الذيل على الروضتين . وكما سيأتي للؤلف في السنة التالية .

وفيها تُوُفِّيت ستُّ الشام بنتُ الأمير نَجْم الدِّين أيُّوب أختُ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب، كانت سيّدةَ الخواتين فى زمنها، كانت كثيرة البرّ والصدقات، كانت تعمل فى دارها الأشربةَ والمعاجين والعقاقير كلّ سنة بألوف دنانير وتُفَرِّقها على النـاس، وكان بابهـا ملجأً للقاصدين، وكان زوجها ابن عمّها الأمير ناصر الدين محمد بن شِيرِكُوه صاحب حِمْص، وهى أمّ حُسام الدِّين [محمد بن عمر بن] (١) لاچين، وصاحبة الأوقاف والأربطة بدِمَشق وغيرها — رحمها الله تعالى —.

وفيها تُوُفِّى محمد بن زَنْكي الملك المنصور صاحب سِنْجار، كان ملِكاً عادلا عاقلًا جَوَادًا، خلّف عِدّة أولاد : سـلطان شاه وزَنْكِي ومظفَّر الدِّين، وعِدّة بنـات. وكان من بيت مُلك وسلطنة.

وفيها تُوُفِّى علىّ بن القاسم بن علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عساكر ابن صاحب تاريخ دمشق. كان فاضلًا سمِـع الحديث وتفقّه وسافر إلى بغداد، فلمّا عاد قُطِع عليه الطريق، فأصابه جِرَاحٌ فمات منه بعد أيّام.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى العدل أبو منصور سعيد بن محمد بن سعيد الرزّاز فجأةً فى المحرّم. وأبو منصور عُتَيْق (٢) بن أحمد فى صفر. والعلّامة أبو البقاء عبد الله بن الحُسين بن أبى البقاء العُكْبَرِىّ الضَّرير فى شهر ربيع الآخر. وقد قارب الثمـانين. وأبو البركات داود بن أحمد بن محمد [بن منصور (٣) ابن ثابت] بن مُلاعِب الأَزَجِىّ الوكيل فى رجب، ولِد فى أوّل سنة آثنتين وأربعين. وأبو الفضل أحمد بن محمـد بن سيّدهم الأنصارىّ بن الهَرّاس الجابى (٤) فى شـعبان،

(١) التكملة عن ابن الأثير. وقد ذكر وفاته سنة ٥٨٧ هـ. (٢) فى الأصل : «أبو منصور ابن عتيق». وما أثبتناه عن المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى. (٣) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى وشذرات الذهب. (٤) فى تاريخ الاسلام : «الحابى» بالحاء المهملة والباء الموحدة.

وله أربع وثمانون سنة . وأبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن على الأنبارى الكاتب سبط قاضى القضاة أبى الحسن بن الدَّامَغَانى[1]، وله تسعون سنة . وأبو يَعْلَى حمزة آبن السيّد [المعروف با][2] بن أبى لُقْمة الصفّار فى شهر رمضان، وهو أصغر من أخيه[3]. وأبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن مسعود [بن سعد بن على][4] بن الناقد المقرئ، ويقال: كان آخر من قرأ المِصْباح[5] على مؤلّفه الشَّهْرُزُورِى[6]، مات فى شوّال عن ستّ وثمانين سنة . والخاتون ستّ الشام أخت الملك العادل فى ذى القعدة . والعلّامة افتخار الدين أبو هاشم عبد المطّلب بن الفضل الهاشمى الحنفى بحلب .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة سبع عشرة وستمائة .

فيها قتل صاحبُ سنجار أخاه، فسار الملكُ الأشرفُ موسى أخو الملك الكامل هذا إليها، فأخذها وعوّض صاحبها الرَّقّة .

وفيها نزل الملك الأشرف المذكور على المَوْصِل نجدةً لبدر الدين على بن زَيْن الدين، وعزم على قصد إِرْبِل، فبعث الخليفةُ مَن ردّه عن إِرْبِل وأصلح بينهما .

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن على بن محمد الدامغانى . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥١٣ ه .
(٢) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٣) هو أبو المحاسن محمد بن السيد بن أبى الفوارس فارس الدمشق الصفار . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٢٣ ه . (٤) التكملة عن المختصر المحتاج اليه وغاية النهاية وتاريخ الاسلام للذهبى . (٥) هو المصباح الزاهر فى القراءات العشر البواهر، من أحسن ما ألف فى هذا العلم . (٦) هو المبارك بن الحسن بن أحمد بن على أبو الكرم الشهرزورى إمام متقن . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٥٠ ه .

وفيها فى شهر رجب كانت واقعة البرلس[1] بين الكامل صاحب الترجمة و بين الفرنج، ونصر الله الكامل وقتل منهم عشرة آلاف وغَنِم خيولهم وسلاحهم ورجعوا إلى دِمْياط مهزومين .

وفيها عزل الملك المعظّم عيسى صاحب دِمَشق [المبارز][2] المعتمد عن ولاية دمشق، وولّى عوضه عليها العزيز خليلًا .

وفيها كان أوّل ظهور التّتار وعبورهم جَيْحون، وكان أوّل ظهورهم من [ما] وراء النهر سنة خمس عشرة وستّمائة، وقبل عبورهم[3] جيحون قصدوا بُخَارَى وسَمَرْقَنْد، وقتلوا أهلها وسَبَوْهم، وحصروا خُوَارَزْم شاه، فآنضمّ إليهم الخُطَا[4]، وصاروا تبعًا لهم .

وكان خُوَارَزْم شاه قد أخلى البلاد من الملوك، فلم يجدوا أحدا يردّهم، ووصلوا فى هذه السنة إلى الرَّىّ وقَزْوِين وهَمَذَان، وقتلوا أهلها وأحرقوا مساجدها، ثم فعلوا بأذْرَبِيجَان كذلك .

وفيها حجّ بالناس من العراق أقباش الناصرىّ وقُتِل بمكّة، ولم يحجّ أحد من العجم [بسبب التّتار][2]، وعاد الحجّ البغدادىّ من على الشام. وحجّ بالناس من الشام [المبارز][2] المعتمد .

---

(١) كانت البرلس من الثغور المصرية القديمة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين دمياط ورشيد، و إليها تنسب بحيرة البرلس الواقعة فى شمال مديرية الغربية . واسمها الرومى « بارالوس » و يطلق اسم البرلس أيضا على المنطقة الساحلية المعروفة باقليم البرلس الممتدّة بين البحر الأبيض و بين بحيرة البرلس .

ومن الحكم الأيوبى أنشأت الحكومة بقرية البرلس قلعة على شاطئ البحر اشتهرت بين الأهالى «بالبرج» ومن ذلك الوقت عرفت قرية البرلس باسم «البرج» واختفى اسمها الأصلى إلا أن البرلس لا تزال علما على إقليم البرلس كما ذكرت . وهــذا الإقليم يشمل عدّة قرى منها قرية « البرج » وكلها تابعة لمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية . (٢) زيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان وهو المعتمد مبارز الدين إبراهيم .

(٣) فى الأصل : «قبل دخولهم» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان . (٤) فى الأصل «فآنضم اليه جماعة من الأكراد وصاروا تبعا له» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان .

وفيها تُوفّى الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل أبى بكر ابن الأمير نجم الدين أيّوب أخو الملك الكامل صاحب الترجمة. وقد تقدّم أنّه كان يريد الوثوب على أخيه الملك الكامل، واتّفق مع ابن المشطوب حتّى أخرجهما أخـوه الملك المعظّم عيسى من مصر، فمات الفائز بين سِنجار والموصل، فحُمِل إلى سنجار ودُفِن بتربة عماد الدّين زَنْكى والد السلطان الملك العـادل نور الدين محمود الشهيد، ومات وهو فى عُنْفُوان شَبيبتـــه.

٥

وفيها تُوُفّى الأمير أقباش بن عبد الله الناصرى. قال أبو المظفّر: «اشتراه الخليفة (يعنى النـاصر لدين الله) وهو ابن خمسَ عشرةَ سنة بخمسة آلاف دينار، ولم يكن بالعراق أجمل صورةً منه، ثم قرّبه إليـه ولم يكن يفارقه؛ فلمّا ترعرع ولّاه إمْرة الحاجّ والحرمين، وكان متواضعًا محبوبًا إلى القلوب. قُتِل بمكّة المشرّفة فى واقعة بين أشراف مكّة، خرج ليُصْلِح بينهم فقُتِل. وكان قتله فى سادس[1] عشر ذى الحجّة.

١٠

وفيها تُوفّى الشيخ عبد[2] الله بن عثمان بن جعفر بن محمد اليُونِينِىّ[3]، أصله من قرية من قُرَى بعلبكّ يقال لها «يُونين». كان صاحب رياضات وكرامات ومجاهدات ومكاشـفات، وكان من الأبدال. وكانت وفاته يوم السبت فى العشر الأوّل من ذى الحجّة — رحمه الله —.

١٥

وفيهـا تُوُفّى الشريف قَتَـادة بن إدريس أبو عَزيز[4] الحُسَيْنِىّ المكىّ أميرُ مكّة. كان شيخًا عارفا مُنْصِفا نِقْمَةً على عَبيد مكّة المفسدين، وكان الحاجّ فى أيّامه فى أمان

(١) فى الأصـل: «فى سادس عشرين ذى الحجة». والتصويب عن عقد الجمان ومرآة الزمان والذيل على الروضتين. (٢) كذا فى لأصل وتاريخ الاسلام للذهبي. وفى شذرات الذهب: «الشيخ عبد الله اليونينى، وهو أبو عثمان بن عبد العزيز بن جعفر». (٣) كذا فى الأصـل وعقد الجمان وتاريخ الإسـلام وشذرات الذهب. وفى البداية والنهاية لابن كثير والذيل على الروضتين ومرآة الزمان: «اليونانى»: نسبة الى يونان وهى أيضا من قرى بعلبك كما فى معجم البلدان لياقوت.
(٤) انظر بقية نسبه فى تاريخ الاسلام فى وفيات هذه السنة.

٢٠

على أموالهم ونفوسهم، وكان يُؤذّن فى الحـرم بـ«حيّ على خير العمل» على قاعدة الرافضة، وما كان يلتفت إلى أحد من خَلْق الله تعالى، ولا وَطِئَ بِساطَ الخليفـة ولا غيره، وكان يُحْمَلُ إليه من بغداد فى كلّ سنة الذهبُ والخِلَعُ وهو بداره فى مكّة، وهو يقول: أنا أحقّ بالخلافة [من الناصر لدين الله](1)، ولم يرتكب كبيرة فيما قيل. قلت: وأىّ كبيرة أعظم من الرّفض وسبّ الصحابة! — رضى الله عنهم —.

وفيها تُوفّى محمد بن عمر بن شاهِنْشاه بن أيّوب الملك المنصور صاحب حَمَاة. كان شجاعا مُحِبًّا للعلماء والفضلاء، مات بحَمَاة ودُفِن بها. وقام بعده ولدُه الأكبر الملكُ الصالح الناصر قِليج أَرْسـلان. وجرى له مع الملك الكامل صاحب الترجمـة أمورٌ وفصول.

وفيهـا تُوُفّى محمود بن محمـد بن قرا أَرْسلان بن أُرْتُق الملك الصالح ناصر الدين صاحب آمِد، كان شجاعًا عاقلا جَوَادا مُحِبّا للعلماء، وكان الأشرف يُحِبّه، وجاء إلى الأشرف وخدمه غيرَ مرّة، ومات بآمِد فى صـفر. وقام بعده ولده مسعود، وكان مسعود ضدّ اسمه بخيلًا فاسقا، حصره الملك الكامل هـذا وظَفِر به وأخذه إلى مصر وأحسن إليـه، فكاتب الروم وسـعى فى هلاك الكامل، فحبسه الكامل — لمّا سمِـع ذلك — فى الجُبّ(2) مدّة ثم أطلقه، فمضى إلى التتار، وكان معه الجواهر والأموال فقتلته التتار، وأخذوا جميع ما كان معه.

---

(1) الزيادة عن تاريخ الاسلام. (2) يستفاد ممـا ورد فى الجزء الثانى من الخطط المقريزية (ج ٢ ص ٢٠٥) عند ذكر قلعة الجبل أنه كان يوجد بالقلعة جبان أقدمها أنشئ فى عهد الدولة الأيوبية وهو الذى أشار اليه المؤلف، وثانيهما أنشأه الملك المنصور قلاوون فى سنة ٦٨١ ﻫ وردمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وبنى فوقه طباقا للماليك فى سنة ٧٢٩ ﻫ. ويظهر أن الجب الأول كان واقعا داخل قلعة صلاح الدين وقد ردم ومكانه اليوم المدفن الواقع غربى جامع سليمان باشا المعروف بجامع سيدى سارية. وأن الجب الثانى كان واقعا فى الجهة الغربية من مبانى القلعـة الحالية فى المكان الذى يطلق منـه اليوم مدفع الظهر.

الدين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى عبد الرحمن بن أحمد ابن هَدِيّة[1] الورّاق فى شهر ربيع الأوّل ، وقد جاوز التسعين ، وهو آخر من رَوَى عن عبد الوهّاب الأَنْمَاطِيّ[2] . وشيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبى الفتح عمر بن علىّ بن محمد بن حَمُّويه فى جُمادى الأولى ذاهبًا فى الرسليّة من الكامل بالموصل ، وله أربع وسبعون سنة . وصاحب حَمَاة الملك المنصور محمد ابن تقىّ الدّين عمر بن شَاهِنْشاه . والزاهد الكبير الشيخ عبدالله اليُونِينِيّ فى ذى الحجّة ببَعْلَبَكّ . وصاحب مكّة قَتَادة بن إدريس الحُسَيْنِيّ . وأبو الحسن المؤيّد بن محمد ابن علىّ الطُّوسِيّ المقرئ فى شوّال .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع ونصف إصبع . مبلغ الزيادة ستّ عشرَةَ ذراعا وثمانى أصابع .

*
* *

السنة الثالثة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة ثمانى عشرة وستمائة .

فيها تُوفّى إسماعيل بن عبد الله أبو طاهر الأَنْمَاطيّ[3] المحدّث، كان إمامًا فاضلا سمِع الكثير ولَقِىَ الشيوخَ وحدّث، وتُوُفِّى بدِمَشْق فى شهر رجب وكان ثِقةً .

وفيها تُوُفّى محمد بن خَلَف بن راجح المَقْدِسِيّ ويُلقَّب بالشهاب والد القاضى نجم الدين[4] ، كان زاهدًا عابدا فاضِلا فى فنون العلوم .

(١) فى الأصل : « ابن هبة الله » . والتصويب عن المختصر المحتاج اليه وتاريخ الاسلام للذهبي وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ . (٢) هو أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطى الحافظ الحنبلى مفيد بغداد . توفى سنة ٥٣٨ ﻫ (عن شذرات الذهب) . (٣) فى شذرات الذهب وما سيأتى للؤلف فيمن نقل وفاتهم عن تاريخ الاسلام للذهبي وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ كانت وفاته سنة ٦١٩ ﻫ . (٤) هو نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف بن راجح أبو العباس . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٨ ﻫ .

وفيهـا تُوُفّى محمد بن محمد الشيخ الإمام النحوى التِّكريتىّ، كان بارعا فى النحو والأدب والشعر . ومن شعره قوله :

مَنْ كان ذَمَّ الرَّقيبَ يومًا * فإنّنى للرقيب شاكِرْ
لم أرَ وجْهَ الرقيبِ وقتًا * إلّا و وجه الحبيب حاضِرْ

وله فى مجنـــونة :

أمسيتُ[1] مجنـــونًا بمجنونةٍ * يَغَـار من قامتها الغُصُنُ
فَمَنْ عَذِيرى من هَوَى ظبيةٍ * قـد عشِقَتْها الإنسُ والجنّْ

قلت : وطَريفٌ قول الشيخ زَيْن الدِّين عمر بن الوَرْدِىّ[2] — رحمـه الله — فى هذا المعنى[3] :

زاد جُنونى بِذِى جُنُونٍ[4] * مُعَـذِّرٍ والعِـذارُ زَيْنُ
قالوا به عارضٌ وعينٌ * قلت و بى عارض وعَيْنُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوفى شهابُ الدين محمد ابن خَلَف بن راجح المَقْدِسِىّ فى صفر ، وله ثمان وستون سـنة . وأبو محمد هبة الله ابن الخِضْر بن هبة الله [بن أحمد بن عبد الله][5] بن طاوس فى جُمـادى الأولى، وله إحدى وثمانون سنة. وأبو نصر موسى ٱبن الشيخ عبد القادر الجيلىّ فى جمادى الآخرة. وٱسْتُشْهِد بهَمَذَان خَلْقٌ بأيدى التتار، منهم : الإمام تقىّ الدين أبو جعفر محمـد بن

(١) نسب المؤلف هذين البيتين لمحمد بن محمد التكريتى، وهما لعمر بن مظفر بن الوردى كما فى ديوانه المطبوع بالآستانة ص ٢٨٧ . ورواية البيت الأول :

* إنى لمجنـــون ... الخ *

(٢) هو عمـــر بن المظفر بن عمر بن محمـــد بن أبى الفوارس المعرىّ زين الدين المعروف بابن الوردى الفقيه الشافعىّ الشاعر المشهور، وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٤٩ هـ . (٣) فى الأصل هكذا : « فى المعنى مذكر » . (٤) بحثنا فى ديوان ابن الوردى عن هذين البيتين فلم نجدهما .
(٥) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى .

محمود بن إبراهيم الحمّامى الواعظ. وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن هبة الله الرُّوذْرَاوَرِى[١]. وبِهَرَاةَ أبو روح [عبد المُعِز][٢] بن محمد الهَرَوِى. وبنَيْسابور أبو بكر القاسم بن عبدالله ابن عمر بن الصّفّار. وأبو النَّجيب إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل بن أبى القاسم القارئ الصوفى[٣].

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

*
* *

السنة الرابعة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع عشرةَ وستمائة.

فيها ظهر جرادٌ بالشام أكل الشجر والزروع والثمر ولم يُرَ مثله.

وفيها نُقلت رِمّة الملك العادل أبى بكر من قلعة دِمَشق إلى مدرسته التى عند دار العَقِيقى[٤]، فدُفن بها.

وفيها تُوفّى مِسْمار بن عمر بن محمد[٥] الشيخ أبو بكر بن العُوَيس البغدادى فى شعبان بالموصل، وكان فاضلا ثقة.

وفيها تُوفّى نصر بن أبى الفرج الفقيه الحنبلى، كان إمام الحنابلة بمكّة، جاور بمكّة سنين، ثم خرج إلى اليمن فمات بالمُهْجَم[٦] ودُفن به، وكان صالحا متعبّدا لا يفتر عن الطّوَاف.

---

(١) فى الأصل: «الروذبارى» نسبة الى روذبار: بلد عند طوس. وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي. والروذراوري: نسبة الى رذراور، بلد بهمذان. (٢) التكملة عن شذرات الذهب وتاريخ الاسلام للذهبي. (٣) لم نجد هذا الاسم فى تاريخ الاسلام فى وفيات هذه السنة ولا فى المراجع التى بين أيدينا. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٥) فى الأصل: «مسمار بن محمد بن عمر». والتصويب عن تاريخ الإسلام للذهبي والمختصر المحتاج إليه. (٦) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن، بينها وبين زبيد ثلاثة أيام (عن معجم البلدان لياقوت).

وفيهـا تُوُفّى الأمير قطب الدين أحمـد آبن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب أخو الملك الكامل محمد هذا . مات بالفَيُّوم[1] فنُقِل إلى القاهرة ودُفِن بها .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى الحافظ أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج البغدادىّ آبن الحُصْرىّ المقرئ الحنبلىّ فى المحرّم ، وله ثلاث وثمانون سنة . والحافظ أبو الطاهر تَقِىّ الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصرىّ آبن الأنماطىّ[2] فى رجب كَهْلًا . وأبو بكر مِسْمار بن عمر بن محمد بن العُوَيس النَّيَّار[3] بالموصـل فى شعبان . والقُدوة الشيخ علىّ [بن أبى بكر محمد بن عبـد الله][4] بن إدريس اليَعْقُوبىّ فى ذى القعدة . وأبو سعد ثابت بن مشرف المِعْمار فى ذى الحجّة .

---

(١) الفيوم : كلمة معربة عن « پيوم » وهى كلمة مصرية قديمة معناها البحيرة ، وكان هـذا الاسم يطلق قديما على أراضى الوادى المنخفض الذى يعرف اليوم بمديرية الفيوم وقت أن كان هذا الوادى مغمورا بالمياه ، ويقال له أيضـا بالمصرى : « مرى » أو « موريس » ومعناها البحيرة الكبيرة . وقد تحولت أراضى هـذه البحيرة الى أرض زراعية من الطمى الذى كانت تلقيه مياه النيل سنويا فى أرض ذلك الوادى فى العصور السابقة بواسطة « بحر تمى » الذى عرف فيما بعد « ببحر المنهى » والآن بحر يوسف ولا يزال يوجد من بقايا هذه البحيرة « بركة قارون » الحالية الواقعة فى الشمال الغربى لمديرية الفيوم .

وكان إقليم الفيوم فى عهد الفراعنة يسمى من الوجهة الادارية قسم « نوهيت يحو » وكانت قاعدته تسمى مدنيا : « شوديت » أى الجزيرة ودينيا « پى سبك » أى مدينة التمساح حيث كان هذا الحيوان معبود أهل هذا الإقليم ، وسماها الروم « كروكوديلو بوليس » أى مدينة التمساح .

وفى زمن حكم البطالسة أطلق الملك بطليموس الثانى فيلادلف اسم زوجته « أرسـينو » على الإقليم وقاعدته فسميت المدينة « أرسينو » والاقليم « أرسينوئيتس » وبقى هذان الاسمان مستعملين الى أن استولى العرب على مصر فعرف الاقليم باسم « الفيوم » وقاعدته « مدينة الفيوم » وهو من أقدم الأقاليم المصرية . فقد كانت الفيوم قسما ثم كورة ثم عملا ثم ولاية ثم مديرية فى سنة ١٨٣٣ م وفى سنة ١٨٥١ م ضمت الى مديرية بنى سويف باسم مأمورية الفيوم ثم فصلت عنها فى سنة ١٨٥٨ م ثم أعيدت اليها فى سنة ١٨٦٤ م وفى سنة ١٨٧٠ م صدر أمر عال بفصلها عن مديرية بنى سويف ومن ذلك التاريخ أصبحت الفيوم مديرية قائمة بذاتها ضمن مديريات الوجه القبلى وقاعدتها « مدينة الفيوم » .

(٢) فى الأصل : « الأنصارى » . وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ للذهبى وطبقات الحفاظ للسيوطى وشذرات الذهب وتاريخ الاسلام . (٣) فى الأصل : « البنار » . والتصحيح عن المختصر المحتاج اليه وشرح القاموس مادة « نير » . (٤) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وسبع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

* * *

السنة الخامسة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب على مصر، وهى سنة عشرين وستمائة .

قال أبو شامة : ففيها عاد الملك الأشرف موسى من مصر [إلى الشام قاصدا بلاده بالشرق][1] ، فالتقاه أخوه المعظّم عيسى وعرض عليه النزول [بالقلعة][1] فامتنع ، ونزل بجوسق والده العادل، وبدت الوحشةُ بين الإخوة الثلاثة (يعنى الكامل محمدا صاحب الترجمة، والمعظّم عيسى صاحب دمشق، والأشرف موسى صاحب خِلَاط وغيرها) . قال : ثم رحل الأشرف سَحَرًا على ضُمَير[2] ثم سار إلى حَرّان،وكان [الأشرف][1] قد آستناب أخاه شهاب الدين غازيا صاحب مَيافارِقين على خِلَاط، [لمّا سافر إلى مصر][1] وجعله ولىّ عهده ، ومكّنه من بلاده؛ فسوّلتْ له نفسه العِصْيان ، وحسّن له ذلك الملك المعظّم وكاتبه وأعانه، وكذا كاتبه صاحب إِرْبِل [والمشارقة][1]، فأرسل الأشرف إلى غازى المذكور يطلبه فآمتنع، فأرسل إليه : يا أخى لا تفعل، أنت ولىُّ عهدى والبلاد فى حكمك فأبى؛ فجمع الأشرف عساكره وقصده، ووقع له معه أمور حتّى هزمه، ثم رَضِى عنه الأشرف حسب ما نذكره فى السنة الآتية .

وفيها كانت بين التّتار الذين جاءوا إلى الدّربند[3] وبين القَبْجاق[4] والروس[5] وقعة هائلة، وصبَرَ الفريقان أيّاما، ثم آنهزم القَبْجَاق والروس، ولم يَسْلَمَ منهم إلّا اليسير .

(١) الزيادة عن الذيل على الروضتين . (٢) ضمير : موضع قرب دمشق ، وهو قرية وحصن فى آخر حدود دمشق مما يلى السماوة (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) الدربند (باب الأبواب) : اسم لبليدة على ساحل بحر الخزر بين البحر والجبل ، وهى شمالى باب الحديد . (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) . (٤) القبجاق (القفجاق) : جنس من الترك يسكنون صحارى تسمى صحارى الدشت أو صحارى القبجاق ، أهل حل وترحال على عادة البدو (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦) .
(٥) فى الأصل : «الأروس» . والتصوب عن ابن لأثير وشذرات لذهب .

وفيها تُوُفِّى عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام موفّق الدين أبو محمد المَقْدِسىّ الجَمّاعِيلِىّ الدمشقىّ الصالحىّ الحنبلى صاحب التصانيف. وُلِد بجمّاعيل فى شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، وقرأ القراءات وآشتغل فى صغره وسمِع من أبيه سنة نيّف وخمسين، ورحل إلى البلاد وسمِع الكثير، وكتب وصنّف وبَرَع فى الفقه والحديث، وأفتى ودرّس وشاع ذكرُه وبَعُدَ صِيتُه. وكانت وفاته فى يوم عيد الفطر، وله ثمانون سنة.

وفيها تُوُفِّى عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الإمام المفتى فخر الدين أبو منصور الدِّمشقىّ الشافعىّ المعروف بابن عساكر شيخ الشافعيّة بالشام. ولد فى سنة خمسين وخمسمائة، وسمِع من عَمَّيْه: [الصائن][1] هبة الله، والحافظ أبى القاسم وجماعةٍ أُخَر، وتفقّه على حَمِيه قطب الدين النَّيْسَابُورِىّ[2]، وكان بارعا مُفْتِيًا مدرِّسا فقيهًا عالما محدِّثا، وكانت وفاته فى شهر رجب.

وفيها تُوفِّى ملك الغرب يوسف بن محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علىّ السلطان المستنصر بالله الملقَّب بأمير المؤمنين المكنى أبا يعقوب القَيْسِىّ المغربىّ صاحب بلاد المغرب، لم يكن فى بنى عبد المؤمن أحسن صورةً منه، ولا أبلغ خِطابا، ولكنّه كان مشغولاً بآللذات، ومات وهو شابّ فى هذه السنة، ولم يخلّف ولداً، فآتفق أهل دولته على تولية الأمر لأبى محمد عبد الواحد بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علىّ، فولِى ولم يُحسِن التدبير ولا المداراة. وكان مولد يوسف صاحب الترجمة فى سنة أربع وتسعين وخمسمائة، وأمّه أم ولد روميّة آسمها قمر، وكانت دولته عشر سنين[3] وشهرين.

(١) زيادة عن طبقات الشافعية وعقد الجمان والذيل على الروضتين. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩ من هذا الجزء، وقد ذكره المؤلف أيضا فى حوادث سنة ٥٧٨ هـ. (٣) فى الأصل: «وكانت دولته عشرين سنة وشهرين». والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي وشذرات الذهب.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أبو سعد عبد السلام ٱبن المبارك [بن عبد الجبّار بن محمد بن عبد السلام] (١) بن البردعول (٢) فى المحرّم، وله تسع وثمانون سنة . والعلّامة فخر الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن عساكر الشافعيّ فى رجب، وله سبعون سنة . والعلامة موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامة المَقْدِسيّ شيخ الحنابلة فى يوم الفطر، وله ثمانون سنة . ٥

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

***

السنة السادسة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى وعشرين وستمائة . ١٠

فيها ٱستردّ الملك الأشرف موسى مدينة خِلاط من أخيه شهاب الدين غازى، وأبقى عليه ميّافارقين، ورَضِى عنه بعد أمور وقعت بينهما، وقد تقدّم ذكر ذلك أيضا .

وفيها ظهر السلطان جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه بعد ما ٱنفصل عن بلاد الهند وكِرْمان، وٱستولى على أَذْرَبِيجان وحكم عليها . وراسله الملك المعظّم عيسى ليُعينه على قتال أخيه الملك الأشرف موسى؛ ثم كتب المعظّم أيضا لصاحب إرْبِل فى هذا المعنى، وبعث ولده الملك الناصر داود إليه رَهِينةً . ١٥

وفيها ٱستولى بدر الدين لؤلؤ على الموصل وأظهر أنّ الملك محمود (٣) بن القاهر قد تُوُفّى، وكان قد أَمَر بخنقه .

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه . (٢) كذا فى الأصل . وفى تاريخ الاسلام والمختصر المحتاج اليه : «ابن البردغولى» بالغين المعجمة وياء بعد اللام . ٢٠
(٣) فى الأصل : «الملك القاهر محمود» . والتصحيح عن عقد الجمان والذيل على الروضتين وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام للذهبى .

وفيها بنى الملك الكامل صاحب الترجمــة دار[1] الحديث الكاملية بالقاهرة فى بين القصرين، وجعل أبا[2] الخطّاب بن دِحْيَة شَيْخَها .

وفيها قَدِم الملك مسعود أَقْسِيس[3] (المشهور بأَقْسِيس) على أبيه الملك الكامل من اليمن طائعا، وعزمه أخذ الشــام من عمّــه الملك المعظّم عيسى، وقدّم لأبيه أشياء[4] عظيمة، منها مائتا خادم .

قال آبن الأثير: وفيها عادت التتار من بلاد القَبْجَاق ووصلت إلى الرّىّ، وكان مَن سَلِم من أهلها قد عمّروها، فلم يشعروا إلّا بقدوم التتــار بغتةً، فوضعوا فيهم السيف، ثم فعلوا بعدّة بلاد أُخَر كذلك، فما شاء الله كان .

وفيها حدثت واقعه قبيحةٌ من الكَرَج، وهو أنّ الكَرَج — لعنهم الله — لم يبق فيهم من بيت المُلك أحد ســوى آمرأة فملّكوها عليهم . قال آبن الأثير : ثم طلبوا لها زوجا يتزوّجها وينوب عنها فى المُلك، ويكون من بيت مملكة . وكان صاحب أَرْزَن الروم مُغيث الدين طُغْرِل شاه بن قِلِيج أَرْسلان بن مسعود بن قِلِيج أَرْسلان وهو من الملوك السَّلْجُوقيّة وله ولد، فأرسل إلى الكَرَج يخطُب المَلِكَة لولده فامتنعوا، وقالوا : لا يملكنا مسلم ، فقــال لهم : إنّ آبنى يتنصّر ويتزوّجها ، فأجابوه فتنصّر وتزوّج بها، وأقام عندها حاكما فى بلادهم، فنعوذ بالله من الخذلان ! وكانت الملكة تَهْوَى مملوكًا ، فكان هذا الزوج يسمع عنها من القبائح أشياء ولا يمكنه الكلام لعجزه ، فدخل يومًا فرآها مع المملوك ، فأنكر ذلك، فقالت : إن رَضيتَ بذا وإلّا

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٢٩ من هذا الجزء . (٢) هو أبو الخطاب عمر بن حسن بن على بن محمد بن فرج بن خلف الأندلسى السبتى الحافظ الكبير كان بصيرا بالحديث متقنا به معروفا بالضبط، له حظ وافر من اللغــة ومشاركة فى العربية . وقد جعله الكامل شيخ دار الحـــديث . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٣ هـ . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢١٠ من هذا الجزء .
(٤) راجع تفصيل هذه الأشياء فى مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

أنت أخبر بما أفعله معك ! . [فقال : إنّى لا أرضى بهذا](١) فنقلته إلى بلد [آخر](١) ووكّلت به مَن يحفظه وتحجرت عليه؛ وأحضرت لها رجلين وُصِفا لها بحُسن الصورة فتزوّجت بأحدهما، وبقى معها ذاك يسيرا، ثمّ فارقته وأحضرت آخر من كَنْجة(٢) وهو مُسلِم، فطلبت منه أن يتنصّر ويتزوّجها فلم يفعل، فأرادت أن تتزوّجه [وهو مسلم](١) فقام عليها الأمراء ومعهم إيوانى(٣) مقدّمهم ؛ وقالوا لها : فضحتينا بين الملوك بما تَفْعَلين! [ثم تريدين أن يتزوجك مُسْلِم، وهذا لا نمكّنك منه أبدًا](١)، والأمر بينهم متردّد، والرجل الكَنْجِىّ عندهم [لم يُجبهم إلى الدخول فى النّصرانيّة](١)، وهى تَهْواه . انتهى كلام ابن الأثير .

وفيها تُوفِّى فخر الدين أبو المعالى محمد بن أبى الفرج المَوْصِلىّ المقرئ ببغداد فى شهر رمضان . وكان إماما فاضلا بارعاً فى فنون . ومن شعره «مواليا» :

ساقٍ قمر بكفّه شمس ضُحا * قد أسكرنى مِن راحتيه وصحا
لو أمكننى والراح فى راحته * فى الحان شربت كفّه والقدحا

قلت : ويعجبنى فى هذا المعنى قولُ أبى الحسن علىّ بن عبد الغنىّ الفِهْرىّ القَيْرَوانىّ الضَّرير المعروف بالحُصْرىّ الشاعر المشهور، ووفاته سنة ثمان [وثمانين](٤) وأربعمائة، وهما :

أقول له وقد حيّا بكأس * لها من مِسْك ريقته خِتامُ
أمِن خَدّيك يُعصر قال كلّا * متى عُصِرت من الوَرْد المُدامُ

وفيها تُوفِّى القاضى أبو البركات عبد القوىّ بن عبد العزيز بن الحَبَّاب السَّعْدىّ فى شوّال، وله خمس وثمانون سنة . وكان عالما بارعا دينّا عفيفاً أفتى ودرّس سنين .

(١) الزيادة عن ابن الأثير. (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) هذه رواية الأصل وهامش ابن الأثير . وفى صلب ابن الأثير : «ايوانى» بالياء التحتية . (٤) التكملة عن ابن خلكان وشذرات الذهب .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أبو جعفر محمد بن هبـة الله بن مُكَرَّم الصوفىّ ببغداد فى المحرّم . وأبو طالب عبـد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمىّ المقرئ بواسط . وأبو العبّاس أحمـد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن صِرْمى[1] الأَزَجىّ فى شعبان . وفخر الدين أبو المعالى محمد بن أبى الفرج الموصلىّ البغدادىّ المقرئ فى رمضان .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم ثلاث أذرع سواء . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

✦

السنة السابعة من ولاية الملك الكامل محمـد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة آثنتين وعشرين وستّمائة .

فيها فى شهر ربيع الأول وصل السلطان جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه إلى دَقُوقا[2] فافتتحها بالسيف، وأحرق البلد ونهب أهلَها، وفعل فيها ما لا تفعله الكُفّار لكونهم شتموه ولعنُوه على الأسوار؛ ثم عزم على قصـد بغداد، فآنزعج الخليفة الناصر لدين الله وآستعدّ لقتاله وأنفق ألفَ ألفِ دينار فى هذا المعنى .

قال أبو المظفّر : « قال لى الملك المعظّم عيسى: كتب إلىّ جلالُ الدين يقول: تحضر أنت ومن عاهدنى فنتّفق حتّى نقصـد الخليفة ، فإنّه كان السبب فى هلاك المسلمين ، وفى هلاك أبى، وفى مجىء الكُفّار إلى البلاد ؛ ووجدنا كُتُبَه إلى الخطَا

---

(١) كذا فى المختصر المحتاج اليه . وفى القاموس أنهم سموا « صرمى » كذكرى . وفى الأصـل : « صرها » . وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ : «صبرما» . (٢) دقوقا (بالمدّ والقصر) : مدينة بين إربل و بغداد معروفة ، لها ذكر فى الأخبار والفتوح . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

وتواقيعه لهم بالبلاد والخلع والخيل؛ فقال المعظّم: فكتبت إليه: أنا معك على كلّ أحد إلّا على الخليفة فإنّه إمام المسلمين!»[1] . انتهى .

قلت: ثم وقع لجلال الدين المذكور في هذه السنة أمور ووقائع مع غير الخليفة من الملوك يطول شرحها . يأتي ذكر بعضها إن شاء الله .

وفيها تُوُفّي الخليفة الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العبّاس أحمد آبن الخليفة المستضيء بالله أبي محمد الحسن آبن الخليفة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف آبن الخليفة المقتفي بأمر الله أبي عبد الله محمد آبن الخليفة المستظهر بالله أحمد الهاشميّ العباسيّ البغداديّ . وُلِد يوم الاثنين عاشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه المستضيء في أوّل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وأمّه أمّ ولد تركيّة .

قال الشيخ شمس الدين: «وكان أبيضَ اللّون تُرْكِيّ الوجه مَلِيح العَيْنَيْن، أنور الجَبْهَة، أَقْنَى الأنف ، خفيفَ العارضين، أشقرَ اللحية رقيقَ المحاسن . كان نَقْشُ خاتَمه: «رجائي من الله عفوُه» . لم يَلِ الخلافة قبله أحد من بني العبّاس أطول مدّة منه، إلّا ما ذكرنا من خلفاء العُبَيْدِيّة المستنصر مَعَدّ» انتهى. وفي أيّام الناصر لدين الله ظهرت الفُتُوَّة ببغداد ورَمْيُ البُنْدق ولعبُ الحَمَام [المَنَاسِيب][2] ، وآفتنّ الناس في ذلك ، ودخل فيه الأجلّاء ثم الملوك؛ فألبسوا الملك العادل ثم أولادَه سراويلَ الفُتُوَّة، ولبِسَها أيضا الملك شهاب الدين صاحب غَزْنَة والهند من الخليفة الناصر لدين الله ، ولبِسها جماعة أُخَر من الملوك . وأمّا لعب الحَمَام فخرج فيه عن الحدّ، يُحْكَى عنه أنّه لمّا دخلت التّتار البلاد وملكوا من [ما] وراء النهر إلى العراق، وقتلوا تلك المقتلة

(١) في الأصل: «على كل حال» . وما أثبتناه عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان .
(٢) زيادة عن شذرات الذهب وعقد الجمان .

من المسلمين ، التى ما نُكب المسلمون بأعظم منها ، دخل عليه الوزير فقال له : آه يامولانا ، إنّ التّتار قد ملَكت البلاد وقتلت المسلمين ! فقال له الناصر لدين الله : دعنى أنا فى شىء أهمّ من ذلك ! طيرتى البَلْقَاء ، لى ثلاثة أيام ما رأيتها ! وفى هذه الحكاية كفاية إن صحّت عنه . وكانت وفاته فى سلخ شهر رمضان،[1] وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة . و بويع بعده لولده أبى نصر ولُقِّب بالظاهر بأمر الله، فكانت خلافة الظاهر المذكور تسعة أشهر ومات . حسب ما يأتى ذكره .

وفيها تُوُفِّى السلطان الملك الأفضل علىّ آبن السلطان صلاح الدين يوسف آبن الأمير نجم الدين أيّوب فى يوم الجمعة من شهر ربيع الأوّل من السنة، وهو الذى كان مَلَكَ الشام فى حياة أبيــه ثمّ من بعده، ووقع له تلك الأمور مع أخيه وعمّه العادل ، وقد تقدّم ذكرُ ذلك كلّه، وتنقّلت به الأحوال إلى أن صار صاحب سُمَيْسَاط ، و بقى بها إلى أن مات فى هذه السنة . وكان مولده بمصر فى سلطنة والده سنة خمس وستين وخمسمائة . وكان فاضلاً شاعراً حسن الخطّ قليل الحظّ غير مسعود فى حركاته ــ رحمه الله تعالى ــ ومن شعره ــ ممّا كتبه إلى الخليفة لمّا خرج من دِمَشق، وآتفق عليه الملك العادل عمّه والعزيز أخوه ــ :

مــولاى إنّ أبا بكر وصاحبــه * عثمانَ قـد غَصَبا بالسيف حقّ علِى
فانظُر إلى حظّ هذا الاسم كيف لقِى * من الأواخر ما لاقى من الأوّلِ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى الواعظ أبو إسحاق إبراهيم بن المظفَّر [بن إبراهيم][2] بن البَرْنِىّ[3] بالموصل فى المحرّم . والخطيب المفسّر فخر

(١) فى الأصل : «فى سلخ شهر شعبان» والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب والذيل على الروضتين وما سيذكره المؤلف فيمن ذكر وفاتهم عن الذهبى. (٢) الزيادة عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك وعقد الجمان . (٣) فى الأصل : «البرى» . وفى القصيدة اللامية فى التاريخ : «البرق» وكلاهما تصحيف . والتصويب عن المشتبه وشذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك .

الدين محمد بن الخضر بن محمد [بن الخضر بن علىّ بن عبد الله] (١) بن تَيْمِيّة الحرّانى فى صفر. والملك الأفضل علىّ بن السلطان صلاح الدين بسُمَيْسَاط فى صفر، وله سبع وخمسون سنة. وأبو الحسن علىّ بن أبى الكرم [نصر بن المبارك] (٢) الخلال بن البنّاء بمكّة فى شهر ربيع الأوّل. وعبد المحسن خطيب المَوْصل ابن عبد الله بن أحمد الطُّوسى فى شهر ربيع الأوّل. وقاضى القضاة بالقاهرة زَيْن الدين علىّ ابن العلّامة يوسف بن عبد الله بن بُنْدار الدِّمَشْقىّ. والوزير الكبير صفىّ الدين عبد الله بن علىّ الشَّيْبىّ (٣) ابن شُكْر بالقاهرة فى شعبان. ومجد الدين أبو المجد محمد بن الحسين القَزْوِينى الصوفىّ بالموصل فى شعبان. والناصر لدين الله أبو العبّاس أحمد بن المستضىء بالله حسن بن المستنجد فى سلخ شهر رمضان، وله سبعون سنة، وكانت خلافته سبعا وأربعين سنة. وفخر الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الفارسىّ الخَبْرِىّ (٤) الصوفىّ بمصر فى ذى الحجّة، وله أربع وتسعون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا.

*
* *

السنة الثامنة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

فيها قَدِم الشيخ محيى الدين بن الجَوْزىّ (٥) إلى دِمَشق رسولا إلى الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق، ومعه الخِلَع له ولإخوته أولاد العادل من الخليفة الظاهر

(١) التكملة عن شذرات الذهب وابن خلكان. (٢) الزيادة عن شذرات الذهب.
(٣) فى الأصل: «الشيبى». والتصويب عن شذرات الذهب وتاريخ الدول والملوك. (٤) الخبرى: نسبة الى خبر، قرية بشيراز عن (لب اللباب). (٥) هو أبو المحاسن يوسف بن أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد التيمى البكرى البغدادى الحنبلى أستاذ دار المستعصم بالله، ولد سنة ثمانين وخمسمائة. وتوفى سنة ٦٥٦ هـ (راجع ترجمته فى شذرات الذهب).

بأمر الله أبى نصر محمد العبّاسىّ المتولّى الخلافة بعد وفاة والده النـاصر لدين الله .
[ومضمون رسالته طلب رجوع المعظم عن موالاة آبن الخُوَارَزْمِىّ] (١) .

قال أبو المظفّر ســبط آبن الجَوْزِىّ ، قال لى الملك المعظّــم ، قال خالك : المصلحة رجوعك عن هذا الخارجىّ (يعنى جلال الدين [بن] الخُوَارَزْمِىّ) وترجع إلى إخوتك ونصلح بينكم ؛ قال : فقلت لخالك : إذا رجعتُ عن [آبن] الخُوَارَزْمِىّ وقصدنى إخوتى تُنجدونى ؟ قال : نعم؛ فقلت : مالكم عادة تُنجِدون أحدا ! هذه كتب الخليفة النـاصر لدين الله عندنا ، ونحن على دِمْياط نكتب ونستصرخ به ، فيجىء الجواب بأنّا قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يفعلوا . قال : قلتُ : مَثَلِى معكم كمثل رجل كان يخرج إلى الصلاة و بيده عُكّاز خوفاً من الكلاب ، فقال له بعض أصدقائه : أنت شـيخٌ كبير ، وهذا العُكّاز يُثْقِلك ، وأنا أدُلك على شىء يُغنيك عن حمله ، قال : وما هو؟ قال : تقرأ سورة يسۤ عند خروجك من الدار، وما يقربك كلب ، وأقام مدّةً فرأى الشـيخ حامل العُكّاز ، فقال له : أما قد علّمتك ما يُغنيك عن حمله ؟ فقال : هذا العُكّاز لكلب لا يعرف القرآن . وقد آتفق إخوتى علىّ ، وقد أنزلتُ [آبن] الخُوَارَزْمِىّ على خِلاط ، إن قصدنى أخى الأشرف (٢) منعه ؛ و إن قصدنى أخى الكامل (يعنى صاحب الترجمة) فأنا له . ثم آصطلح الإخوة بعد ذلك فى السنة .

وفيها تُوُفّى كافور بن عبد الله شِبْل الدولة الحُسامىّ (٣) خادم ستّ الشام بنت أيّوب . كان عاقلا ديّنا صالحا ، بنى مدرســته على نهر ثَوْرَا بدِمَشق لأصحاب أبى حنيفــة — رضى الله عنه — والخانقاه إلى جانب مدرســته . وكانت وفاته بدمشق فى شهر رجب .

(١) التكلة عن الذيل على الروضتين وعقد الجمان . (٢) وقــد كان الأشرف بحران .
(٣) الحسامى : نسبة الى حسام الدين محمــد بن عمر ابن لاجين ولد ست الشام كما تقدّم فى حوادث ســنة ٦١٦ ﻫ .

وفيها تُوُفِّى الخليفة أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد الهاشمىّ العباسىّ البغدادىّ . ولى الخلافة بعد وفاة أبيه فى السنة الماضية فلم تَطُل مدّتُه فيها، ووقع له شدائد إلى أن مات فى شهر رجب؛ وأمُّه أمّ ولد . وكانت خلافته تسعة أشهر وأيّاما، وكان مولده فى المحرّم سنة سبعين[1] وخمسمائة، وكان جميلَ الصورة أبيضَ مُشْرَبًا بحُمرة حُلْوَ الشمائل شديدَ القُوَى . أفضت الخلافة إليه، وله آثنتان وخمسون سنة إلا أشهرا، فقيل له : ألا تتفسح ؟ فقال : قد فات الزرع! فقيل له : يبارك الله فى عمرك، فقال : مَن فتح دكّانا بعد العصر إيش يكسب ! . وكان خيِّرا عادلا قطع الظُّلامات والمُكوس، حتّى قيل : إنّ جملة ماقطع من الظُّلامات والمكوس ثمانيةُ آلاف دينار فى كلّ سنة، وتصدّق فى ليلة العيد بمائة ألف دينار . وسببه أنّه لمّا ولى الخلافة ولّى الشيخ عماد الدين[2] ابن الشيخ عبد القادر الجيلىّ القضاء، فما قَبِل عماد الدين إلّا بشرط أن يُورِّث ذوى الأرحام ، فقال له الخليفة : أَعْطِ كلَّ ذى حقّ حقَّه وآتّق الله ولا تتق بسواه؛ فكلّمه القاضى أيضا فى الأوراق التى تُرفع إلى الخليفة؛ وهو أنّ حُرّاس الدروب كانت تَرْفَع إلى الخليفة فى صبيحة كلّ يوم ما يكون عندهم من أحوال الناس الصالحة والطالحة، فأمر الظاهر بتبطيل ذلك، وقال : أىّ فائدة فى كشف أحوال الناس! فقيل له : إن تركتَ ذلك فسدَتْ أحوال الرعيّة، فقال : نحن ندعو لهم بالإصلاح . ثم أعطى القاضىَ المذكور عشرةَ آلاف دينار يَفى بها ديون مَن فى السجون من الفقراء، ثم فرّق بقيّة المائة الألف الدينار فى العلماء والفقراء . ولمّا مات الظاهر تولّى الخلافةَ بعده ولدُه المستنصر بالله أبو جعفر .

(١) فى شذرات الذهب أنه ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة .

(٢) هو عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلى . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٣ هـ .

الدين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو المحاسن محمد بن السيد بن أبى لُقْمة الأنصارىّ الصفّار فى شهر ربيع الأوّل عن أربع وتسعين سنة. وقاضى الشام جمال الدين يُونُس بن بَدْرَان القرشىّ المصرىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الأوّل، ودُفن بقرب الصليحيّة[1]. وشمس الدين أحمد بن عبد الواحد المَقْدِسىّ الملقّب بالبُخارىّ الفقيه المُناظر فى جُمادى الآخرة، وله تسع وخمسون سنة. والتقىّ خَزْعَل[2] ابن عسكر المصرىّ النحوىّ اللغوىّ بدِمَشق. والمحارى[3] الزاهد أبو محمد عبد الرحمن ابن عبد الله بن عُلْوان بحلب فى جمادى الآخرة، وله تسعون سنة. والعلّامة إمام الدين عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل الرافعىّ القَزْوِينىّ صاحب الشرح[4]. والظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر لدين الله فى رجب، وله ثلاث وخمسون سنة، وكانت خلافته عشرة أشهر. و بويع بعده آبنه المستنصر.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

*
* *

السـنة التاسعة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع وعشرين وستمائة.

فيها عاد الملك الأشرف موسى آبن الملك العادل إلى بلاده بعد أن صالح أخاه الملك المعظّم عيسى آبن الملك العادل، وكلاهما أخو الملك الكامل هذا.

---

(١) فى شذرات الذهب «القليجية». (٢) ضبطه السيوطى فى بغية الوعاة (بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه). (٣) كذا فى الأصل. وقد ترجمت له جميع المصادر التى تحت أيدينا ولم تذكر هذه النسبة. (٤) هو الشرح الكبير المسمى العزيز، أو الفتح العزيز فى شرح الوجيز وهو شرح مشهور فى فروع الشافعية (عن طبقات الشافعية).

وفيها حجّ بالناس من الشام الشجاع [علىّ][1] بن السلّار، ومن ميّافارقين الشهاب غازى ابن الملك العادل .

وفيها توُفّى السلطان الملك المعظّم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيّوب بن شادى الأيّوبىّ صاحب الشام . قال أبو المظفّر : وفيها تُوُفّى الملك المعظّم العالم الفقيه المجاهد فى سبيل الله الغازى النحوىّ اللغوىّ . وُلد بالقاهرة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة، ونشأ بالشام وقرأ القرآن وتفقّه على مذهب أبى حنيفة بجمال الدين الحَصيرىّ[2]، وحفظ المسعودىّ، واعتنى «بالجامع الكبير»[3]، وقرأ الأدب [والنحو][4] على تاج الدين الكِنْدىّ[5]، فأخذ عنه « كتاب سيبويه » وشرحَه الكبير للسيرافىّ، « والحجّة فى القراءات » لأبى علىّ الفارسىّ « والحماسة »، وقرأ عليه «الإيضاح» لأبى علىّ حفظًا، ثمّ ذكر مسموعاته فى الحديث وغيره إلى أن قال : وشرح الجامع الكبير، وصنّف الرّدّ[6] على الخطيب، والعروض، وله «ديوان شعر» . قال : وكان شجاعا مِقْداماً كثير الحياء متواضعاً مليحَ الصورة ضَحُوكاً غَيُوراً جَوَاداً حسن السِّيرة . وأطلق أبو المظفّر عنان القلم فى مَيْدان محاسنه حتّى إنّه ساق ترجمته فى عدّة أوراق فى مرآة الزمان .

(١) التكملة عن عقد الجمان والذيل على الروضتين . (٢) فى الأصل : « بفخر الدين الرازى » . وهو خطأ والتصحيح عن تاريخ الدول والملوك وشذرات الذهب وتاج التراجم والجواهر المضية فى طبقات الحنفية . وهو جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البخارى الحصيرى شيخ الحنفية فى عصره . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٦ هـ . (٣) هو الجامع الكبير فى الحديث للبخارى .

(٤) زيادة عن تاريخ الدول والملوك . (٥) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث بن ذى رعين الأصغر الامام تاج الدين أبو اليمن الكندى النحوى، ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦١٣ هـ . (٦) يريد به كتاب «السهم المصيب فى الردّ على الخطيب » وهو أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الحافظ . (عن كشف الظنون وتاريخ الدول والملوك) وقد ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٤٦٣ هـ .

قلت : ويحقّ له ذلك ، فإنّ المعظّم كان فى غاية ما يكون من الكمال فى عِدّة علوم وفنون، وهو رجل بنى أيّوب وعالمُهم بلا مدافعة، ومحاسنه أشهر من أن تُذكر.

وكانت وفاته — رحمه الله — فى ثالث ساعة من نهار الجمعة أوّل يوم من ذى الحجّة، ودُفن بقلعة دِمشق، ثم نُقِل بعـد ذلك من قلعة دمشق ودُفِن مع والدته فى القبّـة[1] عند الباب[2] . وخلّف عِدّة أولاد : الملك الناصر داود، والملك المغيث عبد العزيز، والملك القاهر عبد الملك، ومن البنات تسعا ، وقيل إحدى عشرة . وتولّى آبنه الناصر داود دِمَشق بعده إلى أن أخذها منه عمّه الملك الكامل صاحب الترجمة .

وفيها تُوُفّى الملك جِنْكِزْخَان التركىّ، طاغيـة التّار وملكُهم الأوّل الذى خرّب البلاد وأباد العباد، وليس للتتار ذكر قبله .

قلت : هو صاحب « التورا » « واليسق » ، وقد أوضحنا أمره فى غير هـذا الكتاب، وذكرنا أصله وآعتقاد التتار فيه وأشـياء كثيرة . والتورا باللغة التركية هو المذهب، واليسق هو الترتيب، وأصل كلمة اليسق سى يسا، وهو لفظ مركّب من أعجمىّ وتركىّ ، ومعناه: التراتيب الثلاث، لأنّ سى بالعجمى فى العدد ثلاثة ، و يسا بالتركى: الترتيب، وعلى هذا مشت التتار من يومه إلى يومنا هذا، وآنتشر ذلك فى سائر الممـالك حتّى ممالك مصر والشام ، وصاروا يقولون : « سى يسا » فثقُلَتْ عليهم فقالوا : « سياسة[3] » على تحاريف أولاد العرب فى اللغات الأعجمية . ولمّا أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البُنْدُقْدَارِىّ أحبّ أن يسلُك فى مُلْكه بالديار المصريّة طريقة جِنْكِزْخَان هذا وأمورَه ، ففعل ما أمكنه، ورتّب فى سلطنته

(١) فى ابن خلكان : « ثم نقل إلى تربتـه فى مدرسته التى أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير » . (٢) فى ابن خلكان وشذرات الذهب : «ودفن خارج باب النصر (أحد أبواب دمشق) فى مدرسـة شمس الدولة » . (٣) راجـع المقريزى (ج٢ ص ٢٢٠) تحت عنوان : «ذكر أحكام السياسة» فقد أطال الكلام فى ذكر شىء من شريعة التتار.

أشياءَ كثيرة، لم تكن قبله بديار مصر : مثل ضرب البُوقات، وتجديد الوظائف، على ما نذكره — إن شاء الله تعالى — في ترجمتــه . وآستمرّ أولاد جِنكِزْخان في ممالكه التي قسمها عليهم في حياته، ولم يختلف منهم واحد على واحد، ومَشَوْا على ما أوصاهم به، وعلى طريقته «التورا» و «اليسق» إلى يومنا هذا . انتهى .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هــذه السنة، قال : وفيهــا تُوفّى داود بن مُعَمَّر بن عبد الواحد بن الفاخر القرشيّ في رجب أو في شـعبان، وله تسعون سنة . وطاغية التتار جِنكِزْخان في شهر رمضان . وقاضي القضــاة بحرّان أبو بكر عبد الله بن نصر الحنبليّ، وله خمس وسبعون سنة . وأبو محمد عبد البرّ[1] آبن الحافظ آبن العلاء الهَمَذانيّ برُوذَراوَر[2] في شـعبان . والبهاء عبد الرحمن بن إبراهيم المَقْدِسيّ الحنبليّ الفقيه المحدّث في ذي الحِجّة، وله تسع وستون سنة . والملك المعظّم شرف الدين عيسى بن العـادل في ذي القعدة، وله ثمـاني وأربعون سنة . وأبو الفرج الفتح بن عبد الله [بن محمد[3] آبن عليّ بن هبة الله] بن عبد السلام الكاتب في المحرّم، وله سبع وثمــانون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — المــاء القديم أربع أذرع وعشرون إصـبعا . مبلغ الزيادة سبع أذرع[4] وآثنتا عشرة إصبعا . هكذا وجدته مكتوبا، ولعـلّه وهم من الكاتب .

***

السنة العاشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي سنة خمس وعشرين وستمائة .

---

(١) في شذرات الذهب : « عبدالله ابن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني » .

(٢) روذراور : كورة قرب نهاوند من أعمال الجبال، وهي مسيرة ثلاثة فراسخ، فيها ثلاث وتسعون قرية (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه .

(٤) في كنز الدرر ودرر التيجان : « مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وعشر أصابع » .

فيها نزل جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه على خِلاط مرّة ثانية، وهجم عليه الشتاء فرحل عنها إلى أَذْرَبِيجَان، وخرج الحاجب عليّ[1] من خِلاط بالعسكر، فآستولى على خُوَى[2] وسَلْمَاس[3] وتلك النواحى، وأخذ خزائن جلال الدين المذكور وعاد إلى خلاط، فقيل له: بئس ما فعلت! وهذا يكون سببا لهلاك العباد والبلاد، فلم يلتفت.

٥ وفيها كان فراغ مدرسة ركن الدين الفلكى بقاسِيون دمشق.

وفيها تُوفّى عبــد الرحيم بن علىّ بن إسحاق سبط القاضى جمال الدين القرشىّ. كان إماما عالمًـا فاضلا غزير المُرُوءة كثير الإحسان شاعرًا مترسّلًا، وكانت وفاته بدمشق فى سابع المحرّم. ومن شعره قوله فى مليح بالحمّـام:

تجــرّد للحَمّام عن قشر لؤلؤ * وألْبِس من ثوب المحاسن ملبوسَا

١٠ وقد زُيّن الموسى لتزيين رأسه * فقلت لقد أُوتيتَ سُؤْلَكَ ياموسى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هــذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو المعالى أحمد ابن الخضر بن هبة الله بن طاوس الصوفىّ فى رمضان. والمحدّث محبّ الدين[4] أحمد ابن تميم اللَّبْلِىّ[5]. وأبو منصور أحمد بن يحيى بن البرّاج[6] الصوفىّ الوكيل فى المحرّم. والعلامة أبو القاسم أحمــد بن يزيد القُرْطبىّ آخر مَن روى بالإجازة عن شُرَيْح

١٥ (١) هو حسام الدين على بن حماد المتولى لبلاد خلاط والحاكم فيها من قبل الأشرف. (عن ابن الأثير).
(٢) فى الأصل غير واضح. وما أثبتناه عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا اسماعيل وخوى: بلد مشهور من أعمال أذربيجان حصن كثير الخير والفواكه، تنسب اليها الثياب الخوية، و ينسب اليها كثير من العلماء. (٣) فى الأصل: «سلمان» والتصحيح عن مرآة الزمان. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٥٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٤) فى الأصل: «مجد الدين».
٢٠ والتصحيح عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين ومعجم البلدان لياقوت. (٥) اللبلى: نسبة الى لبلة، كورة بالأندلس كبيرة، يتصل عملها بعمل أكشونية وهى شرق من أكشونية وغرب من قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام (عن معجم البلدان لياقوت). (٦) كذا فى الأصل والقصيدة اللامية فى التاريخ. وفى شذرات الذهب: «البراح» بالحاء المهملة.

فى رمضان . وأبو علىّ الحسن بن إسحاق بن موهوب بن [أحمد][1] الجَوَالِيقىّ
فى شعبان ، وله إحدى وثمانون سنة . ونَفِيس الدين الحسن بن علىّ [بن أبى القاسم
الحسين][2] بن الحسن بن البَنّ الأَسَدِىّ فى شعبان ، وله ثمان وثمانون سنة .
والرئيس المنشئ جمال الدين عبد الرحيم بن علىّ[3] بن إسحاق بن شِيث القرشىّ
القَرَضىّ بدمشق فى المحرّم ، وكان كاتب المعظّم . وأبو منصور محمد بن عبد الله بن   ٥
المبارك البَنْدَنِيجِىّ .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وتسع عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وخمس أصابع .

*
* *

السنة الحادية عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن   ١٠
أيّوب على مصر ، وهى سنة ستّ وعشرين وستمائة .

فيها أعطى الملك الكامل صاحب الترجمة بيت المقدس لملك الفرنج الأنبرور[4] .

وفيها خرج الملك الكامل فى صفر من مصر ، ونزل تلّ العجول[5] ، وكان الملك
الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق كاتَبَ عمّه الملك الأشرف
موسى بالحضور إلى دمشق ، فوصل إليها ونزل بالنَّيْرَب[6] ، وكان عزّ الدين   ١٥
أَيْبَك قد أشار على الملك الناصر داود بمداراة عمّه الملك الكامل محمد صاحب مصر

---

(١) الزيادة عن المختصر المحتاج اليه وشذرات الذهب .   (٢) تكملة عن شذرات الذهب .
(٣) فى الأصل : « على بن الحسين » . وما أثبتناه عما تقدّم ذكره للؤلف وعقد الجمان وشذرات
الذهب . وفى الذيل على الروضتين : «عبد الرحيم بن على بن شيث بن إسحاق» .   (٤) فى الأصل :
«الأبروز» . وفى عقد الجمان : « الأنبروز» . وفى تاريخ ابن الوردى : «الانبراطور» . وما أثبتناه   ٢٠
عن مرآة الزمان وشذرات الذهب والذيل على الروضتين وابن الأثير .   (٥) كذا ورد فى الأصل
وابن الأثير ومرآة الزمان وعقد الجمان . وقد بحثنا عنه كثيرا فى المعاجم التى تحت أيدينا فلم نوفق الى معرفته .
(٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

تخالفه ؛ وقال الناصر لعمّه الأشرف[(١)] فى قتال عمّه الكامل ، فلم يلتفت الأشرف إلى كلامه ؛ وآجتمع الأشرف مع أخيـه الملك الكامل وآتّفقا على حصار دمشق .
ووصلت الأخبار بتسليم القُـدْس إلى الأنبرور ، فقامت قيامة الناس لذلك ووقع أمور ، وتسلّم الأنبرور القدس ؛ والكامل والأشرف على حصار دمشق ، فلم يُقم الأنبرور بالقـدس سوى ليلتين ، وعاد إلى يافا بعـد أن أحسن إلى أهل القدس ، ولم يُغَيِّر من شعائر الإسلام شيئا .

وفيها سلّم الملك الناصر داود إلى عمّه الملك الكامل دمشق وعوّضه عمُّه الكامل الشُّوبَك ، وذلك فى شهر ربيع الآخر من السنة .

وفيها توفى أُضْسِيس المعروف بأقسيس المنعوت بالملك المسعود بن الملك الكامل صاحب الترجمة ، مرِض بعد خروجه من اليمن مرضًا مزمنا ، ومات بمكّة ودفن بالمَعْلَى فى حياة والده الملك الكامل ، وكان معه من الأموال شىء كثير . وكان ظالما جبّارا سفّاكا للدماء قتَل باليمن خلائق لا تدخل تحت حصر ، وآستولى على أموالهم . وكان أبوه الملك الكامل يكرهه ويخافه . ودام باليمن حتى سمِـع بموت عمّه الملك المعظّم عيسى ، فخرج من اليمن بطمع دمشق ، فمرِض ومات . فلمّا سمع أبوه الملك الكامل بموته سرّ بذلك ، وآستولى على جميع أمواله .

وفيها تُوُفِّى الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى الشيخ الإمام أبو القاسم الدمشقىّ التَّغْلَبىّ . سمِـع الحافظ آبن عساكر وغيره ، وروى الكثير ، وكان صالحا ثِقة — رحمه الله — .

---

(١) عبارة مرآة الزمان : «وقال الأشرف للناصر : أنا أمضى الى الكامل وأصلح حالك معه ومضى اليه فوجده قد دفع القدس إلى الأنبرور» .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو القاسم [الحسن](١) ابن هِبَة الله بن محفوظ بن صَصُرّى التَّغْلَبيّ في المحرّم، وقد قارب التسعين . وتُوفّيت أمة الله بنت أحمد بن عبد الله بن علىّ الآبَنُوسىّ . وأبو الحسن محمد بن محمد بن أبي حَرْب النَّرْسِىّ الشاعر . والمهذّب بن علىّ بن قُنَيْدَة(٢) أبو نصر الأَزَجىّ . والملك المسعود أقسيس صاحب اليمن ابن الملك الكامل في جُمادى الآخرة . ٥

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وإحدى عشرة إصبعا .

⁂

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي سنة سبع وعشرين وستمائة . ١٠

فيها أخذ السلطان جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه مدينة خِلاط(٣) بعد حصار طويل أقام عليها عشرة أشهر، ولمّا بلغ صاحبَها الملكَ الأشرفَ ذلك استنجد بملك الروم وغيره من الملوك، وواقع جلالَ الدين الخَوَارَزْمِىّ المذكور وكسره بعد أمور، وقَتَل معظم عسكره، وآمتلأت الجبال والأودية منهم، وشَبِعت الوحوش والطيور من رِممهم، وعظُم الملك الأشرف في النفوس . ١٥

وفيها تُوفّى الحسن بن محمد بن الحسن بن هِبة الله الشيخ أبو البركات زَيْن الأمناء المعروف بابن عساكر في ليلة الجمعة سابع عشر صفر، ودُفن عند أخيه(٤) فخر الدين، وكان فاضلا محدّثا، سمع الكثير ورَوَى تاريخ الحافظ ابن عساكر .

(١) التكلة عما تقدم ذكره للؤلف وشذرات الذهب . (٢) في الأصل : «ابن عبدة» والتصويب عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . (٣) راجع تفصيل هذه الواقعة في مرآة الزمان وعقد الجمان فقد تبسطا فيها . (٤) هو عبد الرحمن بن محمد ابن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الامام المفتي . وقد ذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٢٠ هـ . ٢٠

وفيها توفّى فِتيان بن علىّ بن فِتيان الأسدىّ الحَرِيمىّ[1] المعروف بالشّاغُورِىّ المعلّم الشاعر المشهور، كان فاضـلا شاعرا خدَم الملوك ومدحهم وعلّم أولادهم، وله ديوان شعر مشهور. قال الإسْعِردِىّ[2]: إنّه مات فى هذه السنة. وقال ٱبن خلّكان: إنّه توفّى سَحَر الثانى والعشرين من المحرّم سنة خمس[3] عشرة وستمائة بالشّاغُور[4]، ودُفن [بمقابر][5] الباب الصغير، وقول ٱبن خلّكان هو الأرجح. انتهى. ومن شـعر الشاغورىّ فى مدح أرض الزَّبَدَانِى[6] من دِمشق:

قد أجمد الخَمرَ كانونٌ بكلّ قدحْ * وأخمد الجمرَ فى الكانون حين قَدَحْ

يا جنّـةَ الزَّبَدَانِى أنت مُسْفِرَةٌ * بحسن وجهٍ إذا وجهُ الزمان كَلَحْ

فالثلج قطنٌ عليه السحبُ تَنْـدِفُه * والجوّ يحلُجه والقوس قوسُ قُزَحْ

١٠ وله وقد دخل الحمّام وماؤها شديد الحرارة، وكان قد شاخ، فقال:

أرى مـاءَ حمّامِـكم كالحَمِـيم * نكابد منـه عَنـاءً وبُوسَا

وعهدِى بكم تسمِطُون الجِداء * فما بالُكم تسمطون التُّيوسَا

ومثل هذا قول بعضهم:

حمّـامكم هـذه حِمَـامٌ * وَقُودُها الناسُ والحجارهْ

١٥ أعجبُ شىءٍ رأيتُ فيها * طَهُورُها ينقُض الطَّهاره

ومن أحسن لغز سمعناه فى الحمّام:

---

(١) فى ابن خلكان: «الحنفى». (٢) هو أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن هبة بن رحمة الحنبلى المحدث خطيب بيت لهيا. وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٣٩ هـ. (٣) وافق ابن خلكان فى ذلك صاحب شذرات الذهب والقصيدة اللامية فى التاريخ. وقد نقل المؤلف فى سنة ٦١٥ وفاته عن الذهبي. (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٢٦ من هذا الجزء. (٥) زيادة عن ابن خلكان. (٦) الزبدانى: قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه.

٢٠

وما ليــلُ يخالطه نهــارُ * وأقمــارُ تَصُدُّ عن الشموس
وأنهارَ على النِّيران تجــرى * وأسلحةٌ تُسَلُّ على الرءوس

الذين ذكر الذَّهبيّ وفاتَهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى زين الأمناء الحسن ابن محمد بن الحسن بن عَسَاكر في صفر، وله ثلاث وثمانون سنة . والشرف راجح ابن إسماعيل الحِلّيّ الشاعر . وعبــد الرحمن بن عَتِيق [بن عبد العزيز][1] بن صــيلا المؤدِّب . وعبد السلام بن عبد الرحمن [ابن الأمين][2] علىّ [بن علىّ][2] بن سُكَيْنة . وأبو المعــالى محمد [بن أحمــد][2] بن صالح الحنبلىّ ببغــداد . وفخر الدين محمــد بن عبد الوهاب الأنصارىّ يوم عيد الأضحى .

§ أمر النيل في هذه الســنة — المــاء القديم ذراعان ســواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

*
* *

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكــر بن أيّوب على مصر، وهى سنة ثمان وعشرين وستمائة .

فيها ساق التّتار خَلْف السلطان جلال الدين بن خُوَارَزْم شاه بعــد أن واقعهم عِدّةَ وقائع من بلاد تِبْرِيز، فانهزم بين أيديهــم إلى ديار بكر، فقُتِــل في قريةٍ من أعمال مَيّافارِقين .

وفيها توفى بَهْرَام شاه بن فرخشاه بن شاهِنْشاه بن أيّوب، الملك الأمجد صاحب بعلبكّ . كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب أعطاه بعلبكّ عند وفاة أبيه

(١) في الأصل : «ابن عتيق بن صلايا» . والزيادة والتصحيح عن شذرات الذهب والقصيدة اللامية في التاريخ . (٢) التكلة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه .

سنة ثمـان وسبعين وخمسمائة، فأقام فيها خمسين سـنة حتى حصره الملك الأشرف موسى بن العادل أبى بكر بن أيوب وأخرجه منها، وساعده عليه آبن عمه أسدُ الدين شيركُوه صاحب حِمْص؛ فآنتقل الملك الأمجد إلى الشام وسكنها حتى قتله بعض مماليكه غِيلةً؛ وكان فاضلاً شاعرا فصيحا كاتباً، وله ديوان شعر كبير. ومن شعره «دو بيت»:

كم يذهب هذا العمرُ فى الخُسْرانِ * يا غفلتى فيـه وما أنسانِى
ضيّعت زمانى كلَّه فى لَعِبِ * يا عمـرُ فهل بعـدَك عمرٌ ثانِ

قلت: وما أحسنَ قولَ قاضى القُضَاة شهاب الدين أحمد بن حَجَر[1] — رحمه الله — فى هذا المعنى، وهو ممّا أنشدنى من لفظه لنفسه — عفا الله عنه —:

خليلىّ ولّى العمر منا ولم نَتُبْ * وننوى فعالَ الصالحاتِ ولٰكنّا
فحتّى متى نَبنى بيـوتا مَشيدَةً * وأعمارُنا منا تُهَـدّ وما تُبْنَى

وما ألطفَ قولَ السِّراج الوَرّاق[2] — رحمه الله — وهو قريب ممّا نحن فيه:

يا خَجلتِى وصحائفِى سُودًا غَدَتْ * وصحـائفُ الأبرار فى إشراقِ
وفضيحتِى لمعنِّفٍ[3] لى قائلٍ * أكذا تكون صحائفُ الورّاقِ

وفيها قُتِل السلطان جلال الدين بن خُوارَزْم شاه، وآسمه تُكُش[4]، وقيل محمود ابن السلطان علاء الدين خُوارَزْم شاه؛ وآسمه محمـد بن تكش، وهو من نسل

(١) هو شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن على بن أحمد قاضى القضاة شيخ الإسلام أبو الفضل الشهير بابن حجر الكنانى العسقلانى. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٥٢ هـ. (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. وسيذكره المؤلف أيضا فى حوادث سنة ٦٩٥ هـ.
(٣) هذه رواية فوات الوفيات. وفى الأصل:

* وتوقفى لموبخ لى قائل *

(٤) فى عقد الجمان وشذرات الذهب أنه يسمى: «منكبرى». وقال صاحب مرآة الزمان إنهم اختلفوا فى اسمه.

عبد الله بن طاهر بن الحسين، وَجدُّه تُكُش هو الذى أزال مُلك السَّلْجُوقِيّة . قُتِل بديار بكر، كما ذكرناه فى أوّل هذه السنة . ولمّا قُتِل دخل جماعةٌ على الملك الأشرف موسى فهنّئوه بموته؛ فقال : تهنّونى به وتفرحون! سوف تَرَوْن غِبَّهُ! والله لتكونَنّ هـذه الكَسْرةُ سبباً لدخول التتار إلى بلاد الإسلام ، ما كان الخُوارِزْمِىّ إلّا مثـل [السدّ][1] الذى بيننا وبين يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ؛ فكان كما قال الأشرف . كان الخُوَارَزْمِىّ يقاتل التتار عشرة أيّام بلياليها بعساكره، يترجّلون عن خيولهم ويلتقون بالسيوف ، ويبقى الرجل منهم يأكل ويبول وهو يقاتل .

وفيها توفّى المهذّب بن الدَّخْوَار الطبيب ، كان فاضلا حاذقا بعِلْم الطبّ أستاذَ عصره ، تقـدّم على جميـع أطبّاء زمانه ، ومع هـذا مات بستة أمراض مختلفة، ووَقَف دارَه وكتبه على الأطبّاء .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيها تُوفّى أبو نصر أحمد بن الحسين بن عبـد الله بن النَّرْسىّ البَيِّع فى رجب، وله ثلاث وثمانون سنة . والملك الأمجد مجد الدين بَهْرَام[2] شاه بن فرخشاه صاحب بعلبكّ . ومحمد بن عمر بن حسين المقرئ الكُرْدِىّ بدِمَشق . والمهذّب عبـد الرحيم بن علىّ رئيس الطبّ، ويعرف بالدَّخْوَار فى صفر . وأبو الفضل عبد السلام بن عبد الله الدَّاهِرِىّ[3] الخَفّاف فى شهر ربيـع الأوّل عن ثنتين وثمـانين سنة . وأبو الرضا محمـد بن أبى الفتح المبـارك [ابن عبد الرحمن][4] ابن عَصِيّة الحَرْبِىّ فى المحرّم، وله ثلاث وثمـانون سنة .

(١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) فى الأصل : «ابن الحسن» . وما أثبتناه عن غاية النهاية . (٣) فى الأصل : «الزاهرى» . وهو تصحيف . والتصويب عن المشتبه وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . والداهرى : نسبة إلى الداهرية، قرية ببغداد .
(٤) التكملة عن المشتبه وشذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

والعلّامة زَيْن الدين يحيى بن عبد المُعْطِى بن عبــد النُّور الزَّوَاوِىّ النحوىّ[1] فى ذى القعدة بمصر .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم ذراع واحدة ونصف إصــبع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا ســواء .

*
* *

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمــد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة تسع وعشرين وستّمائة .

فيها عاد التَّتَار إلى الجزيرة وحَرّان وقتلوا وأسَروا وسَبَوْا ، وخرج الملك الكامل صاحب الترجمة من مصر إلى أن وصــل إلى ديار بكر وآجتمع مع أخيه الأشرف موسى، وآجتمعوا على دفع التَّتَار، وكان أهلُ حَرّان قد خرجوا لقتال التّتار، فما رجع منهم إلّا القليل. وعاد التَّتَار إلى بلادهم بعد أمور صدَرت منهم فى حقّ المسلمين . فلمّا بلغ الكاملَ عَوْدُ التَّتَار نزل على مدينة آمِد ومعه أخوه الأشرف، وحاصرها حتّى آستولَى عليها وعلى عِدّة قِلاع .

وفيها تُوفّى إسماعيل بن إبراهيم الشيخ شرف الدين الفقيه الحنفىّ وهو آبن خالة شمس الدين ابن الشِّيرازِىّ . كانـــ فقيها فاضلا زاهدا عابدا وَرِعًا وله تصانيف حِسان ، منها «مقدمة فى الفرائض» ، وكان بعَث إليه الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق يقول : أَفْتِ بإباحة الأَنْبِذة، وما يعمل من ماء الرّمّان ونحوه، فقال: لا أفتح هذا الباب على أبى حنيفة ! إنّمــا هى رواية النوادر ، وقد صحّ عن أبى حنيفة أنّه

(١) هو ابن معطى النحوى المشهور صاحب الألفيــة التى أشار اليهــا ابن مالك . كان إماما مبرزا فى العربية شاعرا محسنا . والزواوى (بالفتح) نسبة الى زواوة : قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية .

ما شربه قطُّ، وحديث ٱبن مسعود لا يصحّ، وكذا ما يُرْوَى عن [1] عمر في إباحة شربه لا يثْبُت عنه . فغَضِب المعظّم وأخرجه من مدرسة طَرْخَان .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها تُوفّي أبو القاسم أحمد بن أحمد بن السِّمَّذِيّ [2] الكاتب . والحافظ أبو موسى عبد الله ٱبن الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المَقْدِسيّ في رمضان، وله ثمانٍ وأربعون سنة . وعبد اللطيف بن عبد الوهاب بن الطُّبَرِيّ في شعبان . والعَلّامة موفّق الدين عبد اللطيف بن يوسف ٱبن محمد البَغْداديّ النحويّ الطبيب في المحرّم عن ٱثنتين وسبعين سنة . والزاهد الشيخ عمر بن عبد الملك الدِّينَوَرِيّ بقاسِيُون . وأبو حفص عمر بن كرم بن أبي الحسن الدِّينَوَرِيّ الحَمّامي في رجب، وله تسعون سنة . وأبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى المقرئ بالإسْكَنْدَرِيّة . والحافظ مُعِين الدين أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نُقْطَة الحنبليّ في صفر كَهْلًا .

+ + +

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وثماني أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

+ + +

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي سنة ثلاثين وستمائة .

فيها فتح الملك الكامل محمد صاحب الترجمة آمِد، وأخرج منها صاحبها الملكَ المسعودَ بن مودود بعد حصار طويل؛ وتسلّم منه جميع القِلاع التي كانت بيده،

(١) في الأصل : «وكذا ما يروى عن محمد» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٢) السمذي : نسبة الى السمذ، وهو الخبز الأبيض الذي يعمل للخواص .

وبقى حصنُ كَيْفَا عاصياً ؛ فبعث الكامل أخاه الأشرف، وأخاه شهاب الدين غازيا ، ومعهما صاحب آمِد تحت الحَوْطة؛ فسألهم صاحب آمِد فى تسليم الحصن فلم يُسلِّموا البلد، فعذّبه الأشرف عذابا عظيما، وكان يبغضه ؛ ولا زال الأشرف يحاصر حصن كَيْفَا حتّى تسلّمها بعد أمور فى صفر من السنة ، ووجد عند مسعود المذكور خمسمائه بنتٍ من بنات الناس للفراش .

وفيها فُتِحت دارُ الحديث الأشرفيّة المجاورة لقلعة دمشق التى بناها الملك الأشرف موسى ، وأملَى بها ابنُ الصلاح[1] الحديث ، وذلك فى ليلة النصف من شعبان، ووقف عليها الأشرف الأوقاف، وجعل بها نعل النبىّ صلّى الله عليه وسلم.

وفيها تُوفّى الوزير[2] صَفِىّ الدين عبد الله بن علىّ بن شُكْر، وزيرُ الملك العادل؛ وأصله من الدَّميرة[3]، وهى قرية بالوجه البحرى من أعمال مصر . وكان صفىّ الدين المذكور وزيراً مَهيبا عالما فاضلا له معرفة بقوانين الوزارة، وكانت عنايته مصروفة إلى العلماء والفقهاء والادباء ، وكان مالكىّ المذهب . ومات بالقاهرة وهو على حُرْمته ، وله بالقاهرة مدرسة[4] معروفة به .

---

(١) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبى نصر النصرى الكردى الشهرزورى الشافعى تقى الدين المعروف بابن الصلاح . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٤٣ هـ.

(٢) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٢٢ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى، وقد وافق الذهبى فى ذلك صاحب عقد الجمان والذيل على الروضتين وشذرات الذهب . وخالف هؤلاء صاحب مرآة الزمان فذكر وفاته فى هذه السنة ووافقه المؤلف .

(٣) وهى الآن إحدى قرى مركز طلخا بمديرية الغربية .

(٤) وردت هذه المدرسة فى الجزء الثانى ص ٣٧١ من الخطط المقريزية باسم المدرسة الصاحبية بالقاهرة، كان موضعها من جملة دار الوزير يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج . أنشأها الوزير الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر الدميرى فى سنة ٦١٨ هـ وجعلها وقفا على المالكية . ثم جدّدها القاضى علم الدين إبراهيم بن عبد اللطيف بن إبراهيم المعروف بابن الزبير ناظر الدولة فى سنة ٧٥٨ هـ ، وأقام فيها منبرا فصار يصلى بها الجمعة . ويستفاد مما ذكره السخاوى فى تحفة الأحباب ص ١٨ أن المدرسة الصاحبية كانت واقعة بين المدرسة الزمامية (جامع الداودى) وبين =

وفيها تُوُفِّي الملك العزيز عثمان ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيّوب أخو الملك الكامل هذا، وكان شقيقَ المعظَّم عيسى، وهو صاحب بانْياس(١) وتِبْنين والحصون، وهو الذي بنى الصُّبَيْبَة(٢)، ودام مالكاً لهذه القلاع إلى أن مات في يوم الاثنين عاشر شهر رمضان ببستانه ببيت لِهْيَا(٣)، وحُمِل تابوتُه فدُفِن بقاسِيُون عند أخيه الملك المعظّم عيسى، وقد تقدّم أنّه كان شقيقه . ٥

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّي بهاء الدين إبراهيم ابن أبي اليُسْر شاكر بن عبد الله التَّنُوخيّ الشافعيّ في المحرّم، وولي قضاء المَعَرّة خمسة أعوام . وأبو الحسن عليّ بن أحمد بن يوسف الأَزَجيّ بالقُدْس في صفر . وأبو محمد الحسن ابن الأمير السيد عليّ بن المرتضَى العَلَويّ الحُسَيْنيّ في شعبان . وصفيّ الدين أبو بكر(٤) عبد العزيز بن أحمد [بن عمر بن سالم بن محمد](٥) بن باقا التاجر في رمضان، ١٠ وله خمس وسبعون سنة . وصاحب الصُّبَيْبَة الملك العزيز عثمان بن العادل — رحمه الله — والعلّامة عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن الأثير بن محمد بن محمد بن عبد الكريم

= المدرسة الفخرية (جامع أبو سعيد جقمق) . والظاهر أن هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحاب الدور المجاورة لها ولم يبق من آثارها إلا بعض جدران قبة قديمة لعلها موضع القبة التي دفن تحتها الوزير يعقوب بن كلس حيث ذكر المقريزي في ترجمة هذا الوزير بالجزء الثاني ص ٥ من خططه عند الكلام ١٥ على حارة الوزيرية أن موضع قبر هذا الوزير بالمدرسة الصاحبية . ويشغل مكان هذه المدرسة اليوم منزلان متجاوران البحري منهما وقف الشيخ محمد ونس الفق رقم ٨ بشارع الوزير الصاحب (المسمى خطأ باسم السلطان الصاحب) وهذا الشارع هو الذي كان يعرف قديما باسم سويقة الصاحب وكان فيه باب المدرسة ؛ والقبلي منهما هو منزل ورثة محمد أفندي على حلاوة رقم ٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة وفي داخل هذا المنزل توجد بقايا القبة السابق ذكرها . (١) راجع الحاشية ٢٠ رقم ٥ ص ١٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس ، وهي من الحصون المنيعة . (٣) بيت لهيا : قرية مشهورة بغوطة دمشق .

(٤) في الأصل : «أبو بكر بن عبد العزيز» وهو خطأ . والتصويب عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه . (٥) التكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

الشَّيْبَانِىّ الجَزَرِىّ المؤرِّخ فى شعبان، وقـد قارب ستًّا وسبعين سنة [(١)]. وصاحب إِرْبِل مُظَفَّر الدِّين كُوكُبُورِى [(٢)] آبن صاحب إِرْبِل أيضا زين الدين [(٣)] علىّ بن بُكْتِكِين التُّرْكُمانِىّ فى رمضان. والوزير مؤيّد الدِّين [(٤)] محمد بن محمد بن القُمِّىّ ببغداد. وشرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم الدِّمَشْقِىّ [(٥)] الشاعر الكاتب فى شهر ربيع الأوّل.

٥ § أمر النيـل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وعشر أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وستّ أصابع، وطال مكثه على الأراضى. والله أعلم.

\+ \+ \+

السنة السادسة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

١٠ فيهـا آجتمع الملك الكامل صاحب الترجمة وإخوتُه وأسـدُ الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص، وساروا ليدخلوا بلاد الروم من عند النهر الأزرق [(٦)]، فوجدوا الروم قد حفظوا الدَّرْبَنْد، ووقفوا على رءوس الجبال وسَدُّوا الطرق، فآمتنعت العساكر من الدخول؛ وكان الملك الأشرف صاحب دمشق يومئذ ضيِّق الصدر من أخيه الملك الكامل هـذا، لأنّه طلب منـه الرَّقّة فامتنع؛ وقال له : ما يكفيك كرسىّ بنى أُمَيَّـة ! فآجتمع أسـد الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص بالأشرف وقال له : إنّ

١٥

(١) فى الأصل : «وقد قارب أربعين سنة» وهو خطأ. والتصويب عن وفيات الأعيان وشذرات الذهب وعقد الجمان. (٢) واجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٧٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
(٣) فى الأصـل هنا : «نور الدين». والتصحيح عمـا تقدم ذكره للؤلف ص ٣٣٠ ج ٥ وعقد الجمان وشذرات الذهب. (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢١٦ من هذا الجزء.
٢٠ (٥) هو المعروف بابن عنين الشاعر المشهور الذى تقدم ذكره فى ترجمة صلاح الدين.
(٦) النهر الأزرق : نهر بالثغر بين بهسنا وحصن منصور فى طرف بلاد الروم من جهة حلب (عن معجم البلدان لياقوت).

حَكَم الكامل على الروم أخذ جميع ما بأيدينا فوقع التقاعد ، فلمّا رأى الكامل ذلك عبر الفرات ونزل السُّوَيْداء[1] ، وجاءه صاحب خَرْتَبِرْت[2] ، وهو من بنى أُرْتُق ، وقال له : عندنا طريق سهلة تدخل منها إلى الروم . فجهّز الملك الكامل بين يديه ولده الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، وآبن أخيه الملك الناصر داود بن المعظَّم ، والخادم صوابا ، فجاءتهم عساكر الروم ؛ وكان الناصر تأخّر وتقدّم صواب فى خمسة آلاف فارس ، ومعه الملك المظفَّر صاحب حَمَاة ، وقاتلوا الروم وآنهزموا ؛ فعاد الملك الكامل إلى آمِد . وكان أُسِر صواب و جماعة من الأمراء فأطلقهم الروم بعد أن أحسنوا إليهم .

وفيها قدِم رسول الأنبرور الفرنجىّ على الملك الكامل[3] بهدايا فيها دُبٌّ أبيض ، وشعره مثل شعر السَّبُع ، ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله ومعه أيضا طاوس أبيض .

وفيها تُوفّى الشيخ العارف المُسَلِّك الزاهد شهاب الدين أبو حفص — وقيل أبو عبد الله — عمر بن محمد بن عبدالله بن [محمد بن عبد الله][4] بن عَمّويه القرشىّ التَّيْمىّ البَكْرىّ السُّهْرَوَرْدِىّ الصُّوفىّ . وذكر الذهبىّ وفاته فى سنة آثنتين وثلاثين وهو الأشهر . قلت : ومولده فى شهر رجب سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بسُهْرَوَرْد ، وقَدِم بغدادَ وهو أمرد ، فصحِب عمّه الشيخ أبا النَّجيب[5] عبد القاهر وأخذ عنه التصوّف والوعظ

(١) السويداء : بلدة مشهورة فى ديار مضر قرب حران بينها وبين بلاد الروم (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) خرتبرت : اسم أرمنى ، وهو الحصن المعروف بحصن زياد فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٣) فى عقد الجمان : « إلى الملك الأشرف » .

(٤) التكملة عن طبقات الشافعية .

(٥) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٦٣ هـ . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وصحب أيضا الشيخ عبد القادر الجيلى[1]، وسمع الحديث من عمّه المذكور وغيره، وروى عنه البِرْزالى[2] وجماعة كثيرة؛ وكان له فى الطريقة قدم ثابتةُ ولسان ناطق، وولِى عِدّة رُبُط للصُّوفيّة، ونفّذه الخليفة إلى عِدّة جهات رسولًا؛ وكان فقيها عالما واعظا مُفْتِنًا مصنِّفا، وهو صاحب التصانيف المشهورة، وآشتهر آسمه وقُصِد من الأقطار، وظهرت بركات أنفاسه على خَلْق من العُصاة فتابوا، ووصل به خَلْق إلى الله تعالى، وكُفَّ بصرهُ قبل موته .

قال أبو المظفّر سبط بن الجَوْزىّ : رأيتُه فى سنة تسعين وخمسمائة يعظ برباط درب المقير[3] على منبر طين، وعلى رأســه مِئْزر صوف؛ قال : وصنّف كتابا للصوفيّة وسمّاه «عوارف المعارف» . قال : وجلس يوما ببغداد وذكر أحوال القوم وأنشد — رحمه الله تعالى وعفا عنه — :

ما فى الصِّحابِ أخو وجد نُطارِحُهُ * حديثَ نَجْـــدٍ ولا صَبٌّ نُجــاريه

وجعل يردِّد البيت ويطرَب، فصاح به شابّ من أطراف المجلس، وعليه قَبَاءٌ وكُلُوتة[4]، وقال : يا شــيخ، لم تَشْطَح وتنتقص القوم ! والله إنّ فيهــم مَن لا يَرْضَى أن يجاريَك؛ ولا يصل فهمُك إلى ما يقول، هلّا أنشدتَ :

ما فى الصِّحاب وقد سارت حُمُولُهم * إلّا مُحِبٌّ له فى الرَّكْب محبوبُ

كأنّه يوسف فى كلّ راحــلةٍ * والحىُّ فى كلّ بيتٍ منه يعقوبُ !

---

(١) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٦١ هـ . (٢) البرزالى، هو زكى الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الاشبيلى . توفى سنة ٦٣٦ هـ . (عن شذرات الذهب وطبقات الحفاظ) . والبرازلى (بكسر الباء الموحدة) : نسبة الى برزالة، قبيلة من البربر . (عن شرح القاموس) .

(٣) كذا فى الأصل : وفى مرآة الزمان : «درب المقبرة» .

(٤) الكلوتة : نوع من لباس الرأس، فارسى .

فصاح الشيخ ونزل من على المِنبر وقصده فلم يَجِدْه، ووجد موضعه حُفْرَةً بها دَمٌ مما فحص برجلية عند إنشاد الشيخ البيتَ . انتهى كلام أبي المظفّر بآختصار .

وفيها تُوفّى الشيخ علىّ[(١)] المصرى مريد الشيخ محمد الفَزَارِىّ، قدِم الشام وأقام مدّة بزاويته، وكان يَغْشاه الأكابر، وآنتفع بصحبته جماعة، وكان زاهـدا عابدا، ودُفِن بزاويته بدِمشق .

وفيهـا تُوفّى الشـيخ عبـد الله الارمنى الزاهد العابد الوَرِع، كان رحّالا سافر إلى البلاد ولَقِى الأبدال وأخذ عنهم، وكان له مجاهدات ورياضات وعبادات وسـياحات، وكان فى بداية أمره لا يَأوِى إلّا البَرَارى القِفار ويتناول المباحاتِ؛ قرأ القرآن وكتاب القُدُورى فى الفقه، وصحِب رجالا من الأولياء، وكان معدوداً من فقهاء الحنفية؛ وله حكايات ومناقب كثيرة . ومات فى يوم الجمعـة تاسع عشرين ذى القعدة، ودُفِن بسفح قاسيون، وقد جاوز سبعين سنة .

وفيهـا تُوفّى العلّامة سيف الدّين علىّ بن أبى علىّ بن محمد بن سـالم المعروف بالسيف الآمِـدِىّ ، كان إمامًا بارعًا لم يكن فى زمانه من يُجاريه فى علم الكلام . قال أبو المظفّر : وكان يُرمى بأشياء ظاهرها أنّه كان بريئا منها، لأنّه كان سريع الدَّمْعَة، رقيقَ القلب سليم الصدر، وكان مقيما بحَمَاة وسكن دِمَشق، وكان بنو العادل: المعظّم والأشرف والـكامل يكرهونه لِمَـا آشتهر عنـه من الآشتغال بالمنطق وعلوم الأوائل . ثم قال أبو المظفّر بعد كلام آخر : وأقام السيف خاملًا فى بيته إلى أن تُوفّى فى صفر، ودُفِن بقاسيون فى تربته .

(١) فى الأصل : « الشيخ على المصرى مريد الشيخ محمد النفرواني » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وفيها تُوفّى كريم الدين الخِلاطِىّ الأمير، كان أديبا لطيفًا حسنَ اللّقاء ذا مُروءة خدَم الأشرف والمعظّم والكامل، وحجّ بالناس أميرًا من الشام، وتُوفّى بدمشق ودُفِن بقاسيون عِند مَغارة الجوع .

وفيها تُوفّى الصلاح الإرْبِلِىّ[1]، كان أديبا فاضـلًا شاعرا، خدَم مظفّــر الدّين صاحب إرْبِل، ثمّ انتقــل إلى خدمة الملك المغيث بن العادل، ثمّ خدم الكامل وتقدّم فى دولته وصار نديمَــه ؛ ثم سَخِط عليه، لأنّه بعثــه رسولًا إلى أخيه المعظّم فنُقِل عنه أنّ المعظّم استماله، فحبَســه الكامل فى الجُبّ[2] مدّة سنتين، ثم رضى عنه وأخرجه . ومن شعره من قصيدة :

من يوم فراقنا على التحقيق * هذى كبدى أحقّ بالتمزيق
لودام لنا الوصال ألْفَىْ سنةٍ * ما كان يَفِى بساعة التفريق

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفى إسماعيل بن علىّ بن إسماعيل ابن ماتكين الجوهرىّ فى ذى القعدة، وله ثمانون سنة . ونجم الدين ثابت بن بادان[3] التّفْليسى الصُّوفىّ شيخ الأَسَديّة . وسِرَاج الدين الحسين بن أبى بكر المبارَك بن محمد الزَّبيدىّ الحنبلىّ فى صفر، وله خمس وثمانون سنة . وزكريّا بن علىّ بن حسّان العُلْبِىّ فى شهــر ربيع الأوّل . والخادم طُغْرِيل أتابك الملكِ العزيز[4] ومدبّر دولتــه . والشيخ القُدْوة عبد الله بن يُونُس الأَرْمِنِىّ[5] . والسيفُ الآمِدىّ علىّ بن أبى علىّ بن محمد بن سالم التَّغْلِبى فى صفر، وله ثمانون سنة . والمحدّث أبو رشيد محمد بن أبى بكر

(١) هو صلاح الدين أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن شعبان الاربلى (عن شذرات الذهب وابن خلكان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من هذا الجزء .
(٣) فى الذيل على الروضتين : «ابن باوان» بالواو بدل الدال .
(٤) هو الملك العزيز بن الظاهر غازى ابن صلاح الدين صاحب حلب .
(٥) فى شذرات الذهب والقصيدة اللامية فى التاريخ : « الأرموى » .

الأصبهانيّ الغَزَاليّ المقرئ . وأبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف القُرْطُبيّ في صفر بالمدينة . وأبو الغنائم المسلم بن أحمد المَـازِنِي النَّصِيبيّ في شهر ربيع الأوّل .

§ أمر النيل في هذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع سـواء . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

٥

* * *

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيّوب على مصر، وهي سنة آثنتين وثلاثين وستمائة .

فيهـا خرجت عساكر الروم نحو آمِد وحاصروها وأقاموا عليها أيامًا، ثم نازلوا السُّوَيْدَاء [1] فأخذوها .

١٠ وفيها كان الوباء العظيم بمصر حيث إنّه مات في شهرٍ نيّفٌ وثلاثون ألف إنسان .

وفيها تُوفّي عبد السلام بن المطهَّر بن عبد الله بن محمد بن [أبي] [2] عَصْرُون . كان فقيها فاضلا زاهـدًا إلّا أنّه كان مُغْرًى بالنكاح، كان عنده نيّف وعشرون جارية للفراش . ومات بِدِمَشْق ودُفِن بقاسيون، وهو والد قطب الدين [3] وتاج الدين [4] .

وفيها تُوفّي صواب العادلي مقدّم عسكر الملك الكامل الذي كانت الروم أسرته في عام أوّل، وكان خادما عاقلا شجاعا، وكان العادل والكامل يعتمدان عليه، وكان ١٥ حاكما على الشرق كلّه من قِبَل الكامل .

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٣ من هذا الجزء . (٢) تكملة عن شذرات الذهب ومرآة الزمان .
(٣) هو قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السـلام بن المطهر بن أبي سعد عبدالله بن أبي عصرون التميمي الشافعي . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٧٥ هـ . (٤) هو تاج الدين محمد بن عبـد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون التميمي الشافعي، مدرس الشاميـة الصغرى . ٢٠ توفي سنة ٦٩٥ (عن شذرات الذهب) .

وفيها تُوفّى الشيـخ شرف الدين أبو حَفْص[1] عمر بن أبى الحسن علىّ بن المُرْشِد ابن علىّ المعروف بابن الفارض الحموىّ الأصل، المصرىّ [المولد و][2] الدار والوفاة الصالح الشاعر المشهور، أحد البلغاء الفُصَحاء الأدباء . مولده فى رابع ذى القعدة سنة ستّ وسبعين وخمسمائة، وتُوفّى بالقاهرة فى يوم الثلاثاء الثانى من جُمادى الأولى[3]، ودُفِن من الغـد بسفح المقطم، وقبره معروف به يُقْصَـد للزيارة . والفارض (بفتح الفاء وبعدها ألف وراء مكسورة[4] وضاد معجمة) . وهو الذى يكتب الفروض على النساء والرجال . وهو صاحب النظم الرائق والشعر الفائق الغرامىّ . وديوان شعره مشهور كثير الوجود بأيدى الناس، وشعره أشهر من أن يذكر . فمن مقطّعات شعره قوله :

وحيـاةِ أشـــواقى إلَيْـ * ـكَ وحرمةِ[5] الصبر الجميل
لا أبصرتْ[6] عينى سـوا * كَ ولاصبوتُ إلى خليل

ومن قصائده المشهورة — رحمه الله وعفا عنه — :

سائقَ الأظعانِ يَطوِى البِيدَ طَىْ * مُنْعِماً عَـــرِّجْ على كُثْبانِ طَىْ
وبذات الشِّيـح عنِّى إن مررْ * تَ بحَىٍّ من عُرَيب الجِزْع حىْ
وتلَطَّفْ واْجرِ ذِكْرى عنـدهم * علّهـم أن ينْـظُروا عَطفًا إلىّْ
قُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فيكم شَبَحًا * ماله ممَّـا بَـرَاه الشّـــوقُ فَىْ

---

(١) فى ابن خلكان وعقد الجمان : «أبو حفص وأبو القاسم» . (٢) زيادة عن ابن خلكان وعقد الجمان . (٣) فى الأصل : «جمادى الثانية» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى . (٤) فى الأصل : «وراء مفتوحة» وهو خطأ . (٥) فى الأصل وفى إحدى نسخ ديوانه المخطوطة (المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٤٨ أدب) : «وتربة ... الخ» . وما أثبتناه عن ابن خلكان وشرح ديوانه للشيخين حسن البورينى وعبد الغنى بن إسماعيل النابلسى طبع مرسيلية سنة ١٨٥٣ م .

(٦) فى الأصل : «لا نظرت» . وما أثبتناه عن ابن خلكان . ورواية هـذا البيت فى إحدى النسخ المخطوطة :

ما آستحسنت عينى سـوا * ك ولا نظرت الى خليـل

خافياً عن عائدٍ لاح كما * لاحَ فى بُرْدَيْه بعدَ النَّشْر طَيّ
صار وَصْفُ الضُّرِّ ذاتيًّا لهُ * عن عَناءٍ والكلامُ الحىُّ لَيّ
كَهِلالِ الشكّ لولا أنّه * أَنَّ عَينى عَيْنَه لم تتأَىّ
مثلَ مسلوبِ حياةٍ مَثَلًا * صار فى حُبّكُمُ مَلْسُوبَ حىّ
مُسْبِلًا للنأى طَرْفا جاد إن * ضَنّ نَوْءُ الطَّرْف إذ يَسْقُطَ حَىّ
بين أَهْلِيه غَرِيبًا نازِحًا * وعلى الأوطان لم يَعْطِفه لَىّ
جانحًا إن سِيمَ صبرًا عنكمُ * وعليكُمْ جانحًا لم يتأَىّ
نَشرَ الكاشحُ ماكان له * طاوىَ الكَشْح قُبَيْلَ النأى طَىّ
فى هواكم رمضانٌ عُمْرُهُ * ينقضى ما بين إحياءٍ وطَىّ
صادِيًا شوقا لِصَدَّى طَيْفِكم * جِدَّ مُلتاجٍ إلى رُؤْيا وَرَىّ
حائرًا فيما إليه أمرُهُ * حائرٌ والمرءُ فى المِحْنة عَىّ
فكأيِّنْ من أَسًى أعيا الإسى * نال لو يُغْنيه قولى وكَأَىّ
رائيًا إنكارَ ضُرٍّ مَسَّهُ * حَذَرَ التعنيف فى تعريف رَىّ
والذى أَرْوِيه عن ظاهِرِ ما * باطنى يَرْوِيه عن عِلْمِىَ زَىّ
يا أُهَيْلَ الودّ أنَّى تُنْكِرو * نى كَهْلًا بعد عرفانى فُتَىّ
وهَوَى الغادَة عَمْرِى عادةٌ * يَجْلُبُ الشَّيْبَ إلى الشابّ الأُحَىّ
نَصَبًا أَكْسبنى الشوقُ كما * تُكْسِبُ الأفعالَ نَصْبًا لامُ كَىّ
[ومتى أشكو جِراحًا بالحَشى * زِيدَ بالشَّكْوَى إليها الجُرْحَ كَىّ]
عينُ حُسّادِى عليها لى كَوَتْ * لا تَعدّاها أليمُ الكَىّ كَىّ
عجبًا فى الحرب أُدْعَى باسلًا * ولها مُسْتَبْسِلًا فى الحُبّ كَىّ
هل سمعتم أو رأيتم أسدًا * صاده لحظُ مَهاةٍ أو ظُبَىّ

سَهْمُ شَهْمِ القومِ أَشْوَى وشوى * سهمُ ألحاظكمُ أحشائِي شَيْ
وضَـع الآسى بصدرى كَفَّـهُ * قال مالى حيـلةٌ فى ذا الهُوَىْ
أىُّ شيءٍ مُبْرِدٌ حَرًّا شَــوَى * للشَّوَى حَشْوَ حَشَاى أىُّ شَيْ
سَقَمِى من سُقْم أجفانِكمُ * وبمعسـول الثَّنَـايا لى دُوَىْ
أَوْعِدُونى أوعِدُونى وآمطُـلوُا * حُكْمُ دِين الحُبِّ دَيْنُ الحُبِّ لَىّ
رجَـع اللّاحِى عليــكم آيسًا * من رَشَادِى وكذاك العشقُ غَيّ
أبعَيْنَيْـــه عَمًى عنكـم كما * صَمَـمٌ عن عَذْلِهِ فى أُذُنَىْ
أو لم يَنْـهَ النُّهى عن عَذْلِهِ * زَاوِيًا وجهَ قبولِ النُّصْحِ زَىْ
ظَلّ يُهْدِى لى هُدًى فى زَعْمه * ضَلَّ كم يَهْذِى ولا أُصْـغِى لِغَىْ
ولِمَـا يَعْـذُلُ عن لَمْيَاءَ طَو * عَ هوًى فى العذل أعصى من عُصَىْ
لومُه صَـبًّا لدى الحِجْـرِ صَـبَا * بكُـمُ دَلّ على حِجْـرٍ صُـبَىْ
عاذِلِى عن صَـبْوةٍ عُذْرِيَّةٍ * هى بى لا فَتِئَت هِىَّ بن بِىّ
ذابت الرُّوحُ آشتياقا.فهى بَعْـ * ـدَ نفـادِ الدمع أجْرَى عَبْرَتَىْ
فهَبُـوا عَيْـنَىَّ ما أَجْدى البُكا * عـينَ ماءٍ فهى إحدى مُنْيَتَىْ
أو حَشًـا سالٍ ولا أختـارُها * إنْ تَرَوْا ذاك بها منًّـا علَىْ
بل أَسِيئوا فى الهوى أو أَحْسِنُوا * كلُّ شىءٍ حسنٌ منـكم لدَىْ

وفيها تُوفّى عيسى بن سِنْجَر بن بَهْرَام بن جِبْريل بن خُمارتِكين (١) الشيخ الإمام الأديب البارع حسام الدين أبو يحيى — وقيل : أبو الفضل — الإرْبِلِىّ المعروف بالحَاجِرِىّ الشـاعر المشهور . كان جنـديًّا من أولاد الأتراك . وكان أديبًا فاضـلا ظريفا فصيحا، وله ديوان شعر مشهور، يغلب على شعره الرِّقة والآنسجام .

(١) فى الأصل : « ابن حماد » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب وابن خلكان وعقد الجمان .

قال ابن خلّكان — رحمه الله — : وكان صاحبي وأنشدني كثيرا من شعره، فمن ذلك وهو معنى جيّد في نهاية الجودة :

ما زال يحلف لى بكلّ أليّـةٍ * ألّا يزالَ مَدَى الزمان مصاحبي
لمّا جفَا نــزل العِــذَارُ بخدّه * فتعجّبوا لسواد وجه الكاذبِ

قال وأنشدني لنفسه أيضا : ٥

لك خالٌ من فوق عر * شِ شَقيقٍ قد آستَوى
بعث الصُّـدْغَ مُرْسَلًا * يأمرُ الناسَ بالهـــوى

انتهى .

قلت : ومن شعره أيضا :

لكَ[(١)] أن تُشَوِّقنى إلى الأوطان * وعلىَّ أن أبكى بدمعى القانى ١٠
إنّ الأُلَى[(٢)] رحلوا غداةَ محجّر * ملئوا القلوبَ لواعجَ الأحزان
فلأبعثنَّ مع النسيم إليهمُ * شَكْوَى تَميل لها غصونُ البانِ
نزلوا برامة قاطنين فلا تَسَلْ * ما حـلّ بالأغصان والغِزْلانِ

وكانت وفاته في يوم الخميس ثانى شوّال، وتقدير عمره خمسون سنة . والحاجِرِىّ (بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء) وهذه النسبة إلى ١٥ حاجر، وكانت بليدة بالحجاز . وسبب تسميته بذلك لأنّه كان يُكثِر من ذكر الحاجر في شعره فسمّى بذلك .

(١) هذه الأبيات من قصيدة تبلغ ثلاثة وعشرين بيتا واردة فى ديوانه، مطلعها :

لمن الحاظ مريضة الأجفان * تسطو بسيف فى القلوب يمانى

(٢) رواية هذا البيت فى الأصل : ٢٠

إن الذى رحلوا غداة المنحنى * ملئوا القلوب لواعج الأشجان

وما أثبتناه عن ديوانه .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى الحسن (١) بن صباح بن حُسام المخزوميّ الكاتب فى رجب، وله إحدى وتسعون سنة، وتقىّ الدين علىّ بن أبى الفتح [المبارك (٢) بن الحسن بن أحمد] بن ماسويه الواسطيّ فى شعبان، وله ست وسبعون سنة. والأديب شرف الدّين عمر بن علىّ بن المرشد الحَمَوىّ بن الفارض بمصر فى جُمادى الأولى. والزاهد العارف أبو حفص (٣) عمر بن محمد بن عبد الله التَّيْمىّ السُّهْرَوَرْدِىّ فى أوّل السنة، وله ثلاث وتسعون سنة. وأبو عبد الله محمد بن عماد ابن محمد الحَرّانىّ التاجر فى صَفَر بالإسكندرية، وله تسعون سنة. والقدوة الزاهد غانم بن علىّ [بن (٤) إبراهيم بن عساكر] المقدسىّ (٥). والقاضى العلّامة بهاء الدين يوسف ابن رافع بن تَميم الشافعىّ ابن شَدّاد بحَلَب فى صفر. وسيف الدولة محمد بن غَسّان الحِمْصِى فى شعبان. وأبو الوفا محمود [بن إبراهيم بن سفيان (٦)] بن مَنْدَة التاجر بأصفهان شهيدا فى خلق لا يُحْصَوْن بسيف التتار فى شوّال. وأبو سعد (٧) محمد بن عبد الواحد المَديِنى. وحُسام الدين عيسى بن سِنْجر بن بَهْرَام الإِرْبِلِىّ المعروف بالحَاجِرىّ الشاعر المشهور، قتله شخص فى شوّال، وله خمسون سنة.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث عشرة إصبعا.

---

(١) كذا فى الأصل وشذرات الذهب والقصيدة اللامية فى التاريخ. وفى الذيل على الروضتين: « الحسن بن يحيى بن صباح المصرى ».

(٢) فى الأصل: « ابن أبى الفتح بن باسويه ». والتكملة والتصحيح عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه وغاية النهاية والذيل على الروضتين. وذكر صاحب الذيل أنه حضر صلاة الجنازة عليه بظاهر دمشق.

(٣) هو الذى ذكر المؤلف وفاته سنة ٦٣١ هـ. وقد ذكر الذهبي وفاته فى هذه السنة ووافقه على ذلك ابن خلكان وشذرات الذهب والقصيدة اللامية فى التاريخ والذيل على الروضتين.

(٤) زيادة عن شذرات الذهب.

(٥) راجع بقية ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان.

(٦) التكملة عن شذرات الذهب.

(٧) فى شذرات الذهب: « أبو عبد الله ».

*
* *

السنة الثامنة عشرة من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، على مصر، وهى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة .

فيها آستعاد الكامل من الروم حرّان والرُّها وغيرَهما، وأخرب قلعةَ الرُّهَا ونزل على دُنَيْسر فأخربها ومعه أخوه الأشرف، و بينما هم فى ذلك جاء كتاب بدر الدين لؤلؤ إلى الأشرف يقول : قد قطَع التتارُ دِجْلَة فى مائة طُلْب كلّ طُلْب خمسمائة فارس، ووصلوا إلى سِنْجار، فخرج إليهم مُعين الدين بن كمال الدين بن مُهاجر فقتلوه على باب سِنْجار، ثم رجع التتارُ ثم عادت . فأمّنهم الأشرفُ للتوجّه إلى جهة الشرق .

وفى هذه السنة كان الطاعون العظيم بمصر وقُراها ، مات فيه خَلْق كثير من أهلها وغيرها حتى تجاوز الحدّ .

وفيها جاءت الخُوَارَزْمِيّة إلى صاحب مَارِدِين فنزل إليهم وقاتلهم، ثم نزلوا نَصِيبِينَ وأحرقوها، وفعلوا فيها أعظم ما فعل الكامل بدُنَيْسر .

وفيها تُوفّى الحسن بن محمد القاضى القِيلُوِىّ[1]، وقِيلُوية : قرية من قرى بغداد . كان فاضلا كاتبا ، وُلِد بالعراق سنة أربع وستين وخمسمائة، وكان كثيرَ الأدب مليحَ الخطّ عارفًا بالتواريخ حسن العبارة متواضعًا ، وكانت وفاته فى ذى القعدة ودُفِن بمقابر الصوفيّة عند المُنَيْبِع .

وفيها تُوفّى[2] أبو المحاسن محمد بن نصر[3] [الدين بن نصر بن الحسين] بن عُنَيْن الزرعى، أصله من حَوْرَان .

---

(١) فى لب اللباب : « قيلوية قرية بنواحى طبراباذ » . وفى معجم البلدان لياقوت : « قرية من نواحى مطيراباذ » (٢) كذا فى الأصل وتاريخ أبى الفداء إسماعيل وتاريخ ابن الوردى . وفى ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب أن وفاته كانت سنة ٦٣٠ هـ . (٣) التكملة عن ابن خلكان . وفى عقد الجمان وشذرات الذهب : « أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن ابن عنين » .

قال أبو المظفّر : «كان خبيثَ اللّسان هجّاء فاسِقا متهتّكا، عَمِل قصيدةً سمّاها : «مِقراض الأعراض» خمسمائة بيت، لم يُفْلِت أحد من أهل دمشق منها بأقبح هجو . ونفاه السلطان صلاح الدّين إلى الهند، فمضى ومدح ملوكها وآكتسب مالاً، وعاد إلى دمشق . ومن هجوه فى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب — رحمه ٥ الله تعالى — قوله :

سلطانُنا أعرجٌ وكاتبه * ذو عمَش والوزير مُنْحَدِبُ
وصاحبُ الأمر خُلْقُه شَرِسٌ * وعارضُ الجيش داؤه عَجَبُ
والدَّوْلَعِىُّ الخطيب معتكف * وهو على قشر بيضة يَثِبُ
ولآبن باقَا وعظ يغرّ به النـ * ـاس وعبد اللطيف مُحتَسِبُ

١٠ ولمّا نُفِى كتب من الهند إلى دِمَشق :

فعَلامَ أبعدتم أخا ثقة * لم يجترم ذنبا ولا سَرَقا
اِنفُوا المؤذِّنَ من بلادكمُ * إن كان يُنْفَى كلُّ من صَدَقا

ولمّا عاد إلى دِمَشق هجا الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيّوب بقوله :

إن سلطاننا الذى نَرْتَجيه * واسعُ المال ضيِّقُ الإنفاقِ
١٥ هو سيف كما يُقال ولكنْ * قاطعُ للرُّسُوم والأرزاقِ

قال : واستكتبه الملك المعظّم، وكان من أكبر سيّئات المعظّم . ومات عن إحدى وثمانين سنة » . اِنتهى كلام أبى المظفّر بآختصار .

وقال آبن خلّكان : « كان خاتمة الشعراء، لم يأتِ بعده مثلُه، ولا كان فى أواخر عصره من يُقاس به، ولم يكن شِعْرُه مع جودته مقصورا على أسلوب واحد. ثم ٢٠ نَعَته بأشياء إلى أن قال : ولمّا ملَك الملك العادل دِمَشق كتب إليه قصيدته الرائيّة

يستأذنه فى الدخول إليها ، ويصف دمشق ويذكر ماقاساه فى الغُرْبة؛ وقد أحسن فيها كلّ الإحسان وآستعطفه كلّ الآستعطاف، وأولها :

ماذا على طَيْف الأحبّة لوسَرَى * وعليهمُ لو سامحونى فى الكَرَى

ثم وصَف دمشق وقال :

فارقتُها لاعن رضًا وهجرتُها * لاعن قِلًى و رحلتُ لا متخيّرا
أسعى لرزقٍ فى البلاد مشتّت * ومن العجائب أن يكون مقتّرا
وأصون وجه مدائحى متقنّعـا * وأكفُّ ذيلَ مطامعى متسـتّرا

ومنها يشكو الغُرْبة :

أشكو إليك نَوًى تمادَى عمرُها * حتّى حسِبتُ اليومَ منها أشهرا
لاعيشتى تصفو ولا رَسْم الهَوَى[1] * يَعْفُو ولا جَفْنِى يُصافحه الكَرَى
أُضحِى عن الأَحْوَى المَريع مُحَلَّأً * وأَبِيت عن وِرْد النَّمـير منفَّرا
ومن العجائب[2] أن يَقِيلَ بظلّكم * كلُّ الوَرَى وأَبِيت وَحْدِى بالعَرَا

فلمّا وقف عليها العادل أَذِنَ له فى الدخول إلى دمشق، فلمّا دخلها قال :

هجـوتُ الأكابر فى جلّـقٍ[3] * ورُعْتُ الوَضيعَ بِسبِّ الرَّفيع
وأُخْرِجـتُ مِنها ولكنّـنِى * رجعتُ على رَغْم أنف الجميع

وفيها تُوفّى أبو الخَطّاب بن دِحْيَة المغرِبىّ . قال أبو المظفّر : كان فى المحدِّثين مثلَ آبن عُنَيْن فى الشعراء ، يَثْلِبُ علماء المسلمين ويقع فيهـم، ويتزيّد فى كلامه، فترك الناس الروايةَ عنه وكذّبوه . وكان الكامل مُقبِلًا عليه، فلمّا آنكشف له حاله

(١) كذا فى ابن خلكان وديوانه . وفى الأصل : «ولا وجه الهوى» .
(٢) رواية هذا البيت فى ديوانه :
ومن العجائب أن تفيأ ظلكم * كل الورى ونبذت وحدى بالعرا
(٣) جلق : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيـل بل هى دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

أعرض عنه، وأخذ منه دارَ الحديث وأهانه، فمات فى شهر ربيع الأوّل بالقاهرة ودُفِن بقرافة مصر .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوفّى الجمال أبو حمزة أحمد ابن عمر بن الشيخ أبى عمر المَقْدِسى . وعَفيف الدين علىّ بن عبد الصمد [بن محمد بن مفرج] (١) بن الرمّاح المصرىّ المقرئ النحوى . وأبو الحسن [علىّ] (٢) بن أبى بكر بن روزبة القَلَانِسِىّ الصُّوفىّ فى شهر ربيع الآخر، وقد جاوز التسعين . والعلّامة أبو الخطّاب عمــر [بن الحسن] (٣) بن علىّ البَلَنْسِىّ المعروف بابن دِحْيــة فى شهر ربيع الأوّل عن سبع وثمانين سنة . والفخر محمد بن إبراهيم بن مسلم الإرْبِلِىّ الصُّوفى بإرْبِل فى شوّال أو شهر رمضان . وقاضى القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق آبن الشيخ عبد القادر الجِيلِىّ الحنبلىّ فى شوّال .

§ امر النيل فى هذه السنة — المــاء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان .

***

السنة التاسعة عشرة من ولاية الملك الكامل محمــد بن العادل أبى بكر ابن أيّوب على مصر، وهى سنة أربع وثلاثين وستمائة .

فيهــا نزلت التّتارُ على إِرْبِل وحاصرتها مدّة حتّى أخذوها عَنْوَةً، وقتلوا كلّ من فيها وسَــبَوْا وفضحوا البنات، وصارت الابار والدُّور قبورًا للناس . وكان أَيْدِكِين (٤)

---

(١) الزيادة عن غاية النهاية وشذرات الذهب . (٢) فى الأصل : «أبو الحسن بن أبى بكر بن روروبة» . والتكملة والتصحيح عن شذرات الذهب والقصيدة اللامية فى التاريخ .

(٣) فى الأصل : «عمر بن على البستى» . والتكملة والتصحيح عن ابن خلكان وعقد الجمان وشذرات الذهب . (٤) فى مرآة الزمان وعقد الجمان : «بادكين» .

مملوك الخليفة بالقلعة فقاتلهم، فنقبوا القلعة وجعلوا لها سِرْدَابًا وطُرُقا، وقلّت عندهم المياه حتّى مات بعضهم عطشًا، فلم يبقَ سِوى أخذها؛ فرحلوا عنها فى ذى الحِجّة، وقد عجزوا عن حمل ما أخذوا من الأموال والغنائم .

وفيها آستخدم الملك الصالح نجمُ الدين أيّوب آبن الملك الكامل — صاحب الترجمة — الخُوَارَزْمِيّةَ أصحاب جلال الدين ، فآنضمّوا عليه وآنفصلوا من الروم؛ ٥ وسُرّ والده الملك الكامل بذلك .

وفيها بدَت الوَحْشَةُ بين الأخوين، وسببها أنّ الأشرف طلب من الكامل الرَّقّة وقال : الشرق كلُّه صار له ، وأنا أركب كلّ يوم فى خدمته ، فتكون الرَّقّة برسم عليق دوابّى، فأبى الكاملُ وأغلظ فى الجواب، فوقعت الوحشةُ بينهم بسبب ذلك .

١٠ وفيها تُوُفّى الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهّاب الحنبلىّ ، وُلِد بدمشق ونشأ بها ، وتفقّه ووعَظ وصنّف ودرّس بمدرسة ربيعة خاتون . ومات فى غُرّة المحرّم .

وفيها تُوفّى السلطان الملك العزيز محمد آبن السلطان الملك الظاهر غازى آبن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . كان صاحب حَلَب، وليها بعد وفاة أبيه الظاهر . ١٥ ومولده فى ذى الحِجّة سنة تسع أو عشر وستمائة . وتُوُفّى والده وهو طفل، فنشأ تحت حِجْر شهاب الدين الخادم ، فرتّب شهابُ الدين أموره أحسن ترتيب إلى سنة تسع وعشرين وستمائة . استقلّ الملك العزيز هذا بالأمر إلى أن تُوُفّى بحلب فى شهر ربيع الأوّل . وكان حسنَ الصورة كريمًا عفيفًا ، ولم يبلغ أربعا وعشرين سنة . ودُفِن بقلعة حَلَب ، وإليه تنسب المماليك العَزِيزية الآتى ذكرهم فى عدّة أماكن .

٢٠ وفيها تُوُفّى كَيْقُبَاذ السلطان علاء الدين صاحب الروم . كان عاقلا شجاعًا مقداما جَوَادًا ، وهو الذى كسر الخُوَارَزْمِىّ وكسر الكامل وآستولى على بلاد الشرق .

وكان الملك العادل زوّجه ابنتَه فأولدها أولادا؛ وكان عادلا منصفا مَهِيبًا، ما وقف له مظلوم إلّا وكشف ظُلامتَه، وكانت وفاته فى شوّال .

قلت : وبنو قرمان[1] ملوك الروم فى زماننا هذا يزعمون أنّهم من نسل السلطان علاء الدين هذا — والله أعلم — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى الملك المُحسن أحمد ابن السلطان صلاح الدين فى المحرّم، وله سبع وخمسون سنة . والخطيب أبو طاهر الخليل أحمد الجَوْسَقِيّ فى شهر ربيع الأوّل . وأبو منصور سعيد بن محمد بن يسّ السفّار، وقد حجّ تسعا وأربعين حجّة، فى صفر . والحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكَلَاعِيّ[2] البَلَنْسِيّ فى ذى الحجّة، وله سبعون سنة . والإمام ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبليّ فى المحرّم، وقد نيّف على الثمانين . ومفتى حرّان ناصر الدين[3] عبد القادر بن عبد القاهر بن أبى الفَهْم الحنبليّ فى شهر ربيع الأوّل عن آثنتين وسبعين سنة . وعلىّ بن محمد بن جعفر بن كب[4] المودّب . وكمال الدين علىّ بن أبى الفتح بن الكبارى الطبيب بحلب فى المحرّم . وسلطان الروم علاء الدين كَيْقُبَاذ بن كَيْخُسْرُو بن قلج أرسلان السَّلْجُوقِيّ فى شوّال . والحافظ أبو الحسن محمد بن أحمد بن عمر القَطِيعِيّ[5] فى شهر ربيع الآخر عن تسع وثمانين سنة . والملك العزيز

(١) كان يقال لجدهم نوره صوفى ، أصله أرمنى فأسلم وسكن مدينة أماسية وصار من توابع بابا الياس ، ولما قتل الياس المذكور انتقل لمدينة قونية وسكن بها واعتقده أناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقى وجعل ولده (قرمان) مقربا عنده و زوجه أخته وولاه إمرة بلاد لارندة ففتح بلاد سلفكة . ولما توفى السلطان علاء الدين استولى على جميع بلاده وسمى تلك البلاد باسمه (عن كتاب أخبار الدول وآثار الأول لأبى العباس القرمانى) . (٢) الكلاعى : نسبة الى ذى الكلاع ، قبيلة من حمير . (٣) فى شذرات الذهب : « ناصح الدين » .

(٤) فى المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد : « ابن كبة » .

(٥) فى الأصل : « ابن عمران » . وما أثبتناه عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج اليه .

محمد ٱبن الملك الظاهر غازى بن [صلاح الدين] يوسف صاحب حلب بها فى شهر ربيع الأول . ومحتسب دِمَشق الفخر محمود بن عبد اللطيف . وأبو الحسن مُرْتَضَى ابن أبى الجُود حاتم بن المسلم الحارثىّ المصرىّ فى شوّال . وأبو بكر هبة الله بن عمر[1] ابن الحسن القَطّان، وكان آخر مَن رَوَى عن أمّه كمال بنت عبد الله بن السَّمَرْقَنْدىّ، وعن هبة الله الشِّبْلِىّ[2] ، عاش نيفًا وثمـانين سنة . وياسمين بنت سالم [بن علىّ] بن البَيْطَار يومَ عاشوراء .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القـديم سبع أذرع سواء . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

⁂

السنة العشرون من ولاية الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيّوب على مصر، وهى سنة خمس وثلاثين وستمائة، وهى السنة التى مات الكامل المذكور فى رجبها، وحكم ٱبنه العادل فى باقيها حسب ما تقدّم [فى] وفاة الكامل فى ترجمته . وفيها أيضا تُوُفِّى الملك الأشرف موسى، ثم بعده أخوه الملك الكامل . وملك دمشق بعد موت الأشرف الملك الجَوَاد بن الأشرف، على ما سيأتى ذكره [فى] وفاة الأشرف فى هذه السنة .

وفيها اختلفت الخُوَارَزْمِيّة على الملك الصالح أيّوب بن الكامل، وأرادوا القَبْض عليه فهرب إلى سِنجار، وترك خزائنـه وأثقاله ، فنهبوا الجميع . ولمـّا قدم الصالح سِنجار سار إليه بدر الدين لؤلؤ فى ذى القعـدة وحصره بها ، فأرسل إليه الصالح يسأله الصلح، فقال : لا بُدّ من حمله فى قَفَص إلى بغداد، وكان لؤلؤ [و] المشارقة

(١) فى شذرات الذهب « أبو بكر الحربى هبة الله بن عمر بن كمال الحلاج آخر من حدّث عن هبة الله ابن الشبلى وكمال بنت السمرقندى » . (٢) تكملة عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

يكرهونه وينسبونه إلى التكبّر والظلم؛ فاحتاج الصالح أن يبعث إلى الخُوَارَزْمِيّة، وهم على حَرّان يستنجدهم، فساقوا جَريدة من حَرّان، وكَبَسوا لؤلؤا، فنجا وحدَه، ونهبوا أمواله وخزائنه وجميعَ ما كان فى عسكره .

وفيها تُوفّى الملك الأشرف أبو الفتح مظفر الدين موسى شاه أرمن آبن السلطان الملك العادل أبى بكر آبن الأمير نجم الدين أيّوب، أخو الملك الكامل محمد صاحب الترجمة . وأوّل شيء ملكه الأشرف هذا من القِـلاع والبلاد الرُّها فى أيّام أبيـه، وآخر شيء دمشق . ومات بها بعد أن مَلَك قِلاع ديار بكر سنين . وقد تقـدّم من ذكره نبذةٌ كبيرة فى حوادث دولة أخيه الكامل، وفى غزوة دِمْياط وغير ذلك . ومولده سـنة ثمانٍ[1] وسبعين وخمسمائة بقصر الزُّمرّد[2] بالقاهرة قبل أخيه المعظّم عيسى بليلة واحدة، وكان مولدهما بموضع واحد — وقيل : كان بقلعة الكَرَك — والأول أشهر . وكان الملك الأشرف مَلِكاً كريمـا حليما واسع الصـدر كريم الأخلاق كثير العطايا، لا يوجد فى خزائنـه شيء من المـال مع آتّساع مملكته ؛ ولا تزال عليـه الديون؛ ونظر يومًا فى دواة كاتبـه وشاعره كمال الدين على[3] بن النّبيه المصرى فرأى بها قلما واحدًا فأنكر عليه، فأنشد الكمال بديها دوبيت :

(١) فى ابن كثير وشذرات الذهب ومرآة الزمان : «فى سنة ست وسبعين وخمسمائة» .

(٢) قصر الزمرد، قال المقريزى فى الجزء الأوّل من خططه (ج ١ ص ٤٠٤) : إن هذا القصر كان من جملة قصور الخلفاء الفاطميين داخل سور القصر الكبير، وقيل له قصر الزمرد لأنه كان بجوار الزمرد أحد أبواب القصر الكبير . وقد عرف هـذا القصر بقصر قوصون ثم عرف أخيرا بقصر الحجازية . ومحله اليوم جامع الحجازية وما يجاوره من الدور التى تحدمن الشمال والغرب بعطفة القفاصين، ومن الجنوب ديوان بوليس قسم الجمالية، ومن الشرق ظهر الدور المشرفة على شارعى حبس الرحبة وبيت المـال .

(٣) هو العـلامة كمال الدين أبو الحسن على بن محمـد بن يوسف بن النبيه المصرى الكاتب الشاعر صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العـادل . وله ديوان شعر مشهور كله ملح . توفى سـنة ٦١٩ هـ (عن شذرات الذهب) .

قال الملك الأشرف قولا رَشَدا * أقـلامُك يا كمال قلّت عَددا
جاوبتُ لعُظْمِ كَتْبِ ماتُطلِقه * تَحْفَى فتُقَطّ فهى تفنَى أبـدا

ولكمال الدين ابن النبيه المذكور فيه غُرَر المدائح معروفة بمخالص قصائده في ديوانه، وتُسَمّى الأشرفيّات. وكانت وفاة الأشرف في يوم الخميس رابع المحرّم بدِمَشق، ودُفِن بقلعتها؛ ثم نقِل بعد مدّة إلى التربة التي أنشئت له بالكَلّاسَة في الجانب الشمالي من جامع دمشق. ٥

وفيها تُوفّى يحيي بن هبة الله بن الحسن القاضي شمس الدين أبو البركات بن سَنَاء الدولة، كان إماما فقيها فاضلا حافظا للقوانين الشرعيّة، ولى القضاء بالبيت المقدس ثمّ بدمشق، وكان الملك الأشرف موسى يُحبّه ويُثنى عليه. ومات في ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هـذه السنة، قال: وفيها تُوُفّى الأنجب بن أبي السعادات الحَمّامى في شهر ربيـع الآخر، وله نيّف وثمانون سـنة. وأبو محمد[1] الحسين بن علىّ بن الحسين بن رئيس الرؤساء في رجب. وقاضى حلب زَيْن الدّين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُلْوان الأسدىّ ابن الأستاذ. وأبو المُنَجّا عبد الله بن عمر بن علىّ بن اللَّتّى القزّاز في جُمادى الأولى، وله تسعون سنة. وأبو طالب علىّ[2] بن عبد الله بن مظفّر ابن الوزير علىّ بن طَرّاد الزَّيْنَبىّ في رمضان. والرِّضى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبّار المَقْدِسىّ المقرئ. وشيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرزّاق بن عبد الوهّاب [بن علىّ بن علىّ][3] بن سُكَيْنة في جُمادى الأولى. والسلطان ١٠ ١٥

(١) في الأصل: «وأبو القاسم». وما أثبتناه عن شـذرات الذهب. والذى يكنى بأبى القاسم هو جده الوزير رئيس الرؤساء بن المسلمة كما تقدم ذكره للمؤلف ص ٦ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

(٢) في شـذرات الذهب: «أبو طالب عبد الله بن المظفر». ٢٠

(٣) التكملة عن المختصر المحتاج إليه.

الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل فى رجب بدمشق، وله ستون سنة . وأبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز الطبيب فى شهر رمضان، وقد نيف على التسعين ، وهو آخر من حدث ببغداد عن أبى الوقت . وشرف الدين محمد بن نصر المقدسى ابن أخى الشيخ أبى البيان[1] فى رجب . والقاضى شمس الدين أبو نصر محمد بن هبة الله[2] بن محمد ابن الشيرازى فى جمادى الآخرة ،وله ست وثمانون سنة . وخطيب دمشق جمال الدين محمد بن أبى الفضل الدولعى فى جمادى الأولى، ودفن بمدرسته بجيرون[3]، وله ثمانون سنة . ونجم الدين مكرم بن محمد بن حمزة بن أبى الصقر القرشى السفار فى رجب ، وله سبع وثمانون سنة . والسلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل فى المحرم، وله تسع وخمسون سنة . وقاضى القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله بن سناء الدولة فى ذى القعدة ، وله ثلاث وثمانون سنة ، وهو من تلامذة القطب النيسابورى . والشهاب يوسف بن إسماعيل[4] الحلبى بن الشواء الشاعر المشهور.

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع ونصف إصبع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .

---

(١) هو أبو البيان نبا بن محمد بن محفوظ القرشى الدمشقى اللغوى الشافعى الزاهد القدوة . ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٥١ هـ . (٢) فى الأصل : « محمد بن عبد الله » . والتصويب عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين وعقد الجمان ومرآة الزمان ونزهة الأنام .

(٣) جيرون من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرق . (٤) هو أبو المحاسن يوسف بن إسماعيل بن على بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم المعروف بالشواء الملقب شهاب الدين الكوفى الأصل الحلبى المولد والمنشأ والوفاة (راجع بقية ترجمته بتفصيل واف فى ابن خلكان) .

ذكر سلطنة الملك العادل الصغير على مصر

هو السلطان الملك العادل أبو بكر آبن السلطان الملك الكامل محمد آبن السلطان الملك العادل أبى بكر آبن الأمير نجم الدين أيّوب الأيوبىّ المصرىّ. وسبب تسلطنه وتقدّمه على أخيه الأكبر نجم الدين أيّوب أنّه لمّا مات أبوه الملك الكامل محمد بقلعة دِمَشق فى رجب — حسب ما ذكرناه فى أواخر ترجمته — كان آبنه الملك الصالح نجم الدين أيوب — وهو الأكبر — نائب أبيه الملك الكامل على الشرق وإقليم ديار بكر، وكان آبنه الملك العادل أبو بكر هذا — وهو الأصغر — نائب أبيه بديار مصر؛ فلمّا مات الكامل قعد الأمراء يتشاورون فيمن يُولّون من أولاده فوقع الآتفاق بعد آختلاف كبير — نذكره من قول صاحب المرآة — على إقامة العادل هذا فى سلطنة مصر والشام، وأن يكون نائبه بدمشق آبن عمّه الملك الجواد يونس، وأن يكون أخوه الملك الصالح نجم الدين أيّوب على ممالك الشرق على حاله، فتمّ ذلك وتسلطن الملك العادل هذا فى أواخر سنة خمس وثلاثين وستمائة، وتمّ أمره ونُعِت بالعادل سيف الدين على لقب جدّه. ومولد العادل هذا بالمنصورة، ووالده الملك الكامل على قتال الفرنج بدِمْياط فى ذى الحجّة سنة سبع عشرة وستمائة.

وقال العلّامة شمس الدين يوسف بن قِزأُوغْلى فى مرآة الزمان: «ذكر ما جرى بعد وفاة الملك الكامل، اجتمع الأمراء وفيهم سيف الدين [علىّ][1] بن قِلِيج، وعزّالدين أيْبَك، والركن الهَيْجاوى، وعِماد الدين وفخر الدين آبنا الشيخ، وتشاوروا وانفصلوا على غير شىء؛ وكان الناصر داود (يعنى آبن الملك المعظّم عيسى) بدار أُسَامة[2]، [فجاءه][3] الهَيْجاوىّ؛ وأرسل إليه عزّ الدين أيْبَك يقول: أخرج

(١) التكملة عن عقد الجمان. (٢) هى دار الملك المعظم، وتعرف بدار أسامة كما فى عقد الجمان. (٣) التكملة عن عقد الجمان ومرآة الزمان.

المـال وفرّقه فى مماليك أبيك المعظّم والعوامّ معك ، وتملّك البلد ويبقوا فى القلعـة محصورين فما آتّفق ذلك ، وأصبحوا يوم الجمعة فى القلعة فحضر من سمّينا [بالأمس](١)، وذكروا الناصر والجواد — قلت : والناصر داود هو آبن المعظم عيسى ، والجواد مظفّر الدين يُونُس هو آبن شمس الدين مودود بن العادل (أعنى هما أولاد عمّ) . انتهى — قال : وكان أضرَّ ما على الناصر عمادُ الدين آبن الشيخ ، لأنّه كان يجرى فى مجالس الكامل مباحثات فيخطئه فيها ويستجهله فبقى فى قلبه ، وكان أخوه فخر الدين يَميل إلى الناصر ، فأشار عماد الدين بالجواد ، ووافقوا أمره ، وأرسلوا الهَيْجاوىّ فى يوم الجمعة إلى الناصر ، وهو فى دار أسامة ، فدخل عليه وقال له : إيش قعودك فى بلد القوم ؟ قم فآخرج ، فقام وركب [وجميع مَن فى دِمشق من دار أسامة إلى القلعة](١) وما شكّ أحد أنّ الناصر لمـا ركب من دار أسامة إلّا أنّه طالع إلى القلعة ، فلّما تعدّى مدرسـة العماد الكاتب وخرج من باب الدَّرْب عَرَج إلى باب الفَرَج ، فصاحت العامّة لا لا [لا](١) ، وآنقلبت دمشق وخرج الناصر من باب الفرج إلى القابون(٢)، فوقع بهاء الدين بن ملكيشوا(٣) وغلمانه فى الناس بالدبابيس ، فأنكوْا فيهم فهربوا . وأمّا الجواد فإنّه فتح الخزائن وأخرج المـال وفرّق ستة آلاف ألف دينار ، وخلَع خمسـة آلاف خلعـة ، وأبطل المكوس والخمور ، ونفى الخواطئ . وأقام النـاصر بالقابون أيّاما ، فعزموا على قبضه ، فرحل وبات بقصر أمّ حكيم(٤) ، وخرج خلفَه أَيْبك الأَشْرفىّ ليمسكه ، وعرَف عِماد الدّين بن مُوسَك فبعث إليه فى السرّ ، فسار فى الليل إلى عَجْلون(٥) ، ووصل أَيْبك إلى قصر أمّ حكيم ، وعاد إلى دِمشق .

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) القابون : موضع بينه و بين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد الى العراق فى وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) . (٣) فى الأصل : «ابن بركيـو» . وفى مرآة الزمان : « مركيشو » . وما أثبتناه عن عقد الجمان ، وقد ذكر فيه غير مرة على هـذه الصورة . (٤) قصر أم حكيم : بمرج الصفر من أرض دمشق .
(٥) حصن و ربضة فى جبل الغور الشرقى قبالة بيسان .

وسار الناصر إلى غَزّة، فاستولى على الساحل؛ فخرج إليه الجَوَاد في عسكر مصر والشام، وقال للأشرفية : كاتبوه وأطمِعُوه فكاتبوه وأطمَعُوه فٱغترّ بهم، وساق من غزّة في سبعمائة فارس إلى نابُلُس بأثقاله وخزائنه وأمواله، وكانت على سبعمائة جمل، وترك العساكر منقطعة خلفه، وضَرَب دِهليزه على سَبَسْطِيَة[1]، والجواد على جيتين[2] فساقوا عليه وأحاطوا به، فساق في نفر قليل إلى نابُلُس، وأخذوا الجمال بأحمالها والخزائن والجواهر والجنائب وٱستغنَوْا غِنى الأبد، وٱفتقر هو فقرًا ما ٱفتقره أحد؛ ووقع عماد الدين بسَفَط صغير فيه ٱثنتا عشرة قطعة من الجوهر وفصوص ليس لها قيمة؛ فدخل على الجواد فطلبه منه فأعطاه إيّاه. وسار الناصر لا يَلْوِى على شيء إلى الكَرَك. ثم وقع له أمور نذكر بعضها في حوادث العادل والصالح وغيرهما». انتهى.

ولمّا تمّ أمر العادل وتسلطن بمصر وٱستقرّ الجواد بدمشق على أنّه نائب العادل، وبلغ هذا الخبرُ الملكَ الصالح نجم الدين أيّوب عَظُم عليه ذلك، كونه كان هو الأكبر، فقصد الشام بعد أمور وقعت له مع الخُوَارَزْمِيّة ومع لؤلؤ صاحب المَوْصِل؛ ثم سار الملك الصالح بعساكر الشرق حتّى وافى دمشق ودخلها في جُمَادى الآخرة سنة ست وثلاثين وستمائة، فخرج إليه الملك الجواد وٱلتقاه؛ وٱتّفق معه على مقايضة دِمَشق بسنجار وعانة[3]، وسببه [ضِيقُ][4] عَطَن الجواد، [وعجزُه عن القيام بمملكة الشام][4] فإنّه كان يُظهر أنّه نائب العادل بدمشق في مدّة إقامته، ثم خاف الجَوَاد أيضا من العادل، وظَنّ أنّه يأخذ دمشق منه، فخرج الجَوَاد إلى البَرِّيّة وكاتب الملك الصالح

(١) سبسطية : بلدة من نواحى فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان وبها قبر زكريا، ويحى عليهما السلام. (٢) جيتين : قرية ببلدة غزة (عن تصحيحات ياقوت).

(٣) عانة : بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة (عن معجم البلدان لياقوت). (٤) زيادة عن مرآة الزمان.

المذكور حتّى حضر، فلمّا حضر آستأنس به وقايضه ودخلا دِمَشق، ومشَى الجَوَاد بين يدى الصالح وحمَل الغاشية من تحت[1] القلعة، ثمّ حملها بعده الملك المُظَفَّر صاحب حماة من باب الحـديد[2]، ونزل الملك الصالحُ أيّوب بقلعة دمشق، والجواد فى دار فرخشاه؛ ثم ندِم الجواد على مقايضة دمشق بسِنجار، وآسـتدعى المقدّمين والجند وآستحلفهم، وجمـع الصالح أصحابه عنده فى القلعة، وأراد الصالح أن يحـرق دار فرخشاه، فدخل آبن جرير[3] فى الوسط وأصلح الحال. ثم خرج الجواد إلى النَّيْرَب[4]، وآجتمع الخَلْق عنـد باب النصر[5] يدعون عليـه ويَسبُّونه فى وجهه، وكان قد أساء السِّيرة فى أهل دِمشق. ثم خرج الصـالح من دمشق وتوجّه إلى خَرِبَة اللّصوص[6] على عزم الديار المصريّة، فكاتب عمّه صاحب بعلبكّ الملك الصالح إسماعيل بن العادل، وسار الملك الصالح نجم الدين إلى نابُلُس فآسـتولى عليها وعلى بلاد النـاصر داود؛ فتوجّه النـاصر داود إلى مصر داخلًا فى طاعة الملك العادل، فأكرمه العـادل وأقام الصالح بنابُلُس ينتظر مجىءَ عمّه الصالح إسماعيل، فلم يلتفت الملك الصالح إسماعيل إلى آبن أخيه الصالح نجم الدين أيّوب هذا؛ وتوجّه نحو دمشق وهجم عليها ومعه أسد الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص فدخلوها يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر من سنة سبع وثلاثين؛ كلّ ذلك والصالح نجم الدين مقيم بنابُلُس؛ وآتّفق الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبكّ، وأسـد الدين شِيرِكُوه صاحب حِمْص على أن تكون البلاد بينهما مناصفة. ونزل الصالحُ إسماعيل فى دمشق بداره بدرب الشعّارين، ونزل صاحب حِمص بداره

---

(١) فى الأصـل: «من تلك القلعة». وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان.

(٢) باب الحديد، هو الباب الخاص بقلعة دمشق (راجع نزهة الأنام فى محاسن الشام). (٣) ابن جرير هو الصاحب جمال الدين على بن جرير الرقى الوزير، وزر للأشرف ثم للصالح إسماعيل وتوفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٣٦ هـ. (عن شذرات الذهب). (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨٨ ج ٥ من هذه الطبعة. (٥) هو من أبواب دمشق الحديثة بين باب الجابية والفراديس (عن نزهة الأنام).

(٦) خربة اللصوص: مكان بالشام. (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٦٠٤).

أيضا ، وأصبحوا يوم الأربعاء فزحفوا على القلعة ونقبوها من ناحية باب الفرج، وهتكوا حُرمتها ودخلوها ، وبها الملك المغيث عمر بن الملك الصالح أيّوب ، فآعتقله الصالح إسماعيل في بُرْج، وآستولى على جميع ما في القلعة . وبلغ الملكَ الصالحَ نجم الدين أيّوب ما جرى، وقيل له في العَود إلى دمشق، فخلع الصالحُ أيّوب على عمّيه مُجِير الدين[1] وتقيّ الدين[2] وعلى غيرهم، وأعطاهم الأموال وقال لهم : ما الرأى ؟ ٥ قالوا : نسوق إلى دمشق قبل أن تُؤخذ القلعة. فخرجوا من نابُلُس فنزلوا القُصَيْر[3] فبلغهم أخذُ القلعة ، فنفر بنو أيّوب بأسرهم وخافوا على أولادهم وأهليهم بدمشق، وكان الفساد قد لَعِب فيهم، فتركوا الصالحَ أيّوب وتوجّهوا إلى دمشق ؛ وبَقِيَ الصالح في مماليكه وغِلْمانه لا غير، ومعه جاريته شجرة الدُّرّ أمّ خليل ؛ فرحل من القُصَيْر يريد نابُلُس فطمع فيه أهل الغَوْر[4] والقبائل، وكان مقدّمهم شيخا جاهلا يقال له ١٠ مسبل[5] من أهل بَيْسَان قد سَفَكَ الدماء، فتقاتل عسكر الصالح معه حتّى كسروه؛ ثم آتّفق بعد ذلك مجيءُ الملك الناصر داود من مصر بغير رضًا من الملك العادل صاحب مصر ووصل إلى الكَرَك ، وكتب الوزيريّ[6] إلى الناصر يُخبره الخبر ، فلمّا بلغ الناصرَ ذلك أرسل عماد الدين بن مُوسَك والظَّهير بن سُنْقُر الحَلَبيّ في ثلثمائة فارس إلى نابُلُس. فركب الصالح أيّوب وآلتقاهم فخدموه وسلّموا عليه بالسلطنة، وقالوا له : ١٥ طَيِّبْ قلبك، إلى بيتك جئتَ ، فقال الصالح : لا ينظر آبن عمّي فيما فعلت ، فلا زال الملوك على هذا، وقد جئتُ إليه أستجير به ، فقالوا : قد أجارك وما عليك بأس ؛

(١) هو مجير الدين يعقوب ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وراجع الحاشية رقم ١٤ ص ١٧٢ من هذا الجزء . (٢) هو تقي الدين عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من هذا الجزء . (٤) الغور : المراد به غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق . (٥) في مرآة الزمان وعقد الجمان : « يقال له تبل » . ٢٠

(٦) في الأصل : «فسأل الملك الصالح الوزيري أن يكتب له فكتب له الوزيري الخبر» وهي عبارة غير واضحة . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وأقاموا عنـده أيّاما حول الدار . فلمّا كان فى بعض الليالى ضربوا بوق النّفير وقالوا : جاءت الفرنج ، فركب الناس ومماليك الصالح ووصلوا إلى سَبَسْطِيَة ، وجاء عماد الدين والظهير بالعسكر إلى الدار ، وقالوا للصالح : تطلع إلى الكَرَك ، فإنّ آبن عمّك له بك آجتماع ، وأخذ سيفَه . وكانت شجرة الدُّرّ حاملا فسقطت ، وأخذوه وتوجّهوا به إلى الكَرَك . وآستفحل أمر أخيه الملك العادل صاحب مصر بالقبْض على الصالح هـذا ، وأَخَذَ وأعطى وأمر ونَهَى ، فتغيّر عليه بعضُ أمراء مصر ، ولكن ما أمكنهم يومئذ إلّا السُّكات .

وأمّا الصالح ، قال أبو المظفّر : ولمّا آجتمعت به (يعنى الصالح) فى سنة تسع وثلاثين وستمائة بالقاهرة حَكَى لى صورةَ الحال قال : أركبونى بغلةً بغير مِهْمَاز ولا مِقْرعة ، وساروا إلى المُوتَة(1) فى ثلاثة أيام ، والله ما كلّمتُ أحدًا منهم كلمةً ، ولا أكلتُ لهم طعامًا حتى جاءنى خطيب المُوتَة ومعه بُرْدَةٌ عليها دَجَاجة ، فأكلت منها وأقاموا بى فى الموتة يومين وما أعلم إيش كان المقصود ، فإذا بهم يريدون [أن] يأخذوا طالعا نحسا(2) يقتضى ألّا أخرج من حبس الكَرَك ، ثم أدخلونى إلى الكرك ليلا على الطالع الذى كان سبب سعادتى ونحوسهم .

قلت : وأنا ممّن يُنكر على أرباب التقاويم أفعالهم وأقوالهم لأنّى من عمرى أصحب أعيانهم فلم أرَ لِما يقولونه صحّة ، بل الكذب الصريح المحض ، ويعجبنى قول الإمام الربّانىّ عبد المؤمن بن هبة الله الجرجانى فى كتابه « أطباق الذهب » الذى يشتمل على مائة مقالة [وآثنتين] ، والذى أعجبنى من ذلك هى المقالة الثالثة والعشرون ،

(1) فى الأصل : «الى البرية» . وما أثبتناه عن عقد الجمان . والموتة : قرية من قرى البلقان فى حدود الشام وقيل من مشارف الشام وهى على مرحلة من الكرك (عن معجم البلدان لياقوت وتقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

(2) فى الأصل : «طالعا خبيثا» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

وهى مّما نحن فيه من علم الفلك والنجوم، قال: «أهلُ التسبيح والتقديس، لا يؤمنون بالتربيع والتسديس؛ والإنسان بعد علوّ النفس، يَجِلّ عن ملاحظة السعد والنحس؛ وإنّ فى الدين القويم، آستغناء عن الزيج والتقويم؛ والإيمان بالكهانة، باب من أبواب المهانة؛ فأعرض عن الفلاسفة، وغضّ بصرك عن تلك الوجوه الكاسفة، فأكثرهم عَبَدة الطبع، وحَرَسة الكواكب السبع؛ ما للنجم الغبىّ، والعلم الغَيْبِىّ، ٥
[وما للكاهن الأجنبىّ] [1]، وسرّ حُجِب عن النبىّ؛ وهل يَنخدع بالفال، إلّا قلوب الأطفال؛ وإنّ آمرأ جَهِل حال قومه، وما الذى يجرى عليه فى يومه؛ كيف يعرف علم الغد وبعده، ونحس الفلك وسعده! وإنّ قوما يأكلون من قُرْصة الشمس لمهزولون، وإنهم عن السمع لمعزولون؛ ما السموات إلّا مجاهلُ خالية، والكواكب صُوَاها [2]، والنجوم إلّا هيا كل عالية، ومن الله قُواها؛ سبعة سيّرة نيّرة، خمسة منها متحيّرة، ١٠
شرّارة وخيّرة طباعها متغايرة؛ كلّ يسرى لأمرٍ مُعَمّى، وكلّ يجرى لأجل مسمّى!»
إنتهت المقالة بتمامها وكمالها. وقد خرجنا بذكرها عن المقصود، ولنرجع إلى ما نحن فيه من ترجمة العادل وأخبار أخيه الصالح.

قال: ووكّلوا بى مملوكًا لهم، [فظًّا غليظًا] [3] يقال له: زُرَيْق، وكان أضرّ علىّ من كلّ ما جرى، فأقمتُ عندهم إلى شهر رمضان سبعة أشهر، ولقد كان عندى ١٥
خادمٌ صغير فآتفق أن أكل ليلةً كثيرا فآتّخم وبال على البساط، فأخذتُ البساط بيدى والخادمَ، وقمتُ من الإيوان إلى قرب الدِّهْليز، وفى الدهليز ثمانون رجلًا يحفظوننى، وقلت: يا مقدّمون، هذا الخادم قد أتلف هذا البساط، فآذهبوا به إلى الوادى

(١) زيادة عن أطباق الذهب.
(٢) فى الأصل: «ضوءها» وهو تصحيف. وما أثبتناه عن أطباق الذهب.
(٣) زيادة عن عقد الجمان. ٢٠

وآغسلوه فنَفَر فىّ زُرَيق، وقال : إيش جاء بك إلى ها هنا ! وصاحوا علىّ فعدت إلى موضعى . انتهى .

قلت : وأمّا ممـاليكه وخزائنه فإنّ الوزيرىّ توجّه بهم إلى قلعة الصَّلْت[1] . وأقام ممـاليكه بنابُلُس، وآستمرّ الحال على ذلك إلى أن بلغ الملكَ العادلَ صاحبَ الترجمة ما جرى على أخيه الصالح، فأظهر الفرح ودُقَّت الكوسات وزُيِّنت القـاهرة ؛ ثم أرسل الملك العـادل المذكور العَلَاءَ بن النَّابُلُسِىّ إلى الملك الناصر داود صاحب الكَرَك، يطلب الملكَ الصالح نجمَ الدين المذكور منه، ويُعطيه مائة ألف دينار فـا أجاب[2] . ثم كاتبه الملك الصالح صاحبُ بعلبكّ، وصاحبُ حِمْص أسد الدين شِيرِكوه فى إرساله إلى الملك العادل إلى مصر ؛ كُلّ ذلك والعادل فى قَلَق من جهة الصالح، فلم يلتفت الملك الناصر داود لكلامهم؛ وأقام الصالح مدّةً فى الحبس حتّى أشار عِماد الدين وآبن قِلِيج والظَّهير على الملك الناصر بالآتّفاق مع الصالح نجم الدين أيّوب وإخراجه، فأخرجه النـاصر وتحالفا وآتّفقا ، وذلك فى آخر شهر رمضـان ، وكان تحليفُ الناصر داود للصالح أيّوب على شىء ما يقوم به أحدٌ من الملوك، وهو أنّه يأخذ له دمَشق وحِمْص وحماة وحلب والجزيرة والموصل وديار بكر ونصف ديار مصر ونصف ما فى الخزائن من المـال والجواهر والخيل والثياب وغيرها، فحَلَف الصالح على هـذا كلّه وهو تحت القهر والسيف . ولـمّا علم الملك العـادل صاحب الترجمـة بخلاص أخيه الصـالح آتّفق مع عمّـه الملك الصـالح إسماعيل صاحب بعلبكّ الذى ملك دمشق ؛ فسار الملك العادل من مصر والملك الصالح من

---

(١) الصلت : بليدة وقلعة من جند الأردن وهى فى جبل الغور الشرقى جنوبى عجلون على مرحلة عنها (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

(٢) فى الأصل : «فأجاب» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

دمشق ومعه أسد الدين صاحب حمص ، ثم عزموا على قصد الناصر والصالح ؛ فأوّل من برز لهم الملك العادل صاحب الترجمة بعساكر مصر ، وخرج وسار حتى وصل إلى بلبيس ؛ وكان قد أساء السيرة في أمرائه وحواشيه ، فوقع الخُلْف بينهم وتزايد الأمر حتى قبضوا عليه ، وأرسلوا إلى الصالح نجم الدين أيّوب يعرّفونه ويسألونه الإسراع في المجيء إلى الديار المصريّة . فسار ومعه الملك الناصر داود صاحب الكَرَك وجماعة من أمرائه آبن مُوسَك وغيره ، فكان وصول الصالح إلى بلبيس في يوم الأحد رابع عشرين ذى القعدة ، فنزل في خَيْمة العادل ، والعادل معتقل في خركاه . قال أبو المظفّر : حكى لى الصالح واقعات جرت له في مسيره إلى مصر [منها] (١) أنّه قال : ما قصدت بمجيء الناصر معى إلّا خوفا أن تكون معمولة علىّ ، ومنذ فارقنا غزّة تغيّر علىّ ، ولا شكّ أنّ بعض أعدائى أطمعه في المُلك ، فذكر لى جماعةٌ من مماليكى أنّه تحدّث معهم في قتلى . قال : ومنها أنّه لما أخرجنى (يعنى الناصر) ندم وعزم على حبسى ، فرميت روحى على آبن قِلِيج ، فقال : (٢) ما كان قصده إلّا أن يتوجّه إلى دمشق أوّلا فإذا أخذنا دمشق عُدنا إلى مصر . قال : ومنها أنّه ليلة وصل إلى بلبيس شرب وشطح إلى العادل ، فخرج له من الخركاه فقبّل الأرض بين يديه ، فقال له : كيف رأيتَ ما أشرتُ عليك ولم تقبل منى ! فقال : يا خوند ، التوبة ، فقال : طيّب قلبك ، الساعة أطلقك ، وجاء فدخل علينا الخيمة ووقف ، فقلت : بآسم الله آجلس ، فقال : ما أجلس حتى تُطلق العادل ، فقلت : اُقعد ، وهو يكرّر الحديث ؛ ثم سكت ونام فما صدّقت بنومه وقمت في باقى الليل ، فأخذت العادل في محَفّة ورحتُ به إلى القاهرة . ولما دخلنا القاهرة

(١) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

(٢) في الأصل : « قال وما كان قصده ... الخ » . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .

بعثُ إليه بعشرين ألفَ دينـار، فعادت إلىّ مع غلمانى ، وغضب وأرد نصف ما فى خزائن مصر .

قلت : وآستولى الصالح على مُلك مصر وقبض على أخيه العادل صاحب الترجمة فى يوم الآثنين خامس عشرين ذى الحجّة وحبسه عنده بالقلعة سنين .

قال سعد الدين مسعود بن حَمّويه : وفى خامس شوّال سـنة ستّ وأربعين وستمائة جهّز الصالح أخاه أبا بكر العـادل ونفاه إلى الشُّوبَك ، و بعث إليه الخادم محسنًا يُكلّمه فى السفر، فدخل عليه الحبس(١) وقال له : السلطان يقول لك : لا بُدّ من رَوَاحك إلى الشُّوبَك ، فقـال : إن أردتم أن تقتلونى فى الشـوبك فهاهنا أولى ولا أروح أبدًا ، فعـذله محسنٌ، فرماه بدواة كانت عنده ، فخرج وعرّف الصالحَ أيوب بقوله ، فقال : دَبّرْ أمره ، فأخذ المحسن ثلاث ممـاليك ودخلوا عليه ليـلة الآثنين ثانى عشر شوّال فخنَقُوه بشاش وعلّقوه به ، وأظهروا أنه شَنَق نفسَه وأخرجوا جنازته مثل بعض الغُرَباء ، ولم يتجاسر أحد أن يترحّم عليـه أو يبكى حول نَعْشه ، وعاش بعده الملك الصالح عشرةَ أشهر رأى فى نفسـه العِبرَ من مرض تمادَى به وما نفعه الآحتراز كما سيأتى ذكره فى ترجمته . إن شاء الله تعـالى . وزاد آبنُ خلّكان(٢) فى وفاته بأن قال : ودُفِن فى تربة شمس الدولة خارج باب النصر — رحمه الله تعـالى — .
وكان للعادل المذكور ولد صغير يقال له الملك المغيث مقيمٌ بالقلعة فلا زال بهـا إلى أن وصل آبنُ عمّـه الملك المعظم تُوران شاه بعد موت أبيـه الصالح نجم الدين إلى المنصورة، وسيّر المغيثَ المذكور من هناك ونقله إلى الشُّوبَك؛ فلمّـا جرت الكائنة على المعظّم ملك المغيثُ الكَرَك وتلك النواحى . قلت : وكانت ولاية الملك العادل

(١) فى الأصل : «فدخل عليه المحسن» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٢) راجع هذا الخبر فى ابن خلكان فى ترجمة والده الملك الكامل .

على مصر سنة واحدة ونحو شهرين وأيّاما مع ما وقع له فيها من الفتن والأنكاد، ولم يُعرف حاله فيها لِصغَر سنه وقِصَر مدّته — رحمه الله تعالى — والعادل هذا يُعرف بالعادل الصغير، والعادل الكبير هو جدّه .

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك العادل الصغير أبى بكر آبن الملك الكامل محمد على مصر، وهى سنة ست وثلاثين وستمائة . على أنّه ولى السلطنة فى شهر رجب منها .

فيها تُوفّى محمود بن أحمد الشيخ الإمام العلّامة جمال الدين الحَصِيرِىّ الحنفىّ، أصله من بُخارى من قرية يقال لها حَصِير(1)، وتفقّه فى بلده وسمع الحديث وبرَع فى علوم كثيرة، وقدم الشام ودرّس بالنوريّة، وآنتهت إليه رياسة الحنفيّة فى زمانه، وصنّف الكتب الحِسان، وشرح «الجامع الكبير»(2)، وقرأ عليه الملك المعظّم عيسى الجامع الكبير وغيرَه . وكان كثيرَ الصدقات غزيرَ الدَّمْعة، عاقلا دَيِّنا نَزِهًا عفيفا وَقُورا، وكان المعظّم يحترمه ويُجِلّه . وكانت وفاته فى يوم الأحد ثامن صفر، ودفِن بمقابر الصوفيّة عند المُنَيْبِع، ومات وله تسعون سنة .

وفيها تُوفّى عِماد الدين عمر آبن شيخ الشيوخ محمد المنعوت بالصاحب، وهو الذى كان السبب فى عطاء دِمَشق الجواد، فلمّا مضى إلى مصر لَامَهُ العادل على ذلك وتهدّده، فقال : أنا أَمْضى إلى دمشق، وأنزِل بالقلعة وأبعَث بالجواد إليك، وإن آمتنع قُمْنا عليه؛ فسار إلى دِمَشق فوصلها قبل مجىء الملك الصالح نجم الدين أيّوب، ونزل بقلعة دمشق وأمر ونهى، وقال : أنا نائب العادل، وأمر الجوادَ بالمسير

(1) فى تاج التراجم والجواهر المضية فى طبقات الحنفية وعقد الجمان : «والحصيرى نسبة إلى محلة ببخارى يعمل بها الحصير» . (2) هو الجامع الكبير فى الفروع للامام المجتهد أبى عبد الله محمد بن الحسن الشيبانى الحنفى صاحب أبى حنيفة المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

إلى مصر. وكان أسـدُ الدين صاحب حِمص بدمشق، فآتّفق مع الجواد على قتل عماد الدين، فآستدعى صاحبُ حِمْص بعضَ نصارى قارة[1] وأمره بقتله، فركب آبن الشيخ يومًا من القلعة بعد العصر فوثب عليه النَّصْرانيّ وضربه بالسكاكين حتّى قتله؛ وذلك فى جُمادى الأولى. ودخل الصالح أيّوب دمشق فحبس النَّصْرانيّ أياما ثم أطلقه، ومات عماد الدين وله ستّ وخمسون سنة.

وفيها تُوفّى الحافظ زكىّ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف البِرْزَالِىّ[2] الإشْبِيلىّ بحَمَاة فى رابع عشرين[3] شهر رمضان ودُفِن بها، وكان إماما فقيها محدّثا فاضلا ديِّنا — رحمه الله —

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها تُوفّى أبو العباس أحمد بن علىّ القَسْطَلّانِىّ[4] المالكىّ بمكّة. وصاحب مَارِدِين ناصر الدين أُرْتُق الأُرْتُقِىّ. وأبو المعالى أسعد بن المسلم بن مَكِّىّ بن عَلّان القَيْسِىّ فى رجب، وله ست وتسعون سنة. والمحدِّث بدل[5] بن أبى المعمّر التِّبْرِيزِىّ فى جُمادى الأولى. وأبو الفضل جعفر بن علىّ بن هبة الله الهَمَذَانِىّ المالكىّ المقرئ فى صفر، وله تسعون سنة. والعلّامة جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل [بن عثمان[6] ابن يوسف بن حسين] بن حَفْص الصَّفْرَاوِىّ[7] المالكىّ مفتى الإسكندرية ومقرئها فى شهر ربيع الآخر، وله آثنتان وتسعون سنة. والشيخ عثمان القَصِير الزاهد. وشيخ

---

(١) قارة: قرية كبيرة على قارعة الطريق، وهى المنزل الأول من حمص للقاصد إلى دمشق، وأهلها كلهم نصارى (عن معجم البلدان لياقوت). (٢) البرزالى: راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٤ من هذا الجزء. (٣) فى عقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير: «فى رابع عشر».

(٤) القسطلانى: نسبة إلى قسطيلية، وهى مدينة بالأندلس وهى أيضا إقليم بإفريقية، كما فى شرح القاموس ومعجم البلدان. (٥) فى الأصل: «بدر». وما أثبتناه عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ. (٦) التكلة عن غاية النهاية وشذرات الذهب.

(٧) الصفراوى: نسبة إلى وادى الصفراء بالحجاز.

نِصيبين عسكر بن عبد الرحيم بن عسكر عن نيِّف وسبعين سنة . والصاحب عماد الدين عمر ابن شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن عمر الجُوَيْنِيّ قتيلًا بقلعة دمشق . وأبو الفضل محمد بن محمد بن الحسن[1] بن السَّبّاك في شهر ربيع الآخر . والحافظ زكيّ الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن البِرْزَالِيّ الإشبيليّ بحماة في رمضان، وله ستون سنة . والعلّامة جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السيد البُخَارِيّ الحَصِيرِيّ شيخ الحنفية بدمشق في صفر، وله تسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الملك العادل الصغير ابن الملك الكامل على مصر، وهي سنة سبع وثلاثين وستمائة .

فيها خُلِع الملك العادل المذكور من مُلك مصر بأخيه الملك الصالح نجم الدين أيّوب حسب ما تقدّم ذكره .

وفيها هَجَم الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبكّ على دِمشق ، ومعه أسد الدين شِيرِكُوه صاحب حمص ومَلَكها في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر .

وفيها تُوفّي الملك ناصر الدين أُرْتُق[2] صاحب مارِدين الأُرْتُقِيّ ، كان الملك المعظّم عيسى بن العادل تزوّج أخته، وهي التي بنت المدرسة والتربة عند الجسر الأبيض بقاسيون، ولم تُدفن فيها لأنّها نُقِلت بعد موت زوجها المعظم إلى عند أبيها بمارِدين

(١) في الأصل : « الحسين » . والتصحيح عن شذرات الذهب والمختصر المحتاج إليه .

(٢) هو الذي تقدمت وفاته في السنة الماضية فيمن ذكر الذهبي وفاتهم .

فماتت هناك . وكان ناصر الدين المذكور شيخا شجاعا شهما جوادا ما قصده أحد وخيّبه . قتله ولده بماردين خَنْقًا وهو سكران .

وفيهـا تُوفّى الملك المجاهد أسد الدين شِيركُوه بن محمد بن أسد الدين شِيركُوه ابن شادى الأيّوبى صاحب حِمْص، أعطاه آبنُ عمّ أبيه السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيّوب حِمْص بعد وفاة أبيه محمد بن شِيركوه فى سنة إحدى وثمانين، فأقام بها إلى ٥ هذه السنة ، وحفظ المسلمين من الفرنج والعرب ، ومات بحمص فى يوم الثلاثاء العشرين من شهر رجب ودُفن بها .

وفيهـا تُوفّى يعقوب الخيّاط كان يسكن مَغارةَ الجوع بقاسيون . وكان شيخًا صالحا لَقِى المشايخَ وعاصر الرجال ومات بقاسيون — رحمه الله تعالى — .

١٠ الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هـذه السنة، قال : وفيهـا تُوفّى قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخُوَيِّىّ[1] فى شعبان ، وله أربع وخمسون سنة . وأبو البقاء إسماعيل بن محمد بن يحيى المؤدّب راوى مسند إسحاق، فى المحرّم . والصدر علاء الدين أبو سعد ثابت بن محمد [بن أبى بكر][2] الخُجَنْدى بشيراز، وله تسع وثمانون سنة . وأمين الدين سالم آبن الحافظ آبن صَصْرَّى[3] فى جُمادى الآخرة، وله ستون سنة[4] . ١٥ وصاحب حِمْص الملك المجاهد أسـد الدين شِيركوه بن شادى فى رجب ، وكانت

(١) فى الأصل : «الحصولى» . والتصويب عن عقد الجمان والذيل على الروضتين والمشتبه فى أسماء الرجال . والخويى ، نسبة الى خوى : بلد مشهور من أعمال أذربيجان وهو حصن كثير الخير والفواكه (عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) الزيادة عن شذرات الذهب . والخجندى (بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ومهملة) : نسبة إلى خجندة : مدينة بطرف سيحون .

٢٠ (٣) هو بهاء الدين أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصرى (عن نثر الجمان للفيومى) .

(٤) فى نثر الجمان : « مولده فى جمادى الآخرة سنة ٥٧٣ هـ » .

دولته ستًا وخمسين سنة . والقاضي أبو بكر عبد المجيد[(١)] بن عبد الرشيد بن علىّ بن سمّان الهمذاني سبط الحافظ أبي العلاء[(٢)] في شوّال عن ثلاث وسبعين سنة . وأبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطُّفَيْل في ذى الحجّة . وإمام الرَّبْوَة[(٣)] عبد العزيز بن دُلَف المقرئ الناسخ في صفر . وأبو الحسن علىّ بن أحمد الأندلسىّ الحَرّاني الصوفىّ المفسِّر بحَماة . وشمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الكريم[(٤)] الكاتب بدمشق في رجب . والحافظ أبو عبد الله محمد[(٥)] بن سعيد بن يحيى في شهر ربيع الآخر، وله تسع وسبعون سنة . وتقيّ الدين محمد بن طَرْخان السلمىّ الصالحىّ في المحرّم، وله ستّ وسبعون سنة . وأبو طالب محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن [بن أحمد[(٦)] ابن علىّ] بن صابر السلمىّ الزاهد في المحرّم . والمحتسب رشيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن الهادي التِّنِّيسىّ[(٧)] في جُمادى الآخرة ، وله ثمانٍ وثمانون سنة .

---

(١) في مجلد من تاريخ الإسلام للذهبي مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية تحت ١٤٥٢ تاريخ: « محمد بن عبد الرشيد ابن على بن نبهان أبو أحمد الهمذانى » . وقد ذكر وفاته سنة ٦٣٨ هـ .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن سهل الامام الحافظ الأستاذ أبو العلاء الهمذانى العطار شيخ همذان وإمام العراقيين . تقدمت وفاته فيمن ذكر الذهبي وفاتهم سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) الربوة يريد ربوة دمشق : وهى مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة محراب يقال إنه مهد عيسى عليه السلام . يزار وينذر له . وفيها جامع وخطبة ومدارس وعدّة مساجد ، وبها قاعات وأطباق ، وفيها عين ماء . (عن نزهة الأنام في محاسن الشام ص ٨٣) . وذكر صاحب شذرات الذهب أن عبد العزيز ابن دلف هذا كان مقيما ببغداد وتوفى بها ودفن بجانب معروف الكرخى (راجع ترجمته بتفصيل واف في شذرات الذهب) .

(٤) في شذرات الذهب : «ابن الكريم الكاتب شمس الدين محمد ابن الحسن بن محمد بن على البغدادى المحدث الأديب» .

(٥) هو الدبيثى المؤرخ المشهور كان في الحديث وأسماء رجاله والتاريخ من الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين . صنف كتابا جعله ذيلا على تاريخ أبي سعد عبد الكريم بن السمعانى (راجع ترجمته في ابن خلكان ونثر الجمان للفيومى وطبقات الشافعية) .

(٦) التكملة عن شذرات الذهب .

(٧) التنيسى ، نسبة إلى تنيس : بلد بآخر إفريقية مما يلى المغرب . وفي شذرات الذهب : «التيمى» .

والصاحب شرف الدّين أبو البركات[1] المبارك بن أحمد المُسْتَوفِىّ بالمَوْصِل فى المحرّم .
والصاحب ضياء الدّين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبـد الكريم [بن عبد الواحد[2] المعروف بآ] بن الأثير الشَّيْبَانِىّ الجَزَرِىّ الكاتب مؤلّف كتاب « المثـل السائر » فى شهر ربيع الآخر، وله نحو من ثمانين سنة .

٥ § أمر النيل فى هـذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وثمـانى أصابع . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وتسع عشرة إصبعا .

---

(١) فى الأصل : «أبو البركات نصرالله بن المبارك» . والتصويب عن ابن خلكان وشذرات الذهب وعقد الجمان . كان رئيسا جليل القدر كثير التواضع واسـع الكرم ولم يصل الى إربل أحد من الفضـلاء إلا و بادر إلى زيارته (راجع بقية نسبه وترجمته فى ابن خلكان ونثر الجمـان) .

١٠ (٢) زيادة عن ابن خلكان ونثر الجمان للفيومى (راجع بقية ترجمته أيضا فى ابن خلكان ونثر الجمان) .

ذكر سلطنة الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر

هو السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب آبن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد آبن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادى الأيّوبى سلطان الديار المصريّة . وقد تقدّم أنّ الملك الصالح هذا ولى الشرق وديار بكر فى أيّام والده الملك الكامل سنين، وذكرنا أيضا ما وقع له بعد موت الكامل مع أخيه العادل ، ومع آبن عمّه الملك الناصر داود وغيرهما فى ترجمة أخيه العادل مفصّلا إلى أن ملك الديار المصريّة فى يوم الآثنين الخامس والعشرين من ذى الحجّة سنة سبع وثلاثين وستّمائة . ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وستّمائة وبها نشأ، وآستخلفه أبوه على مصر لمّا توجه إلى الشرق فأقام الصالح هذا بمصر مع صواب الخادم لا أمر له ولا نهى إلى أن عاد أبوه الكامل إلى الديار المصريّة، وأعطاه حصن كيفا فتوجّه إليها، ووقع له بها أمور ووقائع مع ملوك الشرق بتلك البلاد فى حياة والده حتّى مات أبوه، ووقع له ما حكيناه إلى أن ملك مصر؛ ولمّا تمّ أمره بمصر أصلح أمورها ومهّد قواعدها .

قلت : والملك الصالح هذا هو الذى أنشأ المماليك الأتراك وأمّرهم بديار مصر، وفى هذا المعنى يقول بعضهم :

الصالح المرتضى أيّوب أكثر من * ترك بدولته يا شرّ مجلوب
قد آخذ الله أيّوبا بفعلته[1] * فالناس كلّهم فى ضرّ أيّوب

وقال الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبىّ فى تاريخه — بعد أن ذكر من مبدأ أمره نبذة إلى أن قال — : «ثم ملك مصر بلا كلفة وآعتقل أخاه، ثم جهز من أوهم

(١) كذا فى بدائع الزهور فى وقائع الدهور لآبن إياس . وفى الأصل : «لا آخذ الله أيوبا ... الخ» .

الناصر بأنّ الصالح فى نيّة القبْض عليه ، فخاف وغَضِب فأسرع إلى الكَرَك . ثم تحقّق الصالح [فساد][1] نيّات الأشرفيّة ، وأنّهم يريدون الوثوب عليه ، فأخذ فى تفريقهم والقبض عليهم ، فبعث مقدّم الأشرفيّة وكبيرَهم أَيْبَك الأشقر[2] نائباً على جهة ، ثم سيّر مَن قبض عليه ، ثم مسكهم عن بَكْرة أبيهم وسجنهم ؛ وأقبل على شراء المماليك الترك والخطائيّة ، وآستخدم الأجناد ؛ ثم قبض على أكبر الخدّام : شمس الدّين الخاصّ وجَوهر النُّوبىّ وعلى جماعة من الأمراء الكامليّة وسجنهم بقلعة صَدْر بالقرب من ايْلَة ؛ وأخرج فخرَ الدين آبن الشيخ من سجن العادل فركب رَكْبةً عظيمة ، ودعت له الرعيّة لكرمه وحسن سيرته ، فلم يُعجب الصالحَ ذلك وتخيّل ، فأمره بلزوم بيته ؛ وآستوزر أخاه معين الدين . ثم شرع يُؤَمِّر غِلْمانَه (يعنى مماليكه) فأكثر من ذلك ، وأخذ فى بناء قلعة الجزيرة[3] وآتّخذها سكَناً ، وأنفق عليها أموالا عظيمة ، وكانت الجزيرة قبلا متنزّها لوالده ، فشيّدها فى ثلاثة أعوام وتحوّل إليها . وأمّا الناصر داود فإنّه آتّفق مع عمّه الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص فآتّفقوا على الصالح .

---

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى . (٢) فى تاريخ الاسلام : « أيبك الأسمر » .

(٣) قلعة الجزيرة (قلعة الروضة) : هذه القلعة أنشأها الملك الصالح بجزيرة الروضة فى سنة ٦٣٨ هـ فعرفت بقلعة الروضة ، وبقلعة الجزيرة ، وبقلعة جزيرة الفسطاط ، وبقلعة المقياس ، وبالقلعة الصالحية . قال المقريزى (ج ٢ ص ١٨٣) : وقد أنفق الصالح فى عمارتها أموالا كثيرة حيث بنى فيها الدور والقصور ، وعمل لها ستين برجا ، وبنى بها جامعا ، ثم اتخذها دار ملك وسكن فيها بأهله وحرمه وأسكن فيها معه مماليكه البحرية . وكانت عدتهم نحو الألف مملوك ، وقد عرفوا بالمماليك البحرية لسكناهم هذه الجزيرة الواقعة فى بحر النيل . وقد درست هذه القلعة بما كان فيها ولم يبق لها أثر اليوم .

ومما ذكره المقريزى من أن هذه القلعة كانت تمتد مبانيها الى مقياس النيل من الجهة الجنوبية ؛ ومما ذكره السيوطى فى كوكب الروضة عند الكلام على جامع الريس الذى يعرف اليوم باسم زاوية البسطامى من أنها فى مكان برج الطراز من القلعة فى جهتها الشمالية . ومن بحوث أخرى تبين أن هذه القلعة كانت تشغل مساحة من الأرض لا تقل عن ٦٥ فدانا واقعة فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة . ومكانها المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بشارع الملك المظفر ، ومن الغرب بنهر النيل ، ومن الجنوب بسلاملك سراى حسن باشا فؤاد المناسترلى وبمقياس النيل ، ومن الشرق بسيالة جزيرة الروضة . والسلاملك المذكور كان مكانه الجامع =

وأمّا الخُوَارَزْمِيّة فإنّهم تغلّبوا على عِدّة قِلاع[1] وعاثوا وخرّبوا البلاد، وكانوا شرًّا من التّتار، لا يعفون عن قتـل ولا [عن] سَبْي ولا فى قلوبهم رحمـة . وفى سنة إحدى وأربعين وقع الصلح بين الصالحَيْن[2] وصاحب حِمْص على أن تكون دمشق للصالح إسمـاعيل، وأن يُقيم هو والحلبيّون والحِمْصيّون الخطبةَ فى بلادهم لصاحب مصر، وأن يخرج ولدُه الملك المغيث من آعتقال الملك الصالح إسماعيل . — والملك المغيث هو آبن الملك الصالح نجم الدين، كان مُعْتَقلًا قبل سلطنته فى واقعة جرت . قلت : (يعنى أنّ الصـالح قَبَض عليه لمّا مَلك دِمَشق بعد خروج الصـالح من دِمَشق قاصدًا الديار المصريّة قبـل أن يقبض عليه الناصر داود) وقد ذكرنا ذلك كلَّه فى ترجمة العادل مفصّلًا . قلت : وكذلك أطلق أصحابَ الصالح، مثل حُسام الدين آبن أبى علىّ، و مجير الدين بن أبى ذكرى، فأطلقهم الملك الصـالح إسماعيل — . وركب الملك المغيثُ و بقى يسير و يرجع إلى القلعة، وردّ على حُسام الدين ما أخذ منه . ثم ساروا إلى مصر، وآتّفق الملوك على عداوة النـاصر داود وجهّز الصالح إسماعيل عسكرًا يحاصرون عَجْلُون[3] وهى للنـاصر، وخطب لصاحب مصر فى بلاده، [و بقى عنده المغيثُ حتّى تأتيـه نُسَخُ الأَيْمان، ثم بَطَل ذلك كلّه[4]] . وقال آبن واصـل[5] : حدّثنى جلال الدين الخِلاطِىّ قال :

= الذى أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٨٥ هـ على النيل بجوار المقياس من الجهة الغربية وعرف بجامع المقياس، وكانت بقايا هذا الجـامع قائمة إلى سنة ١٢٦٧ هـ . وفيها أزال حسن باشا المذكور تلك البقايا و بنى هذا السلاملك فى مكان جامع المقياس .

(١) عبارة الذهبى : « فانهـم تغلبوا على حران وملكوا غيرها من القلاع وعاثوا وأخربوا البـلاد الجزرية » .

(٢) فى الأصـل : « بين الصالح » . والتصويب عن تاريخ الاسـلام للذهبى .

(٣) راجع الحاشـية رقم ٥ ص ٣٠٤ من هذا الجزء .

(٤) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى .

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٩ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

كنتُ رسولًا من جهة الصالح إسماعيل ، فورد عليّ منه كتاب وفى طيّه : كتاب من الصالح نجم الدين إلى الخُوَارَزْمِيّة يحثّهم على الحركة و يعلمهم [أنه][1] إنما صالح عمّه الصالح ليُخلّص آبنــه المغيثَ من يده ، وأنه باقٍ على عداوته ، ولا بدّ له من أخذ دمشق منه ، فمضيتُ بهذا الكتاب إلى الصاحب مُعين [الدين][1] فأوقفته عليه ، فما أبدى عنه عُذْرًا يسوغ . وردّ الصالحُ إسماعيلُ المغيثَ بن الصالح نجم الدين إلى الاعتقال، وقَطَع الخطبــةَ و ردّ عسكره عن عَجْلُون وأرســل إلى الناصر داود وآتفق معه على عداوة صاحب مصر، وكذلك رجع صاحب حلب وصاحب حِمْص عنه، وصاروا كلمةً واحدة عليه ، وآعتُقِلَت رسلُهم بمصر، وآعتضــد صاحبُ دمشق بالفرنج ، وسلّم إليهم القُدْسَ وطَبَرِيّة وعَسْقلان ، وتجهّز صاحب [مصر][2] الملك الصالح هذا لقتالهم ، وجهّز البعوثَ وجاءته الخُوَارَزْمِيّة فساقوا إلى غَزّة وآجتمعوا بالمصريين، وعليهم ركن الدين بيبرس البُنْــدُقْدَارِيّ الصالحيّ . قلت : و بيبرس هـذا هو غير بيبرس البُنْدُقْدارِيّ الظاهريّ ، و إنما هذا أيضا على آسمه وشهرته ، وهذا أكبر من الظاهر بيبرس [وأقدم][1]، وقبضَ[3] عليه الملك الصالح بعد ذلك وأعدمه . انتهى .

قال آبن واصل : وتسلّم الفرنج حرم القــدس وغيره ، وعمّروا قلعتى طَبَرِيّة وعَسْقلان وحصّنوهمــا ، ووعدهم الصالح إسمــاعيل بأنه إذا ملك مصر أعطاهم بعضها ، فتجمّعوا وحشــدوا وسارت عساكرُ الشــام إلى غَزّة ، ومضى المنصور صاحب حِمْص بنفســه إلى عَكّا وطلبهــا فأجابوه . قال : وسافرتُ أنا إلى مصر ودخلتُ القُدْسَ ، فرأيت الرُّهْبانَ على الصخرة وعليها قَنَانِى الخمر ، ورأيت الجَرَسَ

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٢) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبي .

(٣) فى الأصل : «وقتله الملك الصالح بعد ذلك وأعدمه» . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي .

فى المسجد الأقصى، وأبطل الأذان بالحرم وأعلن الكفر. وقدم — وأنا بالقدس — الناصر داود إلى القدس فنزل بغربيّه .

وفيها ولّى الصالحُ نجمُ الدين قضاءَ مصر للأفضل[1] بعد أن عزل ابنُ عبد السلام[2] نفسه بمُدَيْدَة . ولمّا عدت الخُوَارَزْمِيّة الفُرات، وكانوا أكثر من عشرة آلاف ما مرّوا بشىء إلّا نهبوه وتقهقر الذين بغزّة منهم، وطلع الناصر إلى الكَرَك وهربت الفرنج من القدس ، فهجمت الخُوَارَزْمِيّة القدس وقتلوا مَن به من النصارى، وهدموا مقبرة القُمَامة[3] ، وجمعوا بها عِظامَ الموتى فحرقوها ، ونزلوا بغزّة وراسلوا صاحبَ مصر (يعنى الملك الصالح هذا) فبعث إليهم بالخلَع والأموال وجاءتهم العساكر، وسار الأمير حُسام الدين بن أبى علىّ بعسكرٍ ليكون مركزا بنابُلُس، وتقدّم المنصور إبراهيم على الشاميّين (يعنى لقتال المصريّين) وكان شهمًا شجاعا قد انتصر على الخُوَارَزْمِيّة غيرَ مرّة، وسار بهم ورافقته الفرنج من عكّا وغيرها بالفارس والراجل، ونفّذ الناصر داود عسكرا فوقع المصافّ بظاهر غزّة، فانكسر المنصور إبراهيم شرّ كسْرة . وأخذت سيوفُ المسلمين الفرنجَ فأفْنَوْهم قتلًا وأسرًا، ولم يُفْلِت منهم إلّا الشاردُ، وأُسِر أيضا من عسكر دمشق والكَرَك جماعةٌ من المقدّمين. قال ابن واصل : حُكِى لى عن المنصور أنّه قال : والله لقد قصّرتُ ذلك اليومَ

---

(١) الأفضل هو محمد بن ناماور بن عبد الملك قاضى القضاة أفضل الدين الخونجى (بخاء معجمة مضمومة) أبو عبد الله الشافعى . كانت له اليد الطولى فى المعقولات، وهو صاحب الموجز فى المنطق وغيره توفى سنة ٦٤٦ هـ . (راجع ترجمته فى شذرات الذهب وطبقات الشافعية) .

(٢) هو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب السلمى الدمشقى الشافعى شيخ الاسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها ، العارف بمقاصدها (راجع ترجمته بتفصيل واف فى طبقات الشافعية وشذرات الذهب) . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٦٠ هـ .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

ووقع فى قلبى أنّه لا ننتصر لانتصارنا بالفرنج — قلت : عليه من الله ما يستحقّه من الخزى. وإيش يفيد تقصيره بعد أن صار هو والفرنج يدًا واحدة على المسلمين! — قال : ووصلتْ عسكر دمشق معه فى أسوأ حال .

وأمّا مصر فزيّنت زينةً لم يُرَ مثلها ، وضُربت البشائر ودخلت أُسارى الشام الفرنج والأمراء، وكان يوما مشهودا بالقاهرة. ثم عطف حُسام الدين بن أبى علىّ، وركن الدين بيبرس فنازلوا عسقلانَ وحاصروها وبها الفرنج الذين تسلّموها بخُرج حُسام الدين، ثم ترحّلوا إلى نابُلُس، وحكَمُوا على فِلَسْطِين والأغوار إلا عَجْلُون فهى بيد سيف الدين [بن] قِلِيج نيابةً عن الناصر داود . ثم بعث السلطان الملك الصالح نجم الدين وزيرَه مُعِينَ الدين ابن الشيخ على جيشه وأقامه مُقام نفسه، وأنفذ معه الخزائن وحكّمه فى الأمور، وسار إلى الشام ومعه الخُوَارَزْميّة، فنازلوا دمشق وبها الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حِمْص، فذلّ الصالح إسماعيل، وبعث وزيره أمينَ الدولة مستشفعًا بالخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين، فلم يَظْفَر بطائل، ورجع واشتدّ الحصار على دمشق، وأُخذت بالأمان لقلّة مَن مع صاحبها ، ولعدم المِيرَة بالقلعة ، واتخَلّى الحلبيّين عنه ، فترحّل الصالح إسماعيل إلى بَعْلَبكّ، والمنصور إلى حِمْص، وتسلّم الصاحب معين الدين القلعة والبلد .

ولمّا رأت الخُوَارَزْميّة أنّ السلطان قد تملّك الشام بهم وهزم أعداءه صار لهم عليه إدلال كثير، مع ما تقدّم من نصرهم له على صاحب المَوْصل قبل سلطنته وهو بسِنْجار ، فطمِعوا فى الأخباز العظيمة ؛ فلمّا لم يحصلوا على شىء فسدت نيّتهم له وخرجوا عليه ، وكاتبوا الأمير ركنَ الدين بيبرس البُنْدُقْدَارِىّ ، وهو أكبر أمراء الصالح نجم الدين أيّوب، وكان بغزّة، فأصغى إليهم — فيما قيل — وراسلوا صاحب

الكَرَك فنزل إليهم [ووافقهم][(١)] . وكانت أمُّه [أيضا][(١)] خوارزميّة وتزوّج منهم ، ثم طلع إلى الكَرَك وآستولى حينئذ على القُدْس ونابُلُس [وتلك الناحية][(١)] ، وهرب منه نوّاب صاحب مصر، ثم راسلت الخوارزميةُ الملك الصالح إسماعيل وهو في بَعْلَبَكّ وحَلَفُوا له فسار إليهم ، وآتفقت كلمة الجميع على حرب الصالح صاحب مصر، فقلِق الصالح لذلك وطلب ركن الدين بيبرس فقدِم مصر فاعتقله . وكان آخر العهد به ، ثم خرج بعساكره فخيم بالعبّاسة[(٢)] وكان قد نفّذ رسوله إلى الخليفة المستعصم يطلب تقليدًا بمصر والشام [والشرق][(١)] ، فجاءه التشريف والطَّوْقُ الذهب والمركوب ، فلَبِس التشريفَ الأسودَ والعمامةَ والجُبَّة ، وركب الفرس بالحِلْية الكاملة ، وكان يومًا مشهودا ؛ ثم جاء الصالح إسماعيل والخُوارَزْمِيّة ونازلوا دمشق وليس بها كبيرُ عسكر، وبالقلعة الطَّوَاشي رشيد ، وبالبلد نائبها حُسام الدين بن أبي عليّ الهذباني، فضبطها وقام بحفظها بنفسه ليلًا ونهارًا ، وآشتدّ بها الغلاء وهلك أهلها جوعًا ووباءً .

قال : وبلغني أنّ رجلا مات في الحبس فأكلوه ؛ كذلك حدّثني حسام الدين بن أبي عليّ ، فعند ذلك آتّفق عسكر حلب والمنصور صاحب حِمْص على حرب الخُوارَزْمِيّة وقصدوهم ، فتركوا حصار دمشق وساقوا أيضا يقصدونهم فآلتقى الجمعان ، ووقع المصافُّ في أوّل سنة أربع وأربعين على القصب[(٤)] ، وهي منزلة بريد من حِمْص من قبليها ، فاشتدّ القتال والصالح إسماعيل مع الخوارزميّة فآنكسروا عند ما قُتِل مقدَّمُهم حُسام الدين بركة خان، وآنهزموا ولم تقُم لهم بعدها قائمة ، وقتل بَرَكَة خان مملوكٌ من الحلبيّين وتَشَتَّتَت الخُوَارَزْمِيّة ، وخدَم طائفة منهم بالشام وطائفةٌ بمصر

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة . (٣) في الأصل : « على العصب » بالعين المهملة . وفي عقد الجمان : « على عيون القصب » . وما أثبتناه عن تاريخ الاسلام للذهبي وتاريخ ابن الوردي وتاريخ أبي الفدا اسماعيل .

وطائفة مع كشْلُو خان ذهبوا إلى التَّتار وخدموا معهم؛ وكفى الله شرّهم . وعُلِّق رأس بركة خان على قلعة حلب . ووصل الخبر إلى القـاهرة فزُيِّنت ، وحصل الصلح التامّ بين السلطان (يعنى الصالح نجم الدين أيّوب) وبين صاحب حِمْص والحلبيّين .

وأمّا الصالح إسمـاعيل [فإنّه] ٱلتجأ إلى ٱبن أخته[1] الملك النـاصر صلاح الدين صاحب حلب . وأما نائب دمشـق حُسام الدين فإنّه سار إلى بعلبـك وحاصرها وبهـا أولاد الصالح إسماعيل فسلّموها بالأمان؛ ثم أُرسِلوا إلى مصر تحت الحوطة هم والوزير أمين الدولة والأسـتادار ناصر الدين بن يَغْمُور فٱعْتُقِلُوا بمصر . وصَفَتِ البـلاد للملك الصالح . وبقِى الملك الناصر داود بالكَرَك فى حكم المحصور ، ثم رَضِىَ السلطان على فخر الدين ٱبن الشيخ وأخرجه من الحبس بعد موت أخيه الوزير معين الدين ، وسيّره إلى الشام وٱسـتولى على جميع بلاد النـاصر داود ، وخرّب ضِـياعَ الكَرَك ثم نازلها أياما ، وقلّ ما عند النـاصر من المـال والذخائر وقلّ ناصره ، فعمـل قصـيدة يعاتب فيها السلطان فيما له عنـده من اليـد من الذبّ عنـه وتمليكه ديار مصر ، وهى :

قـُـلْ للذى قاسمتُه ملك اليـــدِ * ونهضتُ فيـه نهضةَ المُسْتأسِـــدِ
عاصيتُ فيه ذَوِى الحِجَى من أسرتى * وأطعتُ فيـــه مكارمى وتَوَدُّدِى
يا قاطعَ الرَّحِـــمِ التى صِلَتِى بهـا * كُتِبَت على الفلك الأثِير بعَسْـجَدِ
إن كنتَ تقدح فى صريح مَنَاسِبى * فٱصـبِر بعزمك للَّهِيب المُرْصَـدِ
عَمِّى أبوك ووالدى عـــمٌّ بِه * يعلو ٱنتسابُك كلَّ مَلْكٍ أَصْـيَدِ
صالاَ وجالاَ كالأسَـــود ضواريًا * فٱرتدّ تيّـار الفُرَات المُـــزْبِدِ

[1] فى الأصل : « التجأ اليه ابن أخيه » ، والتصويب عن تاريخ الاسلام .

دع سيف مِقولىَ البليغ يذُبّ عن * أعراضكم بفِرِنده المتوقّـد
فهو الذى قد صاغ تاجَ نخارِكم * بمُفَصَّلٍ من لؤلؤٍ وزَبَرْجدِ

ثم أخذ يصف نفسه [وجوده ومحاسنه وسؤدده](١) إلى أن قال :

يامُحْرِجى بالقول والله الذى * خضعتْ لعزّته جِباهُ السُّجَّد
لولا مقالُ الهُجْرِ منك لَمَا بدا * منّى آفتخارُ بالقريض المُنشَد ٥
إن[كنتُ]قلتُ خلافَ ماهوشيمتى * فالحاكمون بمَسْمَعٍ وبمَشْهَدِ
والله يآبنَ العمّ لولا خيفتى * لرميتُ ثغرك بالعداة المُرّدِ
لكننى ممّن يخاف حرامه * ندمًا يُجَرِّعُنى سِمَام الأسودِ
فأراك ربُّك بالهُدى ما ترتجى * لنراك تفعل كلَّ فعل مرشدِ
لتُعيدَ وجه الملك طَلْقًا ضاحكًا * وترُدّ شملَ البيت غيرَ مبدَّدِ ١٠
كى لا ترى الأيامُ فينا فرصةً * للخارجين وضُحْكةً للحُسَّدِ

قال : ثم إنّ السلطان طلب الأمير حسام الدين بن أبى علىّ وولّاه نيابة الديار المصريّة ، وآستناب على دمشق الصاحبَ جمال الدين يحيى بن مطروح ، ثم قدم الشام وجاء إلى خدمته صاحبُ حَمَاة الملك المنصور وهو آبن آثنتى عشرة سنة وصاحبُ حِمْص [وهو صغير](١) ، فأكرمهما وقرّبهما ، ووصل إلى بعلبكّ ، ثم ردّ ١٥ إلى الشام ، ثم رجع السلطان ومرِض فى الطريق .

قال آبن واصل : حَكَى لى الأمير حسام الدين قال : لمّا ودّعنى السلطان قال : إنّى مسافر وأخاف أن يَعرِض لى موت وأخى العادل بقلعة مصر ، فيأخذ البلاد وما يجرى عليكم منه خيرٌ ، فإن مرِضتُ ولو أنّهُ حمّى يوم فآعدِمْه ، فإنّه لا خيرَ فيه ،

(١) زيادة من تاريخ الاسلام للذهبى . ٢٠

وولدى تُوران شاه لا يصلح للملك، فإنْ بلغك موتى فلا تُسَلِّم البلاد لأحد من أهلى، بل سَلِّمها للخليفة . انتهى .

قال : ودخل السلطان مصر، وصرف حسامَ الدين عن نيابة مصر بجمال الدين ابن يَغْمُور، وبعث الحُسام بالمصريّين إلى الشام، فأقاموا [بالصالحيّة][1] أربعةَ أشهر.

قال ٱبن واصل : وأقمتُ مع حسام الدين هذه المدّة، وكان السلطان فى هذه المدّة وقبلها مقيماً بأشمون طَنَّاح[2]، ثم فى السنة خرج الحلبيّون[3] وعليهم شمس الدين لؤلؤ الأَمِينِىّ، فنازلوا حِمْص، ومعهم الملك الصالح إسماعيل يرجعون إلى رأيه، فحاصرها شهرين ولم يُنجِدها صاحب مصر، وكان السلطان مشغولا بمرض عَرَض له فى بيضه ثم فتح، وحصل منه ناسورٌ بعُسر بولٍ[3]، وحصلت له فى رئته بعضُ قُرحة مُتْلِفة، لكنّه عازم على إنجاد صاحب حِمْص . ولمّا ٱشتدّ الحِصار بالأشرف صاحب حِمْص ٱضطرّ إلى أن أذعن بالصلح، وطلب العِوَض عن حِمْص تلَّ باشِر مضافاً إلى ما بيده، وهو الرَّحبة[4] وتَدْمُر، فتسلمها الأمير شمس الدين لؤلؤ الأَمِينِىّ، وأقام بها نوّاباً لصاحب

---

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٢) أشموم طناح : هى من المدن المصريه القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى للبحر الصغير الذى كان يسمى بحر أشموم نسبة إلى هــذه المدينة وكان اسمها المصرى شمون أرمان والرومى بانيفوس، وسماها العرب أشموم طناح نسبة الى كورة طناح التى كانت تقع أشموم فى دائرتها وتعرف اليوم باسم أشمون الرمان، وهو اسمها القديم محرفا .

ولمّا تكلم عليها ابن دقماق فى كتاب الانتصار قال : « وتعرف بأشموم طناح وأشموم الرمان، وهى قصبة كورة الدقهليــة ومدينة ذات حمامات وأسواق وجامع وفنادق » وقد ٱستمرت قاعدة لإقليم الدقهلية والمرتاحية إلى آخر عهد دولة المماليك . وفى أوائل الحكم العثمانى نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة . ومن ذاك الوقت اضمحلت أشمون الرمان وزال ما كان فيهـا من آثار المدنية والعمران، وأصبحت اليوم قرية عادية من قرى مركز دكرنس بمديرية الدقهلية .

(٣) فى تاريخ الاسلام : « بعسر بوله وحصلت له فى رئته قرحة ... الخ » .

(٤) يريد الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات . استحدثها شيركوه ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص . وهى بلدة صغيرة ولهـا قلعة على تل تراب، وشرب أهلها من قناة من نهر ســعيد الخارج من الفرات وهى اليوم محط القوافل من العراق والشام، وهى أحد الثغور الاســلامية (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .

حَلَب . فلمّا بلغ السلطان أخذُ حِمْص، وهو مريض، غضب وعظُم عليه، وترحّل إلى القاهرة فاستناب بها آبنَ يغمور وبعث الجيوش إلى الشام لاستنقاذ حِمْص، وسار السلطان في مِحَفّة، وذلك في سنة ستّ وأربعين وستمائة ؛ فنزل بقلعة دمشق وبعث جيشَه فنازلوا حِمْص ونصبوا عليها المجانيق ، منها منجنيق مَغْربيّ . ذكر الأمير حُسام الدين أنّه كان يَرْمِي حجرًا زِنَتُهُ مائة وأربعون رطلًا بالدمشقيّ ؛ ونصب عليها قَرَابُغا آثني عشر منجنيقا سلطانيّة، وذلك في الشتاء . وخرج صاحب حلب بعسكره فنزل بأرض كَفَرْطَاب، ودام الحصار إلى أن قدِم البَادَرَانِيّ[1] للصلح بين صاحب حلب والسلطان، على أن تَقِرّ حِمْص بيد صاحب حلب ، فوقع الآتفاق على ذلك ؛ وترحّل السلطان عن حِمْص لمرض السلطان ولأنّ الفرنج تحرّكوا [وقصدوا مصر][2] ، وترحّل السلطان إلى الديار المصريّة كذلك وهو في مِحَفّة . وكان الناصر صاحب الكَرَك قد بعث شمس الدين الخُسْرُو شاهي إلى السلطان وهو بدمشق يطلب خُبْزًا بمصر والشَّوبَك وينزل له عن الكَرَك ، فبعث السلطان تاج الدين [بن][2] مهاجر في إبرام ذلك إلى الناصر ، فرجع عن ذلك لمّا سمع حركة الفرنج ؛ وطلب السلطان نائب مصر جمال الدين بن يغمور فآستنابه بدمشق وبعث على نيابة مصر حُسام الدين بن أبي عليّ فدخلها في المحرّم سنة سبع وأربعين ؛ وسار السلطان فنزل بأُشْموم طَنَّاح ليكون في مقابلة الفرنج إن قصدوا دِمياط ، وتواترت الأخبار بأنّ ريدا فَرَنْس مقدّم الأفرنسيسيّة قد خرج من بلاده في جموع عظيمة وشَتّى بجزيرة قُبْرُص؛ وكان من أعظم ملوك الفرنج وأشدّهم بأسا . وريدا

(١) البادرانى : نسبة الى بادران، قرية بأصبهان، وهو عز الدين رسول الخليفة قدم للسعى فى الصلح بين الملك الصالح نجم الدين والحلبيين (عن عقد الجمان فى حوادث سنة ٦٤٦ هـ) .

(٢) الزيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى وعقد الجمان .

بلسانهم : الملك ، فشُحِنت دِمْياط بالذخائر وأُحْكِمت الشوانى ، ونزل فخر الدين ابن الشيخ بالعساكر على جزيرة دِمْياط ، فأقبلت مراكب الفرنج فأرست فى البحر بازاء المسلمين فى صفر من السنة ، ثم شرعوا من الغد فى النزول إلى البرّ الذى فيه المسلمون وضُرِبتْ خَيْمَةٌ حمراء لرِيدَا فَرَنْس وناوشهم [المسلمون] [1] القتال ، فقُتِل يومئذ الأمير نجم الدين آبن شيخ الإسلام ، والأمير الوزيرىّ — رحمهما الله تعالى — فترحّل فخر الدين آبن الشيخ بالناس ، وقطع بهم الجسرَ إلى البرّ الشرقى الذى فيه دِمْياط ، وتقهقر إلى أُشمون طَنَاح ، ووقع الخذلان على أهل دِمْياط ، فخرجوا منها طول الليل على وجوههم حتّى لم يبق بها أحد ، وكان هذا من قبيح رأى فخر الدين ، فإنّ دِمْياط كانت فى نَوْبة سنة خمس عشرة وستمائة أقلّ ذخائر وعددا ، وما قدر عليها الفرنج إلّا بعد سنة ، وإنّما هرب أهلُها لمّا رأوا هرب العسكر وضَعْفَ السلطان ، فلمّا أصبحت الفرنج ملكوها صَفْوًا بما حوت من العُدَد والأسلحة والذخائر والغلال والمجانيق ، وهذه مصيبة لم يجر مثلها ! فلمّا وصلت العساكر وأهل دِمْياط إلى السلطان حَنِق على الشجعان الذين كانوا بها ، [وأَمَرَ بهم] [1] فشُنِقُوا جميعا ثم رَحَل بالجيش ، وسار إلى المنصورة فنزل بها فى المنزلة التى كان أبوه نزلها ، وبها قصرٌ بناه أبوه الكامل ، ووقع النَّفِير العامّ فى المسلمين ، فاجتمع بالمنصورة أممٌ لا يُحْصَوْن من المطَّوِّعة والعُرْبان ، وشرعوا فى الإغارة على الفرنج ومناوشتهم وتخطّفهم ، وآستمرّ ذلك أشهرا ، والسلطان يتزايد والأطباء قد آيستْه لآستحكام المرض به .

وأمّا صاحب الكَرَك (يعنى الملك الناصر داود) فإنّه سافر إلى بغداد فاختلف أولاده ، فسار أحدهم إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب وسلّم إليه الكرك ، ففرح [بها] مع ما فيه من الأمراض ، وزُيِّنت بلاده وبعث إليها بالطواشى بدر الدين الصّوابى

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبى .

نائبا، وقدم عليه أولادُ النـاصر داود ، فبالغ الملك الصالح فى إكرامهم وأقطعهم أخبازا جليلة . ولم يزل يتزايد به المرض إلى أن مات ، وأخفى موته على ما سيأتى ذكره . إن شاء الله تعالى .

قال ٱبن واصل فى سيرة الملك الصالح نجم الدين أيّوب هذا : وكان مَهِيبًا عزيز النفس عفيفا طاهر اللّسان والذَّيْل ، لا يرى الهزل ولا العبث ، شديدَ الوقار كثير الصَّمْت، اشترى من المماليك الترك ما لم يشتره أحدٌ من أهـل بيته حتّى صاروا معظم عسكره، ورجّحهم على الأكراد [وأمّرهم](١) ، وٱشترى وهو بمصر خَلْقًا منهم، وجعلهم بطانتـه والمحيطين بِدِهْلِيزِه، وسمّاهم « البحرية » . حكى لى حسام الدين ابن أبى علىّ : أن هؤلاء المماليكَ مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ مَن يُعَظِّم هيبته، كان إذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفًا منه، وأنّه لم يقع منه فى حال غضبه كلمةٌ قبيحة قطُّ ، أكثر ما يقول إذا شتم : يامتخَلِّف ، وكان كثير البـاه بجواريه فقط ، ولم يكن عنـده فى آخر وقت غير زوجتين : إحداهما شجـرة الدُّر، والأخرى بنت العالمة، تزوّجها بعد مملوكه الجُوكَنْدار(٢)، وكان إذا سمع الغناء لا يتزعزع ولا يتحـرّك ، وكذلك الحاضرون يلتزمون حالته كأنّما على رءوسهم الطير ؛ وكان لا يستقِلّ أحدا من أرباب دولته بأمرٍ بل يراجعون القصص مع الخُـدّام ، فيوقّع عليها بمـا يعتمده كُتّابُ الإنشاء، وكان يُحبّ أهل الفضل والدّين، وما كان له ميْلٌ لمطالعة الكتب ؛ وكان كثير العُزْلة والانفراد ، وله نَهْمَة باللّعب بالصّوالجة ، وفى إنشاء الأبنية العظيمة الفاخرة . انتهى كلام ٱبن واصل .

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام . (٢) الجوكندار ، كلمة فارسية مركبة من كلمتين : « جوكان » و « دار » ومعناهما حامل الصولجان فى لعب الكرة .

وقال غيره : وكان مَلِكًا مَهيبا جبّارا ذا سطوة وجلالة ، وكان فصيحا حسن المحاورة عفيفًا عن الفواحش ، أمَّر مماليكه الترك ؛ وجرى بينه وبين عمّه الملك الصالح أمور وحروب إلى أن أخذ نقابة دِمَشق[1] عام ثلاثة وأربعين، وذهب إسماعيل إلى بعلبكّ، ثم أخِذت من إسماعيل بعلبك، وتعـثّر وآلتجأ إلى آبن أخته النـاصر صاحب حلب . ولمّـا خرج الملك الصالح هـذا من مصر إلى الشام خاف من بقاء أخيه الملك العادل فقتله سرًّا ولم يتمتع بعـده ؛ ووقعت الإ كْلة في خذه[2] بدمشق . ونزل الأَفْرَنْس ملك الفرنج بجيوشه على دِمْياط فأخذها ، فسار إليـه الملك الصالح في مِحَفّة حتى نزل المنصورة عليلًا ، ثم عرض له إسهال إلى أن مات في ليلة النصف من شعبان بالمنصورة، وأُخْفِيَ موتُه حتى أحضروا ولَدَه الملك المعظم تُوران شاه من حِصْن كَيْفَا وملّكوه .

وقال سـعد الدين : إنّ آبن عمّـه فخر الدين نائب السلطنة أمر بتحليف النـاس لولده الملك المعظم تُوران شاه ، ولولىّ عهده فخر الدين فتقرّر ذلك ، وطلبوا النـاس فحضروا وحلفوا إلّا أولاد النـاصر داود صاحب الكرك توقّفوا ، وقالوا : نشتهى [أن] نبصرَ السلطان، فدخل خادم وخرج وقال : السلطان يُسَلِّم عليكم، وقال : ما يشتهى أن تروه في هـذه الحالة، وقد رسم لكم أن تحلفوا . فحلفوا ؛ وكان للسلطان مدّة من وفاته ولا يعـلم به أحد، وزوجته شجرة الدرّ تُوَقِّع مثل خطّه على التواقيع — على ما يأتى ذكره — ولمّـا حلف أولاد النـاصر صـاحب الكَرَك جاءتهم المصيبة من كلّ ناحيـة ، لأنّ الكرك راحت من يدهم ، وآسودّت وجوههم عند أبيهم، ومات الملك الصالح الذى أمّلوه وأعطَوْه الكرك ؛

(١) في الأصل : « إلى أن نوابه بدمشق » . والتصويب عن تاريخ الاسلام للذهبي .

(٢) في تاريخ الاسلام : « في فخذه » .

ثم عقيب ذلك نَفَوْهم من مصر . ثم إنّ الأمير فخر الدين نفّذ نسخة الأيمان إلى البلاد [ليحلفوا للمعظّم] [1] ثم كلّ ذلك والسلطان لم يظهر موته . قال : وكانت أمّ ولده شجرة الدرّ ذاتَ رأيٍ وشهامة، فدبّرت أمر الملك الصالح وأخفتْ موته . وهي التي وَلِيت الملك مدّة شهرين بعد ذلك ، وخُطِب لها على المنابر بمصر وغيرها — على ما يأتي ذكر ذلك في محلّه إن شاء الله تعالى . ثم ملك بعدها الأتراك إلى يومنا هذا . انتهى .

وقال الشيخ شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه مرآة الزمان — بعد ما ذكر آسم الملك الصالح ومولده قال — : « ولما ملك مصر آجتهد في خلاص ولده المغيث فلم يقدر . قلت (يعني المغيث الذي كان حبسه الملك الصالح إسماعيل بقلعة دمشق في مبادئ أمر الملك الصالح) . قال : وكان مهيبا، هيبته عظيمة، جبّارا أباد الأشرفيّة وغيرهم . وقال جماعة من أمرائه : والله ما نقعد على بابه إلّا ونقول من هاهنا نُحمل إلى الحبوس ، وكان إذا حبس إنسانا نسيه ، ولا يتجاسر أحد أن يخاطبه فيه ، وكان يحلف أنّه ما قتل نفسًا بغير حقّ . قال صاحب المرآة : وهذه مكابرة ظاهرة ؛ فإنّ خواص أصحابه حكوا أنّه لا يمكن إحصاء من قتل من الأشرفية وغيرهم ، ولو لم يكن إلّا قتل أخيه العادل [لكفى] [2] . قال : وكانت عتيقته شجرة الدرّ تكتب خطًّا يُشبِه خطّه ، فكانت تعلّم على التواقيع ، وكان قد نسُر مخرجُ السلطان وآمتدّ إلى فخذه اليمنى ورجله ونَحُل جسمه وعُملت له مِحَفّة يركب فيها ، وكان يتجلّد، ولا يطّلِع أحدٌ على حاله ؛ ولمّا مات حُمِل تابوتُه إلى الجزيرة فعُلِّق بسلاسل حتّى قُبِر في تربته إلى جانب مدرسته بالقاهرة » .

---

(١) زيادة عن تاريخ الاسلام للذهبي . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

قلت : وذكر القطب اليُونينيّ[1] فى كتابه الذيل على مرآة الزمان ، قال فى ترجمة البهاء زُهَير[2] كاتب الملك الصالح قال :

فلمّا خرج الملك الصالح بالكَرَك من الاعتقال وسار إلى الديار المصرية ، كان بهاء الدين زُهَير المذكور فى صحبته ، وأقام عنده فى أعلى المنازل وأجلّ المراتب ، وهو المشار إليه فى كُتّاب الدرج والمقدّم عليهم ، وأكثرهم اختصاصا بالملك الصالح واجتماعا به ، وسيّره رسولا فى سنة خمس وأربعين وستمائة إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب يطلب منه إنفاذَ الملك الصالح عماد الدين إسماعيل إليه فلم يُجب إلى ذلك ، وأنكر الناصر هذه الرسالة غاية الإنكار ، وأعظمها واستصعبها ، وقال : كيف يسعنى أن أسيِّر عمّه إليه ، وهو خال أبى وكبير البيت الأيوبىّ حتى يقتله ، وقد استجار بى ! والله هذا شىء لا أفعله أبدا . ورجع البهاء زُهَير إلى الملك الصالح نجم الدين بهذا الجواب ، فعظُم عليه وسكت على مافى نفسه من الحنَق . وقبل موت الملك الصالح نجم الدين أيّوب بمُدَيْدَة يسيرة — وهو نازل على المنصورة — تغيّر على بهاء الدين زهير وأبعده لأمرٍ لم يطّلع عليه أحد . قال : حكى لى البهاء أن سبب تغيّره عليه أنّه كتب عن الملك الصالح كتابا إلى الملك الناصر داود صاحب الكَرَك ، وأدخل الكتاب إلى الملك الصالح ليُعَلِّمَ عليه على العادة ، فلمّا وقف عليه الملك الصالح كتب بخطّه بين الأسطر : « أنت تعرف قلّة عقل ابن عمِّى ، وأنّه

---

(١) هو موسى بن محمد بن أحمد الشيخ الامام المؤرخ المحدث قطب الدين أبو الفتح ابن الشيخ قطب الدين اليونينى البعلبكى الحنبلى . صنف تاريخا جعله ذيلا على تاريخ العلامة أبى المظفر يوسف بن قزأوغلى سبط بن الجوزى المسمى بمرآة الزمان — يوجد منه (جزءان من نسخة مخطوطان محفوظان بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥١٦ تاريخ ، وهما الجزء الخامس عشر ، وبه نقص من الأوّل ويبتدئ من أثناء سنة ٦٥٥ هـ . والجزء السابع عشر ويبتدئ من أثناء سنة ٦٧١ هـ) . توفى سنة ٧٢٦ هـ (عن المنهل الصافى) .

(٢) هو زهير ابن محمد بن على بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم أبو الفضل وقيل أبو العلاء بهاء الدين الأزدى المكى المولد القوصى المنشأ المصرى الدار . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ .

يحبّ من يعظّمه ويعطيه من يده فاكتب له غير هذا الكتاب ما يعجبه» ، وسيّر الكتاب إلى البهاء زهير ليغيّره ، والبهاء زهير مشغول ، فأعطاه لفخر الدين إبراهيم بن لقمان وأمره بختْمه ، فختمه وجهّزه إلى الناصر على يد نجّاب ، ولم يتأمّله فسافر به النجّاب لوقته ؛ واستبطأ الملك الصالح عود الكتاب إليه ليُعلَم عليه ؛ ثم سأل عنه بهاء الدين زُهَيْر بعد ذلك ، وقال له : ما وقفتَ على ما كتبتُه بخطّى بين الأسطر ؟ ٥
قال البهاء زُهَير : ومن يجسر أن يقف على ما كتبه السلطان بخطه إلى ابن عمّه ! وأخبره أنه سيّر الكتاب مع النجّاب ، فقامت قيامة السلطان ، وسيّروا فى طلب النجّاب فلم يدركوه ؛ ووصل الكتاب إلى الملك الناصر بالكَرَك فعظُم عليه وتألّم له ، ثم كتب جوابه إلى الملك الصالح ، وهو يَعْتِبُ فيه العتب المؤلم ، ويقول له فيه : والله ما بى ما يصدر منك فى حقّ ، وإنما بى اطلاع كُتّابك على مثل هذا ! فعزّ ذلك على الملك ١٠
الصالح ، وغضب على بهاء الدين زهير ، وبهاء الدين لكثرة مروءته نسب ذلك إلى نفسه ولم ينْسُبْه لكاتب الكتاب ، وهو فخرالدين بن لقمان — رحمه الله تعالى — .
قال : وكان الملك الصالح كثير التخيّل والغضب والمؤاخذة على الذنب الصغير والمعاقبة على الوَهْم ، لا يُقيل عثْرة ولا يقبل معذرة ولا يرعى سالفَ خدمة ، والسيئة عنده لا تُغفر ، والتوسّلُ إليه لا يُقبل ، والشفائعُ لديه لا تؤثّر ، فلا يزداد بهذه الأمور ١٥
التى تَسُلّ سخائمَ الصدور إلا انتقاما . وكان ملِكا جبّارا متكبّرا شديد السطوة كثير التجبّر والتعاظم على أصحابه وندمائه وخواصه ، ثقيل الوطأة ؛ لا جَرَمَ أن الله تعالى قصّر مدّة ملكه وابتلاه بأمراض عدم فيها صبرَه . وقتل مماليكُه ولدَه توران شاه من بعده ؛ لكنه كان عنده سياسةٌ حسَنة ومَهابةٌ عظيمة وسَعَةَ صَدْر فى إعطاء
العساكر والإنفاق فى مهمّات الدولة ، لا يتوقّف فيما يخرجه فى هذا الوجه ؛ وكانت همّته عالية جدا ، وآماله بعيدةً ، ونفسُه تحدّثه بالاستيلاء على الدنيا بأسرها والتغلّب ٢٠

عليهـا ، وآنتزاعها من يد ملوكها ، حتّى لقـد حدّثته نفسه بالآستيلاء على بغـداد والعراق ؛ وكان لا يمكّن القوىّ من الضعيف ، ويُنْصِف المشروفَ من الشريف ؛ وهو أوّل من آستكثر من المماليك من ملوك البيت الأيّوبىّ ، ثم آقتدوا به لمّا آل الملك إليهم .

٥ قلت : ومن ولِى مصر بعـد الصالح من بنى أيّوب حتى آقتنى المماليكَ ! هو آخر ملوك مصر ، ولا عِبرة بولاية ولده الملك المعظم توران شاه ، اللهم إن كان الذى بالبلاد الشاميّة فيمكن ، وأمّا بمصر فلا .

وكانت ولايته بمصر تسع سـنين وسبعةَ أشهر وعشرين يوما لأنّه ولِى السلطنة فى عشرين ذى الحجة سنة سبع وثلاثين ، ومات فى نصف شعبان سنة سبع وأربعين

١٠ وستمائة . انتهى .

قال : ولمّـا مات الملك الصالح نجم الدين لم يَحْزَن لموته إلّا القليـل مع ما كان الناس فيـه من قصد الفرنج الديارَ المصرية وآستيلائهم على قلعة منها ، ومع هـذا سُرّ معظم النـاس بموته حتّى خواصّه ، فإنّهم لم يكونوا يأمنون سطوتَه ولا يقدِرون على الآحتراز منـه . قال : ولم يكن فى خُلُقه الميل لأحد من أصحابه ولا أهـلِه

١٥ ولا أولادِه ولا المحبـةُ لهم ولا الحُنُوُّ عليهـم على ما جرت به العادة . وكان يلازم فى خَلَواته ومجالس أنسه من الناموس ما يلازمه إذا كان جالسا فى دَسْت السلطنة . وكان عفيفَ الذيل طـاهرَ اللسان قليـلَ الفُحْش فى حال غضـبه ، ينتقم بالفعل لا بالقول — رحمـه الله تعالى — . انتهى ما أوردناه فى ترجمة الملك الصالح من أقوال جماعة كثيرة من المؤرّخين ممّن عاصره وبعدهم ، فمنهم من شكر ومنهم من أنكر.

٢٠ قلت : وهذا شأن الناس فى أفعال مُلُوكهم ، والحاكم أحد الخصمين غضبان منه إذا حكم بالحقّ ، فكيف السلطانُ ! وفى الجملة هو عندى أعظمُ ملوك بنى أيّوب

وأجلّهم وأحسنهم رأيًا وتدبيرا ومهابة وشجاعة وسؤددا بعد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب ، وهو أخو جدّه الملك العادل أبى بكر بن أيّوب؛ ولو لم يكن من محاسنه إلّا تجلّده على مقابلة العدوّ بالمنصورة، وهو بتلك الأمراض المُزْمِنة المذكورة وموتُه على الجهاد، والذبّ عن المسلمين . — والله يرحمه — ما كان أصبرَه وأغزرَ مُرُوءته . ٥

ولمّا مات رثاه الشعراء بعدّة مَرَاثٍ . وأمّا مدائحه فكثيرة من ذلك ما قاله فيه كاتبه وشاعره بهاء الدين زُهَيْر من قصيدته التى أوّلها :

وعَد الزيارةَ طَرفُه المُتَمَلِّقُ * وبلاء قلبى من جفونٍ تَنْطِقُ
إنّى لأهوَى الحسن حيثُ وجدتُه * وأهيم بالقدّ الرشيق وأعشَقُ
ياعاذِلى أنا مَنْ سمعتَ حديثَه * فعساكَ تحنُو أو لعلّك ترْفُقُ ١٠
لو كنتَ منّا حيثُ تسمعُ أو ترَى * لرأيتَ ثوبَ الصبر كيف يُمزّقُ
ورأيتَ ألطفَ عاشِقَيْن تشاكَيَا * وعجِبْتَ ممّنْ لا يُحِبّ ويَعْشَق
أيَسُومُنِى العُذّالُ عنه تصبرًا * وحياتِه قلبى أرقّ وأشفَق
إنْ عنّفُوا أو سوّفُوا أو خوّفوا * لا أنتَهِى لا أنثَنِى لا أفرَق
أبدًا أزيد مع الوصال تلَهُّفًا * كالعِقْد فى جِيد المليحة يَقلَق ١٥
ياقاتلى إنّى عليك لَمُشْفِقٌ * يا هاجِرى إنّى اليك لَشَيِّقُ
وأذاع أنّى قد سلوتُك مَعْشَرٌ * يا ربِّ لا عاشوا لذاكَ ولا بَقُوا
ما أطْمعَ العُذّال إلّا أنّنِى * خوفا عليك إليهمُ أتملّق
وإذا وعدْتُ الطيفَ منك بهَجْعَةٍ * فاشهد علىّ بأنّنِى لا أصْدُق
فعلامَ قلبُكَ ليس بالقلب الذى * قد كان لى منه المُحِبّ المُشْفِق ٢٠
وأظنّ قدّك شامتا لفِراقنا * فلقد نظرتُ إليه وهو مُحَلَّق

ولقـد سعيتُ إلى العُلَا بعزيمةٍ * فقضى لسـعي أنه لا يُخــقَق

وسريتُ في ليـلٍ كأنّ نجومَهُ * من فَرْط غيرتهـا إلىّ تُحـدِّق

حتى وصلتُ سُرادِقَ الملِكِ الذى * تقف الملوك ببـابه تَسْـترْزِق

ووقفتُ من ملكِ الزمان بموقِفٍ * ألفيتُ قلبَ الدهرِ منه يَخْفُقُ

فإليــكَ يا نجــمَ السماءِ فإنّني * قد لاح نجــم الدين لِي يتـألَّقُ

الصــالحُ المــلكُ الذى لزمانِه * حُسْنٌ يَتيــه به الزمانُ ورَوْنَقُ

ملِكٌ تحدَّث عن أبيـه وجَدّه * نسب لعَمْرِى فى العلا لا يُلْحَق

سجدتْ له حتّى العيـونُ مَهابةً * أو ما تَرَاهَا حين يُقْبِـل تُطْرِق

والقصيدة أطول من هذا تركتُها خوف الإطالة والملل .

٥

١٠

* * *

السنة الأولى من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب بن الكامل محمد على مصر، وهى سنة ثمانٍ وثلاثين وستمائة .

فيهـا سلّم الملك الصالح إسماعيل الشَّقِيفَ[1] لصاحب صَيْدَاء الفرنجيّ . وعزل عزَّ الدين بن عبد السلام عن الخطابة وحبسه، وحبس أيضا أبا عمرو بن الحاجب[2] لأنّهما أنكرا عليـه فعلَه ، فحبسهما مدّة ثم أطلقهما، وولّى العِمادَ[3] آبن خَطيب بيت الأبّار الخطابةَ عِوَضًا عن آبن عبد السلام .

١٥

(١) هو شقيف أرنون، وقد تقدّم الكلام عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ٢٤ من هذا الجزء .

(٢) هو أبو عمرو عثمان بن عمـر بن أبى بكر الفقيـه المالكى المعروف بآبن الحـاجب الملقب جمال الدين . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٤٦ هـ

(٣) هو عماد الدين داود بن عمر بن يوسف المقدسى (عن عقد الجمان والذيل على الروضتين) .

٢٠

وفيها ظهر بالروم رجل تُرْكُمانِيّ يقال له البابا وآدّعى النبوّة، وكان يقول قولوا : لا إله إلا الله البابا ولىُّ الله، وآجتمع إليه خلق كثير؛ فجهّز إليه صاحب الروم جيشا فآلتقوْا، فقُتِل بينهم أربعة آلاف، وقُتِل البابا المذكور . قال أبو المظفَّر :

«وفيها ذكر أنّ بمازَنْدران[1] — وهى مدينة العجم — عينَ ماء يطلُع منها فى كلّ ستّ وثلاثين سنة حيّةٌ عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار ، فإذا غربت الشمس غاصت الحيّـة فى العين فلا تُرى إلّا مثل ذلك الوقت ؛ وقيـل : إنّ بعض ملوك العجم جاء بنفسه إليها فى مثل ذلك اليوم، وربطها بسلاسل حتّى يعُوقها، فلمّا غربت الشمس غاصت فى العين، وهى إلى الآن إذا طلعت رأوا السلاسل فى وسطها» .

قلت : ولعلّها لم تتعرّض لأحد بسوء، وإلّا فكان الناس تحيّلوا فى قتلها وقتلوها بأنواع المكايد . وأمرُ هذه الحيّة مشهور ذكره غير واحد من المؤرّخين .

وفيها وصل الملك الناصرداود من مصر إلى غزّة، وكان بينه وبين الفرنج وقعة، وكسرهم فيها وغنِم منهم أشياءَ كثيرة .

وفيها تُوفّى أبو بكر[2] محمد بن علىّ بن محمد الشيخ الإمام محيى الدين العالم المشهور بآبن عربى الطائىّ [الأندلسىّ][3] الحاتمىّ فى شهر ربيع الآخر[4]، وله ثمانٍ وسبعون سنة . وكان إماما فى علوم الحقائق، وله المصنَّفات الكثيرة . وقد آختلف الناس فى تصانيفه وأقواله آختلافا كبيرا . قال[5] : وكان يقول : أعرِف الآسم الأعظم، وأعرف الكيمياء

(١) اسم لولاية طبرستان . (٢) كذا فى الأصل وشذرات الذهب . وفى الذيل على الروضتين وعقد الجمان ونثر الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : «أبو عبد الله» . (٣) زيادة عن عقد الجمان وشذرات الذهب ونزهة الأنام فى تاريخ الاسلام (قطعتين من نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظتين بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٠ تاريخ) . (٤) فى الأصل : «فى شهر ربيع الأوّل» . والتصحيح عن شذرات الذهب وعقد الجمان ونثر الجمان والذيل على الروضتين وما سيذكره المؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى . (٥) يريد صاحب مرآة الزمان .

بطريق المنازلة لا بطريق الكسب(١) ، وكانت وفاته بدمشق ودُفن بقاسيون بتربة القاضي محيي الدين [بن الزكيّ](٢) . ومن شعره في جزار :

نادِيتُ جزّارًا تَرُوقُ صِفاتُه * قد أخجلت سُمْرَ القنا حركاتُه

يا واضعَ السِّكين في فَمِه وقد * أهدى بها ماءَ الحياة لِهَاتُه

ضَعْها على المذبوح ثانيَ كَرّةٍ * وأنا الضمين بأنْ تعودَ حياتُه

قلت : وأحسن من هذا قول البُرْهان القِيراطيّ(٣) — رحمه الله — في المعنى :

رُبَّ جزّارٍ هواه * صار لي دما ولحمَا

فُزْتُ بالأَلْيَة منه * وآمتــلا قلبي شحمَا

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوفّي أبو عليّ أحمد بن محمد بن محمود الحَرّاني ثم البَغْداديّ في المحرّم . والعلاّمة القاضي نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن خَلَف بن راجح المَقْدِسيّ الشافعيّ مدرس العَذْراوية في شوّال . وخطيب دارَيّا(٤) سَمْح بن ثابت . وجمال المُلْك عليّ بن مختار العامريّ آبن الجَمَل في شعبان ، وله تسعون سنة . ومحيي الدين أبو بكر محمد بن عليّ بن محمد بن العربيّ الطائي الحاتميّ المُرْسيّ ، وله ثمانٍ وسبعون سنة . مات في شهر ربيع الآخر .

§ أمر النيل في هــذه السنة — المـاء القديم خمس أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وتسع أصابع .

(١) في الأصل ومرآة الزمان : «لا بطريق الكتب» . وما أثبتناه عن عقد الجمان وشذرات الذهب .

(٢) زيادة عن شذرات الذهب ومرآة الزمان وعقد الجمان .

(٣) القيراطي : نسبة الى قيراط ، وهي بلدة بالشرقية من أعمال الديار المصرية ، وهو الإمام الأديب البارع الشاعر المفتن الفقيه برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم آبن الشيخ الإمام المفتي شرف الدين عبدالله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادى بن هلال الطائي الطريفي القيراطي الشافعي . وسيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٧١ هـ .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٥ من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

*
* *

السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر ، وهى سنة تسع وثلاثين وستمائة .

فيها شرع الملك الصالح المذكور فى عمارة المدارس[(1)] بين القصرين من القاهرة ، وشرَع أيضا فى بناء قلعة الجزيرة[(2)] ، وأخذ أملاكَ النـاس ، وأخرب نيِّفا وثلاثين مسجدا ، وقطَع ألف نخلة ، وغرِم عليها خراج مصر سنين كثيرة ؛ فلم تقم بعد وفاته ، وأخربها مماليكُه الأتراكُ سنة إحدى وخمسين وستمائة .

(١) يريد المدارس الصالحية التى أنشأها الملك الصالح بخط بين القصرين من القاهرة باسم « المدرسة الصالحية » كما هو مذكور فى اللوحة المثبتة فوق الباب العمومى لهذه المدارس بأسفل المئذنة . وقد ذكرها المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ٣٧٤) بهذا الاسم ، وذكر أن موضعها كان من جملة القصر الكبير الشرقى ودخل فيها باب الزهومة أحد أبواب القصر ومكانه مدرسة الحنابلة ، ثم قال : و بنى الصالح مدرستين وضع أساسهما فى سنة ٦٤٠ هـ ، وتمت عمارتهما فى سنة ٦٤١ هـ .

ومن البحث تبين لى أن هذه المدرسة كانت تشغل مساحة من الأرض لا تقل عن ٦٠٠٠ متر مربع وكانت تتكوّن من قسمين : أحدهما على يمين الداخل من الباب العمومى ، والثانى على يساره ، وهما ما عبر عنهما المقريزى باسم مدرستين وكان بكل مدرسة إيوانان و يتوسط القسمين صحن كبير . وقد جعل الملك الصالح هـذه المدرسة أربع مدارس للذاهب الأربعة بجعل الإيوانين اللذين على يمين الداخل من الباب العمومى مدرستين : إحداهما للحنابلة وهى الغربية حيث موقع باب الزهومة ، و يقابلها من الشرق مدرسة الحنفية ؛ وجعل الإيوانين اللذين على يسار الداخل مدرستين : إحداهما المالكية وهى الغربية التى بجوار قبة تربة الملك الصالح ، و يقابلها من الشرق مدرسة الشافعية ؛ ومن ذاك الوقت أصبحت المدرسة الصالحية تعرف « بالمدارس الصالحية » وكانت من أجل مدارس القاهرة . والظاهر أن بناء هذه المدارس قد أهمل من زمن بعيد فتعرض للخراب بدليل أنه لما تكلم عليه السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، فى كتاب حسن المحاضرة قال : « إن هذه المدارس قد تقادم عليها العهد فرثت » . ولذلك فان حالها اليوم مما يؤسف له إذ لم يبق من مبانيها الفخمة إلا وجهتها الغربية التى بها الباب العمومى المشرف على شارع بين القصرين وتعلوه مئذنتها » . ومع ذلك فان هذه الوجهة الأثرية الجميلة الحافلة بالزخارف والكتابات تحتجب اليوم وراء سبيل خسرو باشا وما يجاوره من دكاكين حقيرة بشارع بين القصرين ووراء دكاكين شارع الصرماتية .
وأما المدارس فقد اعتدى عليها الأهالى فاغتصبوا أرض الصحن ولم يتركوا منها الا طريقا ضيقا تجاه الباب العمومى من الداخل يعرف اليوم بحارة الصالحية ثم اغتصبوا أيضا مكان مدرستى الحنابلة والحنفية بأكلهما ولم يبق اليوم بعد الوجهة الغربية السابق ذكرها إلا إيوان المدرسة المالكية وبقايا إيوان المدرسة الشافعية بجواريه .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من هذا الجزء .

وفيها تُوُفِّى أحمد بن الحسين بن أحمد الشيخ الإمام العالم شمس الدين النحوى الإرْبِلِى ثم المَوْصِلِىّ الضَّرير [المعروف بابن الخبّاز] (١) صاحب التصانيف . كان إماما بارعا مفتنًّا عالمـا بالنحو واللغة والأدب . ومن شعره فى العِناق :

كأنّنى عانقتُ رَيْحانةً * تنفّستْ فى ليــلها البـارِدِ

فلو تَرانا فى قميـص الدُّجى * حسِبتَنَا فى جســدٍ واحِدِ

قلت : ومثل هذا قول العلّامة أبى الحسن علىّ بن الجَهْم (٢) — رحمه الله تعالى — :

سقَى الله ليلًا ضمّنا بعد هَجْعَةٍ * وأدنَى فؤادا مِن فؤادٍ معذَّبِ

فبِتْنا جميعا لو تُراق زُجاجةٌ * من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّبِ

ومثل هذا قول القائل :

لا والمنـازلِ من نَجْـدٍ وليلتِنا * بالخَيْف إذ جسدانـا بيننا جَسَـدُ

كم رام منّا الكَرَى من لطف مَسْلَكِه * نَوْمًا فمـا انفكّ لا خدٌّ ولا عَضَـدُ

ومثل هذا أيضا قول [ابن] التَّعاوِيذِىّ (٣) — رحمه الله تعالى — :

فكم ليـلةٍ قد بِتُّ أَرْشُفُ ريقَـه * وجُرْتُ على ذاك الشَّنِيبِ المُنَضَّدِ

وبات كما شـاء الغــرامُ معـانِقى * وبتّ وإيّـــاه كحـرف مشـدَّدِ

وقد خرجنا عن المقصود ولنرجع لِمَا نحن بصدده .

وفيها تُوُفِّى موسى بن يونس بن محمد بن مَنَعَة بن مالك العـلّامة كمال الدين أبو الفتح المَوْصِلِىّ الشافعىّ . مولده فى صفر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة بالموصل، وتفقّه على والده وغيرِه، وبرَع فى عدّة علوم .

(١) الزيادة عن شـذرات الذهب وعقد الجمان وبغية الوعاة . (٢) هو أبو الحسن علىّ ابن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود الشاعر المشهور . تقدمت وفاته سنة ٢٤٩ هـ (وانظر بقية نسبه فى ابن خلكان) . (٣) ذكره المؤلف فى حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

قال آبن خلّكان — رحمه الله — : وكان الشيخ يَعرِف الفقه والأصلين والخلاف والمنطق والطبيعي والإلهي والمجسطي (١) و إقليدس (٢) والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والموسيقى معرفة لا يشاركه فيها غيرُه . ثم قال بعد ثناء زائد إلّا أنّه كان يُتَّهَم في دينه لكون العلوم العقليّة غالبةً عليه .

وعمل فيه العماد المَغْربيّ وهو عمر بن عبد النور الصِّنْهاجي (٣) النحويّ هجوا — رحمه الله تعالى — ٥

أجدّكَ أنْ قد جاد بعدَ التعبُّسِ * غزالٌ بوصلٍ لى وأصبح مُؤْنِسِي

وعاطيتُه صَهْباءَ من فيه مَزْجُها * كرِقَّة شِعْرِى أو كدِينِ آبن يُونُس

وكان العماد المذكور قد مدَحه قبل ذلك بأبيات منها :

كمالُ كمالُ الدين للعلم والعُلَا * فهيهاتَ ساعٍ في مَساعيكَ يَطْمَعُ ١٠

إذا آجتمع النُّظّارُ في كلِّ موطنٍ * فغايةُ كلٍّ أن تقول ويسمعُوا

فلا تحسَبُوهم من عنادٍ تَطَيْلَسُوا * ولكنْ حياءً وآعترافًا تَقَنَّعُوا

ومن شعر آبن يونس ما كتبه لصاحب المَوْصل يشفع عنده شفاعة، وهو :

لئن شُرِّفتْ أرضٌ بمالك قدرِها (٤) * فمملكةُ الدنيا بكمْ تتشرَّفُ

(١) المجسطى (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء) : كلمة يونانية معناها الترتيب . وهو أشرف ماصنف في الهيئة بل هو الأم ، ومنه تستخرج سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن ، وهو كتاب لبطليموس القلوذى الحكيم يذكر فيه القواعد التي يتوصل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية (عن كشف الظنون) . (٢) إقليدس : لفظ يونانى مركب من «إقل» بمعنى المفتاح و«دس» بمعنى المقدار أو الهندسة (أى مفتاح الهندسة) . و إقليدس : اسم رجل وضع كتابا في هذا العلم (عن كشف الظنون) . ١٥

(٣) في الأصل : «العماد المغربى وهو عم ابن عبد النور» . والتصويب عن ابن خلكان . وهو العماد أبو علي عمر بن عبد النور بن ماجوج بن يوسف الصنهاجى اللزنى (بفتح اللام وسكون الزاى ، نسبة الى لزنة وهى قبيلة من البربر) النحوى البجائى . توفى سنة ٦٤٩ هـ ، (عن ابن خلكان في ترجمة موسى بن منعة) . (٤) رواية ابن خلكان : «بمالك رقها» . ورواية عقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : ٢٠

* لئن زينت دنيا بمالك أمرها *

بَقِيتَ بَقَا نوحٍ[١] وأمرُك نافذٌ * وسَعْيُك مشكورٌ وظلُّك مُنْصِفُ
ومُكِّنتَ فى حفظ البَسيطة مثلَ ما * تمكّن فى أمصار فِرْعونَ يُوسفُ

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفِّى العلّامة شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد الإرْبلِىّ ثم المَوْصِلِىّ الضَّرير النحوىّ صاحب التصانيف. وأحمد بن يعقوب أبو العَيْناء[٢] المارَسْتانِىّ الصُّوفِىّ فى ذى الحجّة . والفقيه إسحاق ابن طَرْخان الشّاغُورِىّ[٣] فى رمضان، وله نحوُ تسعين سنة . وأبو الطاهر إسماعيل ابن ظَفَر النابُلُسىّ فى شوّال، وله خمس[٤] وستّون سنة . وأبو علىّ الحسن بن إبراهيم ابن هِبَة الله بن دِينار الصائغ فى جُمادَى الآخرة . وخطيب بيت لِهْيا[٥] أبو الرَّبيع سليمان بن إبراهيم بن هِبَة الله بن رحمة الإسْعِرْدىّ الحنبلىّ فى شهر ربيع الآخر . والفقيه عبد الحميد بن محمد بن أبى بكر بن ماض . والعلّامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونُس المَوْصِلىّ، ذو الفنون فى شعبان عن تسع وثمانين سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ستَّ عشرةَ ذراعا و إحدى وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة الثالثة من ولاية الملك، الصالح نجم الدين أيّوب على مصر، وهى سنة أربعين وستّمائة .

---

(١) رواية ابن خلكان وعقد الجمان وابن كثير :
بقيت بقاء الدهر أمرك نافذ * وسعيك مشكور وحكمك منصف
(٢) فى شذرات الذهب : « أبو العباس » .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧٠ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٤) فى المشتبه : « عن تسع وستين سنة » .
(٥) بيت لهيا : قرية مشهورة بغوطة دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) .

فيها كان الوباء ببغداد وتزايدت الأمراض . وتُوُفّى الخليفة المستنصر وبُويع ابنه المستعصم .

وفيها عزم الملك الصالح المذكور على التوجّه إلى الشام، فقيل له : البلاد مختلّة والعساكر مختلفة، فجهز إليها العساكر وأقام هو بمصر .

وفيها تُوُفّى كمال الدين أحمد ابن صدر الدين شيخ الشيوخ بمدينة غَزّة في صفر عن ستّ وخمسين سنة، وبَنَى عليه أخوه مُعين الدين قُبّة على جانب الطريق، وكان قد كسره الجواد بعسكر الملك الناصر داود صاحب الكَرَك؛ وقيل : إنّه مات مسموما . ومن شعره ما كتبه لابن عمّه(١) سعد الدين :

لو أنّ في الأرض جنّاتٍ مُزَخْرَفةً ❊ تحُفّ أركانَها الوِلْدانُ والخَدَمُ
ولم تَكُنْ رأى عَيْنِي فالوجودُ بها ❊ إذْ لا أراكَ وجودٌ كلُّه عَدَمُ

وفيها تُوُفّى الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو جعفر منصور ابن الخليفة الظاهر بأمر الله محمد ابن الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ابن الخليفة المستضيء بأمر الله حسن ابن الخليفة المستنجِد بالله يوسف العباسيّ الهاشميّ البَغْداديّ . مولدُه في سنة ثمانٍ وثمانين وخمسمائة ببغداد، وأمّه أمّ ولد تركيّة، بُويع بالخلافة بعد موت أبيه الظاهر بأمر الله في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة؛ ولمّا وَلِي الخلافةَ نشر العدل في الرعايا وبذَل الإنصاف، وقرّب أهلَ العلم والدين، وبَنَى المساجد والرُّبُط والمدارس، وأقام منارَ الدين وقمعَ المتمرِّدة، ونشَر السنن وكفَّ الفتن . وكان أبيض أشقر الشعر ضخْما قصيرا، وخَطه الشيب فخضَب بالحنّاء، ثم ترك الخضاب . ومات في العشرين من جُمادَى، وقيل : في يوم الجمعة عاشر جُمادَى الآخرة عن إحدى وخمسين سنة وأربعة أشهر وتسعة أيام وكُتِم موتُه،

(١) كذا في الأصل ومرآة الزمان . وفي عقد الجمان : « وكتب الى عمه سعد الدين » .

وخُطِب له يومئذ بالجامع حتى أقبل شرف الدين إقبال الشَّرَابىّ[1] ومعه جمع من الخدّام، وسلّم على ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين، وآستدعاه إلى سُدّة الخلافة، ثم عرَّف الوزير وأستاذ الدار، ثم طلبوا الناس، وبايعوه بالخلافة وتمّ أمرُه .

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها تُوُفّى زين الدين أحمد بن عبد الملك بن عثمان المَقْدِسِىّ المحدّث الشُّرُوطِىّ . وإبراهيم بن بركات بن إبراهيم الخُشُوعِىّ فى رجب . وعبـد العزيز بن محمد بن الحسن بن عبد الله ويعرف بآبن الدجاجيّة . وعلم الدين على بن محمود آبن الصابونىّ الصُّوفى فى شوّال، وله أربع وثمانون سـنة . وأبو الكَرَم محمد بن عبد الواحد بن أحمد المتوكّلىّ، المعروف بآبن شُفْنِين فى رجب ، وله إحدى وتسعون سنة . والمستنصر بالله أبو جعفر منصور بن الظاهر، وله آثنتان وخمسون سـنة ، توفّى فى جُمادى الآخرة ، وكانت خلافتـه ثلاث عشرة سنة .

قلت : لعل الذهبىّ وهم فى مدّة خلافته ، والصحيح أنّه ولى فى سـنة ثلاث وعشرين وستمائة، وتوفّى سنة أربعين .

§ أمر النيل فى هذه السنة — المـاء القديم أربع أذرع وأربع عشرة إصبعا . مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا وثلاث أصابع .

* * *

السنة الرابعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر، وهى سنة إحدى وأربعين وستمائة .

فيها تردّدت الرسل بين السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب المذكور وبين عمّه الملك الصالح إسماعيل صاحب الشام [فى الصلح][2] ، وكان الملك المغيثُ بنُ الصالح

(١) راجع ترجمته فى سنة ٦٥٣ هـ . فى شذرات الذهب . (٢) زيادة عن مرآة الزمان .

نجم الدين هـذا فى حبس الصالح إسماعيل صاحب الشام بدمشق ، فأطلقه الصالح إسماعيل وخَطَب للصالح هذا ببلاده ، ثم تغيّر ذلك كلّه وقبَض الصالح إسماعيل ثانيا على الملك المغيث بن الصالح نجم الدين وحبَسه .

قال أبو المظفر — رحمه الله — : «وفيها قـدمتُ القاهرة وسافرتُ إلى الإسكندريّة فى هذه السنة، فوجدتُها كما قال الله تعالى : ذَاتَ قَرَارٍ وَمَعِينٍ معمورةً ٥ بالعلماء ، مغمـورةً بالأولياء ، [الذين هم فى الدنيا شامة] (١) : كالشيخ محمـد القَبَّارِى (٢) والشاطِبى (٣) وابن أبى أُسَامة . وهى أولى بقول القَيْسرانى (٤) رحمه الله فى وصف دمشق :

أرضٌ تَحُلّ الأمانِى من أماكنها * بحيثُ تجتمعُ الدنيا وتفـترِقُ

إذا شدا الطيرُ فى أغصانها وقَفَتْ * على حدائقها الأسماعُ والحَدَقُ

قلت : وأين [قول] (٥) أبى المظفَّر من قول مُجير الدين بن تَمـيم (٦) فى وصف ١٠ الإسكندريّة ! :

لمّـا قصدتُ سكندريّةَ زائرًا * ملأتْ فؤادى بهجةً وسُرُورَا

ما زرتُ فيها جانبا إلّا رأتْ * عينـاىَ فيها جنّـةً وحريرَا

وفيها صالَحَ صاحبُ الروم التتارَ على أن يدفع إليهم فى كلّ يوم ألفَ دينار وفرسا ومملوكا وجارية وكلبَ صيد؛ وكان صاحب الروم يومئـذ ابن علاء الدين كَيْقُبَاذ ، ١٥ وهو شابّ لعّاب ظالم قليلُ العقل ، يلعب بالكلاب والسباع ويسلّطها على الناس فعضّه بعد ذلك سَبُعٌ فمات ، فأقام التّتارُ شِحْنةً على الروم .

---

(١) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٢) هو القدوة الورع الزاهد أبو القاسم محمد ابن منصور الاسكندرانى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى .

(٣) فى مرآة الزمان وعقد الجمان : «وابن أبى شامة» . (٤) راجع ترجمته فى ص ٣٠٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة. (٥) زيادة يقتضيها السياق . ٢٠

(٦) هو محمد بن يعقوب بن على مجير الدين بن تميم الاسعردى . كان أديبا مجيدا مطبوعا كريم الأخلاق بديع النظم رقيقه لطيف التخيل . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٨٤ هـ .

وفيهـا توفّى الشيخ نجم الدين خليل بن علىّ بن الحسين الحموىّ الحنفىّ الفقيـه [قاضى العسكر] (١) ، قدِم دِمَشْق وتفقّه بها وخدَم المعظّم ودرّس فى الرَّيحانية بدِمشق، وناب فى القضاء بها عن الرَّفيع (٢) . ومات فى شهر ربيع الأوّل ودُفِن بقاسيون .

وفيها تُوُفّى مظفَّر الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب . وقـد تقدّم من ذكره نبذةٌ كبيرة عنـد وفاة الملك الكامل محمـد بدِمشق . ٥
انتهى . وكان مظفَّر الدين هذا قد جاء إلى آبن عمّه الملك المعظّم لمّـا وقع بينه وبين الملك الكامل صاحب مصر [ما وقع] (٣) فأحسن إليـه المعظّم ، ثم عاد إلى مصر لمّـا مات الملك الأشرف موسى شاه أرمن ، فأقام بهـا عند الكامل إلى أن عاد صحبتَه إلى دِمشق وأقام بها إلى أن مات الكامل فملّكوه دِمشق، حسب ما حكيناه فى ترجمة الكامل والعادل آبنه ؛ ووقَع له بعد ذلك أمور . وكان جوادا كما آسمه ، ١٠
ويحبّ الصالحين والفقراء .

قال أبو المظفَّر : « إلّا أنّه كان حوله مَنْ ينهَب الناس ويظلِم وينسُب ذلك إليه » . قلت : ثمّ قبَض عليه عمّه الملك الصالح إسماعيل وآعتقله ، فطلبه منه الفرنجُ لصحبة كانت بينهم ، فخنَقه آبن يغمور وقال : إنّه مات، وكان ذلك فى شـوّال، ودفن بقاسِيُون دِمشق فى تربة المعظّم . وأمّا آبن يغمور فإنّه حُبِس بأذن الصـالح ١٥
بقلعة دِمشق ، ثم شـنقه الملك الصالح أيّوب لمـا ملَك دمشق بعث به آبن شيخ

---

(١) الزيادة عن الجواهر المضية . (٢) هو عبـد العزيز بن عبـد الواحد بن إسماعيل الجيلى الشافعى أبو حامد القـاضى الملقب بالرفيع قاضى القضاة بدمشق . وسيذكر المؤلف وفاته فى سنة ٦٤٢ هـ .

٢٠ (٣) زيادة عن مرآة الزمان .

الشيوخ إلى مصر، فحبسه الصالح بالجُبّ، ثم شنقه بعد مدّة هو وأمين الدولة(١) على قلعة القاهرة .

وفيها توفى الشيخ الصالح الزاهد أبو بكر [الشُّعَيْبِي](٢) ، كان من أهل مَيّافارِقين وكان من الأبدال ، بعث إليه غازى صاحب ميّافارقين(٣) مرارا يسأله الإذن فى الزيارة، فلم يأذن له ، فقيل له : هل يطرُق البلادَ التتارُ؟ فرفع رأسه إلى السماء وأنشد :

وما كُلُّ أسرارِ القلوب مباحةٌ * ولا كُلُّ ما حلَّ الفؤادَ يُقالُ

ثم خرج إلى الشُّعَيْبة(٤) وهى قرية هناك وقال : احفروا لى ها هنا ، فبعد يومين اموت، فمات بعد يومين — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها تُوُفّى أبو تَمّام علىّ ابن أبى الفَخّار هِبَة الله بن محمد الهاشمىّ خطيب جامع ابن المطَّلب [ببغداد](٥) ، وله تسعون سنة . وأبو الوفاء عبد الملك بن عبد الحقّ [بن عبدالوهّاب بن عبدالواحد](٥) ابن الحَنْبلى . وأمّ الفضل كريمة بنت عبد الوهاب القُرَشيّة فى جمادى الآخرة .- والعدل أبو المَكارم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد [بن محمد](٥) بن هِلال فى رجب . وأبو طالب عبد اللطيف بن محمد بن علىّ بن القُبَيْطِى(٦) التاجر، وله ستٌّ وثمانون سنة . وأبو محمد عبد الحقّ بن خَلَف الحنبلىّ . وأبو الرضا علىّ بن زيد التَّسارِسىّ(٧) الخيّاط بالثغر. والأعزّ بن كرم بن محمد(٨) الإسكاف. والقاضى شمس الدين عمر بن أسعد بن المُنَجّا الحنبلى، وله أربع وثمانون سنة . والحافظ تقىّ الدين إبراهيم

(١) هو أمين الدولة السامرى أبو الحسن بن غزال المسلمانى وزير الصالح إسماعيل. كان سامريا فأسلم (عن عقد الجمان) . (٢) الزيادة عن عقد الجمان ومرآة الزمان . (٣) فى الأصل : «صاحب مادرين» . والتصويب عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٤) فى الأصل : «ثم خرج الى الشعبة» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٥) الزيادة عن شذرات الذهب .

(٦) فى الأصل : «ابن القبطى» . والتصويب عن شرح القصيدة اللامية فى التاريخ وشرح القاموس . (٧) كذا فى الأصل ومعجم البلدان لياقوت وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ؛ نسبة : الى تسارس، قصر ببرقة . (٨) فى شذرات الذهب : «أبو محمد» .

ابن محمد بن الأزهر بدمشق ، وله ستون سنة . وقيصر بن فيروز[1] المقرئ البوّاب في رجب . وقاضي القضاة الرّفيع الحنبليّ في آخر السنة .

§ أمر النيل في هذه السنة الماء القديم ثلاث أذرع ، وقيل أكثر . مبلغ الزيادة ثماني عشرة ذراعا وثماني أصابع .

٥

***

السنة الخامسة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر ، وهي سنة ٱثنتين وأربعين وستمائة .

فيها توفّي شهاب[2] الدين أحمد [بن[3] محمد بن عليّ بن أحمد] بن الناقد وزير الخليفة . كان أبوه وكيل أمّ الخليفة الناصر لدين الله ، ونشأ ٱبنه هذا وتنقّل في الخدم حتّى ولي الوزارة للخليفة المستنصر ، ولقّب مؤيّد الدين ، وحسنت سيرته . وكان رجلا صالحا فاضلا عفيفا ديّنا صار في وزارته أحسن سيرة — رحمه الله تعالى — .

١٠

وفيها توفّي شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر [بن[4] عليّ] بن محمد ٱبن حمّويه . كان فاضلا نزها شريف النفس عالي الهمّة ، صنّف التاريخ وغيره ، وكان معدودا من العلماء الفضلاء . ومات في صفر .

وفيها قتل القاضي الرّفيع عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل أبو حامد الملقّب بالرّفيع . قال أبو المظفّر في تاريخه : قيل إنّه كان فاسد العقيدة دهريّا مستهترا بأمور الشريعة ، يخرج إلى الجمعة سكران ، وكذلك كان يجلس في مجلس الحكم ، وكانت داره مثل الحانات ، قبض عليه أمين الدولة وبعث به في الليل إلى بعلبكّ ،

١٥

(١) كذا في الأصل وشذرات الذهب . وفي غاية النهاية : « قيصر بن عبد الله بن الفيروزان » .
(٢) كذا في الأصل ومرآة الزمان . وفي عقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير : « نصير الدين » .
(٣) التكملة عن عقد الجمان وٱبن كثير .
(٤) التكملة عما سيذكره المؤلف نقلا على الذهبي وشذرات الذهب .

٢٠

وصُودر هناك، وباع أملاكه؛ وبعد ذلك جاءه داود النصرانيّ [سيفُ النِّقْمة][1] فقال : قد أمرنا بحملك إلى بعلبكّ ، فأيقَن بالهلاك؛ فقال : دَعُونى أُصلى ركعتين ! فقال له داود : صلِّ ، فقام يُصلِّى فأطال ، فرَفسه داود من رأس شقيفٍ مطلّ على نهر إبراهيم فوقَع ، فما وصل إلى الماء إلا وقد تقطّع — وقيل : إنّه تعلّق بذيله بسِنّ الجبل فما زال داود يضربه بالحجارة حتّى قتلَه — . قلت : لا شُلّت يداه ! فإنّه كان من مساوئ الدنيا ! .

وفيها توفّى الملك المُغيث عمر بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب صاحب الترجمة، مات فى حياة والده الملك الصالح فى حبس دِمَشْق — بعد أن عجز والده فى خلاصه — فى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر ربيع الآخر، وحُمِل إلى تربة جدّه الملك الكامل محمد فدُفن بها، وكان شابًّا حسنا عاقلا ديِّنا . وقد مرّ من ذكره نبذة كبيرة فى عدّة مواضع من هذا الكتاب .

وفيها توفِّى شمس الأئمة محمد بن عبد الستّار بن محمد الإمام العلّامة فريدُ دهره ووحيدُ عصره المعروف بشمس الأئمة الكَرْدرِيّ[2] البَرَاتَقِينِيّ الحنفيّ . وبَرَاتَقِين : قصبة من قصبات كَرْدَر من أعمال جُرْجَانِيَّة[3] . قال الذهبيّ : كان أستاذَ الأئمة على الإطلاق والموفودَ إليه من الآفاق؛ برَع فى علوم، وأقرأ فى فنون؛ وآنتهت إليه رياسة الحنفيّة فى زمانه . انتهى . قلت : وشمس الأئمة أحد العلماء الأعلام وأحد من سار ذكره شرقا وغربا، وآنتشرتْ تصانيفُه فى الدنيا — رحمه الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفِّى شيخ الشيوخ تاج الدين عبد الله بن عمر بن علىّ الجُوَيْنِيّ فى صفر، وله سبعون[4] سنة . وأبو المنصور

---

(١) زيادة عن عقد الجمان. (٢) فى الأصل : «الكردى» . والتصويب عن عقد الجمان والجواهر المضية فى طبقات الحنفية . وضبطه صاحب اللباب (بفتح الكاف) وقال : نسبة الى كردر، ناحية بخوارزم .
(٣) جرجانية : مدينة عظيمة على شاطئ جيحون . (٤) فى شذرات الذهب : «ولد بدمشق سنة ٥٦٦ هـ» .

ظافر بن طاهر [بن ظافر بن إسماعيل] (١) بن سحم الأزدى المطرز بالإسكندرية في شهر ربيع الأول . وأبو الفضل يوسف بن عبد المعطى بن منصور بن نجا العسالى (٢) آبن المخيلى (٣) أحد رءوس الثغر في جمادى الآخرة، وله أربع وسبعون سنة . وأبو الضوء قمر بن هلال بن بطاح (٤) القطيعى في رجب . وتاج الدين أحمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن الشيرازى في رمضان، وقد نيف على السبعين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع سـواء . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا سواء .

* * *

السنة السادسة من ولاية الملك الصـالح نجم الدين أيوب على مصر، وهى سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

فيها كان الحصار على دمشق [من المصريين و] (٥) من الخوارزمية .

وفيهـا كان الغـلاء العظيم بدمشق، وبلغت الغرارة القمح ألفا وستمائة درهم، وأبيعت الأملاك والأمتعة بالهوان .

وفيها أيضا كان الغلاء بمصر، وقاسى أهلها شدائد .

وفيها توفى الوزير معين الدين الحسن آبن شيخ الشيوخ أبو على وزير الملك الصالح أيوب، وهو الذى حصر دمشق فيما مضى . كان آستوزره الملك الصالح بعد أخيه

(١) التكلة عن شذرات الذهب . (٢) فى شذرات الذهب : « الغسانى » .
(٣) المخيلى : نسبة الى مخيلة، قبيلة من البربر (عن شرح القاموس) . (٤) فى الأصل : «قمر بن هلال بن نطاح » . وما أثبتناه عن المشتبه فى أسماء الرجال . ولم نقف عليـه فى مصدر آخر من المصادر التى تحت يدنا . (٥) الزيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان والذيل على الروضتين .

عماد الدين، وكانت وفاته بدِمَشْق فى شهر رمضان، ودُفِن إلى جانب أخيه عماد الدين المذكور بقاسِيُون .

وفيها توفِّى عبد المحسن بن حَمّود بن [عبد][1] المحسن أبو الفضل أمين الدين الحَلَبِىّ، كان كاتبا لعزّ الدين أَيْبَك[2] المعظَّمىّ، وكان فاضلا دينًّا بارعا حسن الخط. ومن شعره فى إجازة — رحمه الله تعالى — :

٥

قد أجزتُ الذى فيها * إلى ما آلتمسوه منى

فلهم بعدها رواية ما صَحّ[3] لديهم من الرواية عنى

وكانت وفاته فى شهر رجب، ودُفِن بباب[4] تُوما .

وفيها تُوفِّيت رَبِيعة خاتُون بنت أيوب أختُ السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيّوب، وأخت الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، كان تزوّجها أوّلا سعد الدين مسعود بن مُعين [الدين][5] أُنُر، وبعد موته تزوّجها صلاح الدين بن مظفّر الدين بن زين الدين صاحب إرْبِل، ثم قدِمت دمشقَ، وهى صاحبة الأوقاف، وماتت بدمشق ودُفنت بقاسِيُون، وقد جاوزتْ ثمانين سنة .

١٠

وفيها توفِّى أحمد بن عيسى آبن العلّامة موفّق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدَامة الإمام الحافظ الزاهد سيف الدين بن المجد الحنبلىّ . وُلِد سنة خمس وستمائة . وسمِع الحديثَ الكثير، وكتب وصنّف وجمَع وخرّج، وكان ثقة حجّة بصيرا بالحديث ورجاله، ومات فى أوّل شعبان .

١٥

---

(١) زيادة عن مرآة الزمان . (٢) فى الأصل : «للعز أيبك» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وعقد الجمان . (٣) ليس هذا البيت مستقيم الوزن والمعنى ولم نعثر عليه فى مصدر آخر .

(٤) باب توما : من أبواب دمشق، ينسب الى عظيم من عظماء الروم وسمى باسمه، وكان به كنيسة باسمه (عن نزهة الأنام فى محاسن الشام ص ٢٤) . (٥) زيادة عما تقدّم وعقد الجمان .

٢٠

وفيهـا تُوفى عثمان بن عبـد الرحمن بن عثمان بن موسى أبى نصر الإمام المفتى تقىّ الدين أبو عمرو ابن الإمام البارع صلاح الدين النَّصْرى الكُرْدِىّ الشَّهْرُزُورِىّ الشافعىّ المعروف بابن الصلاح . ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة وتفقّه على والده الصلاح بشَهْرُزور وغيره، وبرع فى الفقه والحـديث والعربيّة وشارك فى فنون . ومات فى شهر ربيع الآخر ودُفِن بمقابر الصوفيّة .

٥

وفيها توفّى علىّ بن محمد بن عبد الصمد العلّامة شيخ القُرّاء بدِمشق علمُ الدين أبو الحسن الهَمَذانىّ السَّخاوىّ المِصرىّ . ولد سنة ثمانٍ أو تسع وخمسين وخمسمائة، وكان إماما علّامة مقرئا محققا مجوّدا بصيرا بالقراءات، ماهرا فى النحو واللغة إماما فى التفسير، مات بدمشق فى جمادى الآخرة .

١٠

وفيهـا توفى محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله المَقْدِسىّ السَّعْدىّ ثم الدِّمَشْقىّ الصالحىّ صاحب التصانيف المشهورة . ولد سنة تسع وستين وخمسمائة ، وسمِـع الكثير ورحل البلاد ، وكتب وصنّف وحصّـل شيئا كثيرا من الأجزاء والأسانيـد . ومات يوم الاثنين الثامن والعشرين من جُمادَى الآخرة ، وله أربع وسبعون سنة .

١٥

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن مقرّب التُّجِيبِى الإسكندرىّ فى صفر . والحافظ أبو العبّاس أحمد ابن محمود بن إبراهيم بن نَبْهان بن الجوهرىّ بدمشق فى صفر . والحافظ العلّامة تقىّ الدين عثمان بن الصلاح عبد الرحمن بن عثمان الكُرْدِىّ فى شهر ربيع الآخر، وله ست وستون سـنة . والحافظ سيف الدين أحمد بن المجـد عيسى بن الموفّق فى شعبان . والحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المَقْدِسىّ فى جُمادَى الآخرة ، وله أربع وسبعون سنة . والحافظ الفقيه تقىّ الدين أحمد بن المعزّ محمد بن عبد الغنى

٢٠

ابن عبد الواحد المَقْدِسىّ فى شهر ربيع الآخر، وله آثنتان وخمسون سنة . والحافظ المفيد تاج الدين محمد بن أبى جعفر [أحمد بن علىّ](1) القُرْطُبىّ إمام الكلّاسة فى جُمادَى الأولى . والرئيس عزّ الدين آبن النسّابة محمد بن أحمد بن محمد [بن الحسن](2) ابن عَسَاكر فى رجب، وله ثمانٍ وسبعون سنة . والعلّامة موفّق الدين يَعيش بن علىّ بن يعيش النحوىّ بحلب فى جمادَى الأولى ، وله تسعون سنة . والعلّامة علم الدين علىّ بن محمد بن عبد الصمد الهَمَذانىّ السَّخَاوىّ المُقْرِئُ المفسّر، وله خمس وثمانون سنة فى جُمادى الآخرة . وأبو غالب منصور بن أحمد بن أبى غالب [محمد بن محمد](1) المَرَاتِبىّ(3) آبن المعوج فيه، وله ثمان وثمانون سنة . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله آبن الشيخ أبى عمر [محمد](4) المَقْدِسىّ فيه أيضا . والحافظ محب الدين محمد بن محمود بن حسن [بن هبة الله بن محَاسِن](5) بن النجّار محدث العِراق فى شعبان، وله خمس وتسعون سنة . والصاحب مُعِين الدين حسن آبن شيخ الشيوخ صَدْر الدين محمد بن عمر الجُوَينىّ بدمشق فى رمضان . والشيخ أبو الحسن علىّ بن الحسين بن المقيِّر(6) النجّار بمصر فى ذى القعدة ، وله ثمانٍ وتسعون سنة . وأبو بكر محمد(7) بن سعد بن المُوَفَّق الصُّوفِىّ بن الخازن ببغداد فى ذى الحِجّة ، وله سبع وثمانون سنة . والأمير سيف الدين علىّ بن قِلِيج ، ودُفن بتربته داخل دِمشق .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا .

(1) الزيادة عن شذرات الذهب . (2) التكملة عن شذرات الذهب .
(3) المراتبى : نسبة الى باب المراتب . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٨١ من هذا الجزء .
(4) فى الأصل : « أبى عمرو المقدسىّ » . والتصحيح والزيادة عن شذرات الذهب والذيل على الروضتين . (5) التكملة عن عقد الجمان وشذرات الذهب . (6) فى الأصل : « ابن القسد » . والتصويب عن شذرات الذهب وشرح القصيدة اللامية فى التاريخ وشرح القاموس والذيل على الروضتين . (7) فى شذرات الذهب : « محمد بن سعيد » .

*
* *

السنة السابعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهى سنة أربع وأربعين وستمائة .

فيها توفى الملك المنصور صاحب حمص واسمه إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير أخو أيوب . كان المنصور هذا شجاعا متواضعا موافقا للملك الصالح إسماعيل ومصاهرا له . ومات بدمشق فى يوم الأربعاء حادى عشر صفر، وحمل فى تابوت إلى حمص، ومات وله عشرون سنة . وقام بعده على حمص ولده الأشرف موسى ، فأقام بها سنتين وشهورا وأخذت منه .

وفيها تسلم السلطان الملك الصالح أيوب قلعة الصبيبة(١) من ابن عمه الملك السعيد ابن الملك العزيز ، ثم أخذ السلطان أيضا حصن الصلت(٢) من الملك الناصر داود صاحب الكرك .

وفيها قدم رسولان من التتار إلى بغداد ، أحدهما من بركة خان ، والآخر من ناخو ،فاجتمعا بالوزير مؤيد الدين ابن العلقمى ،فتغمت على الناس بواطن الأمور.

وفيها أخذت الفرنج مدينة شاطبة من بلاد المغرب صلحا، ثم أجلوا أهلها بعد سنة عنها . فما شاء الله كان .

وفيها توفى بركة خان الخوارزمى أحد الخانات الأربعة، كان أصلحهم فى الميل إلى الخير ، وكان الملك الصالح نجم الدين — صاحب الترجمة — قد صاهره وأحسن إليه، وجرى منه [عليه](٣) ما جرى فى حياة والده الملك الكامل . ولما

(١) الصبيبة : اسم لقلعة بانياس وهى من الحصون المنيعة (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل) .
(٢) الصلت : بليدة وقلعة من جند الأردن ، وهى فى جبل الغور الشرقى جنوبى عجلون على مرحلة منها (عن تقويم البلدان لأبى الفدا) . (٣) التكملة عن عقد الجمان ومرآة الزمان .

قُتِل ٱنحَلّ نظامُ الخُوارَزمية من بعده، وكان قتلُه بالقرب من حلَب فى قتال كان بينه و بين صاحب حلب وحِمص . وقد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى أوّل ترجمة الصالح هذا .

قال الأمير شمس الدين لؤلؤ : لمّا ٱلتقينا على حِمص رأيتُ الخُوارَزمية خَلْقا عظيما، وكنّا بالنسبة إليهم كالشّامة السوداء فى الثور الأبيض ، فقال لى غلمانى (يعنى مماليكه) : أيُّما أحبُّ إليكَ، نأخذ برَكة خان أسيرا، أو نَحمل رأسه إليك؟ فقلت : رأسَه ، كأنّ الله أنطقنى وٱلتقينا . فلمّا كان بعد ساعة و إذا بواحد من أصحابنا يحمل رأسا مليحَ الصُّورة وليس فى وجهه سوى شَعَرات يسيرة ، ولم يعرفه أحد ولا نحن عرَفناه، وٱنهزموا ، و جىء بطائفة منهم أُسارَى، فلمّا رأوا الرأسَ رَمَوْا نفوسهم من خيولهم وحَثَوُا الترابَ على رءوسهم ، فعلِمنا حينئذ أنّه رأسه ، و بعثنا به إلى حلب .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: وفيها توفّى أبو عبد الله محمد بن حَسّان بن رافع العامرىّ خطيبُ الموصل . وعبد المنعم بن محمد [بن محمد](1) بن أبى الضياء(2) الدِّمَشْقىّ بحَماةَ . والزاهد إسماعيل بن علىّ الكُورانىّ(3)، ودُفن بمقابر الصُّوفيّة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم ستُّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وتسع أصابع .

* * *

السنة الثامنة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر، وهى سنة خمس وأربعين وستّمائة .

(١) التكلة عن شذرات الذهب . (٢) فى شذرات الذهب : «ابن أبى المضاء» .
(٣) الكورانى : نسبة الى كوران، قرية باسفراين .

فيها نزل الوزير فخر الدين ابن الشيخ بعسكر الصالح نجم الدين المذكور على طَبَرِيَة ففتحها عَنْوَةً، وحاصر عَسْقَلانَ وقاتل عليها قِتالا عظيما [وأخذها المسلمون] (١).

وفيها وجّه الملك الصالح نجمُ الدين تاجَ الدين بن مهاجر من مصر إلى دِمَشق ومعه المبارِز نسيبُه ومعهما تَذْكِرة فيها أسماء جماعة من أعيان الدَّمَاشِقَة بأن يُحْمَلوا إلى مصر فحُمِلُوا، وهم: [القاضى] (٢) مُحْيِي الدين بن الزَّكِيّ وابن الحَصِيرِيّ وابن العِماد الكاتب وبنو صَصْرَى الأربعة، وشرف الدين بن المعتمِد وابن الخطيب العَقْرَبانِيّ والتاج [الإسكندرانيّ] (٢) الملقّب بالشُّحْرُور وأبو الشامات والحكيمِيّ (٣) مملوك إسماعيل وغازى والِي بُصْرَى وابن الهادِي المُحْتَسِب؛ وأخرجَ العِمادَ (٤) ابن خطيب بَيْت الأبّار من جامع دِمَشق، وولّى العِمادَ الحَرَسْتَانِيّ (٥) الخطابةَ عوضَه. وسببُ حَمْل هؤلاء الجماعة إلى مصر، أنّه نُقِل إلى الملك الصالح أيّوب أنّهم خواصّ الصالح إسماعيل، فخاف أن يَجْرِى ما جرى فى النوبة الأولى من أخذ دِمشق. ولمّا وصلوا إلى مصر حبَس منهم السلطانُ الملك الصالحُ جماعةً فأقاموا فى الحَبْس إلى أن مات الملك الصالح، فأُخْرِجوا وعادوا إلى دِمَشْق.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتَهم فى هـذه السنة، قال: وفيها توفى العَلّامة أبو عَلِيّ عمر بن محمد الأَزْدِيّ الإشْبِيلِيّ النحويّ الشَّلَوْبِينِي (٦) فى صَفَر، وله ثلاث وثمانون سنة.

---

(١) الزيادة عن شذرات الذهب، وما تفيده عبارتا الذيل على الروضتين وعقد الجمان.

(٢) زيادة عن مرآة الزمان وعقد الجمان. (٣) كذا فى الأصل. وعبارة عقد الجمان ومرآة الزمان: «وأبو الشامات مملوك إسماعيل». (٤) هو عماد الدين داود ابن خطيب بيت الأبار كما فى الذيل على الروضتين. (٥) هو عماد الدين ابن الحرستانى أبو الفضائل عبد الكريم ابن القاضى جمال الدين عبد الصمد بن محمد الأنصارى الدمشقى الشافعى (وسيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٦٦٢ هـ). (٦) الشلوبينى: نسبة الى الشلوبين، وهى بلغة الأندلس الأبيض الأشقر (عن ابن خلكان).

وأبو مَدْيَن شُعَيب بن يحيى الإسكندرانيّ الزَّعْفَرانيّ التاجر بمكّة — شرّفها الله تعالى — والشيخ عليّ الحَريريّ في رمضان عن سِنّ عالية .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستّ أذرع سواء . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وتسعَ عشرة إصبعا .

* * *

السنة التاسعة من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيّوب على مصر ، وهي سنة ستّ وأربعين وستمائة .

فيها قايض الملكُ الأشرفُ موسى صاحبُ حِمْص تلّ باشر بحمص مع الملك الناصر يوسف [بن العزيز بن الظاهر بن صلاح الدين][1] صاحب حلب ، ولذلك خرج الملك الصالح نجم الدين أيّوب هذا من مصر بالعساكر حسب ما ذكرناه في ترجمته ، ثم عاد مريضا لمّا بلغه مجيء الفرنج إلى دِمْياط

وفيها أخذ الملك الصالح نجم الدين المذكور من الأمير عَلَاء الدين أَيْدَكِين البُنْدُقْدارِيّ بيبرس البُنْدُقْدارِيّ الذي تسلطن ، اشتراه منه ورقّاه إلى أن صار من أمره ما صار .

وفيها زار الملك الصالح في عَوْده إلى مصر القُدْس الشريف ، وأمر أن يُذْرَع سُورُه ، فجاء ستةَ آلاف ذراع ، فأمر بأن يصرف مُغَلّ القدس في عمارته . وتصدّق السلطان الملك الصالح بألفي دينار في الحرم ، وزار الخَليل — عليه السلام — ثم عاد إلى مصر .

---

(١) زيادة عن عقد الجمان .

وفيها تُوفّى علىّ[1] بن أبى الحَنّ بن منصور الشيخ أبو الحَنّ . وأبو محمد الحَريرىّ[2]، مقدَّم الطائفة الفقراء الحَرِيريّة ، وُلِد بقرية بُسْر[3] وقَدِم دِمَشْق صبيّا فنشأ بهـا . وفى أحوال الحَريرىّ هذا أقوال كثيرة، أثْنَى[4] عليه أبو شامة وغيرُه، وتكلّم فيه جماعة منهم الذهبىّ وغيرُه . والله أعلم بحاله . وقال آبن إسرائيـل : وتوفّى فى السـاعة التاسعة من يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان سنة خمس وأربعين من غير مرض، وكان أخْبر بذلك قبل موته بمدّة .

وفيها توفِّى عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس الشيخ الإمام العالم العلّامة جمال الدين أبو عمـرو المعروف بآبن الحاجب الكُرْدىّ المـالكىّ النحوىّ الأُصُولىّ صاحبُ التصانيف فى النحو وغيره، مولده فى سنة سبعين وخمسمائة بإسنا[5] من بلاد الصعيد، ومات فى شـوّال ، وفى شهرته ما يُغْنِى عن الإطناب فى ذكره — رحمه الله تعالى — .

---

(١) بحثنا على هذا الاسم فى المصادر التى تحت أيدينا فلم نعثر عليـه . (٢) هو الذى ذكر المؤلف وفاته أيضا فى السنة المـاضية . (٣) بسر : قرية من أعمال حوران من أراضى دمشق (عن معجم البلدان لياقوت) . (٤) راجعنا ما كتبه عنه أبو شامة فى الذيل على الروضتين فى حوادث سنة ٦٤٥ هـ، فوجدناه قد أكثر فى ذمه ولم يثن عليه . (٥) إسنا (بالكسر وتفتح) : مدينة مصرية قديمة شهيرة بالصعيد الأعلى واقعة على الشاطئ الغربى للنيل ، اسمها المصرى القديم «سنى» والقبطى «إسنى» والرومى «لاتو بوليس» وكانت هذه المدينة فى العهدين الفرعونى والرومانى قاعدة الاقليم الثالث بالصعيد . وفى عهد العرب كانت قاعدة كورة اسنا . ومن عهد الدولة الفاطمية الى آخر حكم المماليك كانت من أعمال القوصية التى كانت قاعدتها مدينة قوص . وفى عهد الحكم العثمانى كانت من أعمال ولاية جرجا . وفى سنة ١٨٣٣ جعلت إسنا قاعدة لمأمورية قائمة بذاتها ، وكانت هذه المأمورية تضم أحيانا الى قنـا و يتكون منهما مديرية واحدة ، تارة باسم مديرية نصف ثانى قبلى ، وتارة باسم مديرية عموم قنا واسـنا . وفى سـنة ١٨٦٨ صـدر الأمر بفصل اسنا عن قنا للرة الخامسة باسم مديرية اسنا . وكانت تتكون من أربعة أقسام : وهى اسنا وادفو والكنوز وحلفا . ولما ظهرت أخطار الثورة المهدية فى بلاد السودان صـدر قرار مجلس النظار فى ٢٦ أبريل سنة ١٨٨٨ بالغاء مديرية اسنا على أن يضاف مركز اسنا الى مديرية قنا وأن يتكون من الثلاثة المراكز الأخرى مديرية جديدة باسم مديرية الحدود (مديرية أسوان اليوم) و بهذا التعديل ألغيت المديرية من مدينة إسنا مع بقائها الى اليوم قاعدة المركز المسمى بها ضمن مراكز مديرية قنا .

الدين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة ، قال : وفيها توفّى أبو علىّ منصور ابن سند [1] [بن منصور المعروف با] [2] بن الدبّاغ بالإسكندريّة فى شهر ربيع الأوّل . وأبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله [بن الحسين بن عبد الله] [2] بن رَوَاحة الأنصارىّ فى جُمادى الآخرة . وله ستّ وثمانون سنة . وأمّ حمزة صفيّة بنت عبد الوهّاب بن علىّ القُرَشيّة أخت كَرِيمة فى رجب . والعلّامة أبو الحسن علىّ بن جابر بن الدبّاح الإشبيلىّ بها عند آستيلاء الفِرنج عليها . والوزير الأكرم علىّ بن يوسف جمال الدين القِفْطِى [3] بحلب . والعلّامة جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب . وعمرو بن عبد الله بن أبى بكر الإشبيلىّ فى شوّال بالإسكندريّة ، وله ستّ وسبعون سنة .

§ أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع وعشرون إصبعا . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وثلاث وعشرون إصبعا .

*
* *

السنة العاشرة من ولاية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر، وهى سنة سبع وأربعين وستمائة ، وفيها كانت وفاته فى شعبان، حسب ما تقدّم ذكره .

فيها فى أوّلها كان عَوْد السلطان الملك الصالح المذكور من دِمَشْق — حسب ما ذكرناه فى العام الماضى — قال الذهبىّ : وفيها فى أوّلها عاد الملك الصالح إلى

(1) فى الأصل : «بن سد بن الدماع» بالعين المهملة . والزيادة والتصحيح عن تاريخ الاسلام للذهبى . وفى شذرات الذهب «منصور بن السيد بن الدماع» . وفى حسن المحاضرة : «منصور بن سندى الدباغ» بالغين المعجمة . وفى شرح القصيدة اللامية فى التاريخ : «منصور بن الدماغ» .

(2) التكملة عن تاريخ الاسلام للذهبى .

(3) القفطىّ (بكسر القاف وسكون الفاء) نسبة الى قفط (بالطاء المهملة) ، بلد بصعيد مصر (عن شذرات الذهب) .

الديار المصريّة مريضا فى مِحَفّة ، وكان قد قتل أخاه الملكَ العادلَ قبل خروجه من مصر فما هنّاه الله . وٱستعمل على نيـابة دِمَشْق الأميرَ جمـالَ الدين [موسى][1] ابن يَغْمُور . قال : وفيها ولدت ٱمرأةٌ ببغداد ٱبنين و بنتين فى جَوْف، وشاع ذلك فطُلِبُـوا إلى دار الخـلافة وأُحْضِروا ، وقـد مات واحد، فأُحضر ميّتا فتعجّبوا ، وأُعطيتِ الأمّ من الثياب والحُلِىّ ما يبلغ ألفَ دينار .

وفيها توجّه الملك الناصر داود صاحب الكَرَك إلى الملك الناصر يوسف صاحب حلب، و بلغ السلطانَ الملكَ الصالح نَجْمَ الدين ذلك، فأرسل إلى نائبـه ٱبن يَغْمُور بِدمَشْق بخـراب دار أُسَامَة وقَطْع شجرِ بسـتان القَصْر الذى للنّاصر داود بالقَابُون[2] وخَرَاب القصر ، ففعَل ذلك .

وفيها سار الملك الظاهر [شادِى[3]] والملك الأمجد[4] ٱبنا الملك الناصر داود المقدّم ذكره من الكَرَك إلى مصر، وسلّما الكَرَك إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين بغير رضا أبيهما الناصر، فأعطى الملكُ الصالح للظاهر بن الناصر داود عِوَضًا عن الكَرَك خبز مائتى فارس بمصر، وخمسين ألف دينار، وثلثمائة قطعـة قماش، والذخائر التى بالكَرَك؛ وأعطى لأخيه الأمجـد إخْمِيم[5]، وخبزَ مائة وخمسين فارسا بمصر؛ فلم تَطُلْ مدّتُهم بمصر ومات الملك الصالح وزال ذلك كلُّه من أيديهم حسب ما تقدّم ذكره، وحسب ما يأتى ذكره أيضا .

وفيها هجمت الفرنج دِمْياطَ وأحاطت بها فى شهر ربيع الأوّل ، وقد ذُكر ذلك كلّه .

---

(١) التكملة عن الذيل على الروضتين وشذرات الذهب . (٢) القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد الى العراق فى وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت) .
(٣) الزيادة عن عقد الجمان . (٤) هو مجد الدين حسن كما فى مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

وفيها توفّى الصّاحب فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ [أبى الحسن محمد بن عمر بن على بن محمد بن حمّويه الجُوَيْنِيّ][1] . كان عاقلا جَوادا ممدّحا مدبِّرا خليقا بالملك محبوبا إلى الناس . ولمّا مات الملك الصالح نجمُ الدين أيّوب على دِمياط نُدب إلى الملك فآمتنع، ولو أجاب لما خالفوه، وآستُشْهِد على دِمْياط بعد أخذها . ومن شعره قوله :

عَصَيْتُ هَوَى نفسي صغيرًا فعِنْدَمَا * رَمَتْنِي الليالِي بالمَشِيب وبالكِبَرْ
أطعتُ الهَوى عكسَ القضيّة ليتَنِي * خُلِقْتُ كبيرًا وآنتقلتُ إلى الصِّغَرْ

قلت : ويُذكر هذا الشعر أيضا لغيره فيما يأتى — إن شاء الله تعالى — .

الذين ذكر الذهبيّ وفاتَهم فى هذه السنة، قال : وفيها توفّى أبو يعقوب يوسف ابن محمود بن الحسين الساوِيّ[2] فى رجب بالقاهرة، وولد بِدمَشْق فى سنة ثمان وستّين . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيُّوب بن الكامل بن العادل بالمنصورة فى شعبان، وله أربع وأربعون سنة . والأمير مقدَّم الجيوش فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ صدر الدين الجُوَيْنِيّ فى ذى القعدة شهيدا يوم وقعة المنصورة . وأبو جعفر محمد بن عبد الكريم بن محمد ببغداد . وصَفِيّ الدين عمر بن عبد الوهّاب ابن البَرَادِعِيّ فى شهر ربيع الآخر .

§أمر النيل فى هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وستّ أصابع . مبلغ الزيادة سبعَ عشرةَ ذراعا وثمانِي أصابع .

(١) الزيادة عن تاريخ الاسلام وشذرات الذهب .

(٢) الساوى : نسبة الى ساوة، مدينة بين الرى وهمذان .

ذكر سلطنة الملك المعظَّم تُوران شاه على مصر

هو السـلطانُ الملك المعـظَّم تُوران شاه آبن السـلطان الملك الصالح نجم الدين أيُّوب آبن السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمـد آبن الملك العادل سيف الدين محمد أبى بكر آبن الأمير نجم الدين أيّوب بن شادِى، سلطان الديار المصريّة الأيُّوبى الكُرْدِى، آخرُ ملوك بنى أيّوب بمصر، ولا عِبْرة بولاية الأشرف فى سلطنة الملك المعزّ أَيْبَك . تسلْطن الملك المعظَّم هذا بعد موت أبيه الملك الصالح بنحو شهرين ونصف، وقيل : أربعة أشهر ونصف وهو الأصحّ؛ لأنّ الملك الصالح أيُّوبَ كانت وفاته فى ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين بالمنصورة، والفِرنج مُحْدِقَةٌ بعساكر الإسلام ، فأخْفَتْ زوجتُه أمّ ولدِه خَليـل شجرةُ الدُّرّ موته مخافةً على المسلمين، وبايعوا لآبنـه المعظَّم هذا بالسلطنة فى غَيْبته، وصارت شجرةُ الدُّرّ تدبِّر الأمور وتُخْفِى موت السلطان الملك الصـالح إلى أن حضَر المعظَّم تُوران شاه هـذا من حصن كَيْفَا إلى المنصورة فى أوّل المحرّم من سنة ثمانٍ وأربعين وستّمائة . وكان المعظَّم هذا نائبا لأبيه الملك الصالح على حصن كَيْفَا وغيرِها من ديار بكر . ولمّـا وصَل المعظَّم إلى المنصورة فتح الله على يديه، ونصر الله الإسـلامَ فى يوم دخوله فتيمّن الناسُ بطَلْعته . وسببُ النصر أنّه لمّـا آستهلّتْ سنةُ ثمانٍ وأربعين والفِرنجُ على المنصورة والجيوش الإسلاميّة بإزائهم، وقد طال القتال بين الفريقين أشهرا ضَعُف حال الفرنج لآنقطاع المِيرَة عنهم، ووقع فى خيلهم وَبَاءٌ وموت، وعزَم مَلِكُهم الفَرَنْسِيسُ على أن يركب فى أوّل اللّيل ويسيرُ إلى دِمْياط، فعلِم المسلمون بذلك . وكان الفِرنج قد عمِلوا جِسْرًا عظيما من الصَّنَوْبَر على النيل، فسهَوْا عن قطعه، فعبرَ منه المسلمون فى الليل إلى بَرِّهم، وخيامهم على حالها وثِقَلُهم، وأحدَق المسلمون بهم يتخطَّفونهم طولَ الليل قتلًا وأسرًا، فآلتجئوا

إلى قرية تسمّى مُنْيَة(١) أبى عبد الله وتحصّنوا بهـا، ودار المسلمون حولهـا، وظفِر أسطول المسلمين بأسطولهم، فغنِموا جميعَ المراكب بمَن فيهـا . وآجتمع إلى الفرنسيس خمسُمائة فارس من أبطال الفِرنج، وقعـد فى حوش مُنْيَة أبى عبد الله، وطلب الطَّواشى رشيد [الدين](٢)، والأمير سيف الدين القَيْمُرِىّ(٣) فحضرا إليـه، فطلب منهما الأمانَ على نفسه ومن معـه ؛ فأجاباه وأمّناه فلم يرض الفرنج وحَملوا على حَمِيّة(٤)، وأحدق المسلمون بهم، وبقُوا يحملون عليهم حملةً بعد حملة، حتّى أُبيدت الفرنج، ولم يبق منهم سـوى فارسين، فرمَوْا نفوسَهم بخيولهم إلى البحر فغرقوا [ولم يصل إلى دمياط من يُخبر بحالهم](٢) وغنِم المسلمون منهم ما لا يُوصف وآستغنَى خلق ؛ وأُنزل الفـرنسيس فى حَرَّاقة، وأحْدقتْ به مراكب المسـلمين تُضْرَب فيهـا الكُوسات(٥) والطُّبـول . وفى البرّ الشرقىّ العسكر سائر منصور مؤيّد، والبرّ الغـربىّ فيه العُربان والعامّة فى لهوٍ وتَهانٍ وسرور بهـذا الفتح العظيم، والأسرى تقاد فى الحبال ؛ فكانـ يوما من الأيّام العظيمة المشهودة . وقال سـعد الدين(٦) فى تاريخه : لو أراد الفرَنْسِيسُ أن ينجوَ بنفسه لخلص على خيل سَبَقٍ أو فى حَرّاقة، لكنّـه أقام فى الساقة يَحمِى أصحابه . وكان فى الأسر ملوكٌ وكنـود(٧) من الفِرنج . وأُحْصِيَ عدّةُ الأسرى فكانوا نيّفا وعشرين ألفَ آدمىّ، والذى غرق وقُتِل سبعة

(١) منية أبى عبد الله، هذه القرية لا تزال موجودة الى اليوم على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الشرقى (فرع دمياط) وهى التى تعرف اليوم باسم ميت الخولى عبد الله إحدى قرى مركز فارسكور بمديرية الدقهلية .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ .

(٣) القيمرى : نسبة إلى قيمر قلعة بين الموصل وخلاط (عن لب الألباب) .

(٤) فى الأصل . «وهرب باقى الفرنج على حية» . والتصحيح عن عيون التواريخ وما يفهم من شذرات الذهب .

(٥) الكوسات : صنوج من نحاس شبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص . (راجع بقية الكلام عليها فى صبح الأعشى ج ٤ ص ٩) .

(٦) هو سعد الدين مسعود بن تاج الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ كما فى مرآة الزمان وعقد الجمان وشذرات الذهب .

(٧) لعله يريد كنوت جمع كونت لقب شرف فى أوربا . وفى شذرات الذهب : «فيهم ملوك وكبار» .

آلاف نفس . قال : فرأيت القتـلَى وقد ستروا وجه الأرض من كثرتهم ، وكان الفارس العظيم يأتيــه وسائقٌ يسـوقه وراءه كأذلّ ما يكون، وكان يومًا لم يشاهــد المسلمون مثـله ؛ ولم يُقتَل فى ذلك اليوم من المسلمين مائةُ نفس ، ونفّذ السلطان الملك المعظّم توران شاه للفَرَنْسِيس والملوك الذين معـه والكنود خِلَعـا . وكانوا نيّفا وخمسين، فلبس الكلُّ سواه . وقال : إنّ بلادى بقدر بلاد صاحب مصر، كيف ألبَس خِلعتَه ! وعمِل السلطان من الغـد دعوة عظيمة فآمتنع الملعون أيضا من حضـورها؛ وقال : أنا ما آكل طعامه وما يُحضِرنى إلا ليهْـزأ بى عسكره ولا سبيلَ إلى هذا ! وكان عنده عقلٌ وثباتٌ ودِين، فالنصارى كانوا يعتقدون فيه بسبب ذلك . وكان حسَنَ الخِلْقـة . وأبقَى الملكُ المعظّم الأسرَى، وأخذ أصحاب الصنائع ، ثم أمَر بضرب رقاب الجميع . انتهى . وقال غيره : وحبَسوا الفرنسيس بالمنصورة بدار آبن[1] لُقمان يحفظُه الطواشى [جمـال الدين][2] صَبِيح [المعظّمى][2] مكرما غايةَ الكرامة . وقال آخر : بمصر بدار آبن لُقمان وهو الأصحّ ، وزاد بعضهم فقال : دار ابن لُقمان هى الدار الكبيرة بالقرب من باب الخَرْق (يعنى دار آبن قُطَينة) انتهى .

---

(١) دار ابن لقمان : أجمع كتّاب التاريخ من العرب والافرنج على أن القديس لويز التاسع ملك فرنسا ومن معه سجنوا بمدينة المنصورة بدار الحكومة التى كان ينزل فيها القاضى فخر الدين ابراهيم بن لقمان كاتب الانشاء كلما جاء الى المنصورة لعمل يتعلق بوظيفته ، ولم يشر أحد من المؤرخين الى أنه سجن بدار ابن لقمان التى بالقاهرة إلا مؤلف هذا الكتاب ، وهذه رواية ضعيفة لا يصح التعويل عليها ؛ وأصدق دليل فى هذا الموضوع ما رواه شاهد عيان هو الجنرال جوانفيل أحد كبار قواد الجيش الفرنسى الذى حضر موقعة دمياط يوم ٣ المحرم سنة ٦٤٨ هـ . وأسر مع ملك فرنسا ثم سجن معه فى هذه الدار التى بالمنصورة حيث قال بنص صريح فى كتابه الذى وضعه عن هــذه الحروب عقب عودته الى فرنسا : « بأنهــم سجنوا جميعا بالمنصورة الى أن أطلق سراحهم» . وفوق ذلك فان هذه الدار لاتزال معروفة بالمنصورة ولا يزال جزء منها وهو الذى فيه الباب قائما الى اليوم بجوار جامع الشيخ الموافى على يمين الداخل فى الحارة المجاورة للجامع من الجهة الشرقية وتعرف لدى العامة بدار ابن لقمان . وقد تسلمها ديوان الأوقاف من سنة ١٨٩٠ م ووضعت لجنة حفظ الآثار العربيــة على بابها لوحة من الرخام عليها كتابة تفيد أن هذه الدار هى التى سجن فيهـا القديس لويز التاسع ملك فرنسا فى سنة ٦٤٨ هـ ١٢٥٠ م .

(٢) زيادة عن عيون التواريخ .

وقال أبو المظفّر فى تاريخه مرآة الزمان : «وفى أوّل ليلة منها (يعنى سنةَ ثمانٍ وأربعين) كان المصافّ بين الفِرنج والمسلمين على المنصورة بعد وصول المعظّم تُوران شاه إلى المخيّم، ومُسِك الفرنسيسُ وقُتِل من الفِرنج مائةُ [ألف] [1] ، ووصَل كتابُ المعظّم تُوران شاه إلى جمال الدين بن يَغْمُور (يعنى إلى نائب الشام) يقول : «الحمد لله الذى أذهَب عنّا الحَزَن . وما النصر إلّا من عند الله . ويومئذٍ يفرَح المؤمنون بنصر الله ينصرُ مَنْ يشاء وهو العزيز الرحيم . وأمّا بنعمة ربِّك فحدِّث . وإنْ تعدّوا نعمةَ الله لا تُحْصُوها . نبشِّر المجلسَ السامىَ الجمالىَّ، بل نبشِّر الإسلامَ كافّة بما مَنّ الله به على المسلمين، من الظَّفَر بعدوّ الدين ، فإنّه كان قد آستفحل أمرُه وآستحكم شرُّه، ويئس العبادُ من البلاد، [والأهل] [2] والأولاد ؛ فنُودُوا : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ الآية . ولمّا كان يومُ الأربعاء [3] مستهلّ السنة المباركة تمّم الله على الإسلام بركتَها ؛ فتحْنا الخزائن، وبذَلْنا الأموال، وفرّقْنا السلاح، وجمَعْنا العربان والمطَّوِّعة وآجتمع خلق لا يُحْصِيهم إلّا الله تعالى، فجاءوا من كلّ فَجٍّ عَميق، ومن كلّ مكانٍ بعيدٍ سحيق ؛ ولمّا رأى العدوّ ذلك أرسل يطلُب الصلح على ما وقع عليه الآتّفاق بينهم وبين الملك العادل أبى بكر فأبيْنا . ولمّا كان فى الليل تركوا خيامَهم وأثقالَهم وأموالَهم وقصدوا دِمْياط هاربين ، فسِرْنا فى آثارهم طالبين ؛ وما زال السيف يعمَل فيهم عامّة الليل ، ويدخُل فيهم الخزى والويل . فلمّا أصبحنا نهار الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غيرَ من ألقى نفسه فى اللُّجَج . وأمّا الأسرى فحدِّثْ عن البحر ولا حَرَج ؛ وآلتجأ الفرنسيس إلى المُنْيَة [4] وطلب الأمان فأمّنّاه، وأخذناه وأكرمناه؛ وتسلّمنا دِمْياط بعونه وقوته، وجلاله وعظمته» .

(١) التكملة عن مرآة الزمان وعقد الجمان .
(٢) الزيادة عن المقريزى .
(٣) فى المقريزى : «يوم الاثنين» .
(٤) يريد منية أبى عبد الله .

وأرسـل الملك المعظّم مع الكتّاب إلى آبن يَغْمـور المذكور بِغفارة الفَرَنْسِيس[1] فلبِسها آبن يَغْمُور فى دَسْت مملكته بدِمَشْق، وكانت سِقِرْلاط[2] أحمر بفرو سِنْجاب. فكتب آبن يَغْمُور فى الجواب إلى السلطان الملك المعظَّم المذكور بيتين لآبن إسرائيل[3]، وهمـا :

أسـيِّدَ أملاكِ الزمانِ بأسْرِهِمْ * تَنَجَّزْتَ من نصر الإله وُعُودَه

٥ فلا زال مولانا يُبِيح حِمَى العِدَا * ويُلْبِس أسلابَ الملوكِ عبيدَه

انتهى كلام أبى المظفَّر بعـد أن سـاق كلاما طويلا من هـذا النُّمُوذَج بنحو ما حكيناه .

وقال غيره : وبقى الفرنسيس فى الآعتقال إلى أن قُتِل الملك المعظَّم تُوران شاه

١٠ آبن الملك الصالح نجم الدين أيّوب (يعنى صاحب الترجمـة) ، فدخَل حسامُ الدين آبن أبى علىّ فى قضيّته، على أن يسلِّم للسلمين دِمْياط ويحمِل خمسمائة ألف دينار . فأركبوه بغلة وساقت معه الجيوشُ إلى دِمْياط ، فما وصلوا إلّا والمسلمون على أعلاها بالتكبير والتهليل ، والفِرنج الذين كانوا بها قد هرَبوا إلى المراكب وأخلَوْها، نخاف الفرنسيس وآصفرّ لونُه . فقال الأمير حُسَام الدين بن أبى علىّ [للملك المعزّ][4] : هذه

١٥ دِمْياط قد حصَلت لنا، وهذا الرجل فى أسرنا وهو عظيمُ النصرانيّة، وقد آطَّلع على عوراتنا ، والمصلحة ألّا نُطْلِقَه ، وكان قد تسلطن أيبك التُّرْكُمَانِىّ الصالحىّ أو صار حاكما عن الملكة شجـرة الدر ، فقال أَيْبَك وغيرُه من المـماليك الصالحيّة : ما نَرَى

(١) الغفارة (بالكسر) : زرد من الدرع ينسـج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة (عن شرح القاموس) . (٢) سقرلاط : ملابس صوفية مدفئة (عن القاموس الفارسى الانجليزى) .

٢٠ (٣) هو نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن على بن الحسين الشيبانى الدمشقى الشاعر المشهور . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

(٤) زيادة عن عيون التواريخ .

الغدر! وكانت المصلحة ما قاله حسام الدين . فقَوُوا عليه وأطلقوه طمعًا فى المـال! فركب فى البحر الرومىّ فى شِينِىّ (١) . وذكر حسام الدين أنّه سأل الفَرَنْسيس عن عدّة العسكر الذى كان معه لمـّا قدم لأخذ دِمْياط ، فقال : كان معى تسعة آلاف وخمسمائة فارس ، ومائة ألف وثلاثون ألف طَبْسِىّ (٢) سوى الغلمان والسُّوقة والبحّارة . انتهى .

قال سعد الدين فى تاريخه : اتّفقوا على أن يسلِّم الفرنسيس دِمْياط ، وأن يُعْطِى هو والكنود ثمانمائة ألف دينار عِوَضًا عما كانَ بِدمْياط من الحواصِل ، و يُطْلِقوا أسرى المسلمين ، فحلَفوا على هذا ؛ وركِبت العساكرُ ثانى صفر إلى دِمْياط قرب الظهر ، وساروا حتّى دخلوها ، ونَهبوا وقتَلوا من بقِى من الفِرنج حتّى ضربتهم الأمراء وأخرجوهم ، وقوّموا الحواصِل التى بقِيت فى دِمْياط بأربعمائة ألف دينار ، وأخذوا من الملك الفَرَنْسِيس أربعمائة ألف دينار ، وأطلقوه العصر هو وجماعته ؛ فانحدروا فى شِينِى إلى البُطْس (٣) ، وأنفذ رسولا إلى الأمراء الصالحيّة يقول : ما رأيت أقلّ عقلاً ولا دِينًا منكم ! أمّا قلّة الدين فقتلتم سلطانكم بغير ذنب (يعنى لمـّا قتلوا ابن أستاذهم الملك المعظّم تُوران شاه بعد أخذ دِمْياط بأيّام) على ما سنذكره هنا إن شاء الله تعالى . قال : وأمّا قلّة العقل فكذا ، مثلى ملِكُ البحر وقع فى أيديكم بعتموه بأربعمائة ألف دينار ، ولو طلبتم مملكتى دفعتُها لكم حتّى أخلُص . ثم لمـّا سار إلى بلاده أخذ فى الاستعداد والعَوْد إلى دِمْياط فأهلكه الله تعالى . وندمت الأمراء على إطلاقه . ولمـّا أراد الفرنسيس العَوْدَ إلى دِمْياط قال فى ذلك الصاحب جمال الدين (٤) يحيى بن مطروح قصيدتَه المشهورة ، وكتب بها إليه يعنى إلى الفرنسيس ، وهى :

(١) نوع من المراكب الشراعية . (٢) فى القاموس الفارسى الانجليزى : أن الطبسى كلمة فارسية مأخوذة عن العربية بمعنى الناس أو الجماعة أو الجنود . (٣) البطس : جمع بطسة ، يريد بها المراكب الكبيرة (الأسطول) كما يفهم من سيرة صلاح الدين (ج ٣ ص ١٨٣) من مجموعة الحروب الصليبية .

(٤) هو الأمير الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح المصرى . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٦٤٩ هـ .

قــلْ للفرنسيس إذا جئتَــه * مقالَ صِدقٍ(١) من قؤول فصيحْ
آجركَ اللهُ عــلى ما جَرَى * من قتل عُبَّادِ يَسُــوعَ المَسيح
أتيتَ مصــرَ تبتغي مُلْكَها * تحسب أنّ الزمر يا طبل ريح
فساقك الحَيْنُ إلى أدْهَمٍ * ضاق به عن ناظريْك الفسيح
وكلُّ أصحابِك أودعتَهــمْ * بحســن تدبيرك بطنَ الضريح
خمســون(٢) ألفــا لا ترى منهمُ * إلّا قتيــلًا أو أســيرًا جريح
وفقَــكَ اللهُ لأمثـالهـا * لعــلّ عيسى منكمُ يســتريح
إنْ كان باباكُمْ بــذَا راضيًا * فرُبّ غِشٍّ قد أتى من نَصيح
وقــلْ لهم إنْ أضمروا عَوْدَةً * لأخذ ثارٍ أو لعَقْــدِ(٣) صحيــح
دارُ ٱبنِ لقمانَ على حالهـا * والقَيْــدُ باقٍ والطواشِي صَبِيح

قلت : لله درّه ! فيما أجاب عن المسلمين مع اللطف والبلاغة وحسن التركيب ، رحمه الله .

وأمّا أمرُ الملك المعظّم تُوران شاه صاحب الترجمة ، قال العَلّامة شمس الدين يوسف بن قِزأوغلى فى تاريخه فى سبب قتله ، قال : «ذكرنا مجيئَه إلى الشام وذهابَه إلى مصر، وٱتّفق كَسْرةُ الفِرنْج عند قدومه فتيمّن النــاس بطلعته ، [وٱستبشروا بمشاهدته](٤) ؛ غيرَ أنّه بدَت منه أسبابٌ نفّرت القلوب عنه فٱتّفقوا على قتله وكان فيــه نوع خِفّة، فكان يجلِس على السماط ، فإذا سمِع فقيها يذكر مسألةً وهو بعيد عنه ، يَصيح : لا نسلّم ! . ثم ٱحتجب عن الناس أكثر من أبيه ؛ وكان

(١) رواية المقريزى . * مقال نصح عن قؤول نصيح *
(٢) فى الأصل : «تسعون» . وما أثبتناه عن عيون التواريخ والمقريزى وعقد الجمان .
(٣) فى عيون التواريخ وعقد الجمان : «أو لقصد صحيح» . (٤) زيادة عن مرآة الزمان .

إذا سكر يجمع الشموعَ و يضرب رءوسها بالسيف فيقطعها و يقول : كذا أفعل بالبحرية ! يعنى مماليكَ أبيه الذين كان جعلهم بقاعة البحر بجزيرة الرَّوْضة[1]، ثم يسمّى مماليك أبيه بأسمائهم؛ وأهانَهم وقدَّم الأرذال وأبعد الأماثل . و وعَد [الفارس] أقطاى[2] أن يؤمِّره ولم يفِ له ، فآستوحش منه . وكانت أمّ خايل (يعنى شجرة الدرّ) زوجة والده الملك الصالح لمّا وصل إلى القاهرة مضتْ هى إلى القدس ، فبعَث يهدّدها و يطلُب المالَ والجواهرَ منها نخافت منه ، فكاتبت فيه ، فآتفق الجميعُ عند ذلك على قتله . فلمّا كان يومُ الآثنين سابع عشرين المحرّم جلس المعظّم على السّماط فضربه بعضُ مماليك أبيه البحريّة بالسيف فتلقّاه بيده فقطَع بعضَ أصابعه؛ وقام من وقته ودخل البُرْجَ [الخشب[3] الذى كان قدعُمل هناك بفَارَسْكُور] وصاح : مَنْ جرَحنى؟ قالوا : الحشيشيّة . فقال : لا والله إلّا البَحْريّة، والله لا أبقيتُ منهم بقيّةً .

وآستدعَى المزيّن لخيّط يده وهو يتوعّدهم ، فقال بعضُهم لبعض : تمّموه وإلّا أبادكم ! فدخلوا عليه فآنهزم إلى أعلى البرج ، فأوقدوا النّيران حول البرج ورمَوْه بالنُّشّاب، فرمَى بنفسه وهرَب نحو البرج، وهو يقول : ما أريد مُلْكا ! دَعُونى أرجع إلى الحصن[4] يا مسلمون ! ما فيكم من يَصْطنِعنى ويجيرنى ! والعساكر واقفة فما أجابه أحد[5]، والنّشّاب تأخذه ، فتعلق بذيل [الفارس] أقْطاى فما أجاره، فقطّعوه قِطعا و بقِى على جانب البحر ثلاثةَ أيّام مُنْتفخا لا يجسر أحد أن يدفنه حتّى شفَع فيه رسول الخليفة، فحُمِل إلى ذلك الجانب فدُفِن به . ولمّا قتلوه دخلوا على

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من هذا الجزء. (٢) فى الأصل : «أقطيا» . والزيادة والتصحيح عن فوات الوفيات وتاريخ الاسلام وعقد الجمان . وهو أقطاى بن عبدالله الجدار الأمير فارس الدين الصالحى النجمى التركى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٦٥٢ هـ . (٣) زيادة عن تاريخ الإسلام وفوات الوفيات وعقد الجمان . (٤) يريد حصن كيفا ، كما صرح بذلك فى فوات الوفيات . (٥) فى الأصل : « فما أجابوه » . وما أثبتناه عن فوات الوفيات وعقد الجمان وتاريخ الاسلام .

الفَرَنْسِيس الخيمةَ بالسيوف، فقالوا : نريد المـال، فقال : نعم، فأطلقوه وسار إلى عكّا على ما اتّفقوا عليه معه . قال : وكان الذى باشر قتلَه أربعةٌ ؛ وكان أبوه الملك الصالح أيُّوب قال لمُحْسِن(١) الخادم : اِذهب إلى أخى العادل إلى الحبس، وخذ معك من المـماليك من يخنُقه ، فعرَض محسنُ ذلك على جميع المـماليك فآمتنعوا إلّا هؤلاء الأربعة فإنّهم مضوْا معه وخنقوه ، فسلّطهم الله على ولده فقتلوه أقبح قِتْلة ، ومثّلوا ٥ به أعظم مُثْلة لِـمَا فعل بأخيه !

قال الأمير حسام الدين بن أبى علىّ : كان تُوران شاه لايصلُح للملك؛ كنّا نقول لأبيه الملك الصالح نجم الدين أيّوب : ما تُنْفِذ تُحْضِره إلى ها هنا، فيقول : دعونى من هذا، فألححنا عليه يوما، فقال : أُجيبه إلى ها هنا أقتله !

١٠ وقال عماد الدين بن دِرْبَاس : رأى بعض أصحابنا الملك الصالحَ أيّوبَ فى المنام وهو يقول :

قتلوه شرّ قِتْـلَهْ * صار للعـالم مُثْـلَهْ
لم يراعوا [فيه](٢) إلّا * لا ولا من كان قبْلَه
ستراهُمْ عن قليـلٍ * لأقلّ الناس أُكْلَه

١٥ وكانوا قد جمعوا فى قتله ثلاثةَ أشياء : السيف والنار والمـاء !

وتسلطن بعدَه زوجةُ والده أمّ خليل شجرةُ الدرّ بآتّفاق الأمراء وخُشْـدا شِينها المماليك الصالحيّة، وخُطِب لها على المنابر بمصر والقاهرة . وكانت ولاية تُوران شاه هذا على مصر دون الشهر، وقُتِل فى يوم الآثنين سابع عشرين المحرّم من سـنة ثمانٍ وأربعين وستّمائة، وكان قدومه من حصن كَيْفَا إلى المنصورة فى ليلة مستهلّ المحرّم ٢٠ من السنة المذكورة حسب ما تقدّم ذكره .

(١) فى الأصل : «الخازن» . وما أثبتناه عن مرآة الزمان وتاريخ الاسلام وعقد الجمان .
(٢) تكلة عن مرآة الزمان .

ذكر ولاية الملكة شجرة الدرّ على مصر

هى الملكة شجرةُ الدرّ بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب وزوجته وأمّ ولده خليل، وكانت حَظِيّة عنده إلى الغاية، وكانت فى صحبته وهو ببلاد المشرق فى حياة أبيه الملك الكامل، ثم سارت معه لمّا حبَسه الملك الناصر داود صاحب الكَرَك بالكَرَك، ومعها ولدها خليل أيضا، وقاست مع الصالح تلك الأهوال والمِحَن، ثم قدِمتْ معه مصر لمّا تسلطن؛ وعاش ابنها خليل بعد ذلك وتوفّى صغيرا . ولا زالت فى عَظَمتها من الحَشَم والخدم و إليها غالب تدبير الديار المصريّة فى حياة سيّدها الملك الصالح وفى مرضه و بعد موته، والأمور تدبّرها على أكمل وجه إلى أن قَدِم ولدُ زوجها الملك المعظّم تُوران شاه، فلم يشكر لها تُوران شاه ما فعلته من الإخفاء لموت والده وقيامها بالتدبير أتمّ قيام، حتّى حضر إلى المنصورة وجلَس فى دَسْت السلطنة . ولم تَدَعْ أحدا يطمَع فى الملك لعظمتها فى النفوس، وتَرك تُوران شاه ذلك كلّه وأخذ فى تهديدها، وطلب الأموال منها سرعة، فلم يحسُن ذلك ببال أحد . واتّفقوا على ولايتها لحسن سيرتها وغزير عقلها وجودة تدبيرها، وجعلوا المُعِزّ أيبك التركمانىّ أتابكًا لها، وخُطِب لها على المنابر بمصر والقاهرة لكنّها لم تلبَس خِلْعة السلطنة الخليفتى على العادة، غير أنّهم بايعوها بالسلطنة فى أيّام إرسالا وتمّ أمرُها .

قال الشيخ صلاح الدين خَليل بن أيْبك الصفدىّ[1] فى تاريخه : «شجرة الدر أمّ خليل الصالحيّة وجارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيّوب، وأمّ ولده خَليل؛

---

(١) هو صلاح الدين أبو الصفا خليل ابن الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الصفدى الشاعر المشهور . ومن مصنفاته تاريخه الكبير المسمى « الوافى بالوفيات » . (توجد منه نسخة فى سبعة عشر مجلدا مأخوذة بالتصوير الشمسى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢١٩ تاريخ) وتاريخ آخر =

كان الملك الصالح يُحبّها حبّا عظيما ، ويعتمد عليها فى أموره ومُهمّاته ، وكانت بديعة الجمال ذاتَ رأى وتدبير ودَهَاء وعقل ، ونالت من السعادة ما لم يَنَلْه أحد فى زمانها . ولـمّـا مات الملك الصالح فى شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة على دِمْياط فى حِصار الفرنج ، أخفت موته وصارت تعـلّم بخطّها مثل علامة الملك الصـالح ، وتقول : السلطان ما هو طيّب . وتمنع الناس من الدخول إليه ؛ وكان أرباب الدولة يحترمونها . ولـمّـا علِموا بموت السـلطان ملّكوها عليهم أيّاما . وتسلطنتْ بعد قتل السـلطان الملك المعظّم ٱبن الملك الصالح نجم الدين أيّوب ، وخُطِب لها على المنابر ، وكان الخطباء يقولون على المنبر بعـد الدعاء للخليفة : «وٱحْفَظ اللهـمّ الجهةَ الصالحية ملكةَ المسلمين ، عِصْمةَ الدنيا والدين أمّ خليل المستعصميّة صاحبة السلطان الملك الصالح» . ٱنتهى كلام الصَّفَدِىّ .

وقال غيره : وكانت تعلّم على المناشير وغيرها «والدة خليل» ، وبقِيتْ على ذلك مدّة ثلاثة أشهر إلى أن خلَعتْ نفسها ، وٱسـتقرّ زوجها الملك المعزّ أَيْبَـك التُّرْكُمَانِىّ الصالحىّ الآتى ذكره [مدّة[1] ، إلى أن ٱتّفقت المماليك البحريّة وقالوا : لا بدّ لنا من واحد من بنى أيّوب يجتمع الكلّ على طاعته ، وكان القائم بهـذا الأمر الأمير الفارس أقطاى الجُمْدار ، وبيبرس البُنْدُقْدَارىّ[2] ، وبلبان الرشيدىّ وسُـنْقُر الرُّومىّ ؛ فأقاموا فى السلطنة] الملكَ الأشرف الأيُّوبىّ[3] . وقيل : إنه تزوّجها أيبك بعد سلطنته ، وكانت مستوليةً على أيْبَك فى جميع أحواله ليس له معها كلام ، وكانت تركيّة ذات

= أصغر منه سماه «أعيان العصر وأعوان النصر» (ويوجد منه الجزء الثالث والسادس والسابع فى ستة مجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٩١ تاريخ) . وسيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٦٤ هـ .

(١) فى الأصل : «الآتى ذكره والملك الأشرف» . والتكملة والتصحيح عن المنهل الصافى .

(٢) سيذكر المؤلف سلطنته على الديار المصرية سنة ٦٥٧ هـ .

(٣) هو مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف بن الكامل الملقب بالملك الأشرف (عن المنهل الصافى) .

شهامة ونفس قويّة وسيرة حسنة ، شديدة الغيرة . فلمّا بلغها أنّ زوجها الملك المعزّ أيبك يريد أن يتزوّج ببنت الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ[1] صاحب الموصل، وقد عزم على ذلك ، فتخيّلت منه [أنه][2] ربّما عزم على إبعادها أو إعدامها [بالكلّية][2] لأنه سئم من تحجّرها عليه وآستطالتها ، فعاجلته وعزمت على الفتك به وإقامة غيره في الملك .

قال الشيخ قطب الدين : «وطلبت صفيّ الدين [إبراهيم][3] بن مرزوق وكان بمصر فآستشارته ووعدته بالوزارة ، فأنكر عليها ونهاها عن ذلك فلم تُصغ إلى قوله ، وطلبت مملوكا للطّواشي مُحسن [الجوهريّ][3] الصالحي وعرضت عليه أمرها ووعدته ومنّته إن قتل المعزّ ! ثم آستدعت جماعةً من الخُدّام وآتفقت معهم . فلمّا كان يوم الثلاثاء الثالث والعشرون من شهر ربيع الأوّل[4] لعب المعزّ بالكرة ومن معه ، وصعد إلى القلعة آخرَ النهار ، وأتى الحمّام ليغتسل ، فلمّا قلع ثيابه وثب عليه سنجر الجوهريّ[5] والخدم فرموه وخنقوه ، وطلبت شجرة الدر آبنَ مرزوق على لسان الملك المعزّ ، فركب حماره وبادر وطلع القلعة من باب السرّ ، فرآها جالسةً والمعزّيين بين يديها ميّت ، فأخبرته الأمر فعظُم عليه جدّا ، وآستشارته فقال : ما أعرف ما أقول ، وقد وقعتِ في أمر عظيم مالكِ منه مَخْلَص ! ثم طلبت الأمير جمال الدين بن أيدُغدي [بن عبد الله][6] العَزيزيّ وعزّ الدين أيبك الحَلَبيّ ، وعرضت عليهما السلطنة فامتنعا ، فلمّا آرتفع النهار شاع الخبرُ وآضطربت الناس » . انتهى كلام قطب الدين .

---

(١) هو لؤلؤ بن عبد الله النوري الملك الرحيم بدر الدين أبو الفضائل الأرمني الأتابكي صاحب الموصل . توفي سنة ٦٥٧ هـ (عن المنهل الصافي) . (٢) التكملة عن عيون التواريخ . (٣) التكملة عن المنهل الصافي . (٤) يعني سنة ٦٥٥ هـ . (٥) في الأصل وعقد الجمان : «الجوجري» . وما أثبتناه عن المنهل الصافي . (٦) التكملة عن المنهل الصافي . أصله من مماليك الملك العزيز صاحب حلب وتنقل في الخدم حتى صار من أكابر الأمراء وأعيان الدولة . توفي ليلة عرفة سنة ٦٦٤ هـ (كما في المنهل الصافي) .

وقيـل فى قتـله وجهٌ آخر : وهو أن شجرة الدرّ لمّـا غارت رتّبتْ للعزّ سـنْجَر الجوهرىّ مملوك الفارس أَقْطاى ، فدخل عليه الحمّام [و] لكمه ورماه ، وألزم الخُدّامَ معاونتَه ، وبقِيتْ هى تضربه بالقبقاب وهو يستغيث ويتضرّع إليها إلى أن مات ، وآنطوت الأخبار عن الناس تلك الليلة . فلمّا كان سَحَرُ يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ركب الأمراء الأكابر إلى القلعـة على عادتهم ، وليس عندهم خبرٌ بمـا جرى ، ولم يركب الفائزىّ [1] فى ذلك اليوم ، وتحيّرت شجرةُ الدرّ فيما تفعل ، فأرسلت إلى الملك المنصور نورالدين علىّ آبن الملك المعزّ تقول له عن أبيه : إنه ينزل إلى البحر فى جمع من الأمراء لإصلاح الشوانى التى تجهّزت للمضى إلى دِمْياط ففعل ، وقصـدت بذلك لتقلّ الناسَ من على الباب لتتمكن ممّـا تريد ، فلم يتمّ مرادُها .

ولمّـا تعالَى النهـار شاع الخـبر بقتل الملك المعزّ ، وآضـطربت الناس فى البـلد وآختلفت أقاويلهم ولم يقفوا على حقيقة الأمر ، وركب العسكر إلى جهة القلعة ، وأحدقوا بها ودخلها مماليك الملك المعزّ أَيْبَك والأمير بهاء الدين بُغْدى [2] الأَشْرَفىّ مقدّم الحَلْقَة ؛ وطمـع الأمير عزّ الدين الحَلَبىّ فى التقدّم ، وساعده على ذلك جماعة من الأمراء الصالحيّة ، فلم يتمّ له ذلك . ثم آستحضر الذين فى القلعة الوزير شرف الدين الفائزىّ وآتّفقوا على تمليك الملك المنصور نور الدين علىّ بن الملك المعزّ أَيْبَك ، وعمره يومئذ نحو خمسَ عشرةَ سـنة ، فرتّبوه فى الملك ونُودِى فى البـلد بشعاره ، وسكن النـاس وتفرّقوا إلى دُورهم ، ونزل الأمراء الصالحيّة إلى دُورهم . فلمّـا كان يوم الخميس خامس عشرين الشهر وقع فى البلد خَبْطَة عظيمة وركب العسكر إلى القلعة . وآتّفق رأى الذين بالقلعة على نَصْب الأمير علم الدين سِنْجَر الحلبىّ فى السلطنة ، وكان أتابَك الملك المعزّ ويعرف بالمُشِدّ ، وآستحلفوا العسكرَ له ، وحلف له الأمراءُ الصالحيّة

(١) هو شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزى ، وهو أوّل قبطى ولى وزارة مصر (عن المقريزى ج ٢ ص ٢٣٧) . (٢) فى المنهل الصافى : «بهاء الدين تمدى» بالتاء المثناة والميم .

على كره من أكثرهم، وامتنع الأمير عزّ الدين ثم خاف على نفسه فحلف وانتظمت الأمور، ثم آنتقض بعد ذلك. وفى يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأوّل خُطب للملك المنصور بمصر والقاهرة.

وأمّا شجرة الدر صاحبة الترجمة فإنّها آمتنعتْ بدار السلطنة، هى والذين قَتلوا الملك المعزّ أيبك، وطلب المماليكُ المعزيّة هجومَ الدار عليهم، فحالت الأمراءُ الصالحيّة ٥ بينهم وبينها، حِمْيَةً لشجرة الدر لأنّها خشداشتهم؛ فلمّا غُلبوا مماليكُ المعزّ منهم ومنها أمّنوها وحلّفوا لها أنّهم لا يتعرّضون لها بسوء. فلمّا كان يومُ الآثنين التاسع والعشرون منه أُخرجت من دار السلطنة إلى البرج الأحمر[1] فحُبِست به وعندها بعض جواريها، وقُبِض على الخُدّام وآقتسمت الأمراءُ جواريَها؛ وكان نصر العَزيزىّ الصالحىّ، وهو ١٠ أحد الخُدّام القَتَلة، قد تسرّب إلى الشام يوم ظهور الواقعة، وأحاطت المماليكُ المعزيّة بالدار السلطانيّة وجميع ما فيها؛ ويوم ظهور الواقعة[2] أُحضر الصفىّ بن مَرْزُوق من الدار وسُئِل عن حضوره عند شجرة الدر لمّا طلبتْه بعد قتل المُعزّ وآستشارته، فعرّفهم صورة الحال فصدّقوه وأطلقوه. وحضر الأمير جمال الدين أيْدُغْدِى العزيزىّ، وكان الناس قد قطعوا بموت المعزّ، فعند حضور أيْدُغْدِى العزيزىّ ١٥ المذكور أُمِر بآعتقاله بالقلعة، ثم نُقِل إلى الإسكندريّة، فآعتُقِل بها، ثمّ صُلِب الخدّام الذين آتّفقوا على قتل المعزّ، وهرّب سِنْجَر غلام الجوهرىّ ثم ظُفِر به وصُلِب الى جانب أستاذه محسن، فمات سِنْجَر من يوم الآثنين المذكور وقت العصر على

(١) البرج الأحمر بالقلعة — تبين بعد البحث أنّ هذا البرج هو الذى يعرف اليوم باسم برج المقطم فى الجهة الجنوبيّة من القلعة ويشرف على باب المقطم أحد أبواب القلعة. وهو من الأبراج القديمة التى أنشئت فى عهد الدولة الأيوبيّة جنوبى باب القلعة (راجع خريطة مدينة القاهرة مقياس $\frac{1}{1000}$ طبع ٢٠ سنة ١٩٣١).

(٢) فى الأصل: «وكان يوم الخ ...».

الخشبة، وتأخر موت الباقين إلى تمـام يومين . وآستمرت شجرة الدرّ بالبرج الأحمر بقلعة الجبل، والملك المنصور علىّ آبن الملك المعز أيبك ووالدته يحرضان المعزية على قتلها، والمماليك الصالحية تمنعهم عنها، لكونها جارية أستاذهم، ولا زالوا على ذلك إلى يوم السبت حادى عشر شهر ربيع الآخر وُجدت مقتولة مسلوبة خارجَ القلعة، فحُملت إلى التُّربة[1] التى كانت بنتها لنفسها بقُرْب مشهد السيدة نفيسة[2] — رحمها الله تعالى — فدُفنت بها[3] . ولشـجرة الدرّ أوقاف على التربة المذكورة وغيرها . وكان الصاحب بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المعروف بآبن حِنّا وزيرها، ووزارته لها أول درجة ترقاها من المناصب الجليلة . ولمـا تيقّنت شجرة الدر أنّها مقتولة أودعت جُمْلةً من المـال والجواهر، وأعدّت أيضا جملةً من الجواهر النفيسة فسحقتها فى الهـاون لئلا يأخذها الملك المنصور آبن المعزّ أيبك وأمّه، فإنّها كانت تكره المنصور ووالدته،

(١) تربة شجرة الدرّ — يستفاد مما هو منقوش على عصابة بأسفل القبة التى بها قبر شجرة الدر أن هذه التربة أنشأتها الملكة شجرة الدر فى سنة ٦٤٨ هـ قبل وفاتها، ولمـا توفيت فى سنة ٦٥٦ هـ دفنت فيها ولا تزال هذه التربة موجودة إلى اليوم تحت قبة داخل مسجد صغير أصله مدرسة أنشأتها شجرة الدر بجوار تربتها بشارع الخليفة بقسم الخليفة بالقاهرة . والقبـة التى أنشأتها شجرة الدر فوق قبرها شكلها من أقدم أشكال القباب المعروفة فى مصر، ولا زالت محتفظة بشكلها القديم . وأما المدرسـة فتعرف اليوم باسم جامع شجرة الدر أو جامع الخليفة وقد تجدّد بناؤه مرارا . والآن يتولى قسم حفظ الآثار العربية عمـارة هذا الجامع من جديد .

(٢) المشهد النفيسى — يستفاد مما ذكره المقريزى فى الجزء الثانى من خططه ص ٤٤٠ عن ذكر المشهد النفيسى والجامع بالمشهد النفيسى أن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا توفيت فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ودفنت فى منزلهـا وهو الموضـع الذى به قبرها الآن فى الخط الذى كان يعرف قديما بخط درب السباع . ولا يزال مشهد السيدة نفيسة داخل جامعها المعروف باسمها الشريف محفوظا بعناية الله الى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة . وأوّل من بنى على قبرها هو عبيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر فى سنة ٢١٠ هـ . وأوّل من أنشأ المسجد المجـاور لمشهدها هو الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٤ هـ . والبناء الحالى للجامع والمشهد جدّده ديوان عموم الأوقاف فى سنة ١٣١٤ هـ .

(٣) سيذكر المؤلف وفاته فى حوادث سنة ٦٧٧ هـ .

وكانت غير متجمّلة فى أمرها لمّا تزوّجها أيبك حتّى منعته الدخول اليهما بالكلّية، فلهذا كان المنصور وأمّه يحرّضان المماليكَ المعزيّة على قتلها . وكانت خيّرة ديّنة رئيسةً عظيمة فى النفوس، ولها مآثر وأوقاف على وجوه البرّ معروفة بها . والذى وقع لها من تملّكها الديار المصريّة لم يقع ذلك لامرأة قبلها ولا بعدها فى الإسلام .

انتهى الجزء السادس من النجوم الزاهرة، ويليه الجزء السابع،
وأوّله : ذكر ولاية المعزّ أيبك التّركمانى على مصر

استــــدراكات

على بعض تعليقات وردت فى الأجزاء الثالث والرابع والخامس من هذا الكتاب

منبــوبة

ورد فى الحاشـية رقم ٣ ص ٩٩ بالجزء الثالث (من هذه الطبعة) أن منبوبة هى المعروفة اليوم باسم انبابه التى يقال لها أيضـا أنبوبة . والصواب أن منبوبة وانبابه ناحيتان إحداهما منفصلة عن الأخرى :

فاما منبوبة و يقال لها أنبوبة فهذه تعرف اليـوم باسم أمبوبة وقـد أضيفت إلى ناحيتى وراق الحضر وميت النصارى وأصبح يتكون من هذه النواحى الثلاث قرية واحدة مشتركة فى الزمام والادارة بآسم «وراق الحضر وأمبوبة وميت النصارى بمركز امبابة بمديرية الجيزة» .

وأما انبابة وتعرف اليوم باسم امبابة فقد وردت فى نزهـة المشتاق للإدريسى ثم حدث أن قسمت هذه البلدة إلى خمس نواح : وهى منية تاج الدولة التى تعرف اليوم باسم تاج الدول، ومنيـة كرداك التى تعرف اليوم باسم ميت كردك، ومنيـة أبو على التى تعرف اليوم باسم كفر الشوام، وكفر الشيخ إسماعيل، وجزيرة امبابة . وهـذه النواحى مدرجة فى جدول أسماء البلاد الحاليـة بأسمائها المذكورة كلّ ناحية قائمة بذاتها إلّا أنّه بسبب تجاورها فى السكن لا يزال يطلق على مجموعها آسم «امبابة» و إليها ينسب مركز امبابة أحد مراكز مديرية الجيزة .

خليج القــاهرة

ورد فى التعليق الخاص بهـذا الخليج فى صفحة ٤٣ من الجزء الرابع أن الخليج المصرى ردم فى سنة ١٨٩٦ . والصواب أنه بدئ فى ردمه من جهـة قنطرة غمرة فى أول ابريل سنة ١٨٩٧ وأتم ردمه من جهة فم الخليج فى يونية سنة ١٨٩٩

قنطرة السدّ

بما أنّ الشرح الخاصّ بهذه القنطرة المدرج فى صفحة ٤٤ بالجزء الرابع جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتى :

يستفاد مما ورد فى الجزء الثانى من الخطط المقريزية ص ١٤٦ : أن هذه القنطرة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى سنة ٦٤٣هـ على الخليج المصرى (خليج القاهرة) بالقرب من فمه وكانت واقعة فى شارع الخليج المصرى تجاه النقطة التى يتلاقى فيها هذا الشارع بشارع مدرسة الطب .

وكانت هذه القنطرة موجودة ومعروفة كما شاهدتها بآسم قنطرة الماوردى إلى منتصف سنة ١٨٩٩ التى تم فيها ردم هذا الخليج ، وبردمه آختفت هذه القنطرة من تلك السنة .

وذكر المقريزى أنها عرفت بقنطرة السد بسبب السدّ الذى كان يقام سنويا من التراب بجوار هذه القنطرة عند مايبدأ ماء النيل فى الزيادة وقت الفيضان لكى يصد الماء ، ومتى وصلت الزيادة إلى ست عشرة ذراعا يفتح السدّ حينئذ بآحتفال رسمى عظيم ويمرّ الماء فى الخليج فتملأ منه صهاريج مدينة القاهرة وبركها وتروى منه بساتينها كما تروى الأراضى الزراعية الواقعة على جانبى الخليج حتى نهايته الشمالية فى مديرية الشرقية .

بركة الحبش

بما أنّ الشرح الخاصّ بهذه البركة المدرج فى صفحة ١٤ بالجزء الخامس جاء غير واف فيستبدل به الشرح الآتى :

هذه البركة كانت واقعة جنوبى مدينة مصر فيما بين النيل والجبل . وذكر المقريزى فى الجزء الثانى من خططه عند الكلام على البرك ص ١٥٢ : بأن هذه البركة كانت تعرف ببركة المغافر وبركة حمير وباصطبل قرة وباصطبل قامش وبركة الأشراف وبركة الحبش وهو الأسم الذى آشتهرت به .

وهذه البركة لم تكن بركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة وإنما كانت تطلق على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا بواسطة خليج بنى وائل الذى كان يأخذ ماءه من النيل جنوبى مصر القديمة، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ولهذا سميت بركة . وبعد أن ينتهى فيضان النيل و يصرف الماء عنها تتكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحرث للينها بل تلاق لوقا وتزرع أصنافا شتوية أسوة بأراضى الملق التى فى حياض الوجه القبلى .

وأما اليوم فقد بطلت طريقة الرى الحوضى لهذه الأرض وأصبحت تروى ريا صيفيا وشتويا من ترعة الخشاب التى تأخذ مياهها من النيل بواسطة طلمبات الليثى ببلدة الصف فى أيام الصيف، وبواسطة طلمبات بلدة الكريمات فى أيام فيضان النيل .

ويتضح مما ذكر المقريزى أنها سميت بركة الحبش لأنه كان يوجد بجوارها من الجهة الجنوبية جنان تعرف بالحبش فنسبت إليها البركة . ويستفاد مما ذكره أبو صالح الأرمنى فى كتاب الديارات أن هذه الجنان عرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش، يؤيد ذلك ما ذكره المقريزى أيضا عند الكلام على هذه البركة حيث قال : «وفى تواريخ النصارى أن الأمير أحمد بن طولون صادر البطريق ميخائيل بطرك اليعاقبة على عشرين ألف دينار فباع النصارى رباع الكنائس بالإسكندرية وأرض الحبش بظاهر مصر» .

ومن تطبيق الحدود التى ذكرها المقريزى لهذه البركة على موضعها اليوم يتبين أنها كانت تشغل من الأرض مساحة قدرها نحو ١٥٠٠ فدان : منها ٢١٣ فدانا وهو مجموع الزمام المتزرع من أراضى قرية دير الطين، والباقى من زمام ناحية البساتين، وتحد هذه المنطقة اليوم من الشمال بصحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر وأرض قرية أثر النبى فى الحد الفاصل بينها و بين دير الطين،

ومن الغرب جسر النيل بين قرية دير الطين ومعادى الخبيرى ، ومن الجنوب والشرق باقى أراضى ناحية البساتين التابعة لمركز الجيزة بمديرية الجيزة .

قوص

يضاف إلى ما ورد فى شرحها المدرج بصفحة ٢٩٢ بالجزء الخامس ما يأتى :
وكانت مدينة قوص قاعدة لإقليم يعرف بالأعمال القوصية نسبة إلى قوص من عهد الدولة الفاطمية إلى آخر أيام حكم المماليك . وفى أيام الحكم العثمانى آندمجت الأعمال القوصية كلها بما فيها مدينة قوص فى ولاية جرجا التى كانت تمتد فى ذلك الوقت على جانبى النيل من مدينة أسيوط شمالا إلى وادى حلفا عند الشلال الثانى جنوبا . ولما أنشئت مديرية قنا فى سنة ١٨٣٣ تبعت لها مدينة قوص وجعلت قاعدة لأحد أقسام هذه المديرية ولا تزال قوص قاعدة لمركز قوص بمديرية قنا إلى اليوم.

منية آبن خصيب

ذكر سهوا فى صفحة ٣٠٩ بالجزء الخامس أن منية آبن خصيب واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . والصواب أنها واقعة على الشاطئ الغربى للنيل كما هو معلوم .



تنبيه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على آختلاف أنواعها والمدن والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها هى من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا . فنسدى إليه جزيل الشكر ونسأل الله جلت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم وأهله .

فهـرس الولاة[1] الذين تولوا مصر

من سـنة ٥٦٧ هـ الى سـنة ٦٤٨ هـ

(ا)

ابن العزيز = المنصور محمد بن العزيز عثمان .

أبو بكر = العادل سيف الدين بن أيوب .

أبو المظفر = صلاح الدين يوسف بن أيوب .

أبو المظفر = الكامل محمد بن العادل .

أبو المعالى ناصر الدين = الكامل محمد بن العادل .

أم خليل المستعصمية = شجرة الدر .

(ش)

شاهنشا ملك الملوك = العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب .

شجرة الدر بنت عبد الله جارية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب وزوجته وأم ولده خليل ٣٧٣ — ٣٧٩

(ص)

الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيوب بن شادى بن مروان ٣١٩ — ٣٦٣

صلاح الدين يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى ابن مروان الملك الناصر أبو المظفر ١ — ١١٩

(ع)

العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادى ابن مروان ١٦٠ — ٢٢٦

العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابن شادى بن مروان ٣٠٣ — ٣١٨

العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان بن صلاح الدين يوسف ابن أيوب ١٢٠ — ١٤٥

(ك)

الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان ٢٢٧ - ٣٠٢

(م)

محمد بن أبى بكر بن أيوب = الكامل محمد بن العادل .

محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ١٤٦ — ١٥٩

المعظم توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل ابن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى بن مروان ٣٦٤ — ٣٧٢

المنصور = محمد بن العزيز عثمان .

(ن)

الناصر = صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ناصر الدين = محمد بن العزيز عثمان .

---

(١) يلاحظ أنه ابتداء من السلطان صلاح الدين رأس الأسرة الأيوبية لقب بالسلطان ولقب بذلك أولاده من بعده الى انتهاء هذه الأسرة سنة ٦٤٨ هـ وهى آخر السنوات فى هذا الجزء .